الذيل على رفع الإصر

أو

بغية العلماء والرواة

تأليف

الامام عبد الرحمن السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ هـ

تحقيق

الدكتور جودة هلال ، الأستاذ محمد محمود صبح

مراجعة

الأستاذ على البجاوى



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأتمم بخير

الحمد لله الحكم العدل، الشامل كلا من خلقه بالجود والفضل، حافظ الدين، بالعلماء العاملين، وناشر ألوية الإسلام، بالقضاة والحكام، والصلاة والسلام على سيد الخلق، أعدل من قضى بالحق، وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلاما إلى يوم الدين.

وبعد. فهذا جزء، أفردت فيه بالذكر من تأخر عن[1] شيخنا من كبار القضاة «بالقاهرة» و«مصر»، وكذا من كان بزمنه ممن لم أره بأصله[2] مسطورا، أو أثبته ولكن طوى أكثر خبره لكونه لم يكن عنده منشورا. غير أني لم أذكر من أهل هذا القسم الأخير سوى من أخذت عنه الرواية أو التقرير، لمسيس الحاجة لأخبارهم، والميل لمعرفة مآثرهم وآثارهم، وألحقت به جماعة ممن خلفوا قضاتهم، مدة غيبتهم في السفر بمرسوم من السلطان في ذلك بحسبه[3] لمشاركتهم لهم في مطلق الشبه وإن تميز أولئك بمجرد الاسم والمرتبة، ورتبته كأصله الترتيب المألوف على الحروف، وأعرضت فيه عن ذكر كثير مما لا يرضونه بالتصريح، لكون أكثرهم ممن لا مدخل فيه لطعن ولا تجريح، إلا إن احتيج له لوجود سببه، فأشير إليه بحسبه إشارة يدرك موقعها من يفهم، ولا يترك ملاحظها إلا من لا يعلم، مع ملاحظة الوقت في ذلك والحال. والإحاطة بأن لكل زمن رجالا، فكم من صغير قوم ماضين، كبير أهل هذا الحين، ورب كثير ممن تقدم يكون غيره أدرى منه وأقدم. على أن الأغراض تختلف ولأجلها قد يوجد من ليس ببعض ما أثبته يعترف، والإنصاف قليل، والاعتراف بالحق ثقيل —

---

(١) المراد بشيخنا: ابن حجر.

(٢) المراد بأصله: كتاب رفع الإصر عن قضاة مصر لأستاذه ابن حجر.

(٣) بحسبه، هكذا في الأصل.

والله أرجو فى سَتر العَـوْرة ، والإعانة فى جميع المَسالك ، وإقالة الزّلة الموقعة فى المهالك ، وأن يختِم لكلٍّ منّا بالحسنى ، ويرفعنا إلى المحلّ الأسنى ، إنه قريب مجيب .

القاضى برهان الدين بن محمد الديرى الحنفى
٨١٠ — ٨٧٦ هـ

من اسمه إبراهيم :

إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن سعد ، القاضى برهان الدين بن شيخ الإسلام شمس الدين العبسى الدَّيْرِىّ المقدسىّ الحَنفى ، نزيل « القاهرة » ، ويعرف بابن « الدّيرى[1] » أخو شيخنا شيخ المذهب « سعد الدين سعد » الآتى . ولد فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة عشرٍ وثمانمائة بيت « المقدس » ، وقدم مع أبيه « القاهرة » وهو صغير ، فحفظ القرآن ، وصلى به على العادة ، فى سنة إحدى وعشرين بـ « البُرْقُوقيّة » ، بتدريب فقيهه الشيخ « عثمان » ، وكذا حفظ المغنى[2] للخبازى ، « والمختار » « والمنظومة » ، « والتلخيص » وكذا « الحاجبية » فى سبعة وعشرين يوما على ما أخبرنى — وقطعةً من « مختصر ابن الحاجب » وسمع بقراءة « الكُلُوتاتى[3] » على والده « الصحيح » ، «وعلى الشرف بن الكويك[4] »

---

١ — الديرى : له ترجمة فى الضوء اللامع للمؤلف ج ١ : ١٥٠ نشر القدسى .

(٢) الخبازى : هو شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن على الموصلى الأصل الدمشقى ابن الخباز ، نزيل الصالحية ويعرف بابن الخباز ، مات حوالى سنة ٨٠١ هـ .
(انظر ترجمه فى الضوء اللامع ج ١ : ١٩٥) و (شذرات الذهب لابن العماد ج ٧ : ٣

(٣) الكلوتاتى : نسبة لعمل الكلوتات .
(انظر الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٣ .
والكلوتة = كلفته : وهى غطاء الرأس .
(انظر النجوم الزاهرة ج ٦ : ٥٣ .

٤ — ابن الكويك : هو شرف الدين أبو الطاهر محمد بن عز الدين أبو اليمن محمد ابن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود المعروف بابن الكويك الربعى التكريتى ثم الاسكندرى ، نزيل القاهرة الشافعى المسند المحدث ولد سنة ٧٣٧ هـ ومات سنة ٨٢١ هـ .

(الضوء اللامع للسخاوى ج ٩ : ١١١ نشر القدسى ١٣٥٥ هـ) .

رفيقا لـ «الزين السنديسى[١]. «العمدة» ، «والأربعين» لـ «النووى» ، وتفقه بـ «السراج قارىء الهداية[٢]» ، قرأ عليه : «الهداية» ؛ بكمالها ، وكذا أخذ عن والده وأخيه ، وعنه أخذ أصول الدين ، وتردد إليه «الشهاب الحناوى» ، «والعز عبد السلام البغدادى[٣]» فأخذ عنهما العربية وغيرها وأذن له ، وكتب الخط الحسن على «الشرف بن أمير الدين عبد الرحمن بن الصائغ» ، ودرس بـ «الفخرية[٤]» ، فى حياة والده ، قبل استكمال خمس عشرة سنة ، وكذا ناب عن والده حين سفره فى مشيخة «المؤيدية[٥]» ، وتصدر حينئذ لعمل الميعاد بها بين العشاءين فى خمس ليال من ليالى الأسبوع ، فعُرِف بقوة الحافظة ، بحيث تنكر / «الصدر بن[٦] ٧

---

(١) السنديسى : بفتح السين المهملة وسكون النون وفتح الدال المهملة ، وكسر الموحدة وسكون التحتية ، آخره سين مهملة ؛ وهو :

عبد الرحمن بن محمد بن يحيى الزين أبو الفضل بن التاج السنديسى الأصل القاهرى ، الشافعى ، كان عالماً خيراً صالحاً ، ثقة متقنا ، بارعاً فى فنون ، متقدماً فى فنون العربية . ولد سنة ٧٨٥ هـ ومات سنة ٨٥٢ هـ . وجاء فى شذرات الذهب لابن العماد أنه ولد سنة ٧٨٨ تقريباً ، ووفاته فى حوادث سنة ٨٥٣ هـ .

(الضوء اللامع للسخاوى ج ٤ : ١٥ نشر القدسى ١٣٥٤ هـ) و (شذرات الذهب لابن العماد ج ٧ : ٢٧٩) .

(٢) قارى الهداية : هو عمر بن على بن فارس السراج أبو حفص الكنانى القاهرى الحسينى ، الحنفى ، ويعرف بقارى الهداية تمييزاً له عن سراج آخر كان يرافقه فى القراءة على العلاء السيرامى شيخ البرقوقية ، ولد بالحسينية ظاهر القاهرة نشأ بالقاهرة ، وتقلد حنفياً ، حيث وعد من تحنف بخمسمائة ومات سنة ٨٢٩ هـ .

(انظر الضوء اللامع ج ٦ : ١٠٩) و (وشذرات الذهب لابن العماد ج ٧ : ١٩١).

(٣) البغدادى :

هو عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد بن محمد بن كدوم بن عمر بن أبى الخير سعيد، العز : المجد أبو محمد بن الشهاب أبى العباس ، بن الشرف الحسينى القيلوى الأصل نسبة لقرية بغداد يقال لها (قيلوية) البغدادى ثم القاهرى الحنبلى الحنفى . ولد بعد السبعين وسبعمائة (بخمس أو بست) وتوفى سنة ٨٥٩ هـ .

(الضوء اللامع ج ٤ : ١٩٨) .

(٤) الفخرية : انظر فهرس المدارس بآخر الكتاب .

(٥) المؤيدية : انظر فهرس المدارس بآخر الكتاب .

(٦) ابن العجمى : أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله ، الصدر بن الجمال ، القيسرى الأصل ، القاهرى ، الحنفى ويعرف بابن العجمى ولد سنة ٧٧٧ هـ وتوفى ٨٣٣ هـ .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٢٢٤) .

العجمى ، و « العلاء بن مغلى[1] » — حتى سماه — استكبارا عليه ، لما كان يبلغهما عنه فيما حكاه لى .

وأول ماولى من الوظائف استقلالا : تدريس الفقه بمدرسة « سودُون من زاده[2] » فى سنة ست وثلاثين ، عوضا عن « البدر القدسى » ، ثم ناب فى القضاء عن أخيه وبتفويض من السلطان أيضا ، وذلك فى سنة أربع وأربعين ، وأنعم عليه السلطان بلباس سلاري بنفسجى[3] من ملبوسه ، وكذا ولى بعناية « الولوى السفطى[4] » الاسطبلات السلطانية فى تاسع عشرى رجب سنة سبع وأربعين ؛ عوضا عن « الشمس محمد بن كاتب الورشة » عرف « بالوزّه » وخطب بـ « جامع الإسطبل » امتثالا لأمر « امير أخُور[5] » وكان استقر فيها عوضا عن « برهان الدين » بن أخى « الجمال بن الجبر » بحكم وفاته ، ورغب عنها بعد ذلك لأبى الفتح « محمد بن عبد الرحمن بن الأدمى[6] » ثم ولى نظر « الجوالى[7] » فى يوم الخميس

---

(١) ابن مغلى : هو على بن محمود بن أبى بكر ، العلاء أبو الحسن ابن النور أبى البقاء ابن النقى ، أو البدر أبى الثناء ، وأبى الجود السلمى ، وربما كتب السلمانى ثم الحموى الحنبلى ، ويعرف بابن المغلى . ولد سنة ٧٧١ هـ وقيل سنة ٧٦٦ هـ بحماة وتوفى سنة ٨٢٨ هـ .
(انظر ترجمته فى الضوء اللامع للمؤلف ج ٦ : ٢٤٠ ط . القدسى ١٣٥٤ هـ) و(شذرات الذهب لابن العماد ج ٧ : ٢١٨٥ .

(٢) انظر : فهرس المدارس بآخر الكتاب .

(٣) بالمخطوطة « بالباس سلارى بنفسجى » . هذا لايستقيم مع السياق فوجب التصحيح .

(٤) الولوى السفطى ؛ نسبة إلى سفط الحنا من الشرقية .
(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٠٧ نشر القدسى ١٣٥٥ هـ) .

(٥) أمير آخور : آخور لفظ فارسى معناه المعلف ، وأمير لفظ معروف فتكون الكلمتان معاً إلى أمير المعلف ، وهو الذى إليه أمر الخيول والاسطبل .
(معيد النعم ومبيد النقم للسبكى : ٣٧ تحقيق محمد على النجار وآخرين ط . الخانجى) .

(٦) الأدمى : هو محمد بن عبد الرحمن بن على بن أحمد بن أبى بكر أبو الفتح الأدمى القاهرى الشافعى ، تكسب بالشهادة ، مات بعد الثمانين (أى بعد ٨٨٠ هـ) .
(انظر الضوء اللامع ج ٧ : ٢٩٢ ط . القدسى ١٣٥٤) .

(٧) الجوالى : وصاحبها ناظر الجوالى ؛ وهى مايؤخذ من أهل الذمة كل سنة فى نظير تأمينهم على أنفسهم وأرواحهم . وموضوع هذه الوظيفة التحدث فى جباية الجزية . قال أبو المحاسن : « كان لها ديوان مخصوص استمر إلى زمن الروك الذى أجراه السلطان محمد بن قلاوون ومن ذلك التاريخ انضم إلى ديوان الواقفة العمومية .
(الخطط التوفيقية ج ١٢ : ٣٢) .

ثالث المحرم سنة خمسين ، عوضا عن « بدر الدين محمد فتح الدين صَدَقة المحرّقى[١] » ، وتكلموا له فى الاستقرار فى نظر الجيوش[٢] ملتزما بثمانية آلاف دينار ، عوضا عن « المُحبّ بن الأشقر » ، وأن يستقر أخوه « الأمين عبد الرحمن » فى وظيفتيه المذكورتين ، وصعدا فى يوم الخميس رابع ربيع الآخر سنة خمسين بسبب ذلك ، فانتقض الأمر ، وألبس المحب خلعة الاستمرار ، ثم انفصل « البرهان » عن نظر « الجَوالى » ، فى ثالث عشر رمضان سنة إحدى وخمسين بأبى الخير « النحاس » ، وسافر إلى « مكة » فى موسم هذه السنة ، وفيها حَجّ أخوه شيخنا أيضا ، ورَجعَا ، فانفصل بعد يسير « عن نظر الاسطبلات[٣] » فى يوم الخميس رابع ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين بالبرهان بن ظَهِيره[٤] ، ثم أعيد إليها بعد موته فى يوم الأحد حادى عشر صفر سنة ثلاث ثم صرف عنها فى رجب سنة ثمان بـ « المقر الزّينى بن مُزْهِر[٥] » ، وولى « نظر الجيش » بعد صرف « الشرفى الأنصارى[٦] » فى يوم الخميس رابع عشر رجب سنة ثلاث

---

(١) المحرق : هو محمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن أيوب بن البدر بن فتح الدين المخزومى المحرق الأصل ، القاهرى ، الشافعى . ولد سنة ٨٤٢ هـ .

(الضوء اللامع ج ٩ : ٢٠٥ القدس ١٣٥٥ هـ) .

(٢) نظر الجيوش : كانت وظيفة لصاحبها النظر فى الإقطاعات ومعه من المستوفين ما يحرر كليات المملكة وجزئياتها ، ومن حقه النظر فى حال أفراد الجيش ، وتجريد من يرى فيه المصلحة والكفاية والقدرة ، وعليه توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٩٤) و (معيد النعم ومبيد النقم للسبكى ٣٣١ تحقيق محمد على النجار وزميليه) .

(٣) نظر الاسطبلات : فلصاحبه الحديث فى أنواع الاسطبل والمناخاة وعلفها وأرزاق خدمها وما يبتاع لها . (حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٩٥) .

(٤) ابن ظهيرة : هو إبراهيم بن على بن محمد بن محمد بن حسين بن على بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المالكى القرشى الشافعى . ولد سنة ٨٢٥ هـ وتوفى سنة ٨٩١ هـ .

والضوء اللامع ج ١ : ٨٨ ط . القدسى ١٣٥٣ هـ) و (شذرات الذهب لابن العماد ج ٧ : ٣٥٠) .

(٥) ابن مزهر : انظر الترجمة الأخيرة من هذا الكتاب .

(٦) الأنصارى : نسبة للأنصار ، وهو الشرف موسى بن على بن محمد بن سليمان ، الشرف التتائى ، القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بالأنصارى . ولد سنة ٨٢٠ هـ بتتا (قرية من المنوفية) ، مات سنة ٨٨١ هـ (الضوء اللامع ج ١٠ : ١٨٤) .

وستين، ثم صرف عنها فى منتصف شعبان سنة أربع بـ « الزَّينى بن مزهر » أيضاً ، وولى نظر « ديوان الإنشاء[1] » فى يوم الاثنين حادى عشرى شوال سنة ست وستين، عوضا عن القاضى « محب الدين بن الشِّحْنَة[2] »، فأقام يسيرا . ثم لكونه فيما أخبرت لم يوافق « الدَّوادَار تَجانى بك الظاهرى » شاد [جده[3]] .

كان فيما يروم فعله بدون مراجعته أغرى به « الظاهر خشقدم » ، حيث بلغه عنه أنه قال : وقد أخرجت جنازة ابنة زوجته « خوند الأحمدية[4] » يوم السبت ، استقُرى فى مثل هذا أنه لا بد من اردافها بجنازة من كبار البيت الذى تخرج منه الجنازة يوم السبت .

ويقال إنه عزاه للأخيار الأفاضل ، فسأله السلطان عن هذه المقالة فلم يسعه إنكار جميعها، فحينئذ خاشَنَه ورأى منه جفاء، وعَزلَهُ فى يوم الاثنين سادس ذى القعدة ، بعد مباشرته لها خمسة عشر يوما لا غير .

---

(١) ديوان الإنشاء : ذكر السيوطى فى الجزء الثانى من كتابه حسن المحاضرة نقلا عن ابن فضل الله ، أن كتابة الإنشاء فى المشرق كانت منوطة بالوزراء وربما انفرد بها رجل ، واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة ، فكان يسمى صاحبها كاتب الإنشاء . ولما كثر عددهم أفرد لهم ديوان سمى بديوان الإنشاء وسمى رئيسهم « رئيس ديوان الإنشاء » ثم بقى يطلق عليه تارة صاحب ديوان الإنشاء وتارة كاتب السر . وذكر أن وظيفة كاتب السر فى مصر حدثت فى أيام قلاوون ، وأن هذه الوظيفة كانت قديماً ضمن الوزارة والوزير هو المتصرف فى الديوان ، وتحت يده جماعة من الكتاب ، وفيهم رجل كبير يسمى « صاحب ديوان الإنشاء » أو « صاحب ديوان الرسائل » . وأن مصر لم يكن بها ديوان إنشاء حتى جاء أحمد بن طولون فأنشىء الديوان ، وتوالت دواوين الإنشاء إلى أن ملكها الفاطميون فعظم ديوان الإنشاء بها ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له ما بين ذمى ومسلم . واستمر الحال حتى جاء قلاوون سلطاناً على مصر فولى ديوان الإنشاء فتح الدين بن عبد الظاهر ، وهو أول من سمى كاتب السر . (حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٤٥ — ١٤٧) .

(٢) ابن الشحنة : ستأتى ترجمته فى ص ...

(٣) هكذا تبدو فى الأصل .

(٤) خوند : يؤخذ من كتاب كترمير أن خوند وخوندة جمعها خوندات . والخوند هى جارية الملك التى ولدت منه ونساء مصر يطلقونها على زوجة الملك فيقال : صارت خوند الكبرى بعد وفاة خوند شكرباى ، والعادة القديمة أن الخوندات يكن أربع وكذلك تطلق الكلمة على أخت زوجة الملك (الخطط التوفيقية ج ٩ : ٣٥) .

وقد أورد مما كان التزم به فى الوظيفة[١] وهو عشرة آلاف دينار ؛ ستة آلاف دينار ، وتكلم بعده فى الوظيفه « المقر الزَّينى بن مُـزهر » ، ونوّه بإحضار القاضى « قطب الدين الخيضرى[٢] » قاضى الشافعية وكاتب السرّ « معاً » بدمشق » ليستقر فيها ، فما صح واستقر الزينى / « بن مزهر » فى يوم الإثنين العشرين من الشهر المذكور ، واستمر « البرهان » بطالا مكروبا بسبب ما تحمله من الديون ، بسبب دخوله فى كتابة السّر[٣] التى لم يكن بأسرع من انفصاله منها ، وتألم له أحبابه بسبب ذلك .

٨

ومن عجيب الاتفاق أنه لم تمض السَّنَـةُ حتى خَـرَجَ من بيت السلطان بعد موت ابنة زوْجَـته اثنان غيرها ، ومع ذلك فلا أصل يعتمد فى هذه المقالة . فلما مات أخوه واستقر ولده « التاج عبد الوهاب » فى مشيخة « المؤيدية » ، قايضه عنها بجهات له فى « القدس » من جهة والده وغيره واستقر « البرهان » فيها ، وذلك فى عاشر ربيع الآخر سنة [[٤]]

فباشر ذلك تدريساً وحضور شهامة وحشمة ، إلى أن كان فى يوم الخميس

---

(١) المراد بالوظيفة هنا : « نظر ديوان الإنشاء » كما يفيده السياق ، وقد عبر عنها فى الضوء اللامع ج ١ : ١٥٠ بقوله : ثم « كتابة السر » فى حدود سنة وسنتين ، وانفصل عنها . (أى بعد كتابة السر المشار إليها) بعد خمسة عشر يوماً .

(٢) قطب الدين الخيضرى : هو محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود ابن فلاح بن ضميدة ، بقطب ، أبو الخير الزبيدى البلقاوى الأصل الترملى الدمشقى الشافعى ، ويعرف بالخيضرى نسبة لجد أبيه : ولد سنة ٨٣١ هـ بدمشق وتوفى القاهرة ٨٩٤ .

(الضوء اللامع للمؤلف) .

(٣) كاتب السر : إليه كان التوقيع فى دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاورة قبل عهد الناصر محمد بن قلاوون ، وقراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها وتصريف المراسيم وروداً أو صدورا ، وقد ذكر (السبكى فى كتابه معيد النعم ومبيد النقم ، أن وظيفته التواقيع بالولايات والعزل ومن حقه إنهاء القصص إلى الملك وتفهيمه إياها .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٩٤) و (معيد النعم ومبيد النقم للسبكى بتحقيق محمد على النجار وزميليه : ٣٠) .

(٤) بياض فى الأصل بمقدار كلمة .

ثالث عشر جمادى الآخرة سنة سبعين ، فاستقر فى قضاء الحنفية ، بالديار المصرية ، بعد صرف القاضى « محب الدين بن الشِّحْنَة » ، فباشره مباشرة حسنة ، بعفة ونزاهة ، وأكد على النواب فى عدم الارتشاء ، وحسُن تصرفه فى الأوقاف ونحوها . وحُمدت سيرته ، وسلك طريق الاحتشام والضخامة[1] ، ولم يلبث أن حصل التنازع فى وقف صدر فيه الحكم من بعض نواب الحنفية ، وافقه عليه جماهير علمائهم ، وانفرد هو ومن شاء الله بالمخالفة ، وصارت تعرض عليه مقالات غيره فلا يذعن لها ، ويبالغ فى دفعها غير مقتصر على ذلك .

بل قيل : إنه تعرض لـ « الخصَّاف » الذى استشهد بكلامه فى المسألة المذكورة لكونه لم يطلع على حقيقة أمره ، وأغلظ للنائب المشار إليه ، فبادر النائب وعزل نفسه ، فبلغ ذلك السلطان ، وفوض إليه بعناية الدَّوادارِيَّة[2] « يَشْبَك الفقيه[3] » .

وكذا وقع بينه وبين القاضى « عز الدين الحنبلى » بسبب ذلك فى مجلس النجادر « بالقلعة » ، فى غيبة السلطان ، كلمات بحيث انزعج الحنبلى وفارق المجلس ، فأدركه « المقر الزَّينى بن مُزْهِر » وتلافى خاطره إلى أن يرجع ، فاستدعى بهم السطان بين يديه ، فكانت كلمات يسيرة أيضاً ، وكثرت الفقاقع ، والفراقع ، والتشاحن ، بين الفقهاء والفضلاء ، ونظم بعض الشعراء فيها من الفريقين .

---

(١) كذلك فى الأصل وفى الضوء اللامع .

(٢) الدوادارية : هى وظيفة يبلغ صاحبها الرسائل عن السلطان ويقدم القصص (المظالم) إليه ، ويشاور على من يحضر بالباب ، ويقدم البريد ، ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب (حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : باب الوظائف) و (المختار من حسن المحاضرة لمحمد محمود صبح ١٨٠ نشر مكتبة الإنجلو) .

(٣) يشبك : هو يشبك بن سلمان شاه المؤيدى الفقيه . ولد على رأس القرن وأحضر من بلاد جركس فى سنة ٨٠٠ هـ فنزل فى الطباق وصار من خاصكية أستاذه ، ثم ترق إلى أن تزوج ابنته آسية ، وتكلم فى أوقافه ، وصار فى أيام الأشرف برسباى رأس نوبة الجدارية إلى أن أنعم عليه الظاهر بإمرة عشرة بعد وفاة تمر النوروزى ، وتوفى سنة ٨٧٠ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٧) .

وصارت حادثة شنيعة ، لا أحب شرح تفاصيلها ، ولا الإفصاح بجملها ، وآل الأمر إلى أن استدعى السلطان شيخنا « الأمين الأقصرائى »[1] ، « والتقى الشمنى »[2] ، و « السيف »[3] ، الحنفيين ، وصعد معهم « البرهان قاسم الحنفى ، وله فى المسألة خبر فى طائفة فاستخبرهم عن حقيقة الأمر ولم يلتفت لمن خالف .

وتنكر « البرهان » بسبب ذلك ، خصوصاً لما ذكر من كون أخيه كان يستوحش منه ، بسبب مجافاته له التى كان فيها فيما قيل : أمَر المثير لها بينهما بعض الأتباع الذين كان البرهان يُعلم أخاه بعدم انتظام أمرهم ببابه ، ونحو ذلك ، مع كونه رحمه الله لصفاء خاطره لم يكن يصغى إلى غيرهم غالباً ، وخاض المتسارعون إلى النقل بدون تثبّت ، فى تتمات لذلك ، وتنكرت عليه خواطر بعض أئمة مذهبه ، واستمر على وظيفة القضاء إلى يوم الأحد خامس المحرم من السنة التى تليها ، فصرف ، وأعيد « المحب » فى يوم الاثنين سادسه . ولزم هذا منزله « بالمؤيدية » يدرس ، ويفتى مع الانجماع والتقنّع باليسير بالنسبة لما ألفه قبل ، وسلوك مسالك / الاحتشام ، ومراعاة ناموس المناصب ، مع ما اشتمل عليه من حسن الشكالة ، والفصاحة فى العبارة ، وقوة الحافظة ، وحسن العقيدة وعدم الخوض فيما الأولى تجنبه .

٩

---

(١) الأمين الأقصرائى : وربما الأقسرائى نسبة لأقصرا إحدى مدن الروم (آسيا الصغرى) هو الأمين الدين يحيي بن الشمس محمد بن إبراهيم بن أحمد ، شيخ الحنفية فى زمانه ولد سنة نيف وسبعين وسبعمائة ، وانتهت إليه رئاسة الحنفية فى زمانه ، مات سنة ٨٨٠ هـ (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٢٧) و (الضوء اللامع ج ١١) .

(٢) التقى الشمنى : هو تقى الدين ، أبو العباس أحمد بن الشيخ المحدث كمال الدين محمد بن محمد بن حسن التميمى الدارى ، ولد بالاسكندرية سنة ٨٠١ هـ ، صنف حاشية على المغنى ، وحاشية على الشفا ، وشرح النقاية فى الفقه ، وشرح نظم التحية لأبيه ، وأرفق المسالك لتأدية المناسك ، مات سنة ٨٧٢ هـ (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٢٤ ط . مطبعة الموسوعات) .

(٣) السيف الحنفى : هو سيف الدين ، محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمرى ، ولد تقريباً على رأس ٨٠٠ هـ ، برع فى الفقه والأصول والنحو ، وله حاشية على التوضيح كثيرة الفوائد ، مات ٨٨١ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٢٧ .

وقد اجتمعتُ بهِ مراراً ، وكتب على استدعاء بعض الأولاد[1] .

وكتبت عنه ما أنشدنى إياه لفظاً ، وأخبرنى أنه نظمه ارتجالا وهو :

كريم إذا ما القوم شحوا تراكمت . · . عطاياه عن نشر[2] يفوح بنَشْرِهِ

يجودُ بما يلقاه من كل نعمة . · . ويعطى جزيلاً ثم يأتى بعُذْرِهِ

وقوله :

تباشـــير الصباح لنا أباحت	دم المنقود فى وقت الصبّوح
ونشر النّوْر هيّج كل صب	إلى لقياك بالخبر الصحيح
وماء المزن صُبّ لنا مزاجا	فخذ بشراك من قول نصوح
إذا ما الغيم قطب كن بشوشاً	وهيء من غبوقك للصبّوح

وحكى عن والده أنه كان يقول فى القصيدة التائية المسماة « نظم السلوك » أبياتاً مشكلة ، منها مالا يمكن الجواب عنه .

القاضى عز الدين أبو البركات

٨٠٠ — ٨٨٦هـ*

أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن اسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد شيخ المذهب القاضى عز الدين أبو البركات بن القاضى برهان الدين بن القاضى ناصر الدين الكِنانى العَسْقَلانى الأصل ، القاهرى ، الحنبلى القادرى — المذكور أبوه وجده فى الأصل — ولد فى سادس عشرى من ذى القعدة سنة ثمانمائة « بالقاهرة » ، ونشأ بها ، ومات أبوه قبل استكمال سنة ونصف ،

---

(١) كذلك فى الأصل وفى الضوء اللامع للمؤلف « بعض الأولاد » .

(٢) نشر : فى الضوء اللامع ج ١ : ١٥٣ « بشر » .

* أبو البركات : القاضى الكنانى : له ترجمة فى شذرات الذهب ، وقد جاء فيها : أنه « موفق الدين أبو العباس أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم ابن نصر الله بن أحمد الكنانى الحنبلى العسقلانى قاضى الحنابلة بالديار المصرية ، استقر فيها بعد موت أخيه برهان الدين فى يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة وتفقه على والده وعلى الشيخ مجد الدين سالم ، وتوفى بمصر فى حادى عشر رمضان سنة ٨٠٢ هـ .

(انظر شذرات الذهب لابن العماد ج ٧ : ٢٥) و (الضوء اللامع ج ١ : ٢٠٥)

فَـكَـفَـلَـتْـهُ والدته السيدة أم الفضل عائشة ، ابنة القاضى ، علاء الدين على بن محمد بن على بن عبد الله بن أبى الفتح المذكور .

وحفظ القرآن عنه جماعة ، أمثلهم دينا وفضلا ، الشهاب البنبى ، إمام البديويه[1] .

وجوّد على مقرىء الوقت ، الشمس الزّرَاتيتى[2] ، الذى سمع عليه ، فضل الخيل ، الدّمْـيَـاطى ، من أوله إلى آخر النساء ، بل وإلى بعد ذلك أيضاً .

وحفظ من مختصرات العلوم كتباً كثيرة ؛ فمنها فى فقه مذهبه ، مختصر ، أبى القاسم عمر بن الحسين الخِـرَقى[3] ، وعرضه بتمامه على القاضى ، مجد الدين أبى البركات سالم المقدسى[4] ، الحنبلى ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة ، وكذا عرض مواضع منه على العادة على قريبه الشمس محمد بن أحمد بن على بن عبد الله الشامى الحنبلى ، الذى سمع عليه من أول ، مسند أحمد ، إلى آخر مسند ، ابن مسعود ، وهو المجلد الأول منه ، وذيل شيخه ، أبى الحزم ، للعراقى ، والناسخ والمنسوخ لـ ، الحازمى ، ، إلا الختم[5] ، وكان عرضه علىّ فى جمادى المذكور ، وعرضه كذلك على كل من المحب بن نصر الله البغدادى[6] الحنبلى ،

---

(١) ارجع إلى فهرس المدارس بآخر الكتاب .

(٢) الشمس الزراتيتى : هو محمد بن على بن محمد الغزولى ، ولد سنة ٧٤٨ هـ ومات سنة ٨٢٥ هـ . وهو من أئمة القراءات (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٤٢ ط . مطبعة الموسوعات) .

(٣) مختصر أبى القاسم عمر بن الحسين الخرقى (الضبط من القاموس المحيط) . هو كتاب فى الفقه يسمى مختصر الخرقى فى فروع الحنبلية ، ومؤلفه هو الشيخ أبو القاسم عمر ابن الحسين الحنبلى المعروف بالخرقى — (المذكور) ، توفى سنة ٣٣٤ هـ . وقد شرح هذا الكتاب موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ ، وسماه المغنى (كشف الظنون لحاجى خليفة) .

(٤) المقدسى : هو سالم بن سالم بن أحمد بن سالم بن عبد الملك بن عبد الباقى ابن عبد المؤمن بن عبد الملك ، وقيل : عبدالعزيز بدلهما ، القاضى مجد الدين أبو البركات ابن أبى النجاء ، المقدسى ثم القاهرى ، الحنبلى . ولد سنة ثمان أو تسع وأربعين وسبعمائة ، ومات سنة ٨٢٦ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٢٤١) .

(٥) هكذا فى الأصل وفى الضوء اللامع « ولا الختم » .

(٦) المحب بن نصر الله البغدادى [: هو قاضى القضاة ، محب الدين ، أحمد بن جلال الدين لله نصر الله بن أحمد بن عمر البغدادى ، ولد فى صفر سنة ٧٦٥ هـ ببغداد ، ونشأ على الخير ==

وأبى الفضل بن الإمام المغربى ، فى رجب منها[1] ، وآخرين . ومنها « ألفية ابن مالك » ، وأكثر ما بلغ حفظه فيها فى يوم ثمانون بيتاً . و « الطوفى » و « الطوالع » لـ « البيضاوى » ، و « الشذور » و « الملحة » وحفظ نصفها فى ليلة . وكان السبب فيه أنه رام قراءة « الألفية » فلم يمكنه المجد المشار إليه من ذلك إلا بشرطين وهما : قراءة صفحة / عليه يختبر فيها جودة إعرابه ، واستظهاره فى جميع « الملحة » ، وكان سلف منه حفظ نصفها الأول فاهتم ليلتئذ بحفظ باقيها ، ووفى له بما شرطه .

قال : وكان « المجد » يعرف من العربية ما يتمكن معه من عدم اللحن فيما يبديه ، ورد مالا يرتضيه ، بل كان يقول : أنا لا أرد إلا ما لا وجه له . وكذا كان فى اللغة . وما كان يعين مكتوبا أو يسجل عليه حتى يتصفحه ويحرره فيهما ،

ثم أخذ القاضى « عز الدين » فى الاشتغال بالعلوم ، مستمرا عن ساعد الجد ، حتى فاق وارتفع عن الشيوخ ، والأمثال ، والرفاق ، ولم يستكثر من الشيوخ ، فأخذ الفقه عن « المجد » المذكور ، و « العلاء بن المُغلى » وكان كل منهما كثير الإجلال له ، بحيث كان « العلاء » يجلسه فى حال كون كلّ من عنده من شيوخ المذهب وغيرهم قياما . ولازم « المحبّ البغدادى » ملازمة تامة فى التقسيم وغيره ، بل قرأ عليه معظم الخرقى[2] فى « الفقه » وغيره ، وسمع عليه أشياء من الحديث ، من جملتها فى « صحيح البخارى » ، « بقراءة » البدر محمد بن عبد المنعم البغدادى « فى سنة سبع عشرة . وأخذ كثيرا من كتب العربية عن « الشمس البوصيرى » . أحد العلماء الصلحاء ، واختص بمزيد التردد إليه ، والاستفادة منه كثيراً ، وعادت بركته عليه ، وبشره بولاية القضاء ، وحكى لى عنه أنه

= والاشتغال بالعلوم ، ثم رحل الى دمشق ، ثم دخل القاهرة فقرر صوفيا بالبرقوقية وناب فى القضاء عن ابن مغلى والمجد بن سالم ، ثم ولى قضاء الحنابلة استقلالا ، ومات فى جمادى الأولى سنة ٨٤٤ هـ (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٢٩) .

(١) « فى رجب منها » أى فى رجب سنة ٨١٥ هـ كما يفيده السياق .

(٢) يقصد مختصر الخرقى فى الفقه .

كان يقرر مشكلات كتب هذا الفن ، وهو شبه النائم ، وكذا حضر مجالس كثيرة فى العربية عند « الشمس الشَّطنُوفى »[١] .

وسمعت أنه قرأ منها أيضاً على « البدر بن الإمام[٢] » ، حيث كان يجلس معه بشُبّاك « الصالحية » ، وقرأ فى « زاد المسافر[٣] » لابن الجوزى على « الشمس بن الدَّيرى[٤] » .

وحكى عنه فى إطرائه لنفسه شيئاً عجبا ، أنه بينما هو فى تقرير محل من أخذ « العز » الكتاب [لنظم تواجد[٥]] التقرير فقال له : اطو الكتاب واسمع ما أقول : فإن علم « ابن الجوزى » بالنسبة لما أقوله العشر ، وما أقوله بالنسبة لما أعلم العشر ، قلت : وأستغفر الله من حكاية هذا .

وجاس مع « البرهان » يسأله عن بعض المسائل الواضحة وهى ، لم يوجبوا الأضحية مع قوله « فصلِّ لربك وانحر » [٦] فلم يُجبْهُ ، والظاهر أنه تركه .

وأكثر من التردد لعالم العصر « العز بن جماعة[٧] » والاستفادة منه ،

---

(١) الشطنوفى : بفتحتين ثم نون وآخره فاء . محمد بن أحمد بن صالح بن محمد بن عبد الله بن مكى ، الشمس بن الشهاب الشطنوفى الأصل ، القاهرى الشافعى ، ويعرف بالشطنوفى نشأ بالقاهرة وحفظ بالقاهرة وغيره ، واشتغل يسيراً كان موصوفاً بالتحرى فى مباشراته مقتديا ، مات سنة ٨١٣ هـ ، وقد زاد على السبعين .

(الضوء اللامع ج ٦ : ٣١٤ ، ج ١١ : ٢١٠) .

(٢) ابن الإمام : هو محمد بن يحيى أو إبراهيم بن عبد الرحمن ، أبو الفضل ، بن أبى زكريا ابن أبى محمد التلمسانى المغربى المالكى ويعرف بابن الإمام ، وهو بكنيته أشهر ، من بيت شهير ، ارتحل فى سنة ٨١٠ هـ للحج وأقام بتونس شهراً ثم قدم القاهرة .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٧٤)

(٣) لعله يقصد زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى .

(٤) الشمس الديرى : بفتح الدال — الضبط من الضوء اللامع ج ٢ : ٢٠٢ .

(٥) هكذا وردت فى الأصل أيضاً « لنظم تواجد »

(٦) سورة الكوثر الآية ٢ .

(٧) العز بن جماعة : هو الشيخ عز الدين محمد بن شرف الدين أبى بكر بن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن قاضى القضاة بدر الدين محمد ، ولد سنة تسع وخمسين وسبعمائة واشتغل صغيراً ، ومال إلى فنون المعقول فأتقنها اتقاناً بالغاً ، وله تصانيف عديدة تقرب من ألف مصنف ، مات ٨١٩ هـ .

(حسن المحاضرة ج ١ : ٢٦٣)

وحضور دروسه فى « المختصر » ، بقراءة « الكمال بن الهُمام[١] » ، وفى شرح العمدة لابن دقيق العيد[٢] بقراءة الشهاب الرِّيشى[٣] ، وفى غيرها بقراءة ابن « قديد » وقال : إنه حضر عنده مرة منازعة الكمال معه فى حاشية رام تقييدها واتفقا على ارتضاء غيرها ، فلما انتهى وضَعُها ظهر للشيخ أحسنيـّة تلك ، فرامَ إعادتها كما كانت فما استحضرها ، فقال : مثلى وإياكم كما حُكى عمن سُئل عن اسمه فقال : « محرز » ، فرام السائل المتلاعبَ به ، فقال : أأنت حرْزٌ مُرْزٍ ، أو مُرْزٍ حِرْزٌ ؟ فقال شككتنى أو كما قال .

وحضر عند « البساطى » مجلساً واحداً ، وكذا حضر عند العالم « أبى عبدالله بن مرزوق » لما قدم القاهرة » ، وَجالس أبا القاسم العبدوسى[٤] وسمع ميعاده . وكذا سمع « الجلال البُلقينى » مرّةً واحدة ، قال : وفى ذلك اليوم ، رأيت شيخ الإسلام « ابن حجر » ، وكنت لم أره قبلها جاء وجلس فى المحراب بجانب القاضى ، وكان إذْ ذاك بزِىِّ التُّجَّار ،

---

(١) الكمال بن الهمام : هو قاضى القضاة ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسى السكندرى ، ولد تقريبا فى سنة ٧٩٠ هـ ، وتفقه وتقدم على أقرانه فى أنواع العلوم فى الفقه والأصول والنحو والمعانى وغيرها ، وكان علامة محققاً جدلياً ، وله تصانيف منها « شرح الهداية » و « التحرير فى أصول الفقه » مات سنة ٨٦١ هـ

(حسن المحاضرة ج ١ : ٢٢٤ ط . مطبعة الموسوعات)

(٢) * ابن دقيق العيد : هو أبو الفتح محمد بن الشيخ مجد الدين على بن وهب بن مطيع القشيرى القوصى ، ولد قريباً من ساحل ينبع سنة ٦٢٥ هـ ، ونشأ بقوص وتفقه بها ثم رحل إلى مصر والشام ، له مصنفات منها : الالمام فى الحديث وشرحه ، وشرح العمدة ، والاقتراح فى مصطلح الحديث ، وشرح العنوان فى أصول الفقه ، وكتاب فى أصول الدين ، وله ديوان خطب وشعر ، مات سنة ٧٠٢ هـ (حسن المحاضرة ج ١ : ١٤٣ ط . مطبعة الموسوعات)

(٣) الشهاب الريشى : بكسر أوله ، نسبة لكوم الريش .

(الضوء اللامع ج ١٢ : ٢٠٤)

(٤) العبدوسى : هو أبو القسم بن موسى بن محمد بن موسى العبدوسى المغربى نزيل تونس ، المالكى ، كان واسع الباع فى الحفظ والرواية مع عدم عربية بن وممن لقيه ، ابن يونس ، بل قيل : إن ممن أخذ عليه أبو المواهب بن زغدان ، مات سنة ٨٣٧ هـ

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٣٩)

وهذا محمول من صاحب الترجمة على ما بعد التمييز . وإلا فقد سمع بقراءته على خاله سباعيات مؤنسة قبل ذلك .

قال : ورأيت حينئذ « المجد البِرماوى[١] » ، وسمعته يحكى قبل بروز القاضى أنه لما قدم القاهرة بسبب الاشتغال تردد لجماعة كثيرين ، فلم ير فيهم من ارتضى الارتباط بملازمته إلا السِّراج البُلقينى ، قال : لأنى وجدته بحراً فلزمته ، قال : ولقد مكث فى تفسير آية كذا وكذا .

١١ وحضر دروس « الشمس العراقى » ، وجلس مع « الشَّمْسُ البِرْماوى »/[٢] وسمعه يذكر « العلاء بن مَغْلى » ، ويتعجب من مزيد حفظه ، وتقدمه فى المذاهب بحيث يروج فيها على أئمة أهلها .

وإن استحضر أحدٌ منهم منقول مذهبه نازعه فى معناه ، أو ذكر له زيادة على ما كان عنده من حكاية اختلاف ، أو دليل ، أو تعليل ، أو نحو ذلك . ولا ينشط أحد منهم فى حفظ مختصر من مذهب الحنابلة ليجاريه فى مذهبه أيضاً . قال : واتفقت لى معه نادرة ، وهو أنه سأل عن حكم فى مذهب الشافعى ، فقلت له : فيه قولان أو وجهان ، فقال : بل ثلاثة ، وسرد ما قال ، فما انتهى المجلس حتى نقل فى مسألة عن إمامه

= الميعاد : هو الإعادة وصاحبها هو المعيد ، والمعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة (معيد النعم ومبيد النقم بتحقيق محمد على .

(١) المجد البرماوى : هو اسماعيل بن أبى الحسن بن على عبد الله النجار وآخرين (نشر الخانجى) ولد سنة ٧٥٠ هـ وتوفى سنة ٨٣٤ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٠٧ ط . مطبعة الموسوعات) .

(٢) الشمس البرماوى : بكسر أوله ، نسبة إلى برمة من نواحى الغربية . وهو المجد اسماعيل بن أبى الحسن بن على بن عيسى ، وقيل بدله : عبد الله المجد أبو محمد البرماوى ، ثم القاهرى ، الشافعى ، ولد فى سنة ٧٤٩ هـ (الضوء اللامع ج ٢ : ٢٩٥ ، ج ١١ : ١٨٩ نشر القدسى) وذكر السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة ج ١ : ٢٠٧ ط . مطبعة الموسوعات ، أن هناك الشمس البرماوى المولود سنة ٧٦٣ هـ والمتوفى سنة ٨٣١ هـ ، وهو محمد بن عبد الدايم ابن موسى .

روايتين ، فاتفق أنى كنت استحضر لهما ثالثة ، فقلت : بل ثلاثة ، فكانت من غرائب الاتّفاقيّات .

ولازم شيخنا « العز عبد السلام البغدادى » قديما وحديثاً ، فأخذ عنه عُلومًا كثيرة ، كالعربية . وأملى عليه فى أوائل « الألفية » شرحا له عليها ، و « الأصلين[1] » ، « والمعانى » و « البيان » و « المنطق » ، و « الحكمة » ، وغيرها من العلوم . حتى أنه شارك « الزينى قاسم الحنفى عليه فى « درر البحار » من فقه الحنفية ، بل كان صاحب الترجمة شرع فى تلخيص « زاد المسير[2] » فى التفسير لابن الجوزى ، فكان يقرأ عليه فيه . وأكثر من التردد لـ « التقى المقريزى » والاستفادة منه ، وأثنى « التقىّ » عليه حيث ترجم أمه[3] فى كتابه « العقود الفريدة » .

وجالس البدر العينى وغيره من الأكابر ، ولما قدم الحافظ تقى الدين الفاسى المكى « القاهرة » قدمته الأخيرة وهو ضرير ، اجتمع به للسلام عليه .

وأخبرنى صاحب الترجمة أنه عرفه قبل أن يخبره بنفسه ، وتعجب من ذكائه فى ذلك .

وكذا اجتمع بـ « البدر الدَّمامِينى[4] » حين كان بالمدرسة « المنصورية » مرسماً عليه فيها ، وكانت بينهما قرابة ، وسمعه حينئذ يقول : وقد أذن المؤذن اختلاف العلماء : هل الإجابة تحصل بسرد ألفاظ الأذان بمجرد شروع

---

(١) لعله يقصد أصول الفقه والتوحيد .

(٢) زاد المسير فى التفسير لابن الجوزى : هو كتاب فى أربعة أجزاء لأبى الفرج عبد الرحمن بن على المعروف بابن الجوزى البغدادى فى علم التفسير ، وقد توفى المؤلف سنة ٥٩٧ هـ . (كشف الظنون لحاجى خليفة)

٣ — هكذا فى الأصل « أمه »

(٤) ابن الدماميني : محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر ابن يحيى بن حسين بن محمد بن أحمد بن أبى بكر يوسف بن على بن صالح بن إبراهيم ، البدر القرشي المخزومى السكندرى المالكى ويعرف بابن الدماميني ، ولد سنة ٧٦٣ هـ باسكندرية ومات سنة ٨٢٧ هـ (الضوء اللامع ج ٧ : ١٨٤) .

المؤذن ، أو يصبر إلى أن يفرغ ثم يصردها ، أو لا بُدَّ منْ متَابعَتِه كلمةً كلمة ؟

ولبس الخِرْقة الصُّوفية ، وتلقَّنَ الذِّكر من « الزين أبي بكر بن محمد بن محمد بن على المدعو بـ « زين الخوَافي[1] » ، وكذا لبسها كل من خاله وأمه .

وجود الخط على « الزين عبد الرحمن بن الصائغ » ، وأخبره أن والده كتب عليه ، وأنه خرّج عليه شيئاً ، وقال له : هذا لا يجوز . قال : فأنكر عليّ التصريح بعدم الجواز ، فقلت : أردت بتقييد الكتاب لا غير ، أو كما قال .

ولازم خاله « الجمال عبد الله » كثيراً ، حتى سمع عليه من كتب الحديث وغيرها شيئاً كثيراً . علمت منه الآن : « المسلسل » بـ « الأولية » . و « مسند الأمام أحمد » بتمامه و « الموطأ » لمالك رواية « أبي مصعب » ، ومعظم « صحيح البخاري » . و « الختم » من « السنن » لأبي « داود » . و « السيرة النبوية » لابن هشام » يفوت . و « المعجم الصغير » لـ « الطبراني » و « معجم ابن قانع » . و « فوائد » تمام . و « الغَيْلانيَّات[2] » ، ومشيخة « الفخر وذيلها » ، و « ذيل » مشيخة « أبي الحرم للعراقي » ، و « فضل الخيل » لـ « الدّمياطيّ » ، و « الناسخ والمنسوخ » لـ « الحازمي » إلا ختمه ، و « سباعيات » : « مؤنسة » و « ثمانياتها » . وبعض الأول من حديث الزهور لـ « الأبار » ، وجزء فيه طرُقُ لباس الخِرْقة الصُّوفيّة من حديثه ، تخريج الشيخ « صالح الزَّوَاوي[3] » ، و « عمدة الأحكام »

---

(١) الزين بن الخواف : هو محمد بن محمد بن محمد بن على أبو بكر الخوافى ثم الهروى ، الحنفى ويعرف بـ « زين » ولد سنة ٧٥٧ هـ ومات سنة ٨٣٨ هـ
(الضوء اللامع للمؤلف)

(٢) الغيلانيات : كتاب يجمع فوائد حديثيه من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله ابن إبراهيم المعروف بالشافعي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، أملاه عن شيوخه رواية أبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ (كشف الظنون لحاجي خليفة)

(٣) صالح الزواوى : نسبةإلى زواوة وهيقبيلة كبيرة بظاهربجاية من أعمال أفريقية =

و « جمع الجوامع » ، و « القصيدة الشقراطية[١] » ، و « البردة » ،
١٢ و « عروض بانت سعاد » لـ « ابن نباتة » ، وقصيدة لـ « التقى صالح » /
وكذا سمع على والدته جماعة ، علمت أيضاً من ذلك « المسلسل » بالأولية .
و « المسلسلات بحرف العين » المنتقاة من « مسند الدارمى » ، وبعضاً من
« مسند أحمد » ، وفى ذلك « الأربعون » التى انتقاها شيخنا من « مسند
المقلين » منه ، و « المائة » التى انتقاها « ابن الظاهرى » منه ، و « الغيلانيَّات »
والثامن عشر من « الخُلْعيَّات »[٢] ، ومسألة « العُلُوّ والنزول »
لـ « ابن طاهر » ، و « سباعيات » : « العز بن جماعة » ، و « عشاريات
وتساعياتها » تخريج شيخنا « الزّين رضوان » ، و « مسند أنس »
لـ « المُحسنين » . و « جزء البَانْياسى » و « الأولان » من حديث
« ابن بشران » ، و « جزء البينونة » ، وجزء من حديث على بن حرب ،
رواية « العبادانى » عنه مع ما بأخرة من حديث « على بن حرب » أيضاً
والثانى والثالث من حديث « زاهر » وجزء من عوالى « أبى الشيخ » ،
وجزء « الغطريف » ، وجزء « ابن نجيد » وعلى جماعة غيرهما لـ « الشهاب
أحمد بن أبى بكر الواسطى » سمع عليه « المسلسل » ، وشيخه « ابراهيم بن
سعد » ، وجزء « الأنصارى » ، وجزء « البطاقة » ، و « سباعيات الغراوى » /
و « سداسيات الرازى » ، وجزء « ابن عرفة » ، و « عشارياته » ،
تخريج « الزين رضوان » ، و « الوَلى أبى زُرعة أحمد بن عبد الرحيم
العِرَاقى »[٣] — سمع عليه — نحو الثلث الأخير من « الأمر المفرد

= ذات بطون وأفخاذ (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٠٥) . وهو صالح بن محمد بن موسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن على ، الشيخ مجد الدين أبو محمد الحسني الرياحى الدوكالى مولدا ، الذوادى المغربى المالكى ، ويعرف بالزواوى ، ولد على رأس سنة ٧٦٠ هـ بقرية مدوكال من إفريقية (بين بسكرة وعمرة) ، وانتقل منها وهو صغير إلى ذواد لحفظ القرآن ، واشتغل بالعلوم ، وقدم القاهرة وسمع على علمائها ، مات سنة ٨٣٩ هـ (الضوء اللامع ج ٤ : ٣١٥) .

(١) هكذا فى الأصل « الشقراطية » .

(٢) الخلعيات : هى عشرون جزءاً فى الحديث ، جمعها أبو نصر بن الحسن الشيرازى ، من التصانيف والروايات المقسمة فى الحديث المخرجة عن القاضى أبو الحسن على بن الحسين الموصلى المعروف بالخلعى ، المتوفى سنة ٤٩٢ هـ (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ١٨٨)

(٣) الولى أبى زرعة أحمد بن عبد الله العراقى : هو ولى الدين ، أبو زرعة ، أحمد ابن =

للبخاري » وشيخنا شيخ الإسلام « أحمد بن علي بن حجر » سمع عليه قطعة من « السنن » للدَّارَقُطْنِي في سنة أربعين بـ « المنكوتمرية » ، وغير ذلك . و « الشهاب أحمد بن يوسف بن محمد المحلي الطريني[1] » — سمع عليه — مشيخة « الفخر » و « ذيلها » ما عدا الجزء الأول والحادي عشر منها و « العز بن خليل بن سعد بن عيسى القريني » — سمع عليه — مشيخة « ابن القاري » ، و « صالحة ابنة التركماني[2] » ، منتقى من جزء « ابن نظيف » ، و « الزين عبد الرحمن بن محمد الزَّرْكشي »[3] الحنبلي — سمع عليه — « صحيح مسلم » و « الجمال عبد الله بن علي بن يحيي ابن فضل الله العُمَري[4] » — سمع عليه — جزء « الغطريف » ، و « الجمال عبد الله

= عبد الحافظ أبو الفضل العراقي ، الإمام العلامة ، الحافظ الفقيه ، الأصولي ، ذو الفنون ، ولد في ذي الحجة سنة ٧٦٢ هـ وتخرج في فن الحديث بوالده ، ولازم البلقيني في الفقه ، وبرع في الفنون ، وألف الكتب النافعة المشهورة مثل « شرح البهجة » و « النكت » و « مختصر المهمات » و « شرح جمع الجوامع في الأصلين » و « شرح تقريب الأسانيد » لوالده وغير ذلك ، وأملى أكثر من ستمائة مجلس ، وولي قضاء الديار المصرية ، مات في شعبان سنة ٨٢٦ هـ (حسن المحاضرة للسيوطي ج : ١٧٠) .

(١) الطريني : وقد علق عليها في ج ١ : ٢٠٦ بقوله : في الأصل غير منقوطة ، والتصويب كما ذكره عن الأنساب « الطرايني » .

(الضوء اللامع ج ١ : ٢٠٦ ، ج ١١ : ٢١٢) .

(٢) صالحة ابنة التركماني : هي صالحة ابنة الجمال عبد الله بن العلاء أبي الحسن علي المارديني التركماني الحنفي ، سمعت على العز بن جماعة جدها لأمها وغيره ، وكانت زوجة القاضي تقي الدين عبد الرحمن الزبيري وأم ولده البدر محمد ؛ وحدثت وسمع منها جماعة .

(الضوء اللامع ج ١٢ : ٧٠)

(٣) الزركشي : هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد ، الزين أبو ذر بن الشمس ابن الجمال بن الشمس المصري ، الحنبلي المذكور أبوه في المائة الثامنة ، ويعرف بالزركشي صفة أبيه . ولد في سابع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بالقاهرة . ونشأ بها فحفظ القرآن والعمدة والمحرر الفقهي ، ومات سنة ٨٤٦ هـ .

(الضوء اللامع ج ٤ : ١٣٦)

(٤) الجمال عبد الله بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري : هو عبد الله بن علي بن يحيى بن فضل الله بن مجلي بن دعجان بن خلف بن أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدي جمال الدين بن العلاء ، القرشي ، العمري ، العدوي ، ويعرف بابن فضل الله ، ولد سنة ٧٥٤ هـ ، وأحضر في الرابعة على العرضي جزء الأنصاري والغطريف وثلاثيات المسند ، =

ابن محمد بن خير السكندرى[1]، — سمع عليه — المجلس الأخير من « الشفا » . و « الناصرى محمد بن حسن الفاقوسى[2] » : قرأ عليه « صحيح البخارى » ، و « السنن الصغرى » للنسائى ، وسمع عليه « موطأ » « مالك » رواية « يحيى بن يحيى » ، و « مسند » عبد ، و « مسند » « الدارمى[3] » ، وتسلسل له سورة الصف المذكور حديثها فيه ، و « الشمس محمد بن الخضر بن المصرى الفاقوسى » — سمع عليه — « السنن » لابن « ماجه » ، وجزءًا فيه أربعة أحاديث من رباعيات الترمذى ، والحديث الثلاثى انتقاء الفراقى . و « الشمس محمد بن على بن خالد بن البيطار[4] »

= ورباعيات الترمذى وغير ذلك ، وأسمع على البيانى وغيره ، وأجاز له الأذرعى والإسنوى وأبو البقاء السبكى وآخرون ، وكان يتزيا بزى الجند وله إقطاع ، كان مستوراً ثم فسد حاله عمل نقيباً فى بيوت الحجاب ، واشتدت فاقته وخمل . سمع عليه الكلوتاتى والزين رضوان وغيرهما من القدماء ، والمحلى والمناوى والعز الكنانى وغيرهم من الأئمة ، مات فى ربيع الأول سنة ٨٢١ هـ .

(الضوء اللامع ج ٥ : ٣٦ ط . القدسى) .

(١) عبد الله بن محمد بن خير السكندرى : عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان ابن عطاء بن جميل بن فضل بن خير بن النعمان ، الكمال بن النجم بن الزين بن النجم بن الزين الأنصارى الشقورى السكندرى المالكى ، ويعرف بابن خير (بمعجمة مفتوحة ثم تحتانية ساكنة) ولد سنة ٧٣٩ هـ ، ومات سنة بضع وعشرين وثمانمائة .

(الضوء اللامع ج ٥ : ٦٣ ط . القدسى)

(٢) الفاقوسى : نسبة لفاقوس من الشرقية .

هو محمد بن حسن بن سعد بن محمد بن يوسف بن حسن ، ناصر الدين ، أبو محمد ، بن البدر بن سعد الدين بن الشمس القرشى ، الزبيرى ، القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بابن الفاقوسى (لقب لبعض آبائه) . ولد سنة ٧٦٣ هـ ومات سنة ٨٤١ هـ .

(الضوء اللامع ج ٧ : ٢٢١ ط . القدسى) .

(٣) هما كذلك فى الأصل « مسند عبد » و « مسند الدارمى » .

(٤) ابن البيطار : الشمس محمد بن على بن خالد بن البيطار : هو محمد بن على ابن خالد بن محمد ، الشمس القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بابن البيطار . ولد سنة ٧٥٢ هـ ، وسمع على كثير من العلماء منهم : الشرف عبد الرحمن بن سكر ، وكان حسن السمت ، وقورا ، ساكناً ، حسن الخلق ، خيراً ، محباً فى أهل الخير ، وكان من أهل القاضى البدر بن أبى البقاء ، مات سنة ٨٢٥ هـ .

(الضوء اللامع ج ٨ : ١٨٠) .

— سمع عليه — مشيخة « ابن القارىء » ، و « الناسخ للحازمى » ، إلا الختم ،
و « التاج بن محمد بن عمر بن الشرابيشى [١] » ، قرأ عليه « ألفية ابن مالك »
وسمع عليه مشيخة « إبراهيم بن سعد » ، وجزء « أيوب السختيانى » ،
وجزء « هلال الحفار » ، و « السرائر » للعسكرى ، وجزء « السـّـفطى »
وجزء « الصـّـولى » ، و « مسلسلات » : « ابن أبى عصرون » ، وجزء
« المخرمر [٢] » و « المروزى » و الشرف أبى الطاهر محمد بن محمد ابن
عبد اللطيف بن الكويك » — سمع عليه — « المسلسل » ومشيخة « الرازى » ،
و « الأربعين النووية » بضبط ألفاظها ، و « الرسالة » لـ « ابن أبى يزيد » ،
والغالب من « صحيح مسلم » ، ومن « الشفاء » ، و « الختم » من « أبى داود »
و « الشرف يونس بن حسين الواحى [٣] » — سمع عليه « المسلسل » —
وأجاز له « أبو بكر بن الحسين المراغى » ، و « خلف بن أبى بكر بن أحمد » / ١٣
المالكى ، « ورُقيـّة ابنة يحيى بن عبد السلام [٤] » و « عائشة ابنة محمد بن
عبد الهـــادى [٥] » ، و « عبـــد الرحمن بن على بن يوسف

---

(١) التاج بن محمد بن عمر بن الشرابيشى : هو محمد بن عمر بن أبى بكر بن محمد ابن على التاج أبو الفتح بن البدر بن السيف القاهرى الشرابيشى ، ولد سنة ٧٥٥ هـ تقريباً ، ومات سنة ٨٣٩ هـ .

(الضوء اللامع للمؤلف) .

(٢) هكذا فى الأصل « المخرمر » .

(٣) الشرف يونس الواحى : هو يونس بن حسين بن على بن محمد بن زكريا ، الشرف ، ذو النون ، الزبيرى ، الواحى ، المصرى ، القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بيونس الواحى ، ولد فى سنة ٧٥٥ هـ بالقاهرة ومات بها سنة ٨٤٢ هـ . (الضوء اللامع ج ١٠ : ٣٤٢) .

(٤) رقية ابنة يحيى بن عبد السلام : هى رقية ابنة يحيى بن عبد السلام بن محمد ابن عزاز بن مزروع ، أم الخير ابنة الإمام محى الدين بن الإمام عفيف الدين ، المضرية ثم البصرية المدينة ، ولدت ظنا سنة ٧٢٦ ، وأجاز لها كثير من العلماء منهم القطب الحلبى وابن سيد الناس ، وابن شاهد الجيش ، وغيرهم من المصريين والشاميين ، وحدثت وسمع منها الأئمة ، وماتت سنة ٨٢٥ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٢ : ٣٦ ط . القدسى) .

(٥) ابنة عبد الهادى : هى عائشة ابنة محمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى ابن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام ، مسندة الدنيا ، أم محمد القرشى العمرى القدسى =

الزَّرَنْدِى[1]، و «الزين بن عبد الرحيم بن الحسين العِراقى»، فاستوى شيخنا له منه، و «على بن أحمد بن محمد بن سلامة المكى[2]»، و «محمد بن أحمد بن محمد ابن المحب أحمد الطبرى[3]»، و «محمد بن أحمد الوانُّوغى[4]»، و «الجمال محمد بن عبد الله بن ظهيرة[5]»، و «الشمس محمد بن محمد بن محمد الجزرى بن الجزرى[6]»، وغيرهم.

=الصالحى، ولدت سنة ٧٢٣ هـ، وأسمعت على الحجازى، والشرف عبد الله بن الحسن، وعبد القادر بن الملوك. ماتت سنة ٨١٦.

(الضوء اللامع ج ١٢ : ٨١ ط. القدسى).

(١) الزرندى: هو عبد الرحمن بن على بن يوسف بن الحسن بن محمود بن الحسن بن محمود بن الحسن الزين أبو الفرج بن النور الأنصارى الزرندى المدنى الحنفى، القاضى ولد بالمدينة النبوية سنة ٧٤٦ هـ (الضوء اللامع ج ٤ : ١٠٥).

(٢) على بن أحمد بن محمد بن سلامة المكى: على بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف ابن يعلى، النور، أبو الحسن السلمى المكى الشافعى، ويعرف بابن سلامة. ولد سنة ٧٤٦ هـ بمكة وتوفى بها سنة ٨٢٨ هـ (الضوء اللامع ج ٥ : ١٨٣ ط. القدسى) و (شذرات الذهب ج ٧ : ١٨٤).

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن المحب أحمد الطبرى: هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم، أبو الخير بن الزين أبى الطاهر بن الجمال أبى المفاخر بن الحافظ المحب أبى جعفر، الطبرى الأصل، المكى، الشافعى، ولد سنة ٧٣٩ هـ بالمدينة النبوية، وسمع بمكة من عدة شيوخ منهم الفخر النويرى، والعز بن جماعة، كما أجاز له عدة شيوخ منهم الشهاب الجزرى، والبدر الفارق، والمشتولى وتلا بالقراءات السبع، وحفظ كتبا فى فنون، وحضر مجالس أبى الفضل النويرى، بل اختص به، واستقر به أميناً على أموال الأيتام، واستنابه فى الأنكحة، وربما حكم فى بعض القضايا، وأعاد ببعض المدارس بمكة، وكانت له نباهة ومروءة طائلة ربما تؤدى إلى ضيق، مات سنة ٨١٥ هـ (الضوء اللامع ج ٧ : ٤٦ ط. القدسى).

(٤) محمد بن أحمد الوانوغى: هو محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر، أبو عبد الله التونسى المالكى، نزيل الحرمين، ويعرف بالوانوغى — بتشديد النون المضمومة وسكون الواو بعدها معجمة — ولد سنة ٧٥٩ هـ بتونس ونشأ بها (الضوء اللامع ج ٧ : ٣).

(٥) الجمال بن ظهيرة: هو محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد ابن عطية بن ظهيرة القرشى المكى، مات فى شوال سنة ٨٦٦ هـ (الضوء اللامع ج ٨ : ٨٣ ط. القدسى).

(٦) محمد بن محمد الجزرى: هو محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف ثم الشمس أبو الخير العمرى، الدمشقى، ثم الشيرازى، الشافعى، المقرىء، ويعرف بابن الجزرى، نسبة لجزيرة ابن عمر (قريب الموصل). ولد سنة ٧٥١ هـ بدمشق (الضوء اللامع ج ٩ : ٢٥٥ ط. القدسى).

وناب فى القضاء عن شيخه « المجد سالم » وسنه سبع عشرة سنة ، وصعدَ بِهَا إلى «الناصر» فألبسه خلْعةً ، واستقر صوفيا بـ «البرقوقية» . بل لما ضعف استنابه فيما كان باسمه من التداريس ، وهى : « الجمالية » ، و « الحُسَيْنِيَّة»[1] ، و « أم السلطان » و«الحاكم » ، فباشرها معوُجُود الأكابر ، واستمر حتى مات . وكذا باشر قديما الخطابة بـ « جامع الملك » بالُحسينية ، وتدريس الحديث بمسجد « ابن البابا » وبعد ذلك الفقيه بالمدرسة « الأشْرَفيَّة » بعد موت «الزين الزَّرْكشي» . بل كانت وظيفته قبله حيث ذكر لها . وبـ«المُؤَيدية» عقب القاضى « محب الدين البغدادى » ، وكان قد استنابه القاضى « عز الدين القدسى » الذى وليها من بعد الواقف فى التدريس فيها عند توجهه لـ « الشام » قاضياً بها ، وباشرها صاحب الترجمة سنين ، ثم تكلموا معه فى تقريره فيها استقلالا ، فامتنع لكونه غير لائق بالمروءة أن يستنيب شخص صاحبه فى وظيفة فيأخذها منه ، فقيل له : إن لم تأخذها وإلا خرجت ، فصمم على الامتناع ، فأخذها « المحب » حينئذ ، وكذا درّس بقبة « الصالح » بعد الشيخ « نور الدين بن الرَّزَّاز » فى أيام تلبسه بقضاء المذهب ، وبالمدرسة « البُدَيْرِيَّة »[2] بباب « سرّ الصالحية » ، وكانت شاغرة من المديرين والطلبة — أظن من الواقف — فقرر أربعة من المذاهب ، ومع كل واحد طلبة ، فكان هو أحدهم ، وناب فى القضاء أيضاً عن « العلاء بن المُغْلى » ، وجلس ببعض الحوانيت ،

---

(١) المدرسة الحسينية (المشهد الحسينى) : مسجد سيدنا الحسين (رضى الله عنه) الآن . أنشأه الخليفة الظافر بأمر الله الفاطمى سنة ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م ، وقد ظل محاطا برعاية ولاة مصر على مر الزمن ، والبناء القائم بشكله الحالى يرجع الى والى مصر عباس الأول والخديوى إسماعيل (١٢٧٩ — ١٢٩٠ هـ) ، ولم يبق من آثار العهد الفاطمى إلا الباب الأخضر ، كما أن الباقى من تجديدات عبد الرحمن كتخدا (١١٧٥ هـ) إلا القبة والجزء العلوى من مئذنة الباب الأخضر ، ثم عمرت سنة ١٢٧٩ هـ فى عهد إسماعيل الخديوى ، ومن التجديدات التى تذكر بالفخر تلك التى قامت حكومة الثورة والتى أدت إلى زيادة الاتساع فى المسجد زيادة تستوعب ذلك العدد الكبير من المصلين والزائرين (الخطط التوفيقية ج٢ : ٧٧) .

(٢) المدرسة البديرية : كانت بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية ، وقد بناها ناصر الدين محمد بن محمد بن بدير العباسى سنة ٧٥٨ هـ (بمنطقة الجمالية) (الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ٢) .

ثم ترك لشهامته وشَرَف نفسه ، وصار ربما يقضى ببيته غير ملتمس على القضاء أجراً ، حتى كان فرداً بين القضاة بهذه الخصلة ، ثم ترك القضاء أصلا ورأساً ، وهو مع ذلك كله لا يتردد لأحد من بنى الدنيا إلا من يستفيد منه علما ، ولا يزاحم على سَعْى فى وظيفة ولا مُرَتَّب ، اكتفاء ببيتوته[1] ورئاسته ، وانفراده عن أهل عصره كافة ، بما لم يجتمع لغيره ؛ من اتصال نسبه بغير واحد من الأعيان .

وحج قديماً فى سنة خمس عشرة ، ثم فى سنة ثلاث وخمسين صُحْبة الرَّكْبِ الرَّجَبِيّ ، وأرسل إليه « الزينى عبد الباسط » ، وكان ممّن توّجه فى تلك السَّنَة صحبة الركب بشىء فردّه .

وكذا حضر إليه القاضى « بدر الدين البغدادى » ، و « نور الدين بن البرقى[2] » فى هذه السَّفْرة أيضاً ، ببعض المنازل ، فسألاه قبول ما يقع الإرسال به فى طول الطريق ، فصمم على الامتناع ، ورجع بدون غرض ، وابتدأ فى جملة الركب بزيارة « المدينة النبوية » — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — فأقاموا / بها أياماً ، وامتَدَح بها النبى — صلى الله عليه وسلم — بقصيدة أنشدت بالحضرة النبوية ، ثم وصلوا إلى « مكة » ، فجاور بها إلى أن وصل الركب الموسمى ، فحج ورجع صحبته ، وزار قبل هذه الحجة الثانية فى سنة ثلاثه وثلاثين بيت « المقدس » و « الخليل » ، واجتمع فى « الرملة » بـ « الشهاب ابن رسلان » ، زاهد العصر ، وأخذ عنه منظومته الزبد[3] ، وأذن له فى إصلاحها وكتب له خطه بذلك ، بل سأله فى الاقراء عنده ، ولو درساً واحداً ، ويحضر الشيخ عنده ، فامتنع عن ذلك أدباً .

١٤

---

(١) هكذا فى الأصل « ببيتوتة » ، والعبارة فى الضوء اللامع « بل قنع بما كان معه » (انظر الترجمة فى الضوء اللامع ج ١ : ٢٠٦ ط . القدسى)

(٢) البرقى : نسبة لبرقة بالقرب من إسكندرية . وهو على بن محمد بن محمد بن حسين ابن على بن أيوب ، نور الدين ، بن الشمس بن الصلاح المخزومى القاهرى الحنفى ، ويعرف بابن البرقى ، ولد فى جمادى الأولى سنة ٧٩٧ هـ بالقاهرة ونشأ بها ، فحفظ القرآن عند ناصر الدين القاياتى ومات سنة ٨٧٥ هـ (الضوء اللامع ج ٦ : ١٠ ، ج ١١ : ١٨٩) .

(٣) الزبد (هى كذلك فى الأصل وفى الضوء اللامع (انظر الترجمة) .

ولقى « الزين القبابى » وأجاز له ، وكانت والدته صُحبته فى هذه السفرة ، وحدثت فى « بيت المقدس » ببعض مروياتها ، ثم زارهما بعد ذلك أيضاً فى أواخر سنة تسع وثلاثين ، وأول سنة أربعين ، ومعه والدته أيضاً ، فحدثت أيضاً ورجع بها وهى متعللة فماتت بـ « القاهرة » ، فى أول السنة . وكان قد تركها بـ « بيت المقدس » ، وتوجه بمفرده إلى « الشام » ، واجتمع فيه بالحافظ « الشمس بن ناصر الدين » ، وكان يكثر التردد لصاحب الترجمة ، إذ توعك وهو هناك .

ثم زارهما أيضاً فى سنة أربع وخمسين ، ودخل حينئذ الشام أيضاً . وكتب عنه هناك إمام « جامع بنى أمية » ، « الزين عبد الرحمن بن الشيخ خليل القابونى[1] » مثلثا له خالف فيه من قبله كـ « لقطرب » وغيره ، فى ترتيبه على كلماته ، وتبيين معانيها ، فمنه فى الهمزة .

أمة الشجة ثم النعمة .·. وجمع ناس فافهمن حكمه

على أن بعض من نظم المثلثات رتبها أيضاً على الكلمات ، وعاب على « قطرب » ترتيب أبياته على ألفاظه التى يتفق ابتداؤها بها ، لكن ما علم صاحب الترجمة بذلك إلا بعد .

وكذا لقى « بدمشق » أيضاً « البرهان الباعونى[2] » ، وأسمعه من لفظه

---

(١) هو عبد الرحمن بن خليل بن سلامة بن أحمد بن على بن شريف بن مؤنس ، الزين ، أبو الفهم ، أبو زيد ، بن الصلاح ، أبى الصفاء الأذرعى الأصل القابونى الدمشقى الشافعى ، ويعرف بابن الشيخ خليل ، ولد سنة ٧٨٤ هـ بالقابون فى دمشق ، ونشأ بها فحفظ القرآن وجرده ، والشاطبيه إلى آخرها ، ومات سنة ٨٦٩ هـ وصلى عليه بالجامع الأموى .
(الضوء اللامع ج ٤ : ٧٦ ط . القدسى)

(٢) الباعونى : نسبة لقرية صغيرة من قرى حودان بالقرب من عجلون .
وهو أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن ، الشهاب المقدسى ، الباعونى الناصرى ، وباعون بالقرب من عجلون من عمل صفد ، كان أبوه منها فانتقل إلى الناصرة من عمل صفد ، وأيضاً الشافعى ، نزيل دمشق ، ولد بالناصرة سنة ٧٥١ هـ ونشأ بها فحفظ القرآن والمنهاجين الفرعى والأصلى وألفية ابن مالك وغيرها ، مات سنة ٨١٦ هـ بدمشق .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣١ ط . القدسى)

شيئاً من نثره ، وبالغ صاحب الترجمة استحسان تضمينه « ألفية ابن مالك » غزلا فى قصيدة مدح بها « ابن حجر » .

ودخل بعد الخمسين أيضاً « دمياط » ، « والمحلة » ، وغيرهما من البلاد والقرى ، ولقى الأكابر وطارح الشعراء ، وأكثر من الجمع والتأليف ، والانتقاء والتصنيف ، حتى إنه قلّ فن من الفنون إلا وصنف فيه . إما نظما أو نثراً ، ولا أعلم الآن فى عصرنا من يوازيه فى ذلك . بحيث لو أجريت أساميها لكانت فى كراسة ، لكنه لم يبيض منها إلا اليسير ، بل ولا تحرر أكثرها ، فمنها :

فى التفسير كما تقدم : « مختصر زاد المسافر » لم يكمل ، وفى الحديث : « نظام النخبة » لشيخنا ، وسمعت شيخنا يرجّحه على نظم « الكمال الشُّمُنّى » وشرح هذا النظم .

وفى الفقه : « مختصر المحرر » ، وهو فى قدر نصفه ، سمّاه « المذهب » وفى عزمه أن يسميه « السراج » تشبيها بـ « منهاج الشافعية » المختصر من « محرر الرافعى » ، ونظم مُحرَّرهم الذى اختصره أيضاً « أرجوزة » . ومرة أخرى — دالية[1] لم يكملا — وعمل عليه تصحيحاً أيضاً انتشر وتداولته الأيدى ، وقرأه عليه الجَرَّاحى[2] .

وفى العربية : اختصر « ألفية ابن مالك » ، وضم إليها « علم الخط » ، و « خاتمة » فيما فاته مما جرت عادة النحاة بذكره ؛ وجاءت مع ذلك كله فى أزيد من ستمائة بيت ، وله مقدمة مستقلة ، مختصرة نظما : كالوردية ، ووضح كلا منها ، ومن مختصر « الألفية » بتوضيحين ، أحدهما : للعبارة ، والآخر : يزيد عليه بالمُثُل .

(١) هكذا فى الأصل مرة أخرى « داليه »

(٢) الجراحى : بفتح ثم تشديد وآخره مهملة ، وهو إبراهيم بن حسن بن على الجراحى ثم القاهرى ، الشافعى نزيل سعيد السعداء ، وأحد صوفيتها ، ولد سنة ٨١٢ هـ وقرأ على الشمس الشنشى ، والعلم البلقينى ، وصحب بشبك الفقيه وغيره من الأمراء ، وناب فى القضاء ببعض القرى .

(الضوء اللامع ج ١ : ٤١ ، ج ١١ : ١٩٥)

وفى أصول الفقه : نظم « ابن الحاجب » فى أرجوزة ، وزاد عليه بزيادات كثيرة ، منها :

زوائد « الطوفى[١] » ، وأوضحه فى مجلد ، وشرحه فى آخر ، وجرد « الطوفى » ، وبيض شرح جدّه لأمه ، « القاضى : علاء الدين على » فإنه — مات عنه مسوّدة — بعد أن رام من شيخه « القاضى محب الدين » فعل ذلك ، فقال : إنشادُ تصنيف مستقل أسهل علىّ من تبييضه ، فشمر حينئذ العزم فيه .

وفى « أصول الدين » ؛ عدة مقدمات ، وجرّد الطوالع ، وعمل فى كل نوع من أنواع الحساب أرجوزة ووضحها ، واختصر فى الفرائض « مجموع الكَلاَئى[٢] » . وحذف ما فيه من المكرر .

ونظم فى المنطق : إيساغوجى ، فى نحو ستين بيتاً ، عمله فى نحو ساعة . وذلك مما يتعجب منه . وكذا نظم الشمسية ، وكتب على « الجمل للخُونجى[٣] » توضيحاً ، ونظم أصله مع زيادات . لكنه لم يكمل .

وفى المعانى : نظم التلخيص فى نحو : أربعمائة وخمسين بيتاً ، وهو من المحاسن ، وكُتِب منه نسخ ، وله عليه توضيح فى كراريس .

وفى التاريخ : « طبقات الحنابلة » ؛ كبرى : فى أربعة عشر مجلداً ووسطى : فى ثلاثه ، وصغرى : فى مجلد . وهى على تصنيفين على الحروف ، وعلى السنين . يحتاج كل ذلك إلى تحرير كبير ، و« شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » أهداه لصاحب الحصن .

---

(١) فى الأصل كذلك « زوائد الطوق »

(٢) الكلائى : بفتحتين ، مقصور . نسبة إلى كفر : كلا بالغربية . وهو محمد بن عمر الشاذلى (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٣ ط . القدسى) .

(٣) الخونجى : بضم أوله . وهو إبراهيم بن محمد بن مبارز بن محمد بن أبى الحرث ، عفيف الدين أو تقى الدين بن شمس الدين بن كافى الدين الخنجى أو الخونجى (بضم الخاء) ، الشيرازى الشافعى المحدث ، مات سنة ٨٣٦ هـ أو ٨٣٤ هـ (الضوء اللامع ج ١ : ١٥٧ ، ج ١١ : ٢٠٠) .

وله « النشر » فى التاريخ ، فى واحد وأربعين جزءاً ، جرد فيه كثيراً من التراجم التى أودعتها فى تاريخى الحافل ، وعمل كل مائة من التاريخ فى تصنيفين على الحروف والسنين . أما الثانية ، فلخّص فيها « الدرر الكامنة » لشيخنا مع زيادات يسيرة جداً . وأما التاسع ، فاستجد فيها من أنباء شيخنا ومعجمه ومن بعض تعاليق ، وما عداهما فاستمد فيه من تاريخ الذهبى ، ولا يخرج عنه إلا فى النادر ، ولم يعتن بالحوادث ولا بالوفيات على طريقة المؤرخين مع اشتهاره بذلك عند كل أحد ، بل أكثر ما يوجد بخطه من المتأخرين ، فما طالعه منىّ .

وله فى فن الأدب ، كتابٌ فى « المقامات المنظومة » ، مرتب على حروف المعجم فى مجلد سمّاه « تنبيه الأخبار فيما قيل فى المنام من الأشعار » أفاد فى كثير منه شيخنا ، ومَيَّزَ المصنف ذلك عن جمعه بعقْد بابٍ فى كل حرف ، وبلغت عدة مجلدات « تذكرته » التى فيها من كل نوع نحو الأربعين فى ربع الفرنجى[1] والمصري ، إلاَّ خمسة ، وهى كبار ، فنى نصف الشامى ، وإلا ثلاثة أو أقل فنى كامله . والقديم منها وهو قليل جداً أكثر فائدة ، وأجود خطا . وما عداه فَقَلَّ الانتفاع به ، وفيها أوراق بل كراريس بغير خطه .

ولما مات « المحب البغدادى » ، تكلم غالب الأعيان معه فى الاستقرار فى وظيفة القضاء ، فامتنع أشد امتناع ، وصمم على ذلك ، وعلم أن باطنه كظاهره بقرائن ، فحينئذ استقروا بالقاضى « بدر الدين البغدادى » ، فلزم العزّ طريقته فى الانجماع بمنزله على المطالعة والتصنيف / والانتقاء والتأليف ، ١٦ والإفتاء والإنشاء بحُسْنِ تصرفه ، ووفور ذكائه ، وقوة ملكته ، والفضلاء من كل مذهب ترد عليه التماساً لفوائده ، وحسن محاضرته ، ورغبة فى طيب محادثته ، وبديع إشارته ، وانتفاعاً بوفور ذكائه . وتشرفاً بكونهم من أخصائه . إلى أن اشتهر ذكره ، وبعد صيته ، وهرع الناس للقائه ، والاغتياط لمحبته وولائه وحدث وسمع منه القدماء .

---

(١) هكذا فى الأصل « ربع الفرنجى » .

وممن أخذ عنه من أصحابنا : « التـقى القـلـقـشـنـدى » ، وخرّج عنه حديثاً فى متبايناته ، بل قرأ عليه قريب السبعين . المعجم الصغير للطبرانى »

وكذا سمّع شيخنا « الحافظ الزين رضوان المستملى[1] » ولده عليه ، وترجمه فى بعض مجاميعه ، و « النجم بن فهد[2] » ، والبـقـاعى[3] » ، وصحبته من قبل الحسين فقرأت عليه « المسلسل بالأولية » . وأجزاء من « الغيلانيات » ثم قرأت عليه قبل ولايته القضاء مجلداً من « مسند أحمد » ، فلما ولى بنيت عليه حتى قرأت منه نحو النصف . وبنى على قراءتى أجلّ جماعته صاحبنا الشيخ « بدر الدين السّعدى » حتى أنهاه ، وكان يتمنى التحديث به ، فبلغ أمنيته ، وكذا قرأت عليه . معجم ابن قانع » ، و « سباعيات » مؤنسة . والمنتقى من جزء ابن نظيف . وجزء الغطريف . وجملة .

وسمعت عليه « ثلاثيات البخارى » ، مع بعض الصحيح ، ومواضع من عمدة الأحكام وأشياء . ومنه « نظم النخبة » له . وأمرنى بشرحه قديماً ، فى تيسّر ، ولبست منه الخرقة الصوفية ، وكتبت تصنيفه فى المنامات ، وقـابـلـتُ مـعه بعضـه ، وكثرت استفادتى منه ، واغتباطى بصحبته ، ومحبته مع كثرة ثنائه علىّ . وأخباره حتى فى غيبتى بمحبتى ، وشدة تأنسه فى حين أكون معه ، واستيحاشه له لى إذا أبطأت عن الاجتماع به ، وراسلنى وأنا بمكة ، بقوله : أنه يُنهى كثرة شوقه واشتياقه إلى كريم لقائكم ، والتمتع بفوائدكم ، والاقتباس من فضائلكم ، أدامها الله — تعالى —

---

(١) « المستملى » هكذا فى الأصل ويؤيد ذلك ورود هذا الاسم فى الضوء اللامع ج ٦ : ١١٠ فى ترجمة قارى الهداية السراج عمر بن على .

(٢) ابن فهد : هو النجم محمد بن أبى الخير محمد بن محمد بن عبد الله (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٦٥) .

(٣) البقاعى : بضم الموحدة ثم قاف ، نسبه إلى قرية من البقاع العزيزى من عمل الشام وهو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (بضم الراء بعدها موحدة خفيفة) بن على بن أبى بكر برهان الدين وكنى نفسه أبا الحسن الخرباوى البقاعى ، نزيل القاهرة ثم دمشق ، ويقال إنه يلقب بابن عويجان تصغير أعوج ، ولد تقريباً سنة ٨٠٩ هـ بقرية خربة روحا من عمل البقاع ونشأ بها ومات بدمشق سنة ٨٨٥ هـ (الضوء اللامع ج ١ : ١٠١ ط . القدسى)

وقد ورد على المملوك منكم مشرِّقات شافية فى معناها ، كافية فى حصول المقصود ، لا تكاد تصدر عن أحد سواكم ، فالله — تعالى — يديم فضلكم ، وصدقاتكم ، ويحسن سفركم وإقامتكم ، إلى أن قال : والأوراق أضيق من أن نصف فيها ما عندنا من الشوق إليكم ، وقد عوضكم الله عنا بأفضل العوض ، ونحن لم نتعوض عنكم إلا بالأسف على قربكم ، والوحشة إلى رؤياكم ، والله يمن بالتلاقى فى خيرٍ وعافية .

ثم لما قدمت ، وتلقانى حلف لى مجتهداً ، أنه لا يعلم بمقتضى ما عنده من المحبة ، من سُرَّ كسروره بسلامتى ، قال ذلك بحضرة جمعٍ مِنْ خاصته وجماعته ، ولم يمكنى من الجلوس حينئذ وهو بمنزله إلا بجانبه ، وجلسنا فى خدمته طويلا على العادة ، ثم لما انفصل عن المجلس قال لجماعته كما بلغنى : هل تعرفون من يُستأنس بمحادثته وحسن أدبه مثله ؟ وقال لى مرة : والله أحب أن أراك كل يوم ؛ ولا أتكلف المجىء إليك إلى بيتك كل وقت ، هذا مع عزة حركته ، فجزاه الله أحسن الجزاء . وقد كتب لى : / بخطه بالثناء البالغ ، فكان مما كتبه على « الجواهر » و « الدرر » وقد استعارها منى لمطالعتها ما نصه : ١٧

« أما بعد : فقد وقفت على هذا الكتاب الحسن المفيد مستفيداً ، وكررت النظر إلى محاسنه مبتدئاً ومُعيدا ، فكنت كما قال ابن المعلم : يزداد فى مسمعى تكرار ذكركم طيبا ، ويحسن فى عينى مكرره ، فالله يُبقى جامع هذه المحاسن قبلة فواضل وفضائل ، وكعبة آمال ، فيجير طالبا ، ويجيز سائلا [(١)] ، ويحيى بحياته النفيسة علم السُّنة والأثر ، ويجدد ببقائه من معالم العالم ابن حجر ، مادثر . والله يرحم تلك الذات الطاهرة ، ويبقى أنوار هذه الشمس الظاهرة ، آمنة من المحاق والأفول ، محفوظة لمن شاء الله من عدوٍ يختلق ما يقول ، إنه ولىّ ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

---

(١) فى الأصل « فيجيز طالب ، فيجير سائل »

وأخبرني مَنْ كان القاصد مني إليه باحضاره من عنده أنه قال له : هكذا تكون التصانيف والتراجم ، والله لا أقدر أستوفي وصف محاسنه .

وأبلغ من هذا ما كتبه على « القول المألوف » مما هو عندي بخطه في موضعين ، ونصّه : فقد وقفت على هذا التصنيف الشريف ، الذي يقصر بناني عن الإطناب في مدحه ، ويكلّ مقالي عن الإسهاب في وصف بديع شرحه ، وكيف لا ومصنفه هو الإمام العالم العلامة الحافظ الأستاذ الحجة ، المتقن المحقق ، شيخ السنة ، حافظ الأمة ، إمام العصر ، أوحد الدهر ، مفتي المسلمين ، محيي سنة سيد المرسلين ؛ فلان ، قال : والله أسأل أن يبقيه للمعارف علما ، ولمعالم العلم إماما مقدما ، ويحيي بحياته الشريفة مآثر شيخه شيخ الإسلام ، ويجعله خلفا عن السلف الأئمة الأعلام ، ويحرسه من حوادث الزمان وغدره ؛ ويؤمنه من كيد العدو ومَكْره ؛ برسوله — محمد صلى الله عليه وسلم — ، وكثيراً ما كان يقول : أنت ذهبيُّ زمانك ، وأحق بالانتساب لشيخك من كل أحد ، ومر في القراءة عليه حديث كتَبهُ شيخه قاضي الحنابلة « المحب البغدادي » ، وناهيك به مقابلة ، أنه سأل عنه علماء الحديث بالديار المصرية ، فلم يعرفوا لَفْظَه ولا معناه ، فأشار للقارىء أن يسألني عنه ففعل كما سأذكر ذلك في ترجمة القارىء[1] .

واستعار كثيراً من مجاميعي وتعاليق ، ومن ذلك : « الجواهر » وتاريخي الكبير ، وانتقى منها الكثير بدون إلا في النادر ، وكتب بخطه على كثير منها بالاستفادة ، ولم يزل يصرح بتحسين كل ما يصدر عني حتى ما أنشأته من خطب ومراسلات ونحو ذلك ، بحيث ذكرت بحضرته مرة شيئاً من ذلك فقال لي : هذا دون عادتك . فقلت له : ماعسى أن يصدر من محدث ، فقال : أنت لا يقال لك ذلك فيما تعمله وتنشئه ، إلى غير ذلك مما يطول

---

(١) لعل كلمة القارىء الأولى ترجع إلى من كان يقرأ الدرس ، أما الثانية فنرجح أنه يقصد قارى الهداية مع أنه (أي المؤلف) لم يذكر له ترجمة في هذا الذيل وبالرجوع إلى الضوء اللامع لم نجد المؤلف أشار إلى هذه القصة في ترجمة قارى الهداية .
(الضوء اللامع ج ٦ : ١١٠)

إيراده. ولكنه أعظم شاهد على حسن عشرته، وكرم أصله، وحسن ظنه، فإنى أحْقَرُ من كُلٍّ ما وصفنى به . أسأل الله الستر، وبالجملة مما أعلم حين إثبات ترجمته فى مجموعه مثله .

١٨ وقد / شهد له شيخنا — رحمه الله — بعد موت «المحب» بأنه عالم الحنابلة، فإنه كان إذا سئل عن شىء مما يتعلق بمذهبهم يكتب بخطه على الفتوى : يسأل عنها عالم الحنابلة القاضى عز الدين، وترجمه فى ترجمة والده من «رفع الإصر» المذيّل عليه بقوله : وأنجب البرهان ولده عز الدين، ففاق سلفه فى سعة العلم، ومعرفة الأدب ؛ وناب فى الحكم ثم ترك، تعفُّفا وتنزّها . ودرس فى عدة أماكن، أمتع الله ببقائه .

ووصفه بالقاضى العالم الفاضل، البارع العلاّمة ؛ بل من وفور جلاله عنده ؛ نقل عنه فى تصنيفه المشار إليه على صورة الرواية، وذلك ؛ أنه بعد إيراده فى أول منظومة ابن دانيال قال ما نصه :

وقد ذيل عليها بعض أصحابنا إلى عمرنا هذا، فرد الشافعية على منوال ابن دانيال، ثم سرد القضاة الثلاثة مذهبا بعد مذهب، وهذا صورة ما نظم : أنشدنا العز أحمد بن إبراهيم العسقلانى لنفسه مكاتبة، وساق ذلك . وكذا نقل عنه شيئاً فى ترجمة «المحب البغدادى» فقال :

قرأت بخط «العز بن البرهان بن نصر الله» ؛ وافق القاضى، محب الدين، عمىّ — «موفق الدين» يعنى الذى قبله — فى اسمه واسم أبيه، وجده، ومذهبه، ومنصبه، وسكنه بالصالحية، انتهى .

ولما مات «البدر» عيّن لقضاء المذهب، مع التداريس المضافة[1] إلى القضاء، كـ«الصالحية»، «والأشرفية القديمة»، «والناصرية»، «وجامع طولون[2]» وغيرها، كـ«الشيخونية»، وتصدير «الأزهر» وغيرهما، لم

---

(١) هكذا فى الأصل وفى الضوء اللامع «مضافة»

(٢) جامع طولون : هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر، وقد بناه الأمير أحمد ابن طولون عام ٢٦٥ هـ كما تدل على ذلك لوحته التأسيسية فى وسط مدينة القطائع التى بناها، وكان على شكل بناء جامع سامرا ولا سيما مئذنته الملوية ذات السلم الخارجى، والطبقات الأربع . ويعدهذا الجامع من أكبر مساجد العالم الإسلامى، إذ تبلغ مساحتهمع الزيادة أى الفضاء =

يشذ عنه مما كان باسمه سوى تصدير « جامع عمرو » وجهة يقال لها « بلاطه » « بنابلس » فإنهما استقرا لـ « الخطيب بن أبى عمر » . وكان صاحب الترجمة إذا ذكر ذلك يتأثر . وكذا مشيخة « جامع الرحمة » « للمحيوى الطوخى » . وخلع على « العز » لذلك فى يوم السبت تاسع جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين ، وركب معه بقية القضاة وهم : العلم البلقينى ، وابن الديرى ، والشرف السنباطى ، وغالب المباشرين ، وسر بقية القضاة بمرافقته ، بل سر جميع الناس بولايته كثيراً ، وأظهروا بشراً وسروراً ، لما ألف من غزارة علمه ، وجودة نثره ونظمه ، وتواضعه وأمانته ، وعفته وديانته ، وجميل عشرته وتودده ، وغزارة ذكائه وسؤدده « وميله للفضلاء » والرغبة فى مذاكرتهم ، وعدم التحاشى عن مزيد الانبساط فى الاستئناس بهم ومداعبتهم ، وحسن تصرفه فى مخاطبة كل بما يليق به ، مما لا ينقص أنملة من على رتبه ، وكونه فى الأوصاف الحسنى بالمحل الأسنى ، وباشر ذلك بعفة ونزاهة ، وتواضع مفرط ، ولم يتخذ نقيباً ولا حاجباً ، ولا تحامى الجلوس فى أكثر أوقاته على الحصير ونحوها ، ولا رغب فى ركوب النقاب بين يديه ، بل مشى على طريقته قبل القضاء فى غالب أموره ، وألزم الموقعين بالمنع من مزيد الألقاب له ولأبيه وجده ، وأمرهم بالاقتصار على قاضى القضاة لكل منهم ، وقال هذا وصف صحيح .

= الذى يحيط به من جميع جهاته عدا جهة القبلة ٦½ من الأفدنة ويتوسط الجامع صحن مربع يحيط به رواقان فى كل من جهاته الثلاث عدا رواق القبلة الذى به خمسة إيوانات ، وكان فى وسط صحنه قبة مذهبة مقامة على عشرة عمد رخامية ، قد فرشت أرضيتها كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخامية سعتها أربعة أذرع فى وسطها فوارة تفور بالماء . وكانت على السطح علامات للزوال وقد أحيط هذا السطح بدرابزين ساج ، وقد احترق هذا كله سنة ٣٧٩ هـ ، ثم جاء عهد العزيز بالله الفاطمى فأمر فى سنة ٣٨٥ هـ ببناء فوارة عوضا عن التى احترقت . ولما وقع الغلاء فى عهد المستنصر وتخربت القطائع تخرب معظم الجامع وتشعث . ثم قام السلطان لاجين سنة (٦٨٩ — ٧٨٠ هـ) بتجديده ، وقد اعتنى به بعض حكام مصر ، وكان آخرها التجديدات التى قامت بها لجنة حفظ الآثار العربية .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٥٢ ط . مطبعة الموسوعات ، و (مساجد القاهرة لحسن عبد الوهاب) و (الخطط للمقريزى ج ٢ : ١٠٦) والنجوم الزاهرة ج ٣ : ١٥ ط دار الكتب) و (الخطط التوفيقية ج ٢ : ١١٤)

١٩ وكذا منعنى من إطرائه ، وأمرنى بالاقتصاد / فى ترجمته على شيوخه ، ونحو ذلك ، وقال : لست فى حلّ من زائد عليه . فرأيت إنزاله منزلته لا سيما وفى الظن أن بعض من عرف فى السخط والرضا[1] ولم يرفع الله له رأسا يعمل فكره فى خلاف ذلك ، ممّا اللائق تجنبه ، بل هو من الواجبات .

وتعفّف عن تعاطى معاليمه[2] فى الأنظار ، لكنه لم يترك ما كان باسمه من الأطلاب[3] وشبهها من الوظائف الصغار ، ولا سمح بالمباشرة عن ابن شيخه المجد سالم ، فى وظائفه مجانا ، مع شدة حاجته التى لا يخفى عليه أمرها .

وأهمل النظر فى أمر الأوقاف ، فربما فسد حالها فيما بلغنى ، وتزايدت جلالته ، وارتفعت عند الملوك فمن دونهم مكانتُه ، وصار للزمان به بهجة ، وفى مقاله لمن تمسك به أعظم حجة ، وله فى الأنفس مهابة ووقع ، وبقوة كلامه لعين شانئة[4] قمْع ، ومع ذلك كله فهو شديد الإعراض عن المعارضة ، إلا بين خاصته وأهله ، حتى أنه فى كثير من الأمور المختلفة والوقائع المتعسفة ؛ يمتنع من الإفتاء فيها ، قصدًا لراحته وتنزيها .

ولذلك اشتدت الرعاية لجانبه ؛ والمسامحة بما يقتضى كلفة بدنه وقالبه بحيث إن بَعضَ نُـوّابه ، زين له بعض المعاندين للعز من أصحابه السّعى فى القضاء ففعل ، ووعد بما يبيع به كتبه ويستدين ، إنه هو على قصده حصل . ووصل علم ذلك لـ « الأشرف إينال[5] » .

(١) هكذا فى الأصل « فى السخط والرضا » .

(٢) المعاليم : أى الأنصباء ، والأجور (المعلوم) .

(٣) الأطلاب : وهم الحرس الخاص بأمراء المماليك يحملون سلاحا كالأجناد .
(النجوم الزاهرة ج ١٢ : ١٨٦)

(٤) الشانىء : الحاسد .

(٥) الأشرف إينال : هو اينال العلائى ، سلطان مصر وأحد المماليك الجراكسة ، حكم سنة ٨٥٧ — ٨٦٥ هـ = ١٤٥٣ — ١٤٦٠ م (المختار من حسن المحاضرة للسيوطى ، تحقيق محمد محمود صبح ص ٢٤٦ — ٢٤٧ نشر مكتبة الأنجلو)

وكان شديدَ الرَّغبة فى المال ؛ فكاد أن يُصْغى لذلك ؛ ويقع فى المهالك ؛ فأخذ بيده مَنْ كان فيه سبباً للخلاص ، وهو المقر الجمالى ناظر الخواص ، حيث صرح له يكون هذا الأمر غير لائق ، وينكره المخالف والموافق ، وما ذُكر من الدراهم ، أقوم بها عنه وأنت غير آثم ، فسمع وأطاع ، ورجع لموافقة الإجماع ، وأمر بتشريفه بإلباسه إخماداً لما رتبه الحاسد بوسواسه ، وأخص من هذا كله عدم قبوله لما يتقرب إليه ببذله ، مما لا حرج عليه من تعاطيه فى الظاهر ، ولا يشركه غيره ، فى هذا الصنيع الزاهر .

اتفق « الدَّوَادارَجانى بك » ؛ أرسل إليه ليكتب على بياض ليعين أرضاً يختارها تكون رزقه ، موقوفة على مدرسة أنشأها بشبرا الخيمة ، فركب هو بنفسه ، واعتذر عن عدم قَبُولها .

وكذا أرسل له وصولا بخمسين أردب بُرّ ، فترك الوصول عنده ، ولم يرسل أحداً لاستخلاصه ، وظن أنه قبله ، فلما كان العام المقبل جاءه القاصد أيضاً بوصول آخر بمائة ، فبادر وأخرج ذاك الأول ، والتمس منه الاعتذار عن عدم القبول .

وطلبوا مرة من القضاة بأجمعهم خدمة ؛ وخصّوه هو بإرسال مائتى دينار مع خلعة ، وألحّوا فى قَبُولها ، وقام عليه جماعة ، ففعل حيث لم يجد بُدّاً من القبول ؛ وفرق الكثير منها .

وكذا أرسل له « الأشرف قايتباى » مبلغاً فردّه ، فيما بلغنى إلى غير ذلك مما يضيق المحل عن إيراده . واشتد حرصه على عدم قبول / الهدايا ؛ ولو قلّت ؛ حتى من أصدقائه وأخصائه ، بحيث أنى أرسلت له حين رجوعى من مكة بيسير تمر وماء زمزم ونحوهما ؛ فقبل ماء زمزم ؛ ورد ما عداه ؛ ولعله بتلفت عياله لمثل هذا ، كان يشترى عند وصول الحاج لهم تمراً ورانجا(١) ولوزاً ، ليقطع أطماعهم عن النظر لما يكون بالأيدى من ذلك

٢٠

---

(١) « رنجا » ورد بهامش الأصل العبارة الآتية : قال فى الصحاح هو الجوز الهندى وما أظنه غربيا .

وله مآثر حسنة ، منها : المدرسة المشار إليها ، ومنها المسجد الملاصق لبيته ، الذى أنشأه — بالقرب من « القاهرة » — والصهريج به ، والمدرسة المجاورة لبيته القديم : « كباب سرّ الصالحية » ، وعمل مقابلها سقاية وغير ذلك ، كرباط شَرَعَ فيه للأرامل بالقرب من « دار الضرب » ، فمات قبل إكماله ، لكنه أوصى له بمبلغ يكمَّل به ، ولم أزل أعرف فيه الميل إلى الصَّدقة بالدراهم وغيرها ، مِمَّا يُحبّ إخفاءُ أكثره ، والمحبة فى إطعام الفقراء والوافدين إليه — لا سيما — ، أماكن المفترجات للطلبة وغيرهم . والإهداء لأقاربه[1] وجيرانه ، وعدم سلوك التكلف فى شىء من أفعاله قبل القضاء وبعده ، على طريقة السَّلف فى ذلك كله .

وبيته ملجأ لكثير منهم ومن غيرهم ، خصوصاً لكثرة أُنسه بهم ، واستجلابه لحقيرهم قبل جليلهم ، وكان قبل القضاء يُكثر زيارة قبور أسلافه ، — لا سيما — عند من يَتَجدَّدُ فقده من أولاده ونحوهم ، وقد أسلف منهم جملة .

وله الآن ابنة ، كان فى غاية ما يكون من الاغتباط بها ، والميل إليها ، وقد انتمى إليه بتزويجها « الشِّهاب الجُوجَرى[2] » أحد نوابه ، وأخو « الجمال ابن هشام » لأمه ، واستولدها ولداً ذكراً متع به .

وهو صحيح العقيدة — فيما علمت — وحلف قبيل موته بيوم على براءته مما قد ينافيها ، شديد التنفير من « الاتحادية[3] » والمارقين من المتصوفة . وكذا للطائفة المسماة بين العوام وكثير من الفقهاء « بالمجاذيب » عظيم المحبة

---

(١) فى الأصل « فى إمكان المفترجات للطلبة وغيرهم والاهداء لأقاربه »

(٢) الشهاب الجوجرى : نسبة إلى جوجر من الغربية ، وهو الشهاب أحمد بن عبد العزيز ، وهو أخو الجمال بن هشام .

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٩٧ ط . القدسى)

(٣) الاتحادية : نسبة إلى الاتحاد وقد اختلفوا فى تعريفه والمشهور منه أنه شهود الوجود الحق الواحد المطلق ، الذى الكل موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شىء موجودا به معدوما بنفسه لا من حيث أن له وجودا خاصاً اتحد به فإنه محال .

(التعريفات للجرجانى)

فى أهل السنة ، « كالشهاب بن رسلان » ، والسيد « عفيف الدين » ، وأضرابهما ، وله فراسة عظيمة ، وأحوال تقرُب من الكشف ، ووصايا نافعة ، واحتمال زائد ، وميل لعدم الانتقام ممّن يؤذيه مع قدرته ، ونفس شريفة ، بحيث إنه قلّ أن يتمكن أحد من إلزامه فعل مالا غرض له فيه ، حتى إنه لما حكم قاضى المالكية « حسام الدين بن حريز » بقتل « منصور ابن صفى ،أحدمنْ باشرالوزارة ، والأَسْتَادَرِيّة[1]،جىء إليه بالحكم مع قاصد السلطان لينفذه فامتنع ، وأغلق الباب فى وجه القاصد . وحضر إليه نقيب قاضى الشافعية « البلقينى » بمكتوب ينفذه ، فبالغ فى الامتناع ، وأخرج له دراهم ، وقال: إنه أقصى ما يُحَصَّل من هذا الشغل ، هذا المقدار ، فيسهل بى إعطاؤه لك ، ولا تكلفنى لفعل ما لا أرتضيه ، فأخذ المكتوب وانصَرف .

وبقيامه انكفّ المالكية عن قتل « سعد الدين بن بكير القبطى » ، وتأيد به منهم الشيخ « أبُو الجُود البَنْبِى[2] » ، فى فُتْياه بذلك .

ومحبة فى المكافأة على الصنيع فى عيادة وشهود جنازة وتهنئة ونحو ذلك ، وشدة الاعراض عمّن يفهم عدم التودد إليه بذلك — ولو عَظُم — ونفرة زائدة من ركوب البحر ، ودقة فكر فى تخيل لأمور بعيدة يمتنع / ٢١ معها من البلوغ بكثير من مآربه ، بل يمتنع بسبب ذلك وصول كثير من أحبابه لأغراضهم بعنايته ، حتى إن والدته ربما تذكر له ذلك ولا يتخلف عنه إيراد النكتة والنادرة فى محلها إلا فى النادر ،

اتفق أن بعض رُفقتِه من القضاة تكلم بين يدى السلطان فى مساعدة

---

(١) الأستدارية : وورد رسمها فى النجوم الزاهرة فى بعض المواضع الأستدارية ج ١٢ : ٩٩ ، ولكنها غالبا ماترسم كما هنا فى الأصل ، والضبط من النجوم الزاهرة ج ١٢ : ١١٨ س ١٣ .

(٢) البنبى : نسبة لبنب ، وهو داود بن سليمان بن حسن بن عبيد الله أبى زيادة ، أبو الجود ، ابن أبى الربيع البنبى ثم القاهرى المالكى البرهانى ، ويعرف بأبى الجود ولد سنة ٧٩٢ هـ ببنب من الغربية بالقرب من جزيرة بنى نصر ، ومات سنة ٨٦٣ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٢١١)

مَديون يوضع عنه من دينه ، وأشار مُوهما لربّ الدَّين إعسارَه إلى أن كل واحد من القضاة يَزن فى المصالحة عنه من ماله شيئاً ، وخاطب العزّ بذلك ، فأجابه بقوله : « من أخذ شيئاً يزنه ، يشير إلى أنه ارتشى فى مساعدته ، ولأجل هذا كان الكل يَرعوْن جانبه ، بحيث إن « العَلَمَ » و « الشرفى » فمَن دونهما من الشافعية ، كانوا يتلافون خاطره ، ويكرمون ذاته بكل ممكن » .

وحصل مرة بينه وبين « المحبى الحنفى » جفاء ، بسبب انحصار « العز » و « الزينى قاسم » الحنفى ، حيث سطا (١) الآخر عليه ، فقام « شيخ الظاهرية العضدى الصيرامى » ، وأصلح بينهما .

ومن قَبل ذلك كان بينه وبين البُرهَانى الدَّيْرى(٢) الماضى ، فى أيام قضائه بسبب مسألة « الخصَّاف » بعض الشىء ، فرَام البرهانُ تلافى ذلك ، وقصده لبيته ، فما اجتمع به .

وعندى من أحواله فى كل ما أشرت إليه جملة ، وكان ضعيف البنية مع عدم اهتمامه بما قد يصلحها ، وتزايد الضعف به فى أواخر أمره ، وبعد شيخوخته ، فإنه كثر توالى الوعك به ، لكن مع صحة سمعه وبصره ، وكتابته وتصرفه ، ولزم الوساد مرة بعد أخرى ، حتى مات فى ليلة السبت حادى عشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وغُسّل من الغد ، وحُمل نعشه لـ « سبيل المؤمنى » ، فشهد السلطان الصلاة عليه فى جمع حافل ، ثم رجعوا به إلى « حوش الحنابلة » عند قبر أبويه وأسلافه ، و « الشمس العماد الحنبلى » تِجاه « تُربَة كُوكَاى(٣) » وهو قريب

---

(١) فى الأصل « سطى »

(٢) الديرى : بفتح أوله ، وهو محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح ابن أبى بكر بن سعد ، القاضى شمس الدين أبو عبد الله المقدسى الحنفى نزيل القاهرة ، ويعرف بابن الديرى ، نسبة لمكان بمردا من جبل نابلس ، مات سنة ٨٢٧ هـ (الضوء اللامع ج ٨ : ٨٨ نشر المقدسى) .

(٣) تربة كوكاى : يقول صاحب النجوم الزاهرة ج ١٠ : ٢٤١ ط : دار الكتب إنها تربة ومئذنة بالصحراء على رأس الهدفة تجاه تربة الملك الظاهر برقوق ، وقد بناها الأمير سيف الدين كوكاى بن عبد الله ، المنصور السلامداد ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

من التربة « الأشرفية ، الإينالية » ، فدُفن به فى قَبْرٍ أعده لنفسه هناك ، وكثر الأسف على فقده ، وأثنى الناس عليه جميلا ، وأجمعوا على عفته وتواضعه ، ولم يخلف بعده فى مجموعه مثله — عوضنا الله وإياه خيراً — وخلف ابنته المشار إليها ، وزوْجَتَين ، إحداهما أمها . وعاصباً وهو شهاب الدين أحمد بن خاله الجمال عبد الله ابن القاضى علاء الدين الملتق معه فى أبى الفتح ، حسبما يُعلم ذلك من أول الترجمة .

واستقر فى القضاء « وفى الشَّيْخُونِيَة[1] » بعده فى تاريخين مختلفين القاضى بدر الدين السعدى . وفى « المؤيدية » الجمال يوسف بن المحب ابن نصر الله ، وفى « الأشرفية » الشهاب بن قطب الشِّيْشِيْنى[2] . وعادت « أم السلطان » و « الجمالية » و « الحاكم » و « الحسَنيّة » إلى ابن المجد .

وَفى باقى الوظائف وَلَدُ ابنته من القاضى « شهاب الدين الجُوجَرى » ، وأوصى لجماعة من أقاربه وغيرهم ، وأسند وصية لجماعةٍ منهم : القاضى « شمس الدين الأمْشَاطى » ، و « الشرفى أبو سهل بن عمار » ، وتفرقت مجاميعه وتصانيفه مع كون أكثرها قليل الجدوى — رحمه الله — وإيانا ومن نظمه مما أنْشدنيه من قصيدة :

٢٢

[الطويل] / ألا فى سبيل الحُبِّ طَرْفٌ مُسَهَّدُ
وَنارُ غرام حشو أحشايَ تُوقَدُ

ومكروهُ عيشٍ فى ابتغاءِ محبَّب
وَمَنْدُوبُ خدٍّ بالْمَدَامِعِ يُرعد

وواجبُ قلبٍ فى هواك أذبته
بخمر خُدُودٍ مَاؤُهَا يتردد

---

(١) الشيخونية : أنظر فهرس المدارس بآخر الكتاب .

(٢) الشيشينى : بمعجمتين مكسورتين تلى كل واحدة تحتانية وآخره نون ، نسبة إلى قرية من المحلة بالغربية . وهو القطب محمد بن عمر بن محمد بن وجيه (الضوء اللامع ج ١١ : ٢١٠ نشر القدسى) .

على أنى راضٍ بذاك وشاكرٌ
وما زلتُ معروفاً بأنِّى أحمدُ
خذوا من دموعى المرسلاتِ براءةً
لعبدكمُ من زخرفِ القول تشهد
فيا جامعاً كُل المحاسن والبَها
بمحراب صُدغ فيه للطرف مَعْبَدُ
تكملت فى تفضيل خَلق وخلقة
وجملةَ ما فى الأمر أنك مفردُ
لئن كنتَ يا ثانى المعاطفِ ثالثاً
لشمس وبدر أنت فى الحسن أوحد
وإن كنتُ قد أنفقتُ كنزَ تَصبُّرى
عليك فبالمختار أغنى وأسعَد
محمدٌ الماحى(١) أذى الشركِ والردى
وحامى حمى الإسلام والكفرُ مُزبدُ

له القَدم السامى ، وكم ساق راحةً … بأيد بها جيدُ الصدور تُقلَّد
هو المجتَبَى من كل أصل مهذب … فأكرِم به فرعاً له الفضل مُسنَدُ
له العَلمَ المرفوعُ فالخلقُ كلهمْ … تناديه فى يوم المعاد وتقصدُ
يقوم بأعباء الشفاعة قومةً … يُقصِّرُ عنها مَنْ سواه ويَبعُدُ
له معجزُ القرآن أعظمُ آيةٍ … يمرُّ فيحلو وهُو غضٌّ(٢) مجدَّد
وكلّمهُ الثعبانُ والجمَلُ اشتكى … وخاطبه ضبٌّ وظبىٌ مشرَّد
ومنهاجُه حاوٍ لأكمل مطلب … بإيضاحه الكافى الخلائقُ قد هُدوا
ألم تُلفه أعلى المراتب مُطلقاً … ألم ترَه أثنى عليه المُمجِّدُ
وشق له من اسمه ليُجلَّه … فذو العرش محمودٌ وهذا محمدٌ
يَعِزُّ علينا أن نُفارق بُقعةً … بها كان للروح الأمين تردُّد

---

(١) الماحى : يقصد النبي صلى الله عليه وسلم يمحو الله به الكفر (القاموس المحيط) .

(٢) أرى أن فى البيت إقواء والأصل أن تكون القافية مضمومة ، ورأى المراجع أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف (أى هو محمد) .

وكان بها للمصطفى خَيرُ منزل — وكان له فيها مقيلٌ ومسجدُ
رَحلْنَا وَخلَّفْنَا القلوب بطيْبةٍ — لدى الصادق الهادى الرسول محمد
ألا يا رسول الله أضيافك « التى » — أتوك بمُزْجىً البضاعَة تقصدُ
وما منهمُ إلا فقيرٌ ومُتربٌ — وقد حان تَرْحَالُ لهم وتبعدُ
تصدَّق عليهم أيها السيّدُ الذى — لديه ملوك الإنس والجن أعْبُد(١)
وأوف لهم كيْل الكرامة والقرى — فأنت جَوَادٌ مُحسِنٌ ثمَّ سَيّدُ
وخذ بيدى يا أشرف الخلْق والذى — له من بساط الأنس والجن مقعد
وخذ بيدى فى يوم كاظمَة الورى — وَخيرْتهم إذ قل فى الخلق مُنجد
عليك صلاة الله ثم سلامه — مُضَاعَفَةً فى كل وقت مُجَدَّدُ
كذاك على الأهلين والصحب كلهم — خصوصاً على الشيخين فهى تُؤكّدُ
وصهريه والعمين والوُلْدِ والنسا — وأتباعهم مَن بالرسالة / يشهد ٢٣

ومنه مُضيفاً لبيت ابن الفارض وهو :

بانْكسارى بذلَّتى بخضُوعى — بافْتقارى بفَاقتى بغناكا
لا تَكلنى إلى سوَاك وَجُدْلى — بالأمانى وَالأمْن من بَلْوَاكا(٢)

وقوله فى نظم لُغَات الأنمله والأصبع فى بيت واحد واشتمل على تسع عشرة لغة : [البسيط]

وهمزُ أُنمُلةٍ ثَلّثْ وثالثهِ — والتّسْعُ فى أصبعٍ واختم بأصبوعِ(٣)

وهو أجمع من قول القائل : [البسيط]

بأصبعٍ ثَلّثَنْ مع ميم أُنمُلةٍ — وثلّث الهمزَ أيضا وارو أُصبُوعا

مع أن هذا البيت أجمع من بيت ابن مالك حيث قال :

تَثليثُ بَاء أصبع مع شكل هَمزَتِها
بغير قيدٍ مع الأُصبُوع قد نُقلا

---

(١) أعبد : جمع عبد .

(٢) فى الضوء اللامع « الأمر » بدل « الأمن » . والبيت الأول من شعر ابن الفارض ، والثانى من شعر صاحب الترجمة (الضوء اللامع ج ١ : ٧ ، ٢)

(٣) انظر المرجع السابق .

ومنه أمر بنقشه على سبيله المجاور لبيته القديم بباب سر الصالحية : [الرجز]

مازلتُ فى سبْل الهوى ساعياً حتىّ أتى الشّيْب ونعم النزّيلْ
وقال : ياهذا أما تستحى ماآن أنْ تخشى الإله الجليلْ
تهدَّمَ العمرُ فقُم واغتنم وأحْسن إلى المسكين وابن السبيلْ

ومنه : وأمر بنقشه فى القاعة والمدرسة المجاورتين للقاهرة :[مجزوء الرمل]

قد بنى عبدُك بيتا لك والأهل بويتا
رب متّعنه بهذا وابن لى عندك بيتا

ومنه : وكتب بهما لشيخنا فى صرف شىء من وظائفه المشتملة تحت نظره : [الكامل]

العبد يشكو عادةً قد آلمت الكفَّ عن قبض لحقٍّ يعرف
وإذا أراد الصرف كان جوابه معلومَ[1]أحمدَ كاسمه لا يُصرف

ومنه يصف بعض قضاة الحنابلة ممن تقدم : [الرجز]

يا أيّها الناسُ قِفُوا واسمعوا صِفَاتِ قاضينا الّتى تُطْرب
يَلُوط ، يَزنى ، يَرتش يَعتدى
يَنمُّ يقضِى بالهوى ، يَكْذِبُ

ومنه [مخلع البسيط]

تواتر الفضلُ منك يامنْ بكثرة الفضل قد تفرّد
فرُحت أروى صِحَاحَ برٍّ عن حَسَن جاء عن مُسَدد
سلسلة أطلقتْ بيانى[2] لكنَّ رقّى بها مُقيَّد[3]
تُعزَى إلى مالك البرايا مُسْندَةً للامام أحمد

ومن نظمه جوابا لما التمسه منه الشيخ البدر محمد بن محمد بن أبى بكر ابن خالد بن ابراهيم[4] السعدى الحنبلى ، خليفته فى الحكم ، والمستقر بعده ، كما سيأتى : حيث قال كما أنشدنيه : [الطويل]

---

(١) أى « علم » كما يعرفه اللغويون والنحاة .
(٢) فى الضوء اللامع ج ١ : ٢٠٧ (بنانى)
(٣) الرق : الصحيفة .
(٤) البدر محمد بن محمد بن أبى بكر بن خالد بن ابراهيم السعدى الحنبلى : هو محمد بن محمد بن أبى بكر خالد ، البدر ، السدرشى الأصل ، القاهرى ، الحنبلى ، ويعرف =

أمولاىَ بَحْر العِلم يامَن سَناؤُه
يَفُوقُ ضياءَ الشّمس فى الشّرق والغَرْبِ
وياوارثا عِلْمَ الإمام ابن حنبل
وزهدا له قد شَاع فى البُعْدِ والقُربِ
عُبيدكم الظّمآن قد جاء يَرْتَوى
ويَروِى نصوصا للإمام عن الصَّحْبِ / ٢٤
ويسأل فى هذا القريض إجازةً
بدَرسٍ ، وبالفتوى بما صح فى الكُتَبِ
حباكم إلهُ العرش منه كَرامةً
وعيْشاً هنياً فى أمان بلا كَرْبِ
وقابلكم بالجَبر يوم حسابه وجازاكمُ بالفضل منه وبالقرْبِ
وصلّى إلهُ الخلق ربى على الرِّضا محمد المبعوثِ للعُجْم والعُرْبِ
وأتبعه بالآل والصحب ذى الوفا نجومَ الهدى يَحْيا بذكراهمُ قَلْبى
فقال ومن خطه نقلت ، وذلك فى شعبان سنة تسع وستين وثمانمائة : [الطويل]
أجزت له والله يرفع قدرَه ويرزقُه مايرتجيه من الإرْبِ
ويخْصِبُ فى الآفاق أعلام علمه
ويقرن بالتوفيق إخلاصَه القلبى[1]
فيرَوى ويروِى ظامئاً لعلومه
ويُفتى ويُقرىء مايشاء من الكُتْبِ

= بالسعدى ، ولد سنة ٨٣٦ هـ بجوار مدرسة البلقينى ، ومات أبوه وهو ابن ثلاث فنشا فى كفالة أمه وأمها ، وحفظ القرآن وكتبا أخرى ، وأخذ عن كثير من أساتذة عصره كالأبدى والراعى وأبى القاسم النويرى والعلم البلقينى وغيرهم ، ولازم شيخ المذهب العز الكنانى فى الفقه وغيره ، واختص به فتوجه لتقديمه وتوجه بمزيد ارشاده ، وبمجرد ترعرعه وبدو صلاحه ولاه القضاء ، وأذن له فى الإفتاء والتدريس غير واحد ، وأحسن فى تأدية ما تحمله ونظم ونثر ، وبحث ونظر ، واستقر فى حياته فى افتاء دار العدل ، وتدريس الفقه بالمنكوتمرية ، والقراسنقرية والشيخونية ، والحديث بمسجد رشيد وقطز ثم فى قضاء الحنابلة بالديار المصرية ، وسار أحسن سيرة (الضوء اللامع ج ٩ : ٥٨ — ٦٠)

(١) فى الأصل « القلب »

وما أنا أهـل أن يجـيز قـراءة
ومن لم يجد ماءً تيَمَّمَ بالتُّربِ
وإنى لأرجو من إلهى إجازةً تجوزُ بها حالى ويُمحى بها ذنْبى
وأحمدُ ربى شاكراً ومصليـاً
على المصطفى والآل والسادة الصَّحبِ

ومنه : فى أصيل الدين محمد الُخضرى ، ونصه كما قرأته على الأصيل :

لا زالَت مدائحه تتلى بكرة وأصيلا ، ومحاسنه تُجلى فتُبدى وجهاً جميلا .

ونبَّهَنِي أن بعض الأدباء حضر ، فذكر أنه نظم فى مدائحكم الشريفة قصيدة أبدع فيها غاية الإبداع ، وأطربَ بها المسامِعَ وشنَّفَ الأسماع ، وشكا ما هو فيه من الفقر والتقتير ، وما اجتَمع لهُ من ضيق اليد وبَسط التبذير ، وما يُقاسيه من ألم العُسْر وسُوء التدبير ، واعترف بالعجز والنَّقص والتقصير وتوسَّل بى فى إيصَال القصيدة إليكم ، وعَرْض محاسنها ومناقبكم عليكم ، لتقابلوا فقْره وتَقْصيرَهُ بالطول الطَّويل ، وتجْزوه على سَنَن سُنتكم فى السَّماحة التى ما لها عنكم من بَرَاح ولا تَحْويل ، والمولى زاده الله توفيقاً ، وسَهَّلَ له إلى رضَا العِبادِ طريقاً ، مَحَلٌّ لِنَيْل أمل الآمل ، وأهلٌ لتحقيق رجاء السائل ، وتنقيح مشكلات المسائل ، ومن جاد بالنَّفس فهو بما سواها أجود ، ومن سمح بالدينار الشريف فهو بالفلْس الخسيس أسمحَ ، وفيه أزهد ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، ورأيه العالى أعلى ، وهى هذه القصيدة : [الكامل]

أصيلَ الدين دُمْتَ قرير عين مديحك فى الطويل وفى المديد
سمعْت بجودك الهامى على مَنْ أتاك فجئتُ من بلد بعيدِ
رجاء النَّيْل مِنْ نِيل العَطايَا فحقّق مَا رجَونا مَعْ مَزيد
أمُتٌّ بأنى عبْدٌ مُحبٌّ ومِثلُك مَن رَعى حق العبيد / ٢٥
وأنت حُرِسْتَ فى جُودٍ وبؤسٍ كغَيْثٍ أو كلَيْثٍ فى الوجودِ
وبَاشرت الجيُوشَ بكلِّ قُطرٍ بِحسنِ الرَّأى والفعل السَّديد

وجئتَ لمكّة وبها عبيدٌ … تَهُدّ السُّدَّ بالعزم الشديد
فقائمهم أنتَ ، ونائمهم … أقمْتَ خديعةَ اللبق المُجيد
على عَير(١) نزلتَ به وثورٌ … تكون به وُقيتات السّجودِ
وهذا منزلٌ لبنى كلاب … عُمومتِك الأكارم والجُدودِ
وفى العرب الكرام شُهرت قِدماً … بأخذ النصف قهراً من زَبيد
وفى عدَن تعزُّ على البرايا … لأخذك منهمُ رُبُعَى زبيد
وقد حكّمتَ فى مضرٍ ، وإنا … أترجو أن تملّك بالصعيد
وأنت مباركٌ ، بل أنت يا ذا … لأبرك منْ رأينا من سعيد
وما صاحبتَ شخصاً قطّ إلا … ويعلو لو يكون من اليهود
فكم عليّتَ من نذلٍ وضيع … وكم رفعتَ من عبْدٍ عتيد
أطال اللهُ عمرك فى سرورٍ … تعيش به إلى يوم الخلودِ
وجمّعَ شملك السّامى بأهلٍ … وبالعم السديد(٢) وبالوليد
ولا زالت حُماتُك حاميات … لظهركَ بالرماح وبالحديد
بقيت الدهرَ يا نور البرايا … بحربٍ حلَّ ، أو درس مفيد

ومنه جواباً عن قصيدة الشيخ « البدر حسين العُليف ، وهى : [الكامل]

سل العلماءَ بالبلدِ الحرام … وأهلَ العلم فى يمنٍ وشام
أولى المعقولِ والمنقول طُرّاً … وأرباب النباهةِ والكلام
وكلَّ مفنّنٍ فى كل علم … وكلّ مدرّس حبرٍ إمام
ذكيٍ لوذعى(٣) ألمعيٍ … سواءً فى الحلال وفى الحرام

---

(١) عير جبل بالمدينة (القاموس المحيط) وفى معجم البلدان العير : جبل بالحجاز ، قال عرام : عير ، جبلان أحمران من عن يمنك وأنت ببطن العقيق تريد مكة ، ومن عن يسارك شوران وهو جبل مطل على السد ، وذكر بعض أهل الحجاز أن بالمدينة جبلين يقال لأحدهما عير الوارد والثانى عير الصادر وهما متقاربان ، وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ما بين عير إلى ثور وهما جبلان : عير بالمدينة وثور بمكة ، والعير واد فى قوله وواد كجوف العير قفر هبطه ، والمرجح أن المقصود هنا ماجاء فى معجم ياقوت .

(معجم البلدان لياقوت (ع ى ر)

(٢) فى الأصل تقرأ الكلمة (السديد) و (الشديد) .

(٣) الاوذعى : الخفيف الذكى ، الظريف الذهن ، الحديد الفؤاد ، اللسن الفصيح كأنه يلذع بالنار من ذكائه (القاموس المحيط) الأصل لوذعى بضم اللام .

هل التكليف حال الفعل باقٍ — علينـــا أم تقـضّى بانصرام
وما شيءٌ وليس بذى حيـاةٍ — ولا هُو قطٌّ ينبتُ وهو نامِى
وذو قصْر[1] افرض وهو ثاوٍ[2] — وذو سَفرٍ يُصلِّى عن تمام
وما فرض لنا قد سُنَّ فيه — قعودات رُباع معْ تمـــام
شرعْن لكلّ من صلَّى وليست — قعود الاعتدال ولا القيام
وظُهْرٌ ســـاقط عنّا ولمّا — تُصلّى جمعةٌ عند الإمام
وذو عتْقٍ وصومٍ عن ظِهارٍ[3] — ولم يجرِ العتَاقَ ولا الصيام[4]
وكم جذر المكعَّب من ثلاثٍ — وكم كعبُ الجذر فى النظام
وكم تكسيرُ أرضٍ — يا ملاذى — مخمَّسة الجوانب والخوامى[5]
لجذر ثلاثة قد سدَّسُوه — وخُمِّس جانباه على التمام
وما شيء بأرض الغرْبِ يأتى — له عكس من العَجم الطغـــامِ
رباعى تكرَّر كلُّ حرْف — به طرْداً وعكســـاً فى الكلام
٢٦ وما عكس السوالب يا مُرجَّى — أىّ الجزءين منها فى نظامٍ /
ومنكح إخوته من أخيه[6] — معـــاً فى ليلةٍ بين الأنام
وأنكح أختـــه أيضاً أباه — وطلقها كفعل بنات ســـام
وحاضت ســـبعَ مراتٍ يقينا — وراجعها بلا عقد الغلام
وليس بجاهلين[7] ولا مجوس — ولم ينكره فى دين السلام
وميّتة لهـا زوجان جازا — بشِرْعة أحمد نصفَ الحُطام
وضدٌ إن طرى من فوق ضدٍّ — متى ينفيه فاشْفُوا لى أوامى
أجيبونى وأفتونى أجِرْتم — بنظمٍ أو بنثرٍ فى الكلام

---

(١) المراد به قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين فى السفر .

(٢) فى الأصل « وهو ثاوى » .

(٣) فى الأصل «طهار» وهو خطأ .

(٤) فى الأصل « ولم يجرى » والبيت فيه إقواء .

(٥) الخوامى : هى كذلك فى الأصل

(٦) هكذا فى الأصل .

(٧) هكذافى الأصل .

وإلا قلتُ أهل العلم ماتوا   وقد صاروا جميعاً فى الرّجام[١]

فقال : وذلك فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة : [الوافر]

بحمد الله أبدأ فى نظامى   وأتبعه الصلاةَ على التهامى
جوابُك أيها الحبْر المفدَّى   ويارَبَّ المعالى والكلامِ
سألتَ وأنت أبصَرُ بالمعمَّى   وأعلَمُ بالجواب عن النظام
ولم تقصدْ جواباً عنه لكنْ   لتعلمَ حال فرسانِ المقام
فأما قولُك التكليفُ باق   زمانَ الفعل أم هو ذو الضرام
فما التكليف حال الفعل باقٍ   خلافاً للأشاعرة الكرام[٢]
وأما الشيء ليس بذى حياة   ولا هو قطُّ ينبت[٣]وهو نامى
بنامٍ زائدا وذو ارتفاع   وليس قسيم حاسِدىَ انتقام
وذو قصرٍ لفرْض وهو ثاوٍ   بدار الحضر يذكرُ فى المقام
صلاة مسافر تُقضى وهذا   يقول به الأئمة لا إمامى
وذو سفرٍ أتمَّ بذاك قاض   لغايته على وجه التمام
بظُهرٍ ساقِط أو قُل سواه   فذاك له دنا عند المقام[٤]
وأحرم قبل ضيقٍ ثم قلنا   بقطع تكلُّفٍ قبل الختام
وإن قلنا بضِدٍّ فهو فرعٌ   لاوتٍ فى الموسّع بالختام
جواب ثالث فى قول بعضٍ   لعُدم الشرب مع رى الهوام
جواب رابع فى قول تال   لعُدم به ثان مع كل قيام[٥]
وأما جذر كعب من ثلاث   لخمس ثم خمس الأنام

(١) الرجام : رجم القبر ؛ عمله أو وضع عليه الرجام (المفرد رجمة) العلامة ، المرجاس وربما شد بعد قوة الدلو ليكون أسرع لانحدارها ، وما يبنى على البئر ثم تعرض الخشبة للدلو (القاموس المحيط) .

(٢) ورد البيت فى الأصل هكذا :

فما التكليف باق فى الفعل   خلافاً للأشاعرة الكرام

(٣) هكذا فى الأصل .

(٤) كذلك البيت فى الأصل .

(٥) كذلك فى الأصل .

وأما كفـّها[1] فإنى بقاف ولام ثم خمسين بحرام
وأما عكس سالبة بجزء فيصدق لا لزوما فى الدوام
ومنكح أخته لأخيه هذا من ام وهى من أب كرام[2]
ومُنكح أخته يوما أباه فهذا فى الرضاع بلا ملام
وأما كونُها حاصت بشفع وراجع بعد تطليق الخصام
فطلـّقها وحاضت وهى حبلى وراجع قبل وضـع وانفصام
أجبتُ عن الذى قد جاء عفوا وأخـّرت المعمّى عن مرامى
وقد مرّ إعترافى بافتقارى وعجزى عن مدى هذا المقام
وأحمد[3] بن إبراهيم أدْعى وأحمدُ شافعى وكذا إمامى
٢٧ وبالتحميد أختم كلّ قول فأحمد فى ابتداء واختتام /

قلت : وممّن أجاب عن السّؤال ، شيخنا « العز عبد السلام البغدادى الحنفى » ومن قبله « الشرف ابن المقرىء اليمانى الشافعى » ، واقتصر الشمس البساطى « المالكى على الجواب بآخر بيت من السّؤال حسبما أثبت ذلك فى بعض التعاليق .

ومن نثره وقد أرسل إليه « الدوادار جانى بك الجداوى » ، يستدعى منه الكتابة فى حادثة وقع فيها النزاع بين خطيب « مكة » ، وقاضيها فى « الحِجر » وكونه كما قيل كان ، مَرْبضا لغنم سيدنا « إسماعيل — عليه السلام — » وعندى مصنف « الخطيب » . فى ذلك فى غير هذا المحل ما صورته ، وكانت كِتابتهُ فى صفر سنة خمس وستين وثمانمائة ، وسمعتُ من لفْظه حينئذ الدّعْوى ، إن البقعة الشريفة المعروفة الآن ، بالحِجْر كانت على عهد سيدنا إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مربضا للغنم ، ومحلاً للنعم ، وغير ذلك مما يُستهجن ذكره ، ويستقبح نشره دعوى ظاهرة الفساد ، بينة البطلان ، غنية بشهرتها عن نصب الدليل على ردها ، وإقامة

(١) وأما كفها ، كلمة غير مقروءة فى الأصل والبيت هكذا ورد .
(٢) هكذا ورد البيت فى الأصل .
(٣) يقتضى الوزن بيان همزة « ابن » .

البرهان ، وقد سعى مدّعيها فى إقامة حجته ، فورب الكعبة ما حج وقصّر فى البيان .

وأعلم بقلة عمله ، وحجر حجره ، عن إدراك أحوال الحجر ، وقواعد الأركان ، والله يجعلنا وإياه ممّن يتجرع مرارة قبول الحق ، ويذوق حلاوة الإيمان ، ويديم جمال هذا البلد الشريف بدوام برهانه القاطع فى مجلس مجاورة العلماء ، ومجال مجالدة الفرسان ، إنه جواد كريم ، محسن منان ؛ وفى هذا القدر مقنع ؛ وإن كان مجال الكلام أوسع — والله أعلم بالصواب ؛ وإليه المآب .

وفى ترجمة الولوى ، الأسيوطى[1]. الآتى قريباً له كلام ، وكذا فى ترجمة « الزينى بن مزيد » ، عظّم الله شأنه .

ومن أجوبته عن سؤال ورد عليه من دمشق فى إدخال حرف النداء عليه ، ويجوز فى غير ما ورد أيضاً قياساً على الوارد ، فقال ما نصه : نعم يجوز اقترانُ حرف النداء ، بجميع أسماء الله — تعالى — وهذا مُلخصُ الجواب عن المسألتين من حيث الإجمال .

وأما التفصيل فيقول : ذلك جائز لغة وشرعاً ، من ستة أوجه ، أما اللغة فلا شك أن النداء معنى من المعانى قد وضعت العرب له أحرفاً ، كما وضعت لكل معنى غيره حرفاً يخصه ويميزه عن غيره ، مثل : الكاف للتشبيه ، وليت للتمنى ، وقد للتحقيق ، وإلى للغاية ، إلى غير ذلك .

وكذلك شاركت العربَ غيرُها فى اللغات فى معظم تلك المعانى ، فوضعت لها ألفاظاً تدل عليها ، والأصل أن الدلالات اللفظية لا مَدْخل للشرع فيها وأنها لا تختلف باختلاف الأشخاص ، والأزمان ، والأحوال .

فإن ورد ما يخالف الأصل ، اقتصر على محلّ النص فى ذلك ، ولم يتعداه فكما يقال : يأيها الأمير تعال ، يقال : يأيها الأحمق ، وكما يقال :

---

(١) الأسيوطى : بضم الهمزة ، نسبة لأسيوط .
(انظر الضوء اللامع عن الترجمة) .

الأمير كالأسد . يقال : عَبْدُه كالحمار . وكما يقال فى إعراب : قدم الأمير ، قدم فعل ماض ، والأمير فاعله ، والجملة جملة فعلية يقال مثله فى أبق العبد وتقريرُ ذلك يعدّ عند العقلاء ، بل أكثر النّحاة لا تسميه كلاماً ، لأنه معلومٌ ضرورةً مثل قوله : السماء فوقنا . ولولا الحاجة إلى ذكر ما ذكرناه لما ذكرناه ، وما ورد الشَّرْعُ بمنعه مما أجازته اللغة فيقتصر على محله ، ومثال ذلك : إنّ قياس اللغة أن / منْ قامَ به فعلٌ ، جاز أن يُشتقَّ لهُ منهُ اسمُ فاعل ، وكذلك مِنْ مُرادِفه ، فإذا قيل : رَفِق زيدُ بعمرَ ورَحِمه : اسمى زيد رفيقاً ، ويُسمى جَوَادًا ، ولا يُسمى سَخِياً ، وفى كل ذلك خلاف وتفصيل فى محله . ٢٨

وأمَّا الشَّرعُ ، فدليلُ الجوازِ منه من ستةِ أوجه : على أن السائل : قد اعترف بجوازه شرعاً ، لأنه معترف بوروده فيه ، والوقوع لازم للجواز شرعاً وعقلا ، فيسقط الجواب عن المسألة الأولى ، لاستغنائه عنه ، ومع ذلك فنجيب عنه باختصار ، رعاية لحق سؤاله ، فنقول :

الأدلةُ الشرعيةُ على جوازِ اقتران حرف النداءِ بأسماءِ الله — تعالى — ستةُ أنواع : الكتابُ ، والسنةُ ، والإجماعُ ، والقياسُ ، والاستصحابُ وشرعُ مَنْ قبلنا .

النوع الأول من الكتاب : وذلك أن الله — تعالى — أمرَ عبادَه بدعائه فى مواضع من كتابه منها : قوله تعالى (وَلِلهِ الأسمَاءُ الحُسْنى فادعوهُ بها)[1] ، وقوله : (وَقالَ رَبُّكم ادعونى أسْتَجِبْ لكم)[2] وقوله : (فادْعوا اللهَ مُخلصِينَ لهُ الدّينَ)[3] ، وقوله : (فادعوهُ مُخلصينَ لهُ الدّين)[4] . قال المفسرون فى قوله : (ولِلهِ الأسماءُ الحُسنى) أى نادوه بها ، فيقال : يالله يا رحمن يا رحيم ، يا عزيز يا كريم ، ونحو

---

(١) الآية ١٨٠ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ٤٧ من سورة غافر .

(٣) الآية ١٤ من سورة غافر .

(٤) الآية ٦٥ من سورة غافر .

ذلك وهذا لفظ البغوى ، وقال تعالى : (رَبنا لا تُؤاخِذنا إنْ نسينا أوْ أخطأنا)[1] الآية. قال المفسرون : هذا تعليمٌ من الله للخلق ، أن يقولوا ذلك ، هذا لفظ ابن الجوزى . وفى هذه الآيات الأمر لمطلق العباد ، وقد خص الله نبيّه — عليه السلام — بالأمر فى قوله : (وَقلْ رَبِّ زِدْنى عِلماً)[2] . والأمر دليل الجواز فى الجملة ، لأنه استدعاء لإيقاع الفعل ، وما لا يمكن وقوعه لا يستدعى حصوله ، هذا مع قطع النظر عن الوجوب والاستحباب .

وأيضاً فقد أخبر الله — تعالى — عن جماعة من المعصومين بالدعاء مقروناً بحرف النداء على ما يأتى بيانه فقال خبراً عن إبراهيم — عليه السلام — (رَبِّ هبْ لى حُكماً وَألحِقنى بالصَّالِحينْ)[3] . وقال خبراً عن موسى — عليه السلام — (رَبِّ اشرَحْ لى صَدْرِى)[4] الآية . وقال خبراً عن سليمان — عليه السلام — (رَب اغفِر لى وَهبْ لى مُلكاً لا ينبَغى لِأحد من بعدِى)[5] . وقال خبراً عن زكريا — عليه السلام — (رَبِّ لا تذَرنى فرْداً وأنتَ خَيرُ الوارثينَ)[6] . وقال خبراً عن إبراهيم وإسماعيل — عليهما السلام — (رَبنا تقبّل مِنَّا إنكَ أنتَ السميعُ العَليمُ)[7] . وقال خبراً عن الراسخين فى العلم : (ربنا لا تُزِغ قلوبَنا بعدَ إذْ هدَيتنا)[8] . قال البغوى : يقول الراسخون « رَبّنا » .

قال « أبو حيان » : وانتصاب « رَبّنا » على النداء ، فجاز أن يكون من قول الراسخين . وجاز أن يكون على إضمار « فقولوا ربنا » .

---

(١) الآية ٢٨٦ سورة البقرة .

(٢) الآية ١١٤ سورة طه .

(٣) الآية ٨٣ سورة الشعراء .

(٤) الآية ٢٥ سورة طه .

(٥) الآية ٣٥ سورة ص .

(٦) الآية ٨٩ سورة الأنبياء .

(٧) الآية ١٢٧ سورة البقرة .

(٨) الآية ٨ سورة آل عمران .

وقال تعالى عن هذه الأمة فى معرض المدح ، بعد أن ذكر أولهم : « والذينَ جاءُوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سَبقونا بالإيمان » .

وقال خبراً عن حملة العرش الملائكة « الذينَ يحمِلونَ العَرشَ ومَنْ حولهُ يُسبحونَ بحمْدِ ربهم ويُؤمنونَ بهِ ويَستغفِرونَ لِلذينَ آمنوا ... — إلى الجحيم)[1] إلى غير ذلك من الآيات المخبِر فيها عن المعصومين ونحوهم .

والخبر الصادر عن الوقوع من المعصوم ، يَستلزِمُ الجواز قطعاً . هذا مع قطع النظر عن غير الجواز من الأحكام ، كالتّأسِّى والاستحباب ونحو ذلك . فإن قيل : ما ذكرته من الآيات ليس فيه ، حرف النداء » ، فلا يدل على الجواز ، بل يدل على عدمه !! .

قلت : قال النحاة ، إن « المنادى » فى محل نصب على المفعولية ، تقديره « ادعوا » / فلاناً ، فتقديرُ « يا زيد » أدعو زيداً ، وكأنه وقع منه سهواً ٢٩ والحرف الموضوع للنداء نائب مناب « أدعو » فلا بد حينئذ من الحروف لفظاً أو تقديراً فيما حذف منه ، مثل قوله : (ثمَّ أنتُم هؤُلاءِ تقتُلونَ أنفسَكم)[2] . قالوا : التقدير ، ثم أنتم يا هؤلاء ، ومثل : (يوسُفُ أعْرِضْ عَنْ هَذا)[3] قالوا : تقديره ، يا يُوسف ، إلى غير ذلك .

ويجوز حذف الحرف[4] كما مثلناه ، وهو كثير . ولا يجوز الجمع بين « يا » و « ما فيه الالف واللام » . فلا يقال : « يا الرحمن » ، و « يا الرجل » إلا فى موضوعين وهما : اسم الله — الذى لا إله إلاهو — والمحكى من الجمل ، فإنه يقال : « يا الله » و « يا الرجل منطلق » فيما اسمه ذلك . وإذا جمع بينهما فى اسم الله ، فهل ذكر الحرف واجب ؟ قال « المستملى » : ويلزم

---

(١) الآية ٧ سورة غافر .
(٢) الآية ٨٥ سورة البقرة .
(٣) الآية ٢٩ سورة يوسف .
(٤) فى الأصل « الجر » .

الحرف اسم الله — تعالى — قال ابن الحاجب « وقالوا يا الله » وفيما ذكرنا خلاف وتفصيل ، محَلُّ بسطه باب النداء من كتب « النحو » .

فعلم مما ذكرنا أن حرف النداء مذكور تقديراً ، وإن حُذف لفظاً ، فى قوله — تعالى — : (وَقِيلِهِ يارَبِّ إن هؤلاءِ قومٌ لا يُؤمنون)(١) وهذا ما استحضرته حال الكتابة ، وهو قليل من كثير .

النوع الثانى السنة : ففى « الصحيحين » من حديث « أنس » فى قصة الإسراء ، فى المراجعة فى تخفيف الصلاة ، قال : فرفعه عند الخامسة ، فقال : يارب إنّ أمتى ضُعفاءُ خفّف عنهم . فقال الجبّار : [يارب](٢) إنه (لا يُبَدَّلُ القولُ لدَىّ)(٣) . ففيه قول « يا رب خمس مرات »(٤) وفى الصحيحين أيضاً من حديث أنس أيضاً ، فى قصة الشفاعة « فأخرّ له ساجداً ، فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب !! أمتى أمتى » .

وفى « صحيح البخارى » من حديث « أبى هريرة » ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما أيوب » يغتسل عرياناً ، خرّ عليه جرادٌ

(١) الآية ٨٨ سورة الزخرف .

(٢) يارب : ما بين المعقوفين وارد بالأصل ولا وجه له .

(٣) الآية ٢٩ من سورة ق .

(٤) ورد فى صحيح مسلم بشرح النووى فى باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات ج ٢ : ٢١٧ — ٢٢٥ (ط المطبعة المصرية ومكتبتها) ، من حديث طويل : حدثنى حرملة بن يحيى التجيبى أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك ، قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فرج سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ... ... ، وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، قال ابن حزم وأنس بن مالك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتى خمسين صلاة ، قال فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى عليه السلام فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال : فراجعت ربى فقال : هى خمس وهى خمسون لا يبدل القول لدى قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربى ...... » .

(ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووى ط : المطبعة المصرية ومكتبتها ١٩٦١ م) .

من ذهب ، فجعل « أيوب » يحتثى فى ثوبه ، فناداه ربه — عز وجل — ألم أكن أغنيتكَ عمَّا أرى ؟ ! فقال : بلىَ يا ربّ ، ولكن لا غنىَ بى عن بركتكَ »[1] رواه « البخارى » ، فى ثلاثة مواضع من كتابه : فى كتاب « التوحيد » وفى كتاب الأنبياء ، وفى كتاب « الطهاره » ورواه فى بعضها من رواية « همام » عن أبى « هريرة » ، وفى بعضها عن « عطاء ابن يسار » عن « أبى هريرة » ، ولكن فى بعض طرقه حذف حرف النداء .

و « فى صحيح مسلم » من حديث « أبى هريرة » ، قال : قال « رسول الله » ﷺ « إن الله طيّبٌ لا يقبَلُ إلا طيّبًا » الحديث . وفيه ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السّماء « يارب يارب » الحديث إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى فيها الإخبار عن المعصوم ، باقتران حرف النداء باسم الله — تعالى — .

وأما الأحاديث التى أولها « اللهم » فكثيرة جداً ، يُعلم ذلك من « كتاب الدعوات » من كتب الحديث المفردة . فى حديث « أبى هريرة » ، فى حديث سَيِّد الاستغفار[2] « اللهم أنتَ ربّى لاَ إلَـهَ إلاّ أنتَ خلقتَنى وأنا عبدُك » . وفى حديث « البراء » فى الاضطجاع[3] « اللهم

---

(١) جاء فى صحيح البخارى ج ١ : ٦١ « باب من اغتسل عريانا » نص الحديث هكذا: عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحتثى فى ثوبه فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ! قال : بلى وعزتك ولكن لا غنى بى عن بركتك . ورواه إبراهيم عن موسى بن عقبة عن صفوان عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال بينا أيوب يغتسل عرياناً .

(٢) من حديث أبى هريرة : سيد الاستغفار : اللهم أنت ربى لا إله أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفرلى لانه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

(زاد المعاد فى هدى خير العباد محمد لابن قيم الجوزية ج ٢ : ١٦ ط المطبعة المصرية ومكتبتها) .

(٣) حديث البراء فى الاضطجاع : عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا إذا أخذ مضجعه من الليل أن يقول : اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، وفوضت أمرى إليك رغبة ورهبة إليك ، لاملجأ ولا منجى

أسلمت نفسى إليكَ ، وفى حديث افتتاح الصلاة[1] « اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » إلى غير ذلك مما لا يُحصى .

[النوع الثالث الإجماع[2]] :

وقد ذكر النحاة : أن الأكثر فى نداء اسم الله — تعالى « اللهم » بالتعويض ، أى بتعويض « ميم » مُشَدَّدة معوضة من « حرف النداء » . ونقل الجمع بين « الميم » و « حرف النداء » ، نحو قول الشاعر : [الرجز]

إنى إذا ما حادثٌ ألمَّا أقولُ يا اللَّهمَّ يا اللَّهما[3]

ففى هذه الأحاديث التى فيها ذكر « اللهم » « حرف النداء » تقديراً وحُكماً . إذ العوضُ فى ذلك أمر معلوم ، لا يَشُكُّ فيه من لَهُ / عقلٌ . ٣٠

قد أجمع عليه كل ناطق من الآدميين صغيرهم وكبيرهم ، عاقلهم ومجنونهم ، مسلمهم وكافرهم ، فِطرةً فطر الله عباده عليها . وهذا أبلغ من الإجماع المعروف عن الأصوليين . إذ الإجماع الأصولى ضمن هذا .

فإن قال بعض المتعنتين ، كيف يتصور الإجماع من الصغير والمجنون ؟

قلنا : المراد بالإجماع التوافق فى الحالة ، فترى الصغير إذا أصابه ضَيمٌ يقول ، يا الله ويارب ، فطرةً وقصداً ضعيفاً ، وترى الكبيرَ

= منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ورسولك الذى أرسلت » قال مات على الفطرة . (صحيح مسلم بشرح النووى ط . المطبعة المصرية ومكتبتها ، ج ١٧ : ٣٤) .

(١) وفى حديث افتتاح الصلاة : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد ، اللهم نقنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .

(زاد المعاد فى هدى خير العباد محمد ج ١ : ٥١ ط . المطبعة المصرية ومكتبتها)

(٢) ما بين القوسين المعقوفين غير موجود بالأصل ، وهو ما يقتضيه السياق والتقسيم .

(٣) فى رواية ورد البيت هكذا : إنى إذا ما حدث ألمّا . أقول ياللهم يا للهما . وهو لأميه بن أبى الصلت ، وزعم العينى أنه لأبى خراش الهذلى .

يقـُـولُ ذلك ، قصداً قويّاً ، فيقعان والحالة(١) والمقصد ، وهو دفع ذلك الضّـيم الحاصل ، وكذلك يقولُ المجنونُ عند الألم والشّـدّة فِـطْرةً ، كما يقوله العاقِلُ قَـصْـداً ، فالعاقلُ يقصدُ التّـبرّكَ به استزادة من الخـير ودَفْعاً لِلشَّـرّ . والمجنونُ يقولـُـهُ فِـطْرة ، والصغيرُ يقوله فطرةً وقصداً ضعيفاً .

[النوع الرابع القياس] . فيقول(٢) فى تركيبه ، جاز اقتران « حرف النّـداء » فى بعض أسماء الله ، وذلك باتفاق من المُـخالِف ، وباتفاق من الناس ، فلْـيَـجُـز فى البقية قياساً شرعياً ، ولُـغَـوياً ، إذ لا فارقَ بين المسألـتين ، وهذا قياسٌ صحيح ، إذ هو حمْـلُ فرع ، وهو الاسم المختلفُ فيه على أصل ، وهو الاسْمُ المتّـفَـقُ عليه فى حكم ، وهو ذكر « حرف النداء » بجامعٍ بينهما ، وهو « النداء » .

[النوع الخامس الاستصحاب] : إن الأصل فى الدلالات اللُّـغوية لا مـدْخل للشـرع فيها وإن الشّـارع ﷺ بُعث لبيان الأحكام الشّـرعية لا اللُّـغـوية ، وما جاز من ذلك لغة ، ومُنع منه شرعاً ، فلِـدليلٍ شرعىّ نقتصر منه على محَـلّ المنـع ، وما كان لغَـوياً ، ودخله حكم شرعىّ ، فإنه يستعمل الحـكم اللُّـغـوى فى موضوعه ، والحـكم الشّـرعى فى موضعه ، وذلك مثل أن يقول القائل : إذا جاء رأس الشهر فعبدى حُرٌ ، فالشرط فيه ، وهو رَبْطُ العتق بمجىء الشّـهر لغوى ، والعتق المعلق على رأس الشهر شرعى .

إذا عُـلم هذا فِمنْ أصْـل اللغة مُـنَـادَاةُ منْ يُـقْـصَـدُ نِدَاؤُه « بحرف النداء » . لم يفرق أهل اللغة فيما بين ذاتٍ وذاتٍ ؛ ولا بين مُـنَـادَى ومُـنَـادَى ؛ فيجب اسْـتِـصْـحابُ هذَا الأصْـل ؛ ويجوز أن ينادى جميع أسماء الله — تعالى — بحرف النداء

(١) هكذا فى الأصل « الحالة والمقصد » .

(٢) فى الأصل : « فيقول فى تركيبه » .

فإن قيل الصحيح أنه لايجوز أن يُسمّى الله — تعالى — إلا بما سمّى به نفسه ؛ فكذلك لا ينادى إلا ما ورد النص به .

قلت : إنّما منع الاسمُ بما لم يرد ؛ لأنّ فى وُرُودِ التسمية إثباتَ صفة الله — تعالى — وصفاته — تعالى — محجوبةٌ عنّا ؛ كما أن ذاته الشريفة محجوبة عنا ؛ فليس لنا إلى ذلك سبيل ؛ إلا بمقدار ما أوقفنا عليه ؛ ولا مدخل للعقل فى ذلك .

وليس كذلك النّداء ؛ فإنّ المقصودَ به ؛ حُصُولُ المعنَى المطلوب ؛ بهذا الحرْف المخصوص ؛ ولا فَرْقَ فى ذلك بين اسْم واسْم ؛ ومُسَمّى ومُسمّى ؛ وهذا مُدْركٌ بديهةً ؛ غَنِىّ عن البيان. بخلاف الأسماء فإنّ منها ما يدلّ على الرّفعة ؛ ومنها ما يدُلُّ على الضّعة ، ومنها الصّادق ومنها الكاذب إلى غير ذلك من أنواعه الكثيرة ؛ وكلُّ ذلك مرجعُه اللغة ؛ ومادخله حكم شرْعىّ فلمعْنىً من المعانى .

فإذا مُنع من تسمية الشخص بالأعمش مثلا ؛ فذلك لمعنىً ؛ وذلك لأن الشرع منع منه ؛ فقال : (ولا تَنابزُوا بالألقاب[1]) دفعًا للضّرر عن الأذى . فالمنعُ من التسمية للأذى ؛ لا لكونه اسمًا فى الجملة؛ لأنه يصحُّ أنْ يُسمّى باسمٍ لايدل على مدحٍ ولاذمٍّ. ولا يصح قياسُ « النداء » على « التسمية » ؛ لما ذكرنا من الفارق. ولا يصّح القياسُ مع وجود / الفارق المؤثر ؛ كما لا يصح إلا مع الجامع المؤثر . ٣١

قلت : وأيضا فالله أمر بالدّعاء بأسمائه الحُسْنى ؛ والأسماءُ جمع مُحلّى[2] ؛ ومُضافٌ فى المعنى فيعمّ ؛ على أن المفرد المضاف يعُمّ على قولٍ ؛ والدّعاء إنّما يحصلُ بالنّداء ؛ والنّداءُ إنما يحصلُ بحروفه الموضوعةِ له ؛ فلو دعا بالبعض — كالله ؛ والرب ؛ مما ورد النّص فيه ؛ وترك البعض مما لم يرد النص فيه ؛ لتعطّل بعضُ المأمور به ؛ مع قيام

---

(١) الآية ١١ سورة الحجرات .

(٢) هكذا فى الأصل .

سبب الفضل ؛ وصار الدّعاء ببعض الأسماء لا بكلّها ؛ وهو تخصيص بلا مخصص ؛ وقصْر للعام على بعض أفراده بلا دليل ؛ وذلك لا يجوز .

وقد ذكر بعض العلماء نكتة حسنة تليق بهذا المقام ، ومعناها ؛ أن الشّرع إذا ورد بإيجاب شيء وسكت عن شيء في معناه فذلك عفوٌ منه ، عمّا سكت عنه ، فهو في معنى النّص في عدم الوُجُوب ، فلا يصحّ إلحاقه به في الوجوب ولا قياسه عليه ، لأن الإيجاب فيما لم يوجبه الله ورسولُه ، مع قيام أسباب الوُجوب ، ابتداعُ شريعةٍ وإحداثُ دين ، انتهى .

وما نحن فيه قريبٌ من ذلك ، فإن الشارع أباح النداء ، بقوله : يا الله ، ويارب ؛ ونحو ذلك مما تقدم النص فيه ، ولم يذكر غيره من الأسماء بتحريم ولا إباحة ، وذلك مع عدم سبب التحريم ، بل مع قيام سبب الإباحة ، وهي الإباحة الأصلية ، والإباحة اللغوية ، والإباحةُ القياسّية ، فتحريم ما سكت عنه تشريعٌ بالتّشهّي .

والآراء الضعيفة ، والعقُولُ السخيفةُ ، فيدخل ذلك في قوله تعالى: (شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ[1]) ، (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ[2]) .

النوع السادس شرع مَنْ قبلنا : ودليله ما تقدم من الآيات ، والصحيح أنه دليل شرعى ، وقيل : دليلٌ إن لم يُنسخ ، أو يُنكر في شرعنا ، وقيل : دليلٌ إن وافق شرعنا . قلتُ : وهذان القولان لا معنى لهما ، لأنّ ما يُنسخُ لا يعمل به ، ولو كان من شرعنا ، وما وافق شرعنا ، فالعملُ به بشرعنا ، ولا حاجة إلى الأوّل . وعلى هذا ؛ فاقتران حرفُ النّداء ثبت في شرعنا من قبلنا وهو حجّة على هذه المذاهب الثلاثة .

---

(١) الآية ٢١ سورة الشورى .
(٢) الآية ٧ سورة الصف .

ومن الأدلة على الإباحة أيضاً : أن هذا مما تعم به البلوى ، وتمس الحاجة إليه ، ويشتهر أمره ، فلو ورد فيه نص بالمنع لذكر واشتهر ، وهذا أمر قطعي أو كالقطعي ، وإنكاره عناد أو جهل مفرط ، وقد علم حكم المسألتين جميعاً ، مما ذكرنا ، والمحل يقتضي بسط الكلام ، ولكن الملل منع منه ، وهذا ما أعان الله عليه من الجواب في هذه المسألة ، والله أعلم بالصواب .

قلت : وقد أجاب شيخ الشيوخ « المحيوى الكافياجي[1] » بارك الله — تعالى — في حياته — عن هذا السؤال أيضاً بقوله : الحمد لله الذي منه الفيض والتحقيق ، أقول وبالله التوفيق ، أسماء الله — تعالى — نوعان : اسمٌ ظاهرٌ ، واسمٌ ضمير ، أما النوع الأول : فيجوزُ إدخالها عليه مقروناً بشرطه قياساً مطرداً عند المتأخرين ، لا سيما في باب النداء ، فإن المراد منه هو مجرد التلفظ بالمنادى ، على ما حُرِّر وفُصِّل في محله ، قال الله — تعالى — : (أَيًّا مَّا تَدْعُو فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[2]) ، وأما النوع الثاني منها : فيجوز إدخالها عليه أيضاً ، لكنه ما وقع ولا اشتهر ولا شاع في اللغة الفصحى ، والأظهر عدم وقوعه ، لأن ما وقع منه نحو : ياهو : فمؤول أو محمول على المنقول أو على/ القول بالتشبيه والمجاز ، والحالة هذه بحسب دلالة هذا المقال ، والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال . ٣٢

---

(١) الكافياجي : جاء في حسن المحاضرة للسيوطي : أنه الكافيجي — بدون ألف — محي الدين ، محمد بن سليمان بن سعد ، ولد قبل سنة ثمانمائة تقريباً ، وله تصانيف كثيرة ، مات سنة تسع وسبعين وثمانمائة .

(حسن المحاضرة للسيوطي ، ج ١ : باب من كان بمصر من أرباب المعقولات ... الخ)

(٢) الآية ١١٠ سورة الإسراء .

(٣) أحمد بن أحمد بن الحسين بن أبي المنصور على بن ظافر بن على الأزدي ، القاضي بهاء الدين بن جمال الدين بن الشيخ العارف صفي الدين ، ولد في شعبان سنة ٦٥١ هـ ، وسمع من جده والرشيد العطار ، وعبد الهادي خطيب المقياس وغيرهم ، وولي القضاء بالديار المصرية ، ودرس بالناصرية ، ومات سنة ٧٢٤ هـ ، سمع منه عز الدين بن جماعة في سنة ٧١٥ هـ

(الدرر الكامنة ج ١ : ٩٩ ، الطبعة الأولى ط . مطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٤٨ هـ) .

وعندى من أجوبة عن بعض الأسئلة المكية فى التاريخ ، ما خشيت التطويل بإيراده ، وإن كان فى معناه بديعاً ، وكذا أثبتُّ فى مصنَّفى المسمى « القولُ المُنْبِى عن ترجمة ابن العربى » كلاماً فى ذلك .

أحمد الانصارى الخزرجى المصرى المالكى

٦٥١ — ٧٢٤ هـ

أحمد بن أحمد بن الحسين بن على بن ظافر بن على البهاء بن الجمال بن الشيخ العارف صفى الدين ابن أبى المنصور الأنصارى الخزرجى الأزدى المصرى المالكى ، ذكره شيخنا فى « الدرر » تبعاً « للتَّقِىّ المقريزى » فى « تاريخ مصر » ، وأنه وَلِىَ القضاء بالديار المصرية ، وحذفه شيخنا من كتابه « رفع الإصر » فأجاد ، فإن هذا من الأماكن التى تصرف فيها « المقريزى » فأخطأ ، لكونه ما اشتغل بالقضاء ، إنما وَلِيَهُ نيابةً ، وقد ترجمه على الصواب « القطب الحلبى » فقال كما قرأته بخطه فى « تاريخ مصر » : إنه فقيه فاضل ، ناب فى الحكم ، وأفتى ، وسمع من « عبد الهادى القيسى » ، وحدّث ودرّس « بالمدرسة الصلاحية المالكية » « بمصر » ، ومات فى العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبعمائة « بمصر » ، ودُفِنَ « بالقَرَافة » .

أحمد بن أحمد الأسيوطى

٨١٣ — ٨٩١ هـ

(*) أحمد بن أحمد بن عبد الخالق بن عبد المحيي بن عبد الخالق ، القاضى ولى الدين بن العدل شهاب الدين بن الشيخ سراج الدين الأسْيُوطى القاهرى الشافعى .

كان عم والده وهو « العز عبد العزيز » أحد أئمة الشافعية وفقهائهم ، وممن درس قديماً فى حياة شيوخه ، كابن « عدلان » ، بحيث كان يذكر أن ممن قرأ عليه شيخ الإسلام « السراج البلقينى » . وقد تفقه به العلامة

(*) الأسيوطى : له ترجمة فى الضوء اللامع ج ١ : ٢١٠ ط . القدسى ١٣٥٣ هـ

« البدر بن الأمانة » ، وأخذ عنه رواية حافظ البلاد الحلبية « البرهان الحلبي » وعرض عليه مسند العصر شيخنا « العز بن الفرات » بعض محافيظه .

وحدثنا عنه بعض من سمع عليه ، ومات فى سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، وممن سمع عليه أيضاً ابن أخيه . والد صاحب الترجمة ، وكان أعنى « الشهاب » خيّراً متعبّداً ، تم له أيضاً سماع من « جُويرية الهكارية »[1] و « عبد الله ابن قيم الكاملية » ، وأخذ عنه وعن أخيه أصحابنا ، وأنجب ولده هذا . فكان مولده فى أواخر سنة ثلاث عشرة وثمانمائة « بالناصرية » ، من القاهرة ، ونشأ بها لحفظ القرآن عند الشيخ « حسن العائلى » « بالسابقية » ، و « العُمْدَة » و « المنهاج » و « جمع الجوامع » و « الألفية » ، وعرض على جماعة منهم « الولى العِراقى » ، « وأحضر[2] » وهو فى الثالثة ؛ يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على « الجمال عبد الله ابن العلاء على الحنبلى سبط « القلانسى » : المجلس الأخير من « السيرة النبوية » « لابن هشام » ، وأوله : ابتداء شكواه صلى الله عليه وسلم . وسمع بعد ذلك على « الوَلى العِراقى » ، ورأيته أثبته بخطه فى بعض مجالس أماليه حين قدومه « القاهرة » الختم من كلّ فى « مسند الشافعى » و « أحمد » و « صحيح مسلم » « بالباسِطية » . وعلى والده وعمه « المجد اسماعيل » فى يوم الخميس ثالث عشر رمضان سنة سبع وثلاثين مجلسين عن « البخترى » و « أبى بكر الشافعى » بسماعهما / له فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، على جُوَيْرية . وعلى « الشهاب القوصى الواسطى » فى سنة ست وعشرين بجامع[3] الأقمر « المسلسل » ونسخه ابراهيم بن سعد ، وكذا فيما يغلب على ظنى جزء « الأنصارى » ، وجزء البطاقة ، لكننى لم أقف الآن على ذلك ، وعلى

٢٣

---

(١) جويرية الهكارية : هى بنت أحمد بن أحمد بن الحسين بن موسك بن موسى ، ويقال لها الهكارية ، أم أبيها . ولدت سنة ٧٠٤ هـ وماتت سنة ٧٨٣ هـ .
(الدرر الكامنة ج ١ : ٥٤٤ ط مطبعة مجلس إدارة المعارف العثمانية بالهند ١٣٤٨هـ)

(٢) هكذا فى الأصل وفى الضوء اللامع للمؤلف « وأحضر »

(٣) الجامع الأقمر : أنشأه الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ (مازال بشارع المعز لدين الله الفاطمى بالقاهرة وتقام به الصلوات . المحققان) و (حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : باب المدارس والخانقاه العظيمة بالديار المصرية) .

« النور التَّلْوَانى[1] فى هذا التاريخ المسلسل » فقط ، وكذا سمع على « الشَّمْس بْن المَصْرى » و « الزَّيْن الزَّرْكشى » ، و « ابن الطحان » ، « وابن بردس[2] » ، « وابن ناظر الصاحبة » ، وغيرهم . وقرأ على « المحب البغدادى » ، « صحيح البخارى » . واشتغل بالعلم ، فأخذ « الفقه » عن « الشرف السّبكى » ، « ولازمه » ، وأذن له فى التدريس ، وكذا أخذ عن « المجْدِ البرْماوى » ، « والشَّمْس الحجازى[3] » : « مختصر الروضة » والوَنَاى ،[4] « والعَلم البُلْقينى[5] » ، واشتهر اختصاصه به ، وحضر دروس « القاياتى[6] » شيخنا ، وجماعة وطرفاً من « العربية » عن « البرماوى » « الأبْناسى[7] » ، وشيخنا « الشهاب الحنَّاوى » ، وفى « الفرائض » عن أبى « الجود البَنبى[8] » وفى « أصول الفقه » عن « الكمال » إمام « الكاملين »

---

(١) التلوانى : نسبة إلى تلوانة وهى إحدى مدن مديرية المنوفية . وعبارة السيوطى وهكذا :—

« وصفقة المنوفية وولا يتها تلوانه وسبك الضحاك والبتنون وشبين الكوم »

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ١٢ ط . مطبعة الموسوعات)

(٢) ابن بردس : هو اسماعيل بن محمد بن بردس بن نصر (الضوء اللامع ج ١١ : ٣٢٧) .

(٣) الحجازى : لم نعثر له على ترجمة .

(٤) الشمس الونائى : هو محمد بن إسماعيل بن أحمد بن القراق الشافعى ، ولد سنة ٧٨٨ هـ ومات سنة ٨٤٩ هـ (حسن المحاضرة ج ١ : ٢٠٧ ط . مطبعة الموسوعات) . وفى الأصل الوناى ، والونائى نسبة لونا من قرى الصعيد بالقرب من بوش (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٣٣) .

(٥) العلم البلقيني : ولد سنة ٧٩١ هـ ومات سنة ٨٦٨ هـ (حسن المحاضرة ج ١ : ٢١٠ .

(٦) الشمس القاياتى : هو محمد بن على بن يعقوب الشافعى . ولد سنة ٧٨٥ هـ ومات سنة ٨٥٠ هـ (حسن المحاضرة ج ١ : ٢٠٨ ط . مطبعة الموسوعات) .

(٧) الأبناسى : نسبة لقرية صغيرة بالوجه البحرى بمصر (الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٢) .

(٨) البنبى : هو دواد بن سليمان بن حسن بن عبيد الله ، أبى زيادة ، أبو الجود ، بن أبى الربيع البنبى ، ثم القاهرى ، المالكى ، البرهانى ، ويعرف بأبى الجود ، ولد سنة ٧٩٢ هـ أو قبلها بقليل جنب من العربية بالقرب من جزيرة ابنى نصر ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن والعمدة والرسالة والمختصر الفرعى ، وألفية بن مالك ، ثم انتقل إلى القاهرة ، ومات سنة ٨٦٣ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٢١١ ط : مطبعة الموسوعات) .

وكذا من شيوخه « السراج الوَرْوَرِىُّ »[١] وآخرون .

وجوَّد « الخط » ، وأوَّل ما تنبَّه تُبَتَت عدالتُه عند شيخنا بشهادة « الشمس بن الريفى » ، و « المَحيَوىُّ الأزهرى » ، لكن استصغره رفقاء والده عن الجلوس معهم بحانوت الزجاجيين على عادتهم فى استثقال من يزاحمهم فى ذلك ، فجلس بحانوت غيره ، حتى تدرّب ، فترقى حينئذ بمباشرة التوقيع بباب « البُلقينى » ، رفيقاً لـ « العزّ بن أبى التائب » ، وتزايدت براعته فى الصناعة بمرافقته .

وأول من استنابه فى القضاء ، « البُلقينى » المذكور ، واستمر ينوب لمن بعده ، غير أنه امتنع من قبول ذلك ، عن « الصَّلاح المَكينىّ »[٢] إلا فيما لا تعلق للأحكام فيه ، وصار من أجلاّء النوّاب ، بحيث إنه كان أحدَ العشرة الذين استقر بهم التقياتى أولا .

وولاه شيخنا أمانة الحكم بأَخرَة . واستقر قبل ذلك فى توقيع « الدست »[٣] فى الأيام البدرية « ابن مزهر » ، واختص بولده ، الذى استقر بعد والده فى الوظيفة ولقبَ بـ « البدر » أيضاً .

وكذا لازم التَّرَدُّد للقاضى « تقى الدّين البُلْقينى » ، وكان يقرأ الدرس عنده ، ثم لولده « الولوى » وناب عنه فى خطابة « جامع

---

(١) السراج الورورى : هو عمر بن عيسى بن أبى بكر بن عيسى ، السراج الورورى ثم القاهرى ، الأزهرى ، الشافعى ، ولد قبيل القرن تقريباً ، ونشأ بالقاهرة ، فحفظ القرآن عند خاله عز الدين ، والعمدة والتنبيه وغيرها ... ، وعرض على الجلال البلقينى وغيره ، مات سنة ٨٦١ هـ .

(الضوء اللامع ج ٦ : ١١٢ ط . القدسى) .

(٢) المكينى : نسبة لمكين الدين ، الصلاح أحمد بن محمد بن بركوت (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٨) .

(٣) الدست : كاتب الدست . هو كاتب الإنشاء ... جاء فى كتاب ديوان الإنشاء :

لقب كاتب الإنشــاء بذلك إضافة إلى دست المملكة وهى مرتبة جلوسه بين يدى السلطان فى المواكب الحافلة بدار العدل ، فيقرأ القصص بعد ما يقرأها رئيسه ، ويوقع عليها بما يأمر به الملك ثم ترفع إلى كاتب السر . (الخطط التوفيقية لعلى مبارك) .

المغربى »[1] بخُط سُويقة المسعودى .

وانتمى لـ « الكمال بن البارزى[2] » ، ولـ « الجمالى » ناظر الخواص ، واختص به كثيراً ، وراج أمره بصحبته ، وتأثّل — فيما يقال — أموالا جمّة ، ووظائف جملة ، من أنظار ، ومباشرات وغير ذلك ، فما علمته من وظائفه الإمامَة « بصهريج مَنجَك[3] » ، وتدريس « الطيبرسيه[4] » بعد موت « الشَّرَف السُّبكى[5] » ، ويقال : أنه كان رغب له عنه فى مرضه قبل ذلك . وبهذا عُورض الشيخُ « شمس الدين الشروانى[6] » ، بعد أن كان عُيّن له ،

( ) جامع المغربى بسويقة العزى : جاء فى الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ٢ : ١٠٠ أنه هو الزاوية المعروفة بزاوية عثمان أغا المغربى .

وهناك جامع مغربى آخر ذكره على مبارك فى ج ٥ : ١٢٢ من الخطط التوفيقية ، وقال عنه إنه فى سوق النحاسة تجاه عطفة الشيشينى على يمين الذاهب من درب سعادة إلى الحمزاوى ، وكان يعرف بجامع الحصى ، وقد تخرب ١٢٩١ هـ فعمره رجل مغربى وزخرفه فعرف باسمه ويذكر على مبارك أنه ربما كان المدرسة الزمامية التى ذكرها المقريزى فى خططه والتى بناها زمام الدار فى عهد الظاهر برقوق سنة ٧٩٧ هـ .

(٢) الكمال بن البارزى : هو محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم ابن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم (بكسر اللام الثقيلة) بن هبة الله بن حسان بن عبد الله ، ابن أحد الثقات من التابعين عطية بن الصحابى الشهير أبى يحيى عبد الله أنيس ، الكمال أبو المعالى بن ناصر الدين أبى عبد الله بن الكمال بن الفخر بن الكمال ويعرف بابن البارزى — (ويقال إنها نسبة لباب أبرز ببغداد) ، مات سنة ٨٥٦ هـ

(الضوء اللامع ج ٩ : ٢٣٦ ط . مطبعة الموسوعات) .

(٣) صهريج منجك : هو صهريج بجامع منجك الموجود تحت قلعة الجبل ، وقد أنشأه الوزير الأمير سيف منجك اليوسفى فى مدة وزارته بمصر سنة ٧٥١ هـ

(الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ٥ : ١٢٣) .

(٤) الطيبرسية : ارجع إلى فهرس المدارس بآخر الكتاب .

(٥) الشرف السبكى : هو موسى بن أحمد بن موسى بن عبد الله بن أيوب ، الشرف الكنانى المقدسى الجاعلى ثم الدمشقى الصالحى ، الحنبلى ، ولد بعد الخمسين وثمانمائة بجماعيل ونشأ بها فقرأ بها القرآن ، ثم تحول منها مع أبيه إلى دمشق سنة ٨٦٠ هـ ، وقدم القاهرة سنة ٨٩٦ هـ

(الضوء اللامع ج ١٠ : ١٧٦ نشر القدسى) .

(٦) الشروانى : نسبة لمدينة بناها أنوشروان محمود باد ، فحذفوا « أنو » تخفيفا . وهو الشمس محمد بن مرهم الدين (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٠٩) .

ومشيخة الجمالية المستجدة بـ « رحَبَةِ[1] العيد » تصوفاً وتدريساً ، بعد صرف القاضى « ولى الدين السَّفْطى » ، واختفائه ، وكاد يُعَدُّ غَبيًّا .

ولما ظهر « السفطى » من اختفائه أعيدت إليه ، ولم يلبث أن مات ، فرجعت إلى الأسيوطى ، وبه تكمل من وليها ممن تلقب «ولى الدين» ثلاثة ؛ « العراقى » ، و « السَّفْطى » ، وهذا .

وتدريس « الفقه » بـ « الجامع الطولونى » ، برغبة « النجم بن قاضى عجلون » ، له عنه ، و « بالمدرسة الناصرية » محل سكنه ، بعد « القاضى أبى / العدل البلقين » ، ونازعه فيه « الصَّلاح المكين » ، فاسترضاه ، ٣٤ وكذا بلغ عن « أبى العدل » إفتاء « دار العدل » ، وبالمسجد الذى جَدَّدَه « الظاهر جَقْمَق » بـ « خان الخليلى[2] » ، عوضًا عن ولد «أبى الخير» الزَّفْتَاوى ، وقراءة الحديث بين يدى السلطان بـ « قلعة الجبل[3] » عوضا عن الشيخ « جلال الدين بن الأمانة » ، والميعاد[4] بـ« جامع الظاهر »

---

(١) رحبة العيد : هى رحبة واسعة كانت أمام الباب الشرقى للقصر الفاطمى الكبير الذى أنشأه جوهر القائد لمولاه المعز لدين الله (وكانت موضع باب النصر الحالى تقريبا ووكالة توصون) (النجوم الزاهرة ج ٤ : ٣٥ ط . دار الكتب) و (الخطط للمقريزى ج ٢ : ٢٣٥) .

(٢) خان الخليلى : هو ذلك الحى المعروف الآن أمام مسجد سيدنا الحسين (رضى الله عنه) وقد سمى باسم جهاركس الخليلى أحد أمراء الظاهر برقوق ، وقد أراد الأمير المذكور بناء خان له فوقع اختياره على تلك المنطقة . وكانت قبوراً للخلفاء الفاطميين فنبش قبورهم وأقام الخان ، وقد قتل ذلك الأمير بدمشق سنة ٧٩١ هـ وتركت جثته نهبا للوحوش وقد قام السلطان الغورى سنة ٩١٧ هـ بهدم هذا الخان وبنى مكانه حواصل وحوانيت وربوعاً وبوابات لم يبق منها الآن إلا ثلاث بوابات تحمل اسمه ، وهذا الحى الآن مشهور بما فيه من عاديات وصناعات دقيقة تجتذب السائحين إليه (المحققان)

(٣) قلعة الجبل : بدأ بناءها صلاح الدين الأيوبى ، وكان المشرف على البناء الأمير بهاء الدين قراقوش وأتم البناء الملك العادل أخو صلاح الدين وسكنها سنة ٦٠٤ هـ وظلت مسكنا للأمراء والملوك حتى عهد الخديوى إسماعيل . حسن المحاضرة للسيوطى) ج ٢ : ٢٧ ، ٣١ ط . مطبعة الموسوعات) و (فنون الإسلام للدكتور زكى محمد حسن : ٦٩٢)

(٤) الميعاد : منصب يشبه منصب المعيد بالجامعة فى الوقت الحاضر ، والمعيد كان عليه سماع الدرس وتفهيم بعض الطلبة ونفعهم (المختار من حسن المحاضرة لمحمد محمود صبح : ١١٦ نشر مكتبة الأنجلو)

بعد شيخنا ، واستمر معه مدة ثم وثب عليه « البقاعي » ، بعناية مخدومه الأمير « بردبك » فاغتصبه ، والنظر على « حسام بن الكويك » بالقرب من بيت « المحب بن الأشقر » بعد شيخنا أيضاً . والإمامة والنظر بالمسجد المجاور « لباب الناصرية » عوضا عن « الشمس بن العطار » أحد المؤذنين بالركاب الشريف . والنظر بـ « الأقبغاوية » و « جامع الست مسكة[1] » و « القبة الآنوكية[2] » بتفويض من القاضي علم الدين ، فمن بعده ، ووقف « الأتابكة بدمشق وغيره» عن عز الدين الناعوري ، ووقف سيدى فتح الأسمر ، بدمياط ، عوضا عن البرماوى وغير ذلك ، مما لا يمكنني الإحاطة به .

ولما مات العلاء القلقشندي ، توجه معه جاره « يحيي العجيسي[3] » إلى « الكمال بن الهمام » ، ليستقر به عوضه فى تدريس «الشيخونية» فقال له : قد أعطيتها لشيخه ، يعني «السراج الورورى » .

وقد درّس قديماً فى حياة الأكابر ، وحضر بعضهم معه ، أجلاساً له ، وتعانى التقسيم فى كل سنة ، وتصدّر فى « الجامع الأزهر » لذلك ، وأشير إليه بالبراعة فى فن التوقيع والتحرى فى الأحكام . فتزايدت بهذه الأوصاف وجاهته ، وارتفعت مكانته ، ودخل فى قضايا كبار ، فأنهاها ، وصمم على التوقف فيما لا يرتضيه شفاها ، وجرت على يديه للجمال المشار

---

(١) جامع الست مسكة : أنشأته الست مسكة (بشارع الحنفي عطفة الست مسكة الآن) وهي جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون ، سنة ٧٤٦ هـ (الخطط التوفيقية ج ٥ : ١١٥)

(٢) قبة الأنوكية : كانت هناك خانقاه بأول القرافة خارج باب البرقية وتخربت أثناء الحكم الفرنسي لمصر ١٢١٣ هـ ، وبنى الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى زاويته المعروفة مكانها وهي المعروفة الآن بزاوية الشيخ الشرقاوى (الخطط التوفيقية ج ٦ : ٤٩) . (ونظن أن المؤلف قصد بقبة الأنوكية قبة هذه الخانقاه المندثرة : المحققان) .

(٣) العجيسي : هو يحيي بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن على بن عمر بن عقيل — بالفتح — بن زرمان بن عنجق (وبفتح أوله وثالثه وسكون النون بينهما) بن يحيى بن أبى القسم ، الشرف الكندى العقيلي . نسبة إلى جده العجيسي وكأنه نسبة لعجيس بن امرىء القيس بن معبد بن معبد بن المقداد بن عمرو الذى سرد نسبه إليه ولكن قال هو : إن مولده بأرض عجيسة . البجائي ، المالكي ، نزيل القاهرة ، ولد سنة ٧٧٧ هـ وتوفى سنة ٨٦٢ هـ .

(الضوء اللامع للمؤلف ج ١٠ : ٢٣١ وما بعدها) .

إليه صدقات وشبها وُثُوقا به، واعتمادًا عليه، وقُصدَ للتوسط عنده فى كثير من المآرب، وترود إليه بسبب ذلك المرتفع والمقارب، فصار إلى اشتهار فى ذلك، وَسَعة وعزّ مُتزايد ورفعة، مع [ما][1] عنده من وُفُور العقل والسُّكُون والتَّواضع المقتضى للركُون، واعتدام[2] الطيش والتبسط فى العيش، والتودد بالكلام، واستجلاب الخواطر فى سائر الأقسام، وحسن المداخلة للكبار والمبالغة فى لطف العشرة معهم، وعدم السلوك لليدس[3] عندهم.

وله مَيلٌ إلى المنسوبين للصَّلاح، المتعاهدين أسباب الفلاح، ورغبة فى الازدياد من زيارتهم، والتطفل على كريم شيمهم وصفاتهم: وحرصٌ علَى ملازمة حُضُور وقت الإمام الشافعى فى كلّ شهر، والتوسل به، فيما يجلب المسرات، ويدفعُ القهر، ومحبة لشهود الجماعات والتعبد، والقيام — فيما بلغنى — للتهجد، وقد حجّ مراراً آخرها فى سنة سبعين[4]، السنة التى حججت فيها.

وكان صحبته ولدَى الجمال المشار إليه بعد موت والدهما، فكان أكبرهما يكرر عليه ما ضيه فى كل يوم، ورجع صحبتهما، فظهر بعد وصوله تحقيق بطلان ما كان أُشيع فى غيبته من وفاته التى كانت سبباً لفشو كثرة جهاته، لامتداد أعين السعاة إليها، وعدم توقفهم عن ذلك، لتثبت المقالة التى تبين أنه لا اعتماد عليها، ولم يلبث إلا اليسير حتى انفصل القاضى « بدر الدين البُلقينى» واضطرب / الأمر فيمن يستقر بعده، وصار ينبز بشيء وعظُمت الرزية على المسلمين بذلك. ٣٥

كما اتفق بعد موت الكمال إمام « الكاملية » فى السعى فى تدريس

---

(١) ما بين المعقوفين ناقصة من الأصل وما أثبتناه من الضوء اللامع .

(٢) فى الضوء اللامع « وعدم الطيش » .

(٣) هكذا فى الأصل وفى الضوء اللامع للمؤلف « ييُبس » .

(٤) هكذا فى الأصل « وقد حج مراراً ... الخ » .

الشافعي سواء، وخطب للقضاء كل من الكمالى المذكور والشيخ الزين زكريا، فأظهرا الإمتناع.

وكذا قيل: إن ممَّن خَطب، خطيبُ مكَّة. الشيخ أبو الفضل النُّوَيْرى[1] وصمَّم على الامتناع. حسبما ذكره «الشهاب بن العينى»[2] والتمس من شيخنا «الأمين الأقْصرائى»، تعيين من يصلُح، فمشى معه «النور بن البُرْقى[3]» فى الثناء على صاحب الترجمة، مع خدمة للسلطان فى الباطن — فيما قيل — مما لم أتحققه، إلى أن استقر فى يوم الخميس سادس عشر جمادى الأول سنة إحدى وسبعين بعد شغور الوظيفة أياما، والإذن لـ «المقر الزينى بن مزهر» فى التكلم، بل وخُطب بالسلطان وفوض لعدد يسير من النوّاب، فحين استقر هذا، ماج بعضهم وهاج، ولم ينته العلاج. فلم يُفده ذلك. ولا التُفتَ لما هنالك.

وممَّن تألم لولايته كثيراً «الشرف المناوى[4]»، خصوصا حين قصده «الولوى» يوم الولاية للسلام عليه بمنزله، ودخله وهو راكب بغلته، مع كون الشرف كان جالسا على الدكة، التى بالرحبة من بيته — فيما بلغنى — فكان التذفيف — عليه مع ما تقدم — كما سيأتى فى ترجمته.

على أن «الجمالى» ناظر الخاص كان قد رام فى حياة «العلم البلقينى» تقديمه لذلك، وراسل الشيخ مدين[5] مع «ابن البُرْقى» فى الإشارة

---

(١) النويرى: بضم، مصغر، نسبة لنويرة (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٣٢)

(٢) الشهاب العينى: نسبة لعين تاب (الضوء اللامع ج ١١ : ٢١٦).

(٣) ابن البرقى: نسبة لبرقة بالقرب من الاسكندرية (الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٩)

(٤) الشرف المناوى: يحيى بن محمد بن محمد، ولد سنة ٧٩٨ هـ، ومات سنة ٨٧١ هـ.

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢١٠).

(٥) الشيخ مدين: هو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن على بن يونس الحميرى المغربى، ثم الأشمونى القاهرى، المالكى، أصله من المغرب من بيت كبير معروف بالصلاح والعلم. انتقل جد والده إلى القاهرة، وسكن أشموم جريس بالغربية، وولد الشيخ مدين فى سنة ٧٨٠ هـ، ومات سنة ٨٦٢ هـ.

(الضوء اللامع ج ١٠ : ١٥٢).

بذلك ليكون وسيلة له فى الأصول لما رامه ، فما وافق الشيخ المذكور وصرح بما لا أُثبتُـه . ويقال : إن بعض المجاذيب بشره بالقضاء قديماً . وباشر الولوىّ على قاعدته الماضى[1] شرحها ، وصار يُراجع فيما لا ينهض بالاستقلال به من « الفتاوى » ونحوها ، وربما تقوى بتضمين فتاوى الموجودين فى بعض الإسجالات عليه بالحكم .

وكان « المناوى » أوصاهُ بالمراجعة يوْم مجيئه للسّـلام عليه — فيما بلغنى — واقتصر على نقيبٍ واحدٍ عاقل ، وتستّـر بعدم أخذه فى التّـعايين . امتثالا لوصيةً قاضيه له بذلك ، ولم يبتكر القاضى أحدا من النوّاب بل أعرض عن استنابة جمع منهم ، سوى من أعرض من قبل نفسه ، ومجموع الطائفتين نحو أربعين نفساً ، ومات فى مدة ولايته منهم إلى جمادى سنة خمس وثمانين من مطلق النـّواب نحو ثلاثين[2] بل صلى هو إلى هذا الحد على أزيد من عشرة أنفس ، ممّن كان يطمع فى القضاء الأكبر ، أو يذكر له ، والمتأخر من النواب إلى الآن نحو الثلاثين ، سوى من ولاة غيره ، أو هو أيضاً ، لكنه معزول ، وهم نحو عشرين ، وخص جماعة ممّـن اختص بهم ، وقدمهم بالأمور المهمة ، كالوصايا وشبهها ، بل وأشياء مما يشغر من الأنظار وغيرها ، ولم يسمح لغيرهم بما يسمح لهم فيه غالباً ، وعلم منه الناس هذا ، فكانوا يسألون فى تعيين أشغالهم عليهم ، وأمْعـَنَ فى تأمّـل المكاتيب ، ودقق فى المشاححَة[3] فى أسماء مستحق أوقاف الحرمين ، لكونه يتولى كتابتهم بنفسه ، لكنه لم يتهيأ له حسن النظر فى الأوقاف المشمولة بنظره ، مع شدة حرصه ، على تعاطى معالم النظر[4] ، بل وما كان باسمه فى مرتبات الصدقات ونحوها قبل ذلك ، حسبما ذكره لى بعض مباشر به ، وكثر الخوض فى جانبه

---

(١) و (٢) هكذا فى الأصل .

(٣) المشاححة — وردت فى ترجمته فى الضوء اللامع للمؤلف ج ١ : ٢١٣ « ودقق فى المساجحة » .

(٤) وردت العبارة فى نفس الترجمة فى الضوء اللامع ج ١ : ٢١٣ « معالم الأنظار » .

٣٦ بسببها ، وكذا بنقص / بضاعته ، وكونه انسلخ مما كان فيه قبيل الولاية من المذاكرة بالعلم فى الجملة ، بحيث اشتهر بذلك عند الخاص والعام ، وهو ثابت لا يتزحزح ، وممسك لا يتسمح ، حتى إنه لم يتفق لكثير ممن أدركناه ، مع جلالتهم فى العلم والبذل ، وسائر الأوصاف ، ما اتفق له من الهناء بالمنصب مدة ، من غير محرك ، هذا مع أن « الظاهر تمربغا »[١] كان قد عزم على تولية غيره ، فعوجل . وأما الأشرف قايتباى ،فإنه أكثر من تمقته والتصريح بحضرته بما يقتضى نسبته ، لنقص البضاعة والمبالغة فى الإعراض عنه ، وتكرر خطبه لـ « الزينى زكريا » فى أوائل الأمر للقبول ، وهو يعتذر ويترقق فى الإعفاء ، واستفيض على الألسنة التنويه بعزله غير مرة ، ورسم على أخيه بسبب وقف « قراقوش » وكذا على غيره من نوابه ، ومباشرته أياماً ، كل ذلك ؛ والمقر الزينى بن مزهر يرقع خلله ، ويرفع علله وتحامى كثيرون عن مقاومته لذلك ، بحيث ان العز الحنبلى الماضى — وناهيك بجلالته — كان ممن قاسى فى جوامكه[٢] التى تحت نظره مالم يألفه ممن قبله ، ولو إلى السلطان بأدنى إشارة لسارع إلى عزله ، ومع ذلك ؛ فلم يزد على أن كتب إلى الزينى المشار إليه برسالة نصها : « الحمد لله المجيب لمن دعاه الملوك تنتهى ، إنه لما ضاق الحال اتسع النكد مع أمهات الأولاد ، فرأى أن من التدبير مكاتبة سيده ، ليحصل له العتق مما هو فيه فقال :

العبد أحمد يشتكى من معشر ولوا ، فزادوا فى الأذى وتعسفوا
قطعوا جوامكه وأوصلك الهنا
والقطع يؤلم للقوى ويضعف

---

(١) الظاهر تمربغا أحد سلاطين المماليك الجراكسة ، وتولى الحكم فترة قصيرة من سنة ٨٧٢ هـ = ١٤٦٧ م (راجع المختار من حسن المحاضرة لمحمد محمود صبح ص : ٢٤٧ نشر مكتبة الأنجلو) .

(٢) الجامكية والجوامك : رواتب خدام الدولة ، تعريب جامكى ، وهو مركب من « جامه » أى قيمة ، ومن « كى » وهى أداة النسبة فى اللغة الفارسية .
(الألفاظ الفارسية المعربة لادى شير : ٤٥ ط . بيروت ١٩٠٨ م) .

وإذا سألت الصرف كان جوابهم
معلوم أحمد كاسمه لا يصرف

لمّا جرى القضاء فى دخول العبد فى القضاء ، كانت معاليمه فى الشهر نحو كذا ، وكان القضاة جزاهم الله خيرا ، يصرفونها كاملة مُيسرة محولة ، وكان فيها سَداد من عوز . وحالنا مع ذلك حال المسكين الذى له موقع من كفايته ، ولا تتم به الكفاية ، ثم جاء هذا الرجل فعاملنا بأقبح المعاملة وأسوئها ، فنحن مع التوسل والترسل ، والتودد والتردد ، والمطالبة والمماطلة ، والحوالة والإحالة ، والرد والوعد ، نصل إلى أقل مطلوب وأيسر مقصود بعد قطع أشهر سماها بعض الناس المُحرّم سُنة مكروهة ، ابتدعها محب فى العادة الندب[1] عند تعديدها ، والحمد لله على كل حال مع أمور كثيرة يشق عدها ، تحتاج إلى شرح كثير ، ونكتفى بهذه العجالة على التنبيه على أحواله .

وما حكاية شىء لاخفاء به   جاء العيان فألوى بالأسانيد

والذى يخص العبد من ذلك ؛ أن له فى « المدرسة الأشرفية العتيقة[2] » وفى « الصالحية » من أول صفر سنة ثلاث وسبعين — يعنى — وإلى صفر سنة خمس وسبعين . وأما « الناصرية والجامع » فعلمهما عند عبدكم بدر الدين ، فإنى أحيله / بها فى نظير مايصرفه فى الاسطبل ، ولا أسأله ، لقوله تعالى : (لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ[3]) ، لكنى أعلم أنها فى السباق . وآخر رمق ، والطاعون إذا وقع عمّ وصار السالم فى حكم المطعون ، فكيف حال من طعن ؟ .   ٣٧

ومما يضاف إلى ذلك أنّ لى وظيفة فى الأنُوكيّة[4] تحت نظره السعيد

---

(١) عبارة المؤلف « فى العادة الندب » .

(٢) المدرسة الأشرفية : تقع بجوار تربة أم الصالح (الأشرف خليل بن المنصور قلاوون) بقرب المشهد النفيسى وقد بنيت كما يفيد النص قبل سنة ٦٩٣ هـ .
(الخطط التوفيقية ج ٦ : ٣) .

(٣) الآية رقم ١٠١ سورة المائدة .

(٤) الأنوكية : سبق التعريف بها .

وقد زال معناها ، وصارت تنفق بعد السنين العديدة شهرين ، ونحن نتوقع النقص ، هذا مع أنى أخذتها بعوض ، وقد قصدت بهذه القصة أمرين : إعلامكم بحسن نظره ، وجميل مباشرته وكمال كفايته ، وإيقافكم على طريقته المُثلى ، وسيرته الحُسنى ، ومآثره الحميدة ، وفضائله العديدة ، ولتقيسوا مالم يُعلم على ماعُلم ، وتَعقلوا حَالهُ مع العَاجز الضّعِيف المسكين ، ومن لايصل إليه ، أو يصل فيسمعه أقبح الكلام ، ويرده أبشع الرد . والثانى : تخفيف الهم ، وتفريج الكرب ، بإظهار الشكوى ، والتصريح بالبلوى ، فقد جرت العادة ، بأن نفثة المصدور تشرح الصدر ، لاسيما لمن يحبه[1] الشاكى ، ويرحم ألم الباكى ، وقد فوضت أمرى فيه إلى العليم الخبير ليحكم فيه بعلمه ، ويقضى فيه بعدله ، ويبغته ببأسه الشديد ، وينزل به ما أنزله من قبل بكل جبار عنيد .

قال : والعذر عن إطالة هذه القضية وإن كانت حرمة مقامكم ، وعظمة هيبتكم تقتضى الاقتصار والإختصار ، فإن الشكوى على حسب البلوى ، والأنين بقدر الألم ، والله يقبل معذرتكم ، ويديم جمال الوجود بدوام دولتكم ، ويبقى نفع الكافة بحراسة مهجتكم مُبلّغة مقاصدها وأمانيها ، مُبلّغة ، آمال قاصدها وراجيها محروسة بالملائكة الكرام ، محفوفة بالسلام والسلام ، انتهى .

واستمر القاضى على حاله إلى أن عزل في صفر سنة خمس وثمانين بسبب شكوى تجار الشرب منه إلى السلطان ، حين أفحش فى حقهم ، فصرح بعزله ، وأظهر الغضب الزائد ، وصمم على عدم عوده ، فتحرك السعاة ، وترجى آخرون ، وأيس هو وغيره من العود ، فقام الأتابك فى شأنه ، « للزينى » المذكور فى تحريكه عمل كبير ، إلى أن أعيد أول يوم من جمادى كما شرحته فى الحوادث مفصلا .

فلما كان فى مستهل رجب من السنة التى تليها ، حين التهنئة ، بكى فى مجلسه بسبب موقفه فى ثبوت شىء يتعلق بـ « الشّهابى بن العَينى » فيما

---

(١) هكذا فى الأصل [لمن يحبه الشاكى] .

يقتضى التوقف وصرح بعزله ، وبعزل المالكى لاشتراكه معه فى السبب ، وبعزل « الزينى بن مزهر » لمدافعته عن هذا ، واستدعى بـ « الزّينى زكريّا » ، فألزمه بالولاية كما سيأتى فى ترجمته .

ورام الترسيم عليه بعمل الحساب ، فكفه المتولى عنه وسأل فى أن يكون ذلك عنده ، فأجيب ، ويقال : إنه أبرز حسابه فلم يظهر فى جهته شىء . وتألم كثيرون بانفصاله بعد مزيد استثقاله ، فمدة ولايته خمسة عشر عاما ، دون شهرين ، وظهر بولاية غيره حسن تصرفه ، ودربته ومزيد سياسته ، وتثبته فى كثير من النواب والمكاتيب ، وترك قبوله هدية حتى ماء زمزم ، ممن يحج حسبما صرح هو للقاضى المتولى قبيل موته ، وقال له : كأنه لما فهم عنه التلميح لِمَ لم تكن تقيل وتثيب ؟ واستمر الثناء عليه فى ازدياد إلى أن مات ، بعد تعلّله مدة طويلة ، فى ليلة الأحد ثانى عشر من صفر سنة ٨٩١ هـ وصلّى عليه من الغد بمصلى باب النصر ، ثم دفن بحوش صوفية سعيد السعداء ، وكثر الثناء عليه ، واشتد الأسف على فقده ، رحمه الله وإيانا .

واستقر بعده أخوه فى الجالية وجُلّ وظائفه بمال ، ورغب عن تدريس جامع طولون وغيره كما كان الطيبر سيّة لأجله .

القاضى الحافظ بن حجر

٧٨٣ — ٨٥٢ هـ

أحمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن على بن أحمد ، شيخى الأستاذ حافظ العصر ، علامة الدهر ، شيخ الاسلام ، حامل لواء سنة سيد الأنام ، قاضى

---

* ابن حجر : جاء فى شذرات الذهب لابن العماد ضمن من توفى سنة ٨٥٢ هـ : أنه شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد ، الشهير بابن حجر الكنانى العسقلانى الأصل المصرى المولد والنشأة والدار والوفاة ، ولد فى ثانى عشر شعبان سنة ٧٨٣ هـ . وجاء فى حسن المحاضرة للسيوطى أن مولده كان فى سنة ٧٧٣ هـ .

(شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى) و (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ١٧٠) .

وجاء فى الضوء اللامع أنه : أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد ، الشهاب أبو الفضل الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى ، ويعرف بابن حجر :

(الضوء اللامع ج ٢ : ٣٦ ط : القدسى ١٣٥٣) .

القضاه، ابو الفضل بن العلامة نور الدين أبى الحسن بن القطب أبى القسم بن ناصر لدين بن جلال الدين الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى .

عرف بـ « ابن حجر » مصنف الأصل، كان أبوه — رحمهما الله — من الأعيان البارعين فى الفقه والعربية والقراءات، والآدب، ذا نظم ونثر، ومكارم وعقل، وديانة، أثنى عليه « ابن عقيل »، « وابن القطان » وغيرهما كا « الولى العراقى »، وناب فى القضاء بعد التوقيع، وأكثر الحج والمجاورة، وصنف وأجيز بالإفتاء والتدريس وتطارح مع « ابن نباته » و « القيراطى »، ومدحه كل منهما وسار قوله :

يارب أعضاء السجود عتقتها من فضلك الوافى وأنت الواقى
والعتق يسرى بالغنى ياذا الغنى فامنن على الفانى بعتق الباقى

وأثكل ولداً له كان قد برع فاشتدّ حزنه عليه، وبشره الشيخ « يحيى الصنافيرى[1] » بأن الله سيعوضه بولد يملأ الأرض علماً، فلم يلبث أن ولد بـ « مصر » ونشأ بها بعد أن ماتت أمه ثم أبوه تحت كنف أحد أوصياء « الزكى الخرُّوبىّ » كبير التجار، فى غاية من العفة والصيانة، ولم يدخل المكتب إلا بعد استكمال خمس سنين، ومع ذلك / فأكمَلَ حفظ القرآن وهو ابن ٣٨ تسع عند الفقيه « صدر الدِّين السّفطى » شارح « مختصر التبريزى ». لكن ما اتفق له أن يصلى به للناس التراويح على العادة إلا بعد ذلك. تُوفى سنة خمس وثمانين بـ « مكة » حيث كان مجاوراً مع « الزكى » المذكور، وكانت الخيرة فى ذلك، وحفظ « العمدة » و « الحاوى الصغير » كأبيه، و « مختصر ابن الحاجب الأصلى » و « المُلحَة » وغيرها وعرضها على العادة .

وأول ما اشتغل بحث « العمدة » على « الجمال بن ظهيرة » وهو بـ « مكة » ثم قرأ على « الصّدر الإبشيطى »[2] شيئاً من العلم، وفترَ عزمُهُ بفقدِ

---

(١) الشيخ يحيى الصنافيرى : هو يحيى بن على بن يحيى الصنافيرى المجذوب، صاحب كرامات ومكاشفات وأحوال خارقة مات فى شعبان سنة ٧٩٢ هـ .
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢١٠) .

(٢) الإبشيطى : بكسر الهمزة . وهو أحمد بن اسماعيل بن أبى بكر بن عمر بن خالد ،=

منْ يحثُّهُ على الاشتغال إلى أن استكمل سبع عشرة سنة ، فلازم حينئذ أحد أوصيائه العلامة « الشمس بن القطّان » فى « الفقه » و « العربية » و « الحساب » وغيرها . وقرأ عليه شيئاً كثيراً من « الحاوى » ، وكذا لازم فى « الفقه » والعربية النّور الأدمى . وتفقه بـ « الأبناسى »[1] بحث عليه فى « المنهاج » وغيره . وأكثر من ملازمته أيضاً بـ « السِّرَاج البُلقينى » ، لازمهُ مُدّةً ، وحضر دُرُوسة الفِقهيّه ، وقرأ عليه الكثير من « الرّوضةِ » ، ومن كلامه على حواشيها ، وسمع عليه بقراءة « الشمس البِرْماوِىّ »[2] ، « مختصر المزنى »[3] . و « ابن الملقن »[4] قرأ عليه قطعة كبيرة من شرحه الكبير على « المنهاج » . ولازم « العز بن جماعة » فى غالب العلوم التى كان يُقرئها من سنة تسعين إلى أن مات فى سنة تسع عشرة .

ومما أخذ عنه فى « شرح منهاج البيضاوى » وفى « جمع الجوامع » و « شرحه » للشيخ ، وفى « المختصر الأصلى لابن الحاجب » والنصف الأول من شرحه للقاضى « عضد الدين » . وفى « المطول » للشيخ سعد الدين ، وفى غير ذلك .

وعلق عليه بخطه أكثر من [شرح][5] « جمع الجوامع » ، وحضر

= الشيخ شهاب الدين الإبشيطى ، كان مولده بأبشيط ، ومات سنة ٨٨٨ هـ (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٥٣) و (الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٢)

(١) الأبناسى : نسبة إلى قرية صغيرة بالوجه البحرى بمصر .
(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٢)

(٢) البرماوى : بكسر الباء وسكون الراء . نسبة إلى برمة من نواحى الغربية .
(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٩)

(٣) مختصر المزنى : يسمى مختصر المزنى فى فروع الشافعية وهو كتاب فى الفقه وقد قام الشيخ شرف الدين المناوى المتوفى سنة ٨٧١ هـ بشرح هذا الكتاب وسماه « شرح مختصر المزنى » .
(المختار من حسن المحاضرة للسيوطى . محمد محمود صبيح نشر الأنجلو .)

(٤) ابن الملقن : هو عمر بن على بن أحمد بن عبدالله ، السراج ، أبو حفص ، بن أبى الحسن الأنصارى الواد ياشى الأندلسى ، التكرورى الأصل ، المصرى الشافعى ، ويعرف بابن الملقن ، ولد فى ربيع الأول سنة ٧٢٣ هـ ومات بالقاهرة ٨٠٤ هـ .
(الضوء اللامع ج ٦ : ١٠٠) و (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٠٦)

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من الضوء اللامع ج ٢ : ٣٧ .

دروس « الهُمام الخُوارَزمى » ، ومن قبله دروس الشيخ « قنبر العجمى » وكذا أخذ عن « البدر بن الطُّنْبُدىّ » ، و « ابن الصاحب » ، و « الشهاب أحمد بن عبد الله البوصيرى »[1] ، وعن « الجمال الماردانى »[2] المؤقّت الحاسب ، وأخذ اللغة عن « المجد الفيروزابادى » صاحب « القاموس » والعربية عن « الغُمارى »[3] . و « المحب بن هشام » والأدب والعروض ونحوها عن « البَدْر البَشْتكى »[4] ، والكتابة عن « أبى على الزفتاوى » و « النور البدماصى »[5] ، والقراءات عن « البرهان التّنُوخى » ، تلا عليه بالسبع إلى المفلحون[6] ، وجوّدهُ قبل ذلك على غيره ، وجدّ فى الفنون حتى بلغ الغاية القصوى ، وحبب الله — عز وجل — إليه فن الحديث النبوى ، فأقبل عليه بكليته .

وأول ما طلب بنفسه فى سنة ثلاث وتسعين ، لكنه لم يُكثر من الطلب

---

(١) الشهاب أحمد بن عبد الله البوصيرى : هو أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل الكنانى ، ولد سنة ٧٦٢ هـ وسمع الكثير ، وعنى بفن الحديث ، وألف وخرج ، مات فى المحرم سنة ٨٤٠ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ١٧٠)

(٢) الجمال عبد الله الماردانى : هو عبد الله بن خليل بن يوسف بن عبد الله ، الجمال الماردانى — نسبة لجامع الماردانى — القاهرى ، الحاسب . كان عارفاً بالميقات والهيئة وكان خيراً ديناً ، انتهت إليه رئاسة علم الميقات فى زمانه ، وكان عارفاً بالهيئة مع الدين المتين ، وله أوضاع وتواليف ، وانتفع به أهل زمانه ، وكان أبوه من الطبالين ، فنشأ هو مع قراء الجوق ، وكان له صوت مطرب ، ثم مهر فى الحساب ، مات فى جمادى الآخرة ، سنة ٨٠٩ هـ (الضوء اللامع ج ٥ : ١٩ ط . القدسى)

(٣) الغمارى : بالضم وتخفيف الميم ، نسبة إلى غمارى من قبائل البربر .
(الضوء اللامع ج ١١ : ٢١٧) .

(٤) البشتكى : نسبة لجامع بشتك الناصرى لمجاورته له . وهو محمد بن إبراهيم بن محمد البدر ، أبو البقاء الأنصارى ، الدمشقى الأصل ، المصرى ، الشاعر ، الشهير ، الظاهرى ، ويعرف بالبدر البشتكى ، ولد سنة ٨٤٨ هـ بجوار جامع بشتك الناصرى ، ونشأ بخانقاه بشتك وكان أحد صوفيتها ، فعرف بالنسبة إليها ، وحفظ القرآن ، وكذا باقى فقه الحنفية ، ثم تحول شافعياً ، مات سنة ٨٣٠ هـ (الضوء اللامع ج ٦ : ٢٧٧)

(٥) البدماصى : نسبة إلى بدماص من الشرقية .

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٩)

(٦) المراد بالمفلحون سورة المؤمنون .

إلا فى سنة ست وتسعين ، فإنه كما كتبَ — رحمه الله بخطه — « رفع الحجاب ، وفتح الباب ، وأقبل العزم المُصمِّمُ على التحصيل ، ووفق للهداية إلى سواء السبيل » .

وأخذ عن مشايخ ذلك العصر ، وقد بقى منهم بقايا ، وواصل الغُدُو والرواح إلى المشايخ بالبواكير والعشايا ، واجتمع بحافظ الوقت « الزين العراقى » ، فلازمه عشرة أعوام ، وتخرج به ، وانتفع بملازمته ، وقرأ عليه ألفيته ، وشرحها . و « نكتة على بن الصلاح » ، والكثير من الكتب الكبار ، والأجزاء القصار ، وحمل عنه من « أماليه » جملة مستكثرة ، واستملى عليه بعضها ، وارتحل إلى البلاد الشامية ، والمصرية ، والحجازية . وأكثر جداً من المسموع والشيوخ ، فسمع العالى والنّازل ، وأخذ عن الشيوخ والاقران فمن دونهم ، واجتمع له من الشيوخ الذين يُشار إليهم / ويُعول فى حل المشكلات عليهم ، ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره ، لأن كل واحد منهم كان متبحراً ، ورأساً فى فنه الذى اشتهر فيه ، لا يلحق فيه .

٣٩

فـ ا ، لتنوخى ، فى معرفة القراءات وعُلوّ سنده فيها ، و « العراقى » فى معرفة علم الحديث ومتعلقاته ، والهَيْثَمى فى حفظ المتون واستحضارها و « البُلقينى » فى سَعَةِ الحفظ وكثرة الاطلاع ، وابن الملقّن فى كثرة التصانيف ، ا والمجد الشيرازى[1] فى حفظ اللغة واطلاعه عليها ، والغُمارى[2] فى معرفة العربية ومتعلقاتها ، وكذا المحب بن هشام كان حسن التصرف فيها ، لوفور ذكائه ، وكان « الغُمارىّ » فائقاً فى حفظها ، و « العز بن جماعة » فى تفننه فى علوم كثيرة بحيث إنه كان يقول : أنا أُقرىء فى خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصرى أسماءها .

---

(١) العبارة فى الضوء اللامع (المجد الفيروزبادى) .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٣٧)

(٢) الغمارى : بضم الغين ، نسبة إلى غمارة من قبائل البربر . وهو محمد بن محمد بن على ابن عبد الرزاق .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢١٧)

وأذن له جلهم أو جميعهم ، كالبُلقينى والعراقى ، فى الإفتاء والتدريس وتصدى لنشر الحديث ، وعكف عليه مطالعة وقراءة ، وإقراء وتصنيفاً وإفتاء ، وزادت تصانيفه التى معظمها فى فنون الحديث ، وفيها من تفوق فى الأدب والفقه وأصوله ، وأصول الدين ، وغير ذلك على مائة وخمسين تصنيفاً ، ورزق فيها من القصد والقبول ، خصوصاً « فتح البارى بشرح البخارى » ، الذى لم يسبق إلى نظيره — أمراً عجيباً — بحيث استدعى طلبه ملوك الأطراف بسؤال علمائهم له فى ذلك ، وبيع بنحو ثلاثمائة دينار .

ولما تمّ لم يتخلف عن الحضور عنده فى وليمة ختمه عن سائر المسلمين إلا النادر ، بحيث كان أمراً يفوقُ الوصف ، بلغ المصروف فى ذلك المهم نحو خمسمائة دينار ، واعتنى بتحصيل تصانيفه كثير من شيوخه وأقرانه ، فمَن دونهم ، وكان مصمما على عدم دخوله فى القضاء ، بحيث إن « الصدر المناوى[1] » عرض عليه قبل القرار[2] قبول النيابة عنه فما وافق ، وقدُرَ أن « المؤيد » ولاّهُ الحكم فى قضية خاصة ، ثم ألحّ عليه القاضى « جلال الدين البلقينى » ، وكان بينهما مزيد اختصاص حتى ناب عنه ، وجرّ ذلك إلى النيابة عن غيره ، لكنه لم ينتدب له ، ثم عرَض عليه « القضاء الأكبر » ، فاستقر فيه فى يوم السبت ثانى عشرى المحرم سنة سبع وعشرين بعد انفصال القاضى « علم الدين » الآتى ، وعمل تقليده حينئذ « التقى بن حجّة » كما هو فى « قهوة الإنشاء » ، وفيه ما يُشعر بأنه عرض عليه ذلك فى كلٍّ من الأيام المؤيدية ، والظاهرية — ططر[3] — فما تيسَّرَ إلا فى الأيام الأشرَفية ، وتزَايدَ ندَمُ شيخنا على قبُوله وظيفةَ القضاء ، لكون أرباب

(١) المناوى : نسبة إلى قرية من أعمال الجيزية تسمى منية القائد . وهو الصدر ، محمد ابن الشرف إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٨)

(٢) ورد فى الضوء اللامع (القرن) [أنظر الترجمة] .

(٣) يقصد المؤلف أن منصب القضاء قد عرض عليه فى أيام السلطان المؤيد شيخ ، وأيام السلطان الظاهر ططر ، وططر هو أحد سلاطين المماليك البرجية تسلطن على مصر سنة ٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م .

(المختار من حسن المحاضرة للسيوطى : ٢٤٦)

الدّولة لا يُفرّقونَ بين أولى الفضل وغيرهم ، ويبالغون فى اللوم حيث رُدّت إشاراتهم ، وإن لم تكن على وَفق الحق ، بل يعادون على ذلك .

واحتياج القاضى بسببه إلى مداراة الكبير والصغير ، بحيث إنه لا يمكنه مع ذلك القيام بكل ما يرومه[1] على وجه العدْل ، وصرّح بأنه جنى على نفسه بتقليد أمرهم ، وأن بعضهم ارتحل للقائه .

وبلغه فى أثناء توجُّهه تلبسه بوظيفة القضاء فرجع ، ولم يلبث أن صُرِف قبل استكمال سنة ، وذلك فى الثامن أو السبع من ذى القعدة بـ « الشمس الهرَوِى »[2] ، ثم أُعيد فى ثانى شهر رجب سنة ثمان وعشرين وكان — كما قاله « المحِبُّ البغدادى ، عالم الحنابلة وقاضيهم — : يوماً مشهوداً وحصل للناس سروران عظيمان ، أحدهما بولايته ، لأن محبّته مغروسة فى قلوبِ الناس ، والثانى بعزل « الهرَوِى » إلى آخر كلامه . وزيد فى تقليد فى هذه الولاية والبلاد الشامية ، حيث يقال : قاضى القضاة بـ « البلاد المصرية ، واستمر ذلك له / ولكل من ولِىَ من تاريخه . ٤٠

ونازع القاضى « نجم الدين بن حجى[3] » شيخنا فى هذه الولاية ، إذ سعى عليه جَهْده ، لكنه لم يتمم له أمر ، واستمر فى وظيفته إلى أن صُرف بعد أربع سنين ، ودون[4] ثمانية أشهر ، فى يوم الخميس سادس عشرى صفر سنة ثلاث وثلاثين بالقاضى « علم الدين » ، ثم أعيد فى سادس عشرى جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين ، وفُوض شيخنا فى هذه الولاية تبعاً لمرسوم السلطان للقاضى « علم الدين » ، نظر « جامع طولون » ،

---

(١) العبارة فى الضوء اللامع : « بكل ما يرومونه على وجه العدل »

(٢) الشمس الهروى : هو محمد بن عطاء الله بن محمد ، واختلف فيمن بعده فقيل أحمد ابن محمود بن الإمام فخر الدين محمد بن عمر وقيل محمد أحمد بن فضل الله بن محمد ، الشمس أبو عبد الله بن أبى الجود وأبى البركات ، الرازى الأصل ، الهروى ، ولد بهراة سنة ٧٦٧ هـ واشتغل فى بلاده حنفياً ثم تحول شافعياً ، واتصل بتمرلنك على هيئة المباشرين ثم حصل له منه جفاء فتحول إلى بلاد الروم ثم قدم القدس سنة ٨١٤ هـ ، وقدم القاهرة سنة ٨١٨ هـ ، مات بالقدس سنة ٨٢٩ هـ (الضوء اللامع ج ٨ : ١٥١) .

(٣) هكذا فى الأصل « نجم الدين بن حجى »

(٤) هكذا فى الأصل « ودون »

و « الناصرية » ، واستمر شيخنا فى القضاء ست سنين وأزيد من أربعة أشهر ، ثم صرف ، وذلك فى يوم الخميس خامس شوال سنة أربعين بالمذكور ، ثم أُعيد فى سادس شوال سنة إحدى وأربعين فلما كان التاسع من شهر ربيع الآخر من السنة التى تليها عند قراءة تقليد « الظاهر جَقْمَق »[1] بالقصر ، جرى كلام يتعلق بالقضاة ، فقال شيخنا : « عزلت نفسى » فقال له السلطان : « أعدْتُك » فَقَبِل . وخلعَ عليه وعلى رفقته ، ورسم حينئذ بإعادة الأوقاف التى كانت خرجت قبل . وهى وقف « قراقوش » فى ولاية « الولى العِراقى » و « يَلْبغا التُّركمانى »[2] ، وإلاَّ سرى[3] ، كلاهما فى ولاية ابن « البُلقينى » و « الطَّيْبرسيَّة » المجاورة بـ « الجامع الأزهر » فأُعيد ذلك كله بتوقيع جديد ، ووَقَّع الأشهاد على السلطان بذلك ، فى أول جمادى الأولى حين التهنئة بالشهر بحضور القضاة ، وأكد عليه فى ألا يقبل رسالة [متجوه][4] ، ولا يؤجِّر وقْفاً لذى جاه لسؤاله له ، فى التأكيد عليه بذلك ، لينتفع به فى الوصول إلى غرض الحق ، فما أحسنَ ذلك لو تمّ .

فلما كان المحرم سنة أربع وأربعين ، عين السلطان للقضاء الشيخ « شمس الدين الوَنائى » بعد أن أرسل لشيخنا أن لا يخطب يوم الجمعة ، فخطب به أول صفر القاضى « بُرهان الدين بن الميلق[5] » ثم لم يتم لـ « الونائى » أمر ،

---

(١) الظاهر جقمق : هو جقمق ، الظاهر ، أبو سعيد الجركسى ، العلائى ، نسبة للعلاء على بن الأتابك إينال اليوسفى لكونه اشتراه من جالبه إلى مصر الخواجه « كذلك » وهو صغير ، مات سنة ٨٥٧ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٧١) .

(٢) يلبغا التركمانى : هو يلبغا التركى الجاركسى ، نسبة لجاركس القاسمى المصارع ، صار خاصكياً بعد موت المؤيد ، فلما تملك الظاهر جقمق قربه لكونه من مماليك أخيه ، وأنعم عليه بإمرة عشرة ، وصيره من رؤوس النوب ، ثم ولاه رأس نوبة ولده الناصرى محمد ، مات سنة ٨٥٨ هـ (الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٨٨)

(٣) « وإلا سرى » هذه عبارة المؤلف .

(٤) « متجوه » . نعتقد أنها إما أن تدل على أصحاب الوجاهة والرياسة ، وإما أن تدل على أدعياء الوجاهة (المحققان)

(٥) ابن الميلق : هو إبراهيم بن أحمد الميلق بن محمد بن عبد الواحد ، القاضى برهان الدين ابن الخطيب ، البدر النجمى ، الحسينى ، نسبة لجده له ، القاهرى ، الشافعى ، الشاذلى =

وأعيد شيخنا إلى وظيفته ، بسفارة تلميذه « الناصر بن محمد بن السلطان » في يوم الإثنين سادس عشرى الشهر المذكور ، وكان يوماً مشهوداً .

ووقعت قضية ، وأظنها في هذه الولاية وهي : « أن السلطان قرر بعض الأمراء في شيء من الأنظار ، التي كان استرجعها شيخنا ، وجاءه الرسول عن السلطان ، بأنه إن لم يجب لذلك وإلاّ ... وسكت الرسول ، فبادر بعزل نفسه ، وقال : عثر الحمار كان بشهوة المكارى »[1].

ثم صُرف في يوم الإثنين ، خامس عشر ذى القعدة ، سنة ست وأربعين ، وروسل بالاجتماع بالسلطان ، فاجتمع به يوم الخميس بعد يومين فبيّن عُذره فيما كان نُسبَ إليه ، فعذره ، وأعاده إلى الوظيفة ، بعد أن كان قد صمّمَ على عدم القبول من أول يوم ، لكن أشار عليه المالكى — وهو من تلامذته — بخلاف ذلك ، حفظاً لما زَعَمَ ، لماله وولده وعرضه ، فقبل حينئذ .

فلما كان في يوم الإثنين رابع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ، لبس خلعة الرّضا ، لكون السلطان كان قد عزله ، في اليوم الماضى ، وقُدِّر بعد ذلك في ليلة الجمعة ، الثامن من المحرم سنة تسع وأربعين ، سقوط المنارة التي بالفخرية القديمة ، في سويقة الصاحب ، وهى مدرسة قديمة جدًّا ، من إنشاء الفخر عثمان بعد الستمائة ، ولها ذكر في « التكملة » للمنذرى ، في سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وكانت المئذنة قد مالت قليلا ، فحذّر السكان بالربع المجاور لها ، وهو من جملة أوقافها ، فتهاونوا في ذلك إلى أن سقطت بالعُرْض[2] على واجهة المدرسة ووجه الربع ، فنزل بعض / على بعض ، وهلك تحت الردم جماعة ، فاجتمع الوالى والحاجب ، ٤١

=ويعرف بابن المباق ، ولد في رمضان سنة ٧٨٤ هـ بالقاهرة ، ونشأ بها فحفظ القرآن وسمع دروس ابن الملقن والبلقينى والقناوبى .. مات سنة ٨٦٧ هـ
(الضوء اللامع ج ١ : ٩)

(١) هكذا وردت العبارة في الأصل « عثر الحمار كان بشهوة المكارى »

(٢) الضبط في الأصل « بفتح العين »

واستخرجوا كثيراً من الأموات والأحياء ، كل منهم مصاب بيد أو رجل أو ظهر ، فبلغ ذلك السلطان فتغيظ منه ، وطلب الناظرَ على المدرسة وهو أمين الحكم ، وأحد النواب « نور الدين القليوبى » فتغيظ عليه ، وظن أنه ينوب فى ذلك عن صاحب الترجمة ، إلى أن انكشف الغطاء بأنه ليس له فى ذلك ولاية ولا نيابة ، ولا عرف بشىء من ذلك منذ ولى إلى تاريخه ، لكن انتهز الأعداء الفرصة وأوصلوا إلى السلطان أن صاحب الترجمة يتبجح بأنه كان أصلا عظيما فى استقراره فى السلطنة ، وأنه ينسب السلطان إلى الظلم ونحو ذلك ، بل ألقوا فى أذنه أنه التمس من رفيقه القاضى الحنفى أن ينفذ ما يصدر منه من الحكم بخلعه ، فازداد غضبه وراسله بالعزل فى يوم الإثنين حادى عشر الشهر المذكور ، بعد استكمال سبع سنين ، وأزيد من ثلاثة أشهر ، وأن يغرم دية الموتى ، وأخذ فى مُقاهرته حتى أخرج عنه نظر « البَيْبَرْسِيَّة » ومشيختها ، واستدعى فى يوم الخميس رابع عشرة بـ « الشيخ شمس الدين القاياتى » لتقليد القضاء ، فأجاب بعد أن اشترط شروطاً ، وهرع الناس للسلام عليه وعلى صاحب الترجمة ، بل سلم كل واحد منهما على الآخر بمنزله ، وأنشد شيخنا إذ ذاك قول بعض الشعراء : [مديد]

عندى حديثٌ ظريفٌ بمثلهُ يُتَغَنَّى
من قاضيَيْن يعزى هذا وهذا يُهَنَّى
فذا يقول أكرهونا ، وَذَا يقولُ استرحْنَا
ويكذبان ويهزى بمن يُصدِّق مِنَّا

ثم أعيد فى يوم الإثنين خامس صفر سنة خمسين بعد موت « القاياتى » بسبعة أيام ، ثم انفصل فى أواخر ذى الحجة منها ، ثم أعيد فى يوم الإثنين فى ثامن شهر ربيع الثانى سنة اثنين وخمسين بعد « الولولى السفطى » ، ثم انفصل بعد سبعين يوما ، فى خامس عشر جمادى الثانى من السنة بابن البلقينى ، وأقلع شيخنا حينئذ عن المنصب ، وزهد فيه زهدا تاما ،

من كثرة ما توالى عليه من الأنكاد والمحن بسببه ، ومدة ولايته فى المرار كلها تزيد على إحدى وعشرين سنة ، وقد ذكرت شيئاً من قضاياه ومحنه فى كتابى « الجواهر والدرر » .

ودرّس فى أماكن كالتفسير بـ « الحسنية » و « المنصورية » ، والحديث بـ « البيبرسيّة » و « الجماليّة المستجدة » و « الحسنيّة »[١] و « الزينبيّة » و « الشيخونيّة » ، و « جامع طولون » ، و « القبّة المنصورية » والإسماعُ بـ « المحمودية » ، والفقه بـ « الخروبية البدرية » بـ « مصر » و « الشريفية الفخرية » ، و « الشيخونية » و « الصالحية النجمية » و « الصلاحية » المجاورة للشافعى ، و « المؤيدية » .

وولى مشيخه « البيبرسيّة » ، ونظرها ، والافتاء بـ « دار العدل » والخطابةُ بـ « جامع الأزهر » ثم بـ « جامع عمرو » ، وخزن الكتب بـ « المحمودية » ، وأشياء غير ذلك مما لم يجتمع له فى آن واحد ، وفى بسط ذلك طول ، ولكنه — بحمد الله — مبين فى « الجواهر والدرر » بيانا شافيا .

---

(١) المدرسة الحسنية (أو مسجد السلطان حسن الآن) : شرع فى بنائها السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٥٧ هـ وكان فى موضعها قصر ودور واسطبلات وقد قال المقريزى فى وصفها :

« لا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هـذه المدرسة فى كبر قالبها ، وحسن هندامها ، وضخامة شكلها . قامت العمارة فيها مدة ثلاث سنين لا تبطل يوماً واحداً ، وقد أنفق السلطان فى بنائها أموالا طائلة حتى قال يوماً : لولا أن يقال : إن سلطان مصر عجز عن إتمام البناء لتركت بناءها من كثرة ما صرف . وتتكون هذه المدرسة من إيوانات أربعة يتوسطها صحن به قبة خشبية مقامة فوق الميضأة . وقد أراد السلطان أن يقيم أربعة مآذن لها فتمت ثلاث ، ثم سقطت التى فوق الباب سنة ٧٦٢ هـ . وتبلغ مساحة هذه المدرسة بما فى ذلك القبة الملاصقة للواجهة الشرقية قرابة الفدانين ، ويحيط بالصحن أربع مدارس للمذاهب الأربعة كل مدرسة منها تتكون من إيوان وصحن . ولم يقتصر استعمال هذه المدرسة على إقامة شعائر الدين بل اتخذها الثائرون فى مناسبات متعددة كقلعة كما حدث سنة ٧٩١ هـ حين نصبت على سطحها المدافع وضربت بها القلعة (وموضعها الآن أمام مسجد الرفاعى بميدان صلاح الدين بحى القلعة) .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٦٢) و (الخطط التوفيقية ج ٤ : ٨٣ — ٨٤) و (النجوم الزاهرة ج ١١ : ٣٢٤)

وأملى ما نيف على ألف مجلس من حفظه، واشتهر ذكره، وبَعُد صِيتُه، وارتحل الأئمة إليه، و[تَبَجح][1] الفضلاء للوفود عليه، وكثرت طلبته حتى كان رءوس العلماء من كل مذهب تلامذته، ولم يجتمع عند أحد مجموعهم، وقَهرَهم بِذَكائه، وشفوف نظره، وسُرْعَةِ إدراكه / واتِّسَاع نَظَره، وَوُفُور آدابه، وامْتَدَحَهُ الكِبارَ، وتَبَجَّح فُحُول الشُعراء بِمُطَارَحته، وطَارت فتاواه — التى لا يمكن دخولها تحت الحصر — فى الآفاق، وانتشرت تصانيفه فى حياته، وأقرأ الكثير منها، رتهادتها الملوك، وكتبها الأكابر، وحدث بأكثر مروياته خصوصاً المطولات منها، مع شدة تواضعه، وحلمه وبهائه، وتحريه فى مأكله ومشربه، وملبسه وصيامه وقيامه، وبذله وحسن عشرته، ومزيد مداراته ولذيذ محاضراته، ورضى أخلاقه، وميله لأهل الفضائل، وإنصافه فى البحث، ورجوعه إلى الحق، وخصاله التى لم تجتمع لأحد من أهل عصره، وقد شهد له القدماء بالحفظ والثقة والأمانة، والمعرفة التامة والذهن الوقاد، والذكاء المفرط، وسعة العلم فى فنون شَتَّى .

٤٢

وشهد له شيخه العراقى بأنه أعلم أصحابه بالحديث :

« وقال كل من « التقى الفاسى » و « البرهان الحلبى » : ما رأينا مثله » .

وسأله « الأمير : تَغْرى بَرْمَش »[2] ، أرأيت مثل نفسك ؟ . فقال : قال الله (فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ)[3] .

ومحاسنه جمة ، وما عسى أن أقول فى هذا المختصر ، أو من أنا حتى يعرف بمثله ؟ خصوصاً وقد ترجمه من الأكابر فى التصانيف المتداولة

---

(١) هكذا فى الأصل « وتبجح » ، وفى الضوء اللامع ج ٢ : ٣٩ « وتبجح الأعيان » .

(٢) هو تغرى برمش ، سيف الدين الجلالى الناصرى ثم المؤيدى الحنفى نائب القلعة بالقاهرة ويعرف بالفقيه .

(الضوء اللامع ج ٣ : ٣٣)

(٣) سورة النجم ، الآية رقم ٣٢

بالأيدى « التقى الفاسى » فى كتابه « ذيل التقييد » و « البدر البشتكى »[1] فى طبقاته للشعراء ، و « التقى المقريزى » فى كتابه « العقود الفريدة » ، و « العلاء بن خطيب الناصرية » فى « ذيل تاريخ حلب » و « الشمس بن ناصر الدين » فى « توضيح المشتبه » ، و « التقى بن قاضى شهبة »[2] فى تاريخه ، و « البرهان الحلبى » فى بعض مجاميعه ، و « التقى بن فهد المكى » فى « ذيل طبقات الحفاظ » ، و « القطب الخيضرى » و غيره فى « طبقات الشافعية » ، وجماعة من أصحابنا فى معاجمهم ، وكفى بذلك فخراً ، وتجاسرت فأفردت له ترجمة حافلة لا تفى ببعض أحواله فى مجلد ضخم أرجو — كما شهد به غير واحد — أن يكون غاية فى بابها ، سميتها « الجواهر والدرر » ، وقد قرأت عليه الكثير جداً من تصانيفه ومروياته ، بحيث لا أعلم الآن من يشركنى فى مجموعها ، ولو سردت أسماء ذلك لكان شيئاً عجباً ، وبعضه من تصانيفه ما لم أُسبَق إليه .

ومما كتبته منها « شرح البخارى » ، و « مختصر التهذيب » و « اللسان » و « تعجيل المنفعة » ، و « النكت الطراف » و « إتحاف المهرة » و « أطراف مسند أحمد » و « مختصر مسند الفردوس » و « زهر الفردوس » و « الإصابة » و « المشتبه » ، و « تخاريج الرافعى » و « ابن الحاجب » و « المصابيح » و « الكشاف » ، و « الدرر الكامنة » ، و « أبناء الغمر » ، و « رفع الإصر » و « معجم شيوخه » ، و « فهرست مروياته » ، إلى غير ذلك مما يفوق العد ، والكثير منها كتبته أكثر من مرة .

وكان — رحمه الله — يودنى كثيراً ويُنوِّه بذكرى فى غيبتى ، مع صغر

---

(١) نسبة لجامع بشتك الناصرى لمجاورته له كما سبقت الإشارة إليه .
(الضوء اللامع ج ١١ : ١٩٠)

(٢) ابن قاضى شهبة : هو أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب ابن محمد بن ذوايب بن مشرف ، التقى بن الشهاب بن الشمس بن النجم بن الشرف الأسدى ، الشهبى ، الدمشقى ، الشافعى ، ويعرف بابن قاضى شهبة ، لكون النجم والدجده أقام قاضياً بشهبة السوداء ٤٠ سنة ، ولد فى سنة ٧٧٩ هـ بدمشق ، ومات فى سنة ٨٥١ هـ .
(الضوء اللامع ج ١١ : ٢١)

سنى وحمارتى ، حتى قال كما بلغنى : ممن أخذت خطه عندى وهما اثنان ؛ أحدهما من علماء الحنفية ، والآخر : من علماء المذهب ، ليس فى جماعتى مثله .

وكتب لى تقريظاً على بعض تصانيفى ، وأذن لى فى الإقراء والإفادة بخطه ، ولم يزل — رحمه الله — على جلاله وعظمته فى النفوس ، ومُداومته على أنواع الخيرات إلى أن توفى فى أواخر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . وكان له مشهد لم يرَ من حضره من الشيوخ فضلا عمن دونهم مثله ، وشهد السلطان فمن / دونه الصلاة عليه بـ « سبيل المؤمنى » ، وقدّم الخليفة ٤٣ لذلك ، ودفن تجاه « تربة الديلمى » بالقرافة ، ولم يخلف بعده فى مجموعه مثله ، ورثاه غير واحد — رحمه الله وإيانا — ومن نظمه مما قرأت عليه ، وسمعته منه غير مرة قوله : [طويل]

لقد بشر الهادى من الصحب زمرة ... بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد ، زبير ، سعد ، طلحة ، عامر ، ... أبو بكر ، عثمان ، ابن عوف ، على ، عمر

قلت : عملهم فى بيت « المحب أبو الوليد بن الشِّحنة » كما سيأتى ، وما علم شيخنا بذلك ، أو تأخر عمل المحب لهما عنه ، فإننى سمعته يقول : إنه لم يسبق لى ذلك فى بيت مفرد .

وقوله : [السريع]

وقائلٍ هل عملٌ صالح ... أعددْتَهُ يدفع عنك الكُرَب
فقلت : حسْبِي خدمَةُ المصطفى ... وحبّه فالمرء مع من أحبْ

وقوله : [طويل]

يقول حسودى إذْ مدحتُ محمّدا ... ليشفعَ لى ، هل أنت بالشّعر واصلُ
وهلْ لكَ عندَ المصطفى من وسيلةٍ ... وهل أنت مستَجدٍ؟ فقلتُ وسائل

وقوله : [طويل]

دع الذم للدنيا فكم من مُوفَّق ... يقول وقد لاقى النعيم بجنّتى[1]
حياتى لو مُدّت لزادت سعادتى ... فياليت أيامى اطيلت ومدّتى

---

(١) جاءت فى الأصل « بجنة » .

وقوله : [كامل]

يا ربّ ذكّرنى فقد قدرتنى من يوم مبدأ نشأتى نشاءَ
وإذا خطوتُ إلى الخطا فاغفرهُ لى كرماً فأنت خلقتنى خطّاءَ

وقوله : [رمل]

إنما الأعمال بالنيات فى كلّ أمر أمكنت فرصته
فانو خيراً ، واعمل الخير فإنْ لم تطقهُ أجزأتْ نيّتُه

* * *

شهاب الدين الدميرى*

أحمد بن محمد بن تقى الدين الدميرى ، الفوى ، القاهرى ، المالكى

٨٠٥ — ٨٤٢ هـ

أحمد بن محمد بن أحمد بن على الشيخ شهاب الدين الدُّميرى ثم الفُوىّ ، القاهرى ، المالكى ، ابن أخت القاضى تاج الدين بَهرام ، ويعرف بابن تَقِى بفتح الفوقانية ثم قاف مكسورة ، نسبة للقب بعض أجداده « تَقِى الدين .

وُلد بـ « فوة » فى سنة خمس وثمانين أو قبلها ، أو بعدها ، وانتقل إلى القاهرة فى صغره مع والده ، فحفظ بها القرآن ، و « الموطأ » ، و « العمدة » ، و « ابن الحاجب الفرعى » ، و « الأصلى » ، و « ألفية النحو » ، و « التلخيص » وغيرها .

ومحمد قرأ عنده « الشهاب أحمد القرافى »[1] ، والد « الشمس »

(*) الدميرى : له ترجمة قصيرة جدا فى . (الضوء اللامع ج ٢ : ٢٥٦)

وقد جاء فى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى : أنه كان ينتسب لأمه ، ولا ينتسب لأبيه ويكتب فى الفتاوى وغيرها « أحمد بن أخت بهرام » (شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ج ٧ : ٢٤٢

(١) الشهاب القرافى : هو أحمد بن عمر بن شرف الشهاب القرافى ثم القاهرى ، المالكى ويعرف بابن قومة .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٥٤)

الشهير ، وعرض على جماعة منهم « التقى الزبيرى » ، و « ناصر الدين الصالحى » ، والطبقة ، وأقبل على الاشتغال والتحصيل ، وتفقه بخاله ، وبـ « الشمس بن مكين » ، و « عبد الحميد الطرابلسى المغربى » ، وآخرين .

وأخذ العربية عن « الغمارى » ، و « الأصلية » عن « الشمس البِساطى » ، وكذا أخذ أصول الدين بـ « حلب » عن « سعد الدين الهمذانى » ، و « العروض » بـ « دمشق » ، عن « محمود الأنطاكى » ، وسمع على « الجلادى » ، « الشفا » لـ « عياض » . وعلى « التنوخى » و « ابن أبى المجد » ، و « الزين العراقى » ، و « النجم البالسى »[1] و « التقى الدجوى » ، وآخرين وبعض ذلك بقراءته ، لكنه لم يكثر ، واشتهر بقوة الحافظة بحيث كان فيها من نوادر الدهر ، يحفظ الورقة بتمامها ، من « مختصر ابن الحاجب » من مرتين أو ثلاثة . تأملا بدون درس على جارى عادة الأذكياء غالباً . بل بلغنى أنه حفظ سورة « النساء » فى لوحين ، و « العمدة » فى ستة أيام ، و « الألفية » فى أسبوع . وأن « السِّرَاج عمر الأسوانى »[2] أنشد قصيدة مطولة من إنشائه ، وكررها مرة أو مرتين ، فأحب صاحب الترجمة إخجاله ، فقال له : إنها قديمة ، فأنكر « السِّرَاج » ذلك ، فبادر « الشِّهاب » وَسَرَدَها من حِفْظه ، فكانت نادرة .

واتفق أن بعض شيوخه — كما بلغنى — سأله فى ليلة عيد هل يحفظ فيه خطبة رجاء استنابته فيها ، فقال له : / لا . لكن إن كان عندك نسخة بخطبة فأرينيها ، حتى أمرّ عليها ، فأخرج له خطبة فى كراسة بأحاديثها ومواعظها ، على جارى خُطب العيد ، فتأملها فى دون ساعة ، ثم خطب بها .

٤٤

---

(١) النجم البالسى : هو محمد بن محمود بن محمد بن أبى الحسين بن محمود بن أبى الحسين ابن الشمس الربعى البالسى ، ثم القاهرى ، الشافعى ، والد عبد الرحيم ومحمد ، ويعرف بالبالسى ، ولد سنة ٧٥٤ هـ ، وتوفى سنة ٨٥٤ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٤٤)

(٢) الأسوانى : هو عمر بن عبد الله بن عامر بن أبى بكر بن عبد الله ، السراج ولقبه بعضهم « الزين الأسوانى » ، القاهرى ، الشاعر ، ولد بأسوان سنة اثنتين وستين وسبعمائة ومات سنة ٨٢٦ هـ .

(الضوء اللامع ج ٦ : ٩٥)

ولم يزل مُجِداً في العلوم حتى برع وتقدم باستحضار الفقه، وأصوله، والعربية، والمعاني، والبيان، والمشاركة في جميعها، مع فصاحة ومعرفة الشروط والأحكام، وجودة الخط، وقوة الفهم، والنظم الوسط، والاستحضار لشرحي مسلم للقاضي والنووي، ومع هذا كله فكان غير متأنق في هيئته مع ثروته.

دَرَّسَ وأفتى، وطار صيته، وصار إليه مرجع المالكية، خصوصاً بعد البساطي، بل عُيِّن في حياته للقضاء، فلم يتفق، لكنه استخلفه بمرسوم السُّلطان، حين جاوَرَ بمكة، وحَجَّ هو مرتين مُفرداً، وكان دخوله حلب ودمشق مُنضَمًّا لأمير المؤمنين المستعين بالله، أبي الفضل العباسي بن المتوكل العباسي، حيث سُمّار الناصر ومعه القُضاة والخليفة، على العادة بعد سنة عشر وثمانمائة، لقتال «شيخ».

وأول ما ناب عن ابن خلدون في سنة أربع وثمانمائة، واستمر ينوب عمَّن بعده، وولي تدريس «الشيخونية»، برغبة «البساطي» له، عقب موت الجمال «الأقفهسي»، وكذا بـ «الحجازية» بالقرب من «رحبة العيد» برغبة قريبه «ولي الدين بن التاج بهرام» المتلقى له عن أبيه، وبـ «جامع الحاكم»، و «الفاضلية»[1]، و «القراسُنْقرية» برغبة «أصيل الخُضرى» له عنها، و بـ «القمحية»، وغيرها، وأعاد بـ «الحسنية»، وناب في الخطبة بـ «المشهد الحُسيْني» قليلا، ولم يشغل نفسه بالتصنيف؛ نعم شرع في تعليق على كل من «الموطأ» و «البخاري» فكتب منهما يسيراً، وممن أخذ عنه الفقيه «الشمس بن عامر»، وكذا أقرأ في «الشيخونية» «شرح الألفية» لـ «ابن عقيل».

---

(١) المدرسة الفاضلية: قال المقريزي: هذه المدرسة بدرب ملوخيا بالقاهرة وقد بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني سنة ٥٨٠ هـ ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية وكانت بجوار داره، وجعل فيها قاعة للاقراء، ووقف بها جلة عظيمة من الكتب في سائر العلوم يقال: أنها كانت مائة ألف ذهبت كلها، وكان بجوارها كتاب برسم الأيتام، وقد تلاشت هذه المدرسة لخراب ما حولها على الرغم من أنها كانت من أعظم مدارس القاهرة.

(الخطط التوفيقية ج ٦ : ١٢)

وكان « الكمال بن الأسيوطى » يحضر عنده فيه ، بل هو الذى قدم « الكمال » ، ويقال : إنه لم يكن يحمد جفاه له ، حتى إنه شكاه فى مرض موته لـ « الشمس الونائى » حين حضر لعيادته ، وقال : إنه لم يَعُدْه ، فخفف عنه « الونائى » بكونه أيضاً مقصراً فى حقه مع ، تتلمذه[1] له ، واستمر الشهاب على جلالته حتى مات فى يوم الأربعاء ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، وصُلّى عليه فى يومه بـ « سبيل المؤمنى »[2] ودفن بجوار بيته فى « تربة السيدة رُقية » ، بالقرب من « المشهد النفيسى »[3] ، قريباً من قبر قريبه « التاج بهرام » . ولم يخلف بعده مثله ، ولم يشذ عن ولديه من وظائفه سوى « الشيخونية » ، ثم إنها رجعت إلى أكبرهما بعد دهر من وفاة أبيه ، وكان إنما ينتسب فى الفتاوى وغيرها بخطه ، وفى التسجيل عليه لأمه ، فيقول ، أو يقال : أحمد ابن أخت بهرام ، وما أفهم من ذلك إلا حُسن حُبّ الانتساب لبهرام ، لجلالته فى المذهب . لكن قال شيخنا إنه سأل مراراً عن السبب فى ذلك ، فقيل له : إن أباه كان لا يُحمد فى شهادته ، فلذا عدل عنه وأثنى عليه فى تاريخه .

وكذا قال فى التاء المثناة ، من مشتبه النسبة له ، وصاحبنا شهاب الدين أحمد بن تقى من فضلاء العصر ، ناب فى الحكم انتهى .

ومن فوائده كما أخبرنى ولده « المحيوى عبد القادر » أنه سُئل عن جواز الاستنجاء بالتوراة والإنجيل اللذين بأيدى الكفار فقال : التوراة

---

(١) فى الأصل « تلمذه » .

(٢) سبيل المؤمنى : هو مصلاة المؤمنى ، وقد أنشأه الأمير سيف الدين بكتمر بن عبدالله المؤمنى وأنشأ مع المصلاة سبيلا يعرف بسبيل المؤمنى ، ولكن ابن إياس ذكره فى تاريخ مصر (ص ٢١١ ج ١) باسم سبيل المؤمنين ، وقد أنشئت المصلى والسبيل قرابة سنة ٧٦٥ هو قد جدد الغورى بناء المصلى فى سنة ٩٠٩ هـ كما تدل على ذلك اللوحة باعلى المحراب ، وهى مازالت موجودة إلى الآن مسقوفة بعقود حجرية ، وبها اسم الغورى ، وهى بأول شارع السيدة عائشة من جهة ميدان صلاح الدين (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ١٦١ ، ٢٢٨ طبعة دار الكتب و (الخطط التوفيقية ج ١ : ١٠٦ ، ج ٥ : ١٢٣) .

(٣) مشهد السيدة نفيسة : (ويعرف الآن بجامع السيدة نفيسة) ، أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٤ هـ ، وبه ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وكان يعرف مكان قبرها قديماً بدرب السباع .

(الخطط التوفيقية ج ٢ : ٦٢)

والإنجيل الموجودان بين أظهرنا الآن مغيَّران مُبَدَّلان فى الخط والمعنى ، ولا تجوز مطالعتهما ، ولا النظر فيهما ، ولقد رأى النبي — صلى الله عليه وسلم — بيد عمر بن الخطاب قطعة من التوراة ، فغضب — صلى الله تعالى عليه وسلم — وقال : يا عمر ، لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعى ، وأما قول من يقول بجواز الاستنجاء بهما ، فغير سديد ، فإن نفس الحروف لها حُرمة .

٤٥ قلت / : « وما ذهب إليه فى الأول حكى فيه « الزركشى » الإجماع ، وسبقه إلى نحوه « التقى السبكى » ، كما بينته فى الأصل الأصيل ، فى تحريم النقل من التوراة والإنجيل » .

قال فيه « البقاعى » : أنه صار أعرف الناس بصناعة القضاة وأمهرهم فى الشروط وبعده البساطى علاّمة المالكية ، وحافظ مذهبهم ، وناشر علومهم ، وناصر مقالاتهم ، مع ما يحفظه من اختلاف الأئمة ، وتفوق به ، فى باقى علوم الأئمة ، حتى إنه لَعَيْنُ مجالس العلم ، ولسان خُطَبها وفارس خَطْبها ، مناظراته موصوفة ، ومحاوراته بين العلماء معروفة ، قَلّ أن يقوم له فى مجلس النظر قائم ، وهو من أوعية العلم ، قَلّ أن رأيت فى زمانه مثله فصاحة وعلما ودهاء وحِذْقاً .

يحفظ كثيراً من التاريخ ، والشعر والنوادر ، وهو حلو النادرة ، فَكِهُ المحاضرة ، سريع الجواب ، بليغ القول ، جيد الاستحضار لما يرومه . وله شعر ، قال حين سأله أن ينشد منه : [طويل]

فإن لم يكن درًّا فتلكَ نقيصةٌ ∴ وإنْ كانَ دُرًّا كيفَ يُهْدَى إلى البحر

إلى أن قال : وكان — رحمه الله — غلس الهيئة ، متكلّماً فى شهادته ، ثمّ فى أحكامه . كذا قال .

صلاح الدين المكينى

أحمد بن محمد بن بركوت الحبشى

٨٢١ — ٨٨١ هـ

أحمد بن محمد بن بركوت القاضى صلاح الدين بن جمال الدين بن شهاب الدين الحبشى الأصل، المكينى نسبة لـ «مكين الدين» اليمنى؛ لكونه مُعتِقُ «سعيدٍ» مُعتِقُ جد صاحب الترجمة.

كان جده المذكور محبا فى العلماء، وأهل الخير، كما ذكره شيخنا فى سنة ثلاثين وثمانمائة، من تاريخه، وإنه لم يمت حتى تضعضع حاله.

قلت: ونشأ ولده صاحب الترجمة، فتزوج بابنة «علاء الدين بن باشا» التى كان والدها «أُستَادَار»[1] بعض الأمراء، فاستولدها صاحب الترجمة، وذلك — فيما قبل — سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وسُمِّى أمير حاج، وَفَارَقَ والدُهُ أُمَّهُ بعد أن افتقر وأملق، فتزوجها «علم الدين البلقينى»، ونشأ صاحب الترجمة تحت نظره، فى كفالتها، وأدخله مكتب الفقيه نجم الدين.

فقرأ فى القرآن. وفى كل من «المنهاج» و «ألفية ابن مالك» وغيرهما وسمعت أنه حفظ يسيرا من أول «جامع المختصرات». وأقام مدة بزى الجُندُ، ثم لمخالطة أمه بيت العلماء، اختارت له الزِّى بزيهم، فلبس العمامة، بعد أن كَبُرَ، وعدله شيخنا «العز بن الفرات» الحنفى، وصار يركب مع عمه إلى الدروس وغيرها، وتوسع بالنظر فى بعض دواوين الشعراء، وتردد لكل من الشهابين: «الحِنَّاوى» و «والأبْدى»

---

(١) استادار: ذكر السيوطى فى الجزء الثانى من كتابه حسن المحاضرة أنه من إليه أمر بيوت السلطان كلها من المصالح والنفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك، وهو من أمراء المئين». وذكر السبكى فى كتابه معيد النعم ومبيد النقم «أنه المتكلم فى إقطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم وأن صواب كتابة الكلمة (استدار) أو (استذار) من (استذ) الفارسية بمعنى أخذ. و (دار) أى ممسك أو صاحب. ومعنى هذا المركب «متولى الأخذ وقبض المال» (حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٩٣) و (معيد النعم ومبيد النقم للسبكى بتحقيق محمد على النجار وآخرين: ٦ نشر الخنجى).

نزيل «الباسطيّة[1]» ، في النحو، وإلى «الزين البُوتيجي» في الفرائض .

وكان «الزين» — فيما بلغني — يُثني على ذكائه ، و «العز عبد السلام البغدادي» ، «والمحيوى الكافياجي» ، وآخرين منهم : «الشهاب ابن المجدي» وحضر دروس عمه في «الفقه» و «الحديث» وغير ذلك . وكذا سمع اليسير على شيخنا اتفاقا ، وعلى «الشّريف النسّابة» ، و «العلاء القلقشندي» [2] ، و «الكمال ابن البارزي» ، وتمام أربعين شيخا المجلس الأخير من «البخاري» بـ «الظاهرية القديمة» في آخرين .

وحج مع والدته ، وأول ما استنابه عمه في قضاء «الخانقاه السرياقوسية» [3] ثم انفصل عن قرب ، ولم ينفك عن ملازمة دروس عمه والانتماء لولده البهاء أبي البقاء ، وكذا تردّد للقاضي ولي الدين البلقيني ، وحضر عنده في العجالة ، وغيرها .

ولما مات البهاء ، اشتقلّ بالتكلم بباب عمه ، وانقادَ له ، بحيث كان معه مسلوب الاختيار ، ولم يَصغ لمن يَعذله عنه ، من قريب وغيره ، بل حضر إثبات الوصايا والتحدثات والتعازير ، وشبهها فيه ، وصار جلّ ما يشغر من الوظائف يعينه له ، حتى يرغب عنه أو يبقيه ، ولم يتمكن أحدٌ من إبرام أمرٍ من الأمور حقيرها وجليلها بدون مراجعته ، وقام في بابه بما لا ينهض بأعبائه غيره ، وقصد بالهدايا الجليلة من النواب والمباشرين والجباة ونحوهم .

---

(١) الباسطية : مدرسة أنشئت في سنة ٨٢٣ هـ وهذه السنة توافق حكم السلطان المؤيد (فنون الإسلام للدكتور زكي محمد حسن)

(٢) العلاء القلقشندي : هو علاء الدين علي بن أحمد بن إسماعيل ، ولد في ذي الحجة سنة ٧٨٨ هـ وتفقه بعلماء عصره ، وأفتى ودرس ، وانتفع به جماعة ، وتولى عدة تداريس ، ورشح لقضاء الديار المصرية ، مات في المحرم سنة ٨٥٦ هـ (حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ : ٢٠٩ .

(٣) سرياقوس : من القرى القديمة في مصر ، وهي الآن من قرى شبين القناطر بمحافظة القليوبية واقعة على الشاطيء الشرقي لترعة الإسماعيلية في شمال القاهرة ، وعلى بعد ١٨ كيلو مترًا منها ، والخانقاه المشار إليها : هي دار للضيوف أنشأها الناصر محمد بن قلاوون . (النجوم الزاهرة ج ٩ : ٨٩ ، ج ١٢ : ٥٧ ط . دار الكتب) .

وأحدث له عمه فى كثير من الأوقاف التى تحت نظره إما نيابة أو مباشرة أو غير ذلك ، خارجاً عن المرتبات التى فى أوقاف الصدقات وغيرها . فتأثل ، وكثرت أمواله وذخائره ، وصفا لونه ووقته ؛ واقتنى الكتب النفيسة والأملاك[1]، وزاد فى التنعم والتبسط فى أنواع المآكل والمشارب وسائر التفكهات . ومشى على طريقة المباشرين فى الخدم والأتباع والمركوب ، خصوصاً من وقت تزوجه بابنة « السربای »[2] بعد الفسخ على زوجها « بردبك التاجى »[3].

وصارت له وجاهة عند النواب فمن دونهم ، وكتب له عمه فى التعايين الشيخ صلاح الدين خليفة الحكم بالديار المصرية ، — أبقاها الله تعالى — وأذن له — حسبما بلغنى — فى الإفتاء والتدريس ، فأقرأ « المنهاج »[4] و « الحاوى »[5] وغيرهما ممن استنابهم القاضى بسفارته ، أو يترقبون الاستنابة وغيرها ، كل ذلك فى حياة عمه .

٤٦ وولى / فى أيامه تدريس « الفقه » « بالناصرية » بعد وفاة « القاضى أبو العدل البلقينى » ، ثم استرضاه « الولوى الأسيوطى » فيه ، فتركه له ، و « الشريفية البهائية » تدريساً ونظراً ، وتصدير الفقه بـ « الخروبية » و « البدرية » بـ « مصر » ، والشهادة بوقف « الصارم » ، والخطابة والنظر بـ « جامع المغربى » بالقرب من « قنطرة الموسكى »[6] ، برغبة من « الولوى

---

(١) هكذا وردت بالأصل « الأملاك »

(٢) هى سعادات ابنة السربای (الضوء اللامع ج ٣ : ٦)

(٣) بردبك التاجى الأشرفى برسباى الأبرحى ، مات سنة ٨٨٠ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٦) .

(٤) المنهاج — هو كتاب فى الفقه يسمى منهاج الطالبين فى فروع الشافعية (كشف الظنون) .

(٥) الحاوى — كتاب فى الفقه ، يسمى الحاوى الصغير فى الفروع ، ألفه ابن عبد الكريم القزوينى الشافعى (كشف الظنون) .

(٦) قنطرة الموسكى : أنشأها الأمير عز الدين موسك بن جكو سنة ٥٨٤ هـ فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى على الخليج الكبير ويعبر فوقها إلى الشاطىء الغربى للخليج وكانت فى امتداد شارع الموسكى والسكة الجديدة الآن وقد اختفت بردم الخليج فى أوائل القرن الحالى (الخطط للمقريزى ج ٣ : ٢٣٩) و (الخطط التوفيقية ج ٣ : ٣٢)

البلقيني » له عنها ، وتدريس « الفقه » بـ « الأشرفية القديمة » ، عن « الشهاب ابن صالح » بحكم وفاته ، والإسماع بـ « المدرسة المحمودية » ، عقب « الشهاب ابن العطار » ، والحسبة بـ « القاهرة » و « مصر » ، وذلك في يوم الإثنين سابع عشرى ذى القعدة [سنة اثنتين وثمانمائة][1] بعد الشيخ « على الخراساني » ببذل نحو ثلاثة آلاف دينار ، وأُردِفَ حين تغيُّر المعاملات بحاجب الحُجَّاب « بَرْسباى البجاسي »[2] لتقوَى شوكته ، وركب في أوائل ربيع الأول ، هو وإياه في أتباعهما ، فأوقعوا بالسوقة ونحوهم ، وردعوهم بأنواع العقوبات ، حتى بالمقارع ، وشهَّرُوا جماعة بالقاهرة ومصر مِمَّن تحامى البيع بعد النداء بأن الفضة المغشوشة بستة عشر والدينار بثلاثمائة ، وصار صاحب الترجمة يركب في كل يوم فيباشر عنده ، فلما كان بعد يسير صاحت الأجلاب بالجمالى ناظر الخاص[3] بسبب غلو القماش البعلبكي ، فقال : إن ذلك لا تعلُّق لى به . وهو من تعلقات « المحتسب » . فعزَله السلطانُ من الغد ، وذلك في يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الأولى ، واستقر عوضه في الحِسْبة « قانبَاى اليُوسفى المهْمنْدار »[4]. فكانت مدة صاحب الترجمة دون نصف سنة ، وسمعت في خلالها شيخنا القاضي « سعد الدين بن الدَّيْرى » يقول : ما عارضني أحدٌ بغير الحق إلا وأصيب في دينه ، قد عارضني القاضي « علم الدين » فابْتُلى بدخول رَبيبه في « الحسبة » ، فإنها — يعنى على تلك الطريقة — من المصائب الدينية .

---

(١) هكذا في الأصل وهو خطأ إذ لا يتفق هذا مع تاريخ ميلاده.

(٢) البجاسي : وهو برسباى البجاسي، أصله من مماليك تنبك البجاسي نائب الشام الخارج على الأشرف برسباى بدمشق في سنة ٨٢٧ هـ ، مات سنة ٨٧١ هـ
(الضوء اللامع ج ٧ : ٧)

(٣) ناظر الخاص : أصل موضوعها أن يكون مباشرها متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان يتحدث في مجموع الأمر ، في الخاص بنفسه ، وفي العام بأخذ رأيه فيه » وأول من استحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٩٤ ط . مطبعة الموسوعات)

(٤) المهمندار : اسم لمن يقوم بأمور قصاد الملوك ورسلهم ، وهذا اللفظ مركب من كلمتين فارسيتين الأولى « مهمن » بمعنى ضيف ، والثانية « دار » بمعنى ممسك وحافظ
(معيد النعم ومبيد النقم للسبكى بتحقيق محمد على النجار وآخرين : ٣١ نشر الخنجى)

وكذا وَلِىَ مشيخة الخانقاه الجَوَلِية ، وتدريس « الحديث » بها ، والنظر عليها برغبة القاضى « نور الدين بن المناوى الأسمر » له عن ذلك ، بعد وفاة عمه ، وكذا الخطابة ، بـ « جامع الحاكم »[1] ، والمباشرة به عنه أيضاً ، وما زال مرعىّ الجانب ، نافذ الأوامر عند عمه ، حتى بعد وفاة أمه ، غير أنه أُنهى إلى الأشرف « إينال » ، مااقتضى عنده الأمر بسجنه ، فى حبس الرحبة مرة ، وبنفيه أخرى ، وفى كليهما يُسترضى بالمال ، حتى يتخلص على كره منه . وقال « المقر الزينىّ » ، حين حبسه هذا بجنايته على صاحب « الحاوى » ، حيث أقدم على إقرانه ، واختفى مرة بعد عزل عمه مرة من أجل إنهاء بردبك التاجى لـ « الظاهر خُشْقَدَم » ، أنه اقتلع زوجته الماضى ذكرها منه ، بغير طريق شرعى ، لكون الفسخ لها عليه لم يُصادف مَحَلاً ، فإنها علمت بالعيب ورضيت به ، فرسم بطلبهما لباب « المناوى » ، فاختفى هو وظفروا بها ، فادعى عليها ، وأُمِر بإقامتها ببعض الأماكن محتفظاً بها ، فأقامت نحو شهرين ، ولزم المدّعى التَّرْسيم بنفسه من المحتفظين بها ، وبادر الجماعة فاستحكموا « الكمال بن شيرين » الحنفى بصحة العقد ، ونَفَّذَهُ مُستَنيبُه قاضى القضاة « سعد الدين » ، وما تمكن « الشرف » هو ولا نُوَّابُه ، من الإقدام على التفريق ، وندب « أبا حامد القدسى » ، وكاد يُقدم لخيّلوه ، وآل الأمر إلى أن عُقد مجلس بين يدى السلطان ، فبادر القاضى الحنفى بقوله : قد حكم نائبى ، ونَفَّذْتُ حُكمَهُ ، فسكت « الشرف » عن / المعارضة ، على كُرْه ، خصوصاً وقد تَوَعَّدَهُ « جانى بك الدوادار » بالعَزْل إن عارض ، ورام الأمير « قانم التاجر » و « جانى بك الأشرَفىّ المِشَدّ[2] » ، و « جانى بك الظَّريف[3] » — مُعاونةً

٤٧

---

(١) جامع الحكم : هو مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمى وموضعه بالقرب من باب الفتوح وقد أسسه العزيز بالله الفاطمى ابن المعز وأكمله الحاكم ابنه فى سنة ٣٩٣ هـ

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٥٥)

(٢) الأشرف المشد : هو الأشرف برسباى أحد المقدمين ويعرف بالمشد ، مات فى رمضان سنة ٨٨١ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٥٤)

(٣) جان بك الظريف : جاء فى الضوء اللامع أنه (جانبك) من أمير الأشرفى برسباى ويعرف بالظريف ، مات سنة ٨٧٠ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٥٣)

البلقينى » له عنها ، وتدريس « الفقه » بـ « الأشرفية القديمة » ، عن « الشهاب ابن صالح » بحكم وفاته ، والإسماع بـ « المدرسة المحمودية » ، عقب « الشهاب ابن العطار » ، والحسبَة بـ « القاهرة » و « مصر » ، وذلك فى يوم الإثنين سابع عشرى ذى القعدة [سنة اثنتين وثمانمائة][1] بعد الشيخ « على الخراسانى » ببذل نحو ثلاثة آلاف دينار ، وأُردِفَ حين تغيُّر المعاملات بحاجب الحُجّاب « بَرْسباى البجاسى »[2] لتقوِّى شوكته ، وركب فى أوائل ربيع الأول ، هو وإياه فى أتباعهما ، فأوقعوا بالسوقة ونحوهم ، وردعوهم بأنواع العقوبات ، حتى بالمقارع ، وشهَّروا جماعة بالقاهرة ومصر مِمَّن تحامى البيع بعد النداء بأن الفضة المغشوشة بستة عشر والدينار بثلاثمائة ، وصار صاحب الترجمة يركب فى كل يوم فيباشر عنده ، فلما كان بعد يسير صاحت الأجلاب بالجمالى ناظر الخاص[3] بسبب غلو القماش البعلبكى ، فقال : إن ذلك لا تعلُّق لى به . وهو من تعلقات « المحتسب » . فعزَله السلطانُ من الغد ، وذلك فى يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الأولى ، واستقر عوضه فى الحِسْبة « قانِبَاى اليُوسفى المِهمنْدار »[4]. فكانت مدة صاحب الترجمة دون نصف سنة ، وسمعت فى خلالها شيخنا القاضى « سعد الدين بن الدَّيْرى » يقول : ما عارضنى أحدٌ بغير الحق إلا وأصيب فى دينه ، قد عارضنى القاضى « علم الدين » فابْتُلى بدخول رَيْبِه فى « الحسبة » ، فإنها — يعنى على تلك الطريقة — من المصائب الدينية .

---

(١) هكذا فى الأصل وهو خطأ إذ لا يتفق هذا مع تاريخ ميلاده.

(٢) البجاسى : وهو برسباى البجاسى أصله من مماليك تنبك البجاسى نائب الشام الخارج على الأشرف برسباى بدمشق فى سنة ٨٢٧ هـ ، مات سنة ٨٧١ هـ
(الضوء اللامع ج ٧ : ٧)

(٣) ناظر الخاص : أصل موضوعها أن يكون مباشرها متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان يتحدث فى مجموع الأمر ، فى الخاص بنفسه ، وفى العام بأخذ رأيه فيه ، وأول من استحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٩٤ ط . مطبعة الموسوعات)

(٤) المهمندار : اسم لمن يقوم بأمور قصاد الملوك ورسلهم ، وهذا اللفظ مركب من كلمتين فارسيتين الأولى « مهمن » بمعنى ضيف ، والثانية « دار » بمعنى ممسك وحافظ
(معيد النعم ومبيد النقم للسبكى بتحقيق محمد على النجار وآخرين : ٣١ نشر الخنجى)

وكذا وِلِيَ مشيخة الخانقاه الجَـوْلِية ، وتدريس « الحديث » بها ، والنظر عليها برغبة القاضى « نور الدين بن المناوى الأسمر » له عن ذلك ، بعد وفاة عمه ، وكذا الخطابة ، بـ « جامع الحاكم »[1] ، والمباشرة به عنه أيضاً ، ومازال مرعىّ الجانب ، نافذ الأوامر عند عمه ، حتى بعد وفاة أمه ، غير أنه أُنهى إلى الأشرف « إينال » ، مااقتضى عنده الأمر بسجنه ، فى حبس الرحبة مرة ، وبنفيه أخرى ، وفى كليهما يُسترضى بالمال ، حتى يتخلص على كره منه . وقال « المقر الزينىّ » حين حبسه هذا بجنايته على صاحب « الحاوى » ، حيث أقدم على إقرائه ، واختفى مرة بعد عزل عمه مرة من أجل إنهاء بردبك التاجى لـ « الظاهر خُشْقَدَم » أنه اقتلع زوجته الماضى ذكرها منه ، بغير طريق شرعى ، لكون الفسخ لها عليه لم يُصادف مَحَلاّ ، فإنها علمت بالعيب ورضيت به ، فرسم بطلبهما لباب « المناوى » ، فاختفى هو وظفروا بها ، فادعى عليها ، وأُمِر بإقامتها ببعض الأماكن محتفظاً بها ، فأقامت نحو شهرين ، ولزم المدّعى التّرسيم بنفسه من المحتفظين بها ، وبادر الجماعة فاستحكموا « الكمال بن شيرين » الحنفى بصحة العقد ، ونَفَّذَهُ مُسْتَنيبُه قاضى القضاة « سعد الدين » ، وما تمكن « الشرف » هو ولا نُوّابُه ، من الإقدام على التفريق ، وندب « أبا حامد القدسى » ، وكاد يُقْدِم فخيّلوه ، وآل الأمر إلى أن عُقد مجلس بين يدى السلطان ، فبادر القاضى الحنفى بقوله : قد حكم نائبى ، ونَفَّذْتُ حُكْمَهُ ، فسكت « الشرف » عن / المعارضة ، على كُرْه ، خصوصاً وقد تَوَعَّدَه « جانى بك الدوادار » بالعَزْل إن عارض ، ورام الأمير « قانم التاجر » و « جانى بك الأشرَفِىّ المِشَدّ »[2] ، و « جانى بك الظّريف »[3] — مُعاونةً

٤٧

---

(١) جامع الحكم : هو مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمى وموضعه بالقرب من باب الفتوح وقد أسسه العزيز بالله الفاطمى ابن المعز وأكمله الحاكم ابنه فى سنة ٣٩٣ هـ
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٥٥)

(٢) الأشرف المشد : هو الأشرف برسباى أحد المقدمين ويعرف بالمشد ، مات فى رمضان سنة ٨٨١ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٥٤)

(٣) جان بك الظريف : جاء فى الضوء اللامع أنه (جانبك) من أمير الأشرفى برسباى ويعرف بالظريف ، مات سنة ٨٧٠ هـ (الضوء اللامع ج ٣ : ٥٣)

طالق لأنى طلقتك فكتب الشيخ زين العابدين بن المناوى بجانب خطه ، مانصه .

ليس الجواب كما أجاب به « المكينى » من إطلاق وقوع الطلاق ، فإن الصحيح كما قال الإمام « محى الدين النووى » ؛ بالتفرقة بين من يعرف اللغة ومن لا يعرفها ، فهذا فى حق غير العارف تعليق لا يقع إلا بوجود الصفة ، ولكن هذا الجواب من « المكينى » جرى على عادته ، فإنه بلغنى عنه أمور كثيرة من ذلك ، منها : أنه أجاب فى مسألة فى الحضانة بخلاف المعتمد ، ومنها : أنه سئل سؤالا فى مجلس البخارى مبنيا على مقدمتين باطلتين باتفاق النحويين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ووصل عِلْمُ ذلك لصاحب الترجمة ، وأنهم أعلموا به السلطان ، وذلك فى العشر الأخير من شهر رجب ، فبادر واستفتى الشيخ سراج العبادى فكتب بموافقته هو والمشايخ : « المحيوى الطوخى » و « البدر ابن القسطان » و « الجلال البكرى » و « التقى القَلْقَشَنْدى » و « ابن النَّفَلاتى » و « ابن قاسم » وآخرون . وخالفهم آخرون فأفتوا بموافقة زين العابدين ، منهم والده ، ولكنه لم يكتب خطه ، والمشايخ : « البدر أبو السعادات البلقينى » و « الشمس بن المرخم »[1] و « الشمس البامى »[2] و « الزّين زكريا » و « الفخر المقسِي » و « الشمس الجوجرى »

---

(١) الشمس بن المرخم : هو محمد بن على بن محمد بن قاسم ، الشمس ، القاهرى ، البهائى الشافعى ، ويعرف بابن المرخم ، ولد سنة ٨٠٨ هـ بالقاهرة ، وحفظ القرآن ودرس الفقه على جماعة من العلماء ، كذلك الحديث ، وأصول الدين والنحو ، وكان شيخ المدرسة الفخرية تصوفاً وتدريساً سنة ٨٣٧ هـ ، واستنابه ابن حجر فى القضاء ، واستقر فى تدريس مدرسة أقبغا آص برغبة التاج الميمونى له ، وفى تدريس الشافعية بالمؤيدية وغيرها من مدارس القاهرة وتمول جداً ، ولم يزل فى نمو من الدنيا أول أمره من صناعة الشمع ونشر الرخام ، وكتب بخطه أشياء كالقاموس والتعقبات لابن العماد ونحوها ، مات سنة ٨٨٨ هـ

(الضوء اللامع ج ٨ : ٢٠٥)

(٢) الشمس البامى : نسبة إلى بام بالقرب من طنبذى من الصعيد . وهو محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن قريش

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٨)

و « البقاعى » و « المنهلى » و « البرمكينى والشمس الأقفهسى » وآخرون .

ووافقهم فى الكتابة من الحنفية : « المحيوى الكافياجى » و « الزين قاسم » ، ولم يحمد العقلاء شيئا من ذلك . وآل الأمر إلى إلباس القاضى بعد خطبته بالسلطان يوم الجمعة جبة ، وانفصل الأمر بدون الغرض ، وكذا لم يظفروا بعزله إذ أحكموا مع مزيد الكتمان أمر « البلقينى البدرى » وأنه هو المستقر بعده ليهنأوا بالمنصب بعدهما ، من أجل إنفاد ما بأيديهما فى أسرع وقت ، وجاء القاصد بإعلام البدر بذلك .

فاتفق أن « البدر » كان توجه لبلد « الخشابية » بالمنوفية ، فجهز القاصد إليه ليحضر ، ففشا الأمر وما حضر حتى انتقض ، ويأبى الله إلا ما أراد .

كل ذلك والقاضى مشغول بالوظيفة ، والسعى فى إيراد ما بقى عليه مع سد ما يتجدد له بكلفة بسبب الخدمة ، لدفع المناوئين ، مع الاعتناء بتجهيز حمل الحرمين إلى أن مضى الوقت المعلوم ، واستقر القاضى « بدر الدين أبو السعادات البلقينى » فى حادى عشر المحرم سنة إحدى وسبعين ، فكانت مدة ولاية صاحب الترجمة سبعة أشهر استوفى فيها معظم رياسة القضاة ، من الصعود للقلعة بسبب « البخارى » فى غالب الشهور الثلاثة ، وإلباس الخلعة يوم الختم ، ثم يوم العيد ، ثم تجهيز حمل « الحرمين » والصعود لإعلام السلطان بذلك ، وحضور دروس الصالحية ونحوها فى ذى القعدة ثم شهود عيد الأضحى ، وافتتاح العام ، إلى غير ذلك .

٤٩ وحمد كثير من الناس كثرة تودده وتواضعه ، ومداراته / واحتماله ، وسياسته وعدم طيشه ، مع حسن تصوره ، إلى غير ذلك ، وخالف آخرون حتى سمعت أن « المعز الزينى » ندم على شائبة مساعدته ، وأنه توجه إلى « ضريح الإمام الشافعى[1] » معتذراً مستغفراً ، بل وكان ذلك سبباً

(١) ضريح الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ — ٢٠٤ هـ) =

فى شد الركاب إلى « الحرمين الشريفين » ، وأخلص فى التزام عدم المعاونة على العود ، حسبما استفيض كل ذلك عنه .

واتفق فى أيام ولايته توقف النيل ، فتوجه هو وبقية القضاة إلا « الحنبلى » إلى المقياس يدعون الله — تعالى — بسبب ذلك ، فيقال إن الوالى قال للسلطان : أتريد استجابة دعائهم وتوسلهم ، مع البذل فى القضاء ، فأرسل مع « دوادار الوالى » يأمر برجوعهم ، ثم أرسل لـ « الحنبلى » و لـ « الأمين الأقصراى » يتوجهان إلى « الآبار » و « للزين زكريا » . فتوجه للمقياس وحصلت الزيادة فى ليلة ذهابهم ، ولزم القاضى « صلاح الدين » بعد الانفصال منزله ، غير آيس من العود هو ومن يلوذ به ، لا سيما بعد انفصال « البدرى » ، فلما صرح السلطان بالتصميم على المنع من ولايته فى جماعة سكن مراده .

وأسمع الآن أنه فى تكدير معيشته بالنسبة لما كان ، وأمرُه فى ازدياد من ذلك والله — تعالى — يحسن العاقبة . ولولا ما التزَمتُه ، لزدت على ما أثبته .

ومما لا أُخلى الترجمة منه ما سمعته حينئذ من إنشاد بعض الفلاحين [فى][1] ولاية صاحب الترجمة [طويل] :

بمصر تولى قاضيان فأقحطتْ ومن قبل شهر شاع حدّ العساكر
وقد شهرا سيف انتقام فبادروا بعزلهما من قبل قطع البواتر

مات فى ليلة الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وثمانمائة بعد أن تعلل مدة بالاستسقاء ، وصلى عليه من الغد بـ « جامع الحاكم »

= بالحى المعروف باسمه الآن — وكان فى الأصل مدرسة أنشأها صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٧٢ هـ بجوار الضريح . ثم جاء الملك الكامل الأيوبى وأقام قبة بديعة فوق الضريح سنة ٦٠٨ هـ ، ثم جاء عبد الرحمن كتخدا فبنى المدرسة الصلاحية مسجداً عظيما ، وقد هدم هذا المسجد سنة ١٣٠٣ هـ ووسعت مساحته كما يبدو الآن .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٣٧ ، ١٥٧) و (الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ٥ : ٢٢ — ٢٥)

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وساقطة فى الأصل

فى مشهد ليس بالطويل ، ثم دفن بـ « الفسقية » التى بها « البلقينى » الكبير وأولاده .

وأنكر العقلاء وغيرهم ذلك ، وأشار « المعز الزينى » بالمنع منه ، فما وافقوه ، هذا مع تصريح بعض منْ له الاستحقاق بالمنع ، وكان بين الفريقين مالا خير فى شرحه ، واستقر ابناه فى تدريس « الصالح » وسائر جهاته ، عفا الله عنه وإيانا .

***

شهاب الدين بن الكشك(*)

أحمد بن محمود ، الأذرعى ، الدمشقى ، الحنفى

٧٨٠ — ٨٣٧ هـ

أحمد بن محمود بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح ابن أبى العز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهب ، وبعضهم يحذف جابر ، القاضى شهاب الدين الأذرعى الأصل الدمشقى الحنفى ، عرف بابن « الكشك » ، قاضى « دمشق » وحفيد قاضيها ، بل وقاضى « مصر » أيضاً المذكور فى الأصل .

أغفله شيخنا لكنه أشار إليه فى ترجمة جده(١) حيث قال : وكان آخر من بقى يعنى من ذريته « القاضى شهاب الدين » . قال : وقد طُلب لولاية القضاء بـ « الديار المصرية » مرة ولكتابة السرّ أخرى فاستعفى من ذلك مُعْتَلاً بعُسْر البول ، وأرخ وفاته . ثم قال : ولم يخلف بعده أرأس منه . وقال فى تاريخه : إن « الناصر » ولاه قضاء « مصر » لما كان محاصراً لشيخ بـ « دمشق » فأقام نحو شهر ، فلما غلب « شيخ » عدل عنه ، واستقر

(*) له ترجمة فى الضوء اللامع ج ٢ : ٢٢٠ وقد جاء فيها أنه ولد فى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان من سنة ثمانين وسبعمائة ، كما جاء فى شذرات الذهب أنه ولد سنة ٧٥٢ هـ .

(١) أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز (رفع الإصر لابن حجر) .

بـ « ناصر الدين محمد بن عمر بن العديم »[١] ولزم هذا قضاء « دمشق » ، وكان شيخنا تركه عمداً لكونه لم يباشر قضاء « مصر » ، ولكن ذكرته اقتداء به — رحمه الله — فى ذكر « أحمد بن إبراهيم » الأندلسى المالكى .

وكان القاضى شهاب الدين شهماً قوى النفس ، مستحضراً لكثير من الأحكام ، أضيف إليه مع قضاء دمشق فى الأيام المؤيدية وبعدها نظر جيشها ، ثم صُرف عنهما معاً . ثم أُعيد لقضاء « الشام » ، وانتهت إليه رئاسة أهلها فى زمانه ، وكان بينه وبين « النجم بن حجى » تشاحن .

مات فى صفر سنة سبع وثلاثين وثمانمائة . وقد حدثنى غير واحد من الشيوخ عن جده ، وأما شيخنا فليست له منه إلا إجازة .

* * *

شهاب الدين الباعونى[*]

أحمد بن ناصر بن خليفة ، الباعونى ، الدمشقى ، الشافعى

٧٥١ — ٨١٦ هـ

أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن ، القاضى شهاب الدين أبو العباس ، المقدسى ، الباعونى ، الناصرى ، الدمشقى ، الشافعى .

وباعون بالقرب من « عجلون » من عمل « سفط[٢] » ، كان والده منها ، فانتقل إلى قرية « الناصرة » ، من عمل « سفط » أيضاً . وولد له هذا بها فى

---

(١) ناصر الدين محمد بن عمر بن العديم : خلف أباه على القضاء بعد موته سنة ٨١١ هـ ، واستمر قرابة الشهرين ثم عزل ، ثم أعيد مرة أخرى فى المحرم سنة ٨١٢ هـ واستمر إلى سنة ٨١٥ هـ ، ثم عزل ثم أعيد مرة أخرى فى رمضان سنة ٨١٦ هـ وظل حتى توفى فى ربيع الآخر سنة ٨١٩ هـ

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٢٢)

(*) له ترجمة فى الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣١ ، وروجعت الترجمة على ما جاء فيها .

(٢) نص العبارة فى الضوء اللامع للمؤلف « وباعون بالقرب من عجلون من عمل صفد » ، ثم سار المؤلف فى الأصل الذى معنا على أنها « صفد » . وعلق المؤلف على « باعونه » فى الترجمة وسبب تسميتها بهذا .

سنة إحدى وخمسين وسبعمائة تقريباً ، ونشأ بها فحفظ القرآن والمنهاجين الفقهي[١] والأصلي ، و « ألفية ابن مالك » وغيرها .

وعرض محافيظه بـ « دمشق » على « التاج السبكي » ، و « الشمس ابن خطيب » يَبْرُود و « الجمال بن قاضي الزَبداني[٢] » ، و « ابن قاضي شُهْبة » وغيرهم . واشتغل في « الفقه » و « العربية » . فأخذ « الفقه » عن المذكورين ، وكذا عن « العماد الحسباني » ، و « النحو » عن « أبي العباس العُنّابي » تلميذ « أبي حيان »[٣] ، وأجاز له ، وسمع الحديث على « الشهاب أحمد بن محمد الأيكي » ، و « أبي حفص بن أميله »[٤] ، و « الشمس ابن المحب » أصحاب « الفخر » وآخرين .

وكتب « الخط الحسن » ، وأقام بصَفد إلى بُعيد التسعين وسبعمائة ، وجرت له مع أهلها كائنة لكونه مدح « مِنْطاش » ، وغض من « برقوق » . وخرج منها خائفاً يترقب ، حتى قدم « القاهرة » ، ونزل « الخانقاه » الصلاحية « سعيد السعداء » .

وكان « السالمي » يعرفه من « صفد » فنَوَّه به عند « الظّاهر بَرْقوق » ، حتى أحضره عنده ، وقرَّبه وعامله معاملةَ أهلِ الصلاح ، وزاد في إكرامه ، وولاه خطابة الجامع الأموى بدمشق ، ثم القضاء بها . وسار سيرة مرضية في سلوك الحق وعدم المحاباة ، مع الحرمة الوافرة ، ثم امتحن بكونه[٥] امتنع من إقراض السلطان من مال الأيتام بالعزل والإهانة بالسجن ونحوه بعد المبالغة في التتبع عليه ، وعدم وجودهم لكبير أمر[٦] يتعلقون به ، وإن كان المرء لا يخلو من حاسد ، ثم اطلق ، ولزم داره ، ثم استقر سنة اثنين وثمانمائة في خطابة « بيت المقدس » ، وتوجَّهَ فباشرها

---

(١) العبارة في الضوء اللامع « الأصلي والفرعي » . أنظر الترجمة في المرجع السابق .
(٢) في الضوء اللامع هكذا [يبرود] و « الزبداني » (أنظر الترجمة في نفس المرجع)
(٣) في الضوء اللامع « تلميذ أبي حيان النحوي » .
(٤) وهي كذلك أيضاً في الضوء اللامع « ابن أميلة » .
(٥) في الضوء اللامع « لكونه » .
(٦) في الضوء اللامع « كبير أمر » .

مدة ، ثم أضاف إليه « الناصر فَرَج » معها قضاء « دمشق » ، وذلك فى صفر سنة اثنتى عشرة فباشر ذلك مباشرة حسنة بعفة ونزاهة ومداراة وحرمة ، ثم عُزِل فتوجَّه إلى بيت المقدس على خطابته ، ثم عاد إلى دمشق .

ولما استقر الأمر لـ « المستعين » بعد « الناصر » ، وَلاَّهُ قضاء « الديار المصرية » لكونه ممن قام فى خلعه ، وأثبت المحضر المكتتب(١) فى حقه ، ثم صرف عن قرب قبل أن يباشر لا بنفسه ولا بنائبه . ولذلك أعرض شيخنا عن ذكره(٢) ، لكننى اقتفيتُ أثره ، [حيث ذكر أحمد ابن إبراهيم الأندلسى المالكى](٣) وقد حدّث . رَوَى لنا عنه ولده وشيخنا وجماعة .

وكان إماما بارعاً ديّناً ، فاضلا ، آمرا بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، شكلا حسناً ، منور الشيبة ، طوالا ، ذا نظم ونثر فائقين ، ومن نظمه :

[مخلع البسيط]

سلِّم إلى الله ما قضاه لاَ بُدَّ أنْ يَنْفُذَ الْقَضَاء

سيجعل الله بعد عسر يُسراً به يَذْهبُ العَنَاءُ

الأمر [منه](٤) جمْعًا ويفعل الله ما يشاءُ

وقصيدة فى العقيدة أولها : [بسيط]

أثْبتْ صِفَاتِ الْعلى(٥) وانْفِ التّشبيه فقد

أخطا الذين على مَا قَدْ بَدَا جَحدُوا / ٥١

(١) العبارة كذلك أيضاً فى الضوء اللامع .

(٢) فى الضوء اللامع « عن ذكره فى رفع الإصر » .

(٣) نعتقد أن ما بين القوسين المعقوفين زيادة لا يقتضيها السياق ، ونص العبارة كما فى الضوء اللامع « ولذا أعرض شيخنا عن ذكره فى رفع الإصر ، وأثبته فى ذيله ؛ وقد حدث وروى لنا عنه » .
(الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٢)

(٤) ما بين المعقوفين عن (الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٢)

(٥) الشكل فى الأصل بضم [العين] العلى .

وضل قوم على التأويل قد عكفوا
فعطّلوا(١) ، وطريقُ الحقِّ مقتصدُ
اللهَ حيٌّ سميعٌ مبصرٌ ولَهُ
علمٌ محيطٌ مريدٌ قادر صَمَدُ
لَه كلامٌ قديمٌ قائمٌ أبدًا
بذاته ، وَهُوَ فَرْدٌ واحد أحدُ

وكانت وفاته فى ثالث المحرم سنة ست عشرة وثمانمائة بـ « دمشق » ، ودفن بتربته زاوية الشيخ « أبى بكر بن داود » — رحمهما الله — وقد لقيت كلاً من أولاده ، العلاَمَة البليغ « برهان الدين إبراهيم »(٢) ، والعلامة قاضى القضاة « جمال الدين يوسف(٣) » ، والإمام « شمس الدين محمد(٤) » .

وكتبت من فوائدهم ، وألحت بشيء من تراجمهم ومحاسنهم فى موضع آخر ، قال المقريزى : وسميت القرية « باعونة » من أجل أنه كان

(١) التعطيل : يقول الشهرستانى فى [الملل والنحل] . اعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والجود ، والأنعام والعـزة والعظمة ، . . ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعـل ، بل يسوقون الكلام سوقا . . . وكذلك يثبتون صفات جبرية مثل اليدين والرجلين ولا يؤولون ذلك ، إلا أنهم يقولون بتسميتها صفات جبرية . . . ولما كان المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتونها سمى السلف [صفاتية] ، وبالتالى سمى المعتزلة [معطلة] .

(الشهرستانى فى الملل والنحل ج ١ : ١٠٩ من هامش الفصل لأبى محمد بن حزم) و (مادة التعطيل فى مادة [التشبيه] من دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة ابراهيم زكى خورشيد) .

(٢) برهان الدين ابراهيم : أنظر ترجمته فى (الضوء اللامع للمؤلف ج ١ : ٢٦)

(٣) جمال الدين يوسف : أنظر ترجمته فى (الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٩٨)

(٤) شمس الدين محمد : أنظر ترجمته فى (الضوء اللامع ج ٧ : ١١٤)

موضعها « دير للنصارى » ، واسم راهبه « باعونة » ولما أزيل الدير ، عملت القرية مكانه فعرفت به .

قال : وكان أبوه حائكا بها ، ثم اتجر فى البز ، وركض به فى البلاد وولد له « أحمد » و « إسماعيل » ، فأما « إسماعيل » فصحب الفقراء ، ونظر فى التصوف ، وسكن « صفد » . وناب فى قضاء « الناصرة » عن قاضى « صفد » . وبه تخرج صاحب الترجمة . وأقرأه « المنهاج » إلى أن قال : وكان — يعنى صاحب الترجمة — رجلا طوالا مهابا ، عليه خَفَرَ ، وله منطق فصيح ، وعبارة عذبة ، وقدرة على سرعة النظر ، وارتجال الُخطَب ، مع جميل المحاضرة ، وحسن المذاكرة ، وكثرة الفوائد ، وسرعة البكاء ، مع العفة الزائدة ، لكنه كان شديد الإعجاب بنفسه ، ومن نظمه : [متقارب]

ولمّا رأت [شيب](١) رأسى بكت ... وقالت عَسَى غيرُ هذا عَسَى
فقلتُ البياضُ لباسُ الملوك ... فإن السّوادَ لبَاسُ(٢) الأسى
فقالت : صَدقتَ ولكنه ... قَليلَ النّفَاق (٣) يسوق النسا

شهاب الدين أبو الفضل*

أحمد بن نصر الله بن أحمد ، الكرمانى ، التُّستَرِىّ البغدادى ، الحنبلى

٧٦٥ — ٨٤٤ هـ

أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر ، القاضى محب الدين ، ولقبه شيخُه الكِرْمانى « شهابُ الدين — أبو الفضل — » ، وكناه شيْخُنَا — فى تاريخه — أبَا يوسف بن الشيخ جلال الدين أبى الفتح بن الشهاب أبى

(١) ما بين القوسين من الضوء اللامع .

(٢) « لبس » هكذا فى الأصل ، وفى (الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٢)

(٣) النفاق نفق : البيع نفاقا ؛ راج (القاموس المحيط) .

(*) له ترجمة فى . (الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٢)

العباسى بن السراج أبى حفص التُّسْتَرِى(١) الأصل ، البغدادى المولد والدار ، نزيل « القاهرة » ، الحنبلى ، سبط « السَّرَّاج أبى حفص عمر ابن على بن موسى بن خليل البغدادى البزاز » إمام « جامع الخليفة » بها والمعيد بـ « المستنصرية » ، وأحد المصنفين فى « الحديث » و « الفقه » و « الرقائق » — حسبما ذكره ابن رجب — فى طبقات الحنابلة .

وُلِدَ القاضى محب الدين فى ضحوة يوم السبت سابع عشر شهر رجب ، — وَوَهِمَ مَنْ جعله فى صفر — سنة خمس وستين وسبعمائة ببغداد ، ونشأ بها ، وقرأ على أبيه فى « الفقه » و « أصله » و « الحديث » و « العربية » وغيرها . وكذا قرأ على جماعة ، وأظن شيخ الحنابلة ببغداد فى وقته ، ومدرس مُسْتَنْصِرِيَّتِها الشمس « محمد بن القاضى نجم الدين الشَّهْرَمَارى » ، المتوفى فى حدود السبعين وسبعمائة ، و « الشرف ابن بشتكا » أحد أعيان الحنابلة بـ « بغداد » والمتوفى فى حدود الثمانين . مِمَّن أخذ عنهما « الفقه » والله أعلم .

ومِمَّن قرأ عليه أحد شيوخ والده « الشمس الكرمانى » الشارح ، وأجاز له فى استدعاء كَتَبَ فيه بخطه ما نصه بعد الخطبة أما بعد : « فإن الولد الأعز . الأعلم الأفضل ، صاحب الاستعدادات : والطبع السليم ، والفَهْم المستقيم ، أكمل أقرانه ، وحيد العصر ، « شهاب الدين أحمد » بَلَّغَهُ الله غاية الكمال ، فى شرائف العلوم وصوالح الأعمال ، فى ظل والده الشريف الشيخ العلامة قدوة الأئمة جامع فنون الفضائل الفاخرة ، ومجمع علوم الدنيا والآخرة ، بقية السلف ، استظهار / المسلمين ، جلال الملة والدين ، زاده الله جلالةً فى معارج الكمالات ، ونصْرةً ممدودًا لها فى مدارج السعادات ، بحمد الله — تعالى — فى عنفوان شبابه وريعان عمره على طريقة الشيوخ الكرام ، وطبقة الأئمة الأعلام ، و « الشُّبُلُ

٥٢

(١) التسترى : بضم التاء الأولى ثم السكون ثم فتح التاء الثانية (هكذا فى معجم البلدان لياقوت الحموى) وانظر ترجمته فى (الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٣)

فى المخبر مثل الأسد ، والمرجو من فضل الله وكرمه أن يجعله من العلماء الصالحين ، والفضلاء الكاملين . [كامل]

إنّ الهلالَ إذا رأيتَ نموّه أيقَنْتَ أنْ سيصير بدْراً كاملا

فاستخرت الله — تعالى — وأجزْتُ[1] له أن يروى عنى جميع ما صح عنده منى ، من التفاسير والأحاديث والأصول والفروع ، والأدبيات وغير ذلك ، خصوصاً « الصحاح الخمسة » التى هى أصول الإسلام ، ودفاتر الشريعة ، وشرْحى « صحيح البخارى » المسمى بـ « الكواكب الدرارى » .

وأما أسانيدى وطبقة شيوخى ، فهى مذكورة فى مشيختى بتفاصيلها ، وأرّخ ذلك فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ، بمنزله الملاصق لجامع الخليفة ببغداد .

وناهيك بهذا جلالة ، من مثل « الكرْمانى » مع صغر سن المجاز ، وكذا أخذ القاضى « محب الدين » عن « المجد اللغوى » صاحب « القاموس » حيث قدم عليه من هناك فى حدود نيف وثمانين .

وسمع ببلده على المحدّث « أبى الحسن على بن أحمد بن إسماعيل الفوّى » — قدم عليهم أيضاً سنة سبع وسبعين أو قريباً منها — « صحيح مسلم » وقرأ على « النجم أبى بكر عبد الله بن محمد بن قاسم السّنجارى » : « جامع المسانيد » لابن « الجوزى » فى سنة اثنتين وثمانين و « الموطأ » رواية « يحي ابن يحي » فى المحرم سنة خمس وثمانين ، و « السنن » لأبى داود كذلك وعلى الشرف حسين بن سَالار بن محمود الغَزْنوى المشرِقى شيخ « دار الحديث المسْتَنصرية » ، بعض المصابيح ، واجيز فى « بغداد » بالإفتاء والتدريس سنة ثلاث وثمانين ، وولى بها إعادة « المستنصرية » ، وارتحل فسمع بحلب ، فى سنة ست وثمانين من « الشهاب أحمد بن عبد العزيز ابن يوسف بن المرَحِّل ، و « الشرف أبى بكر بن محمد بن يوسف الحرّانى »

---

(١) العبارة فى (الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٤) « واخترت له »

المتبقى من « مسند » الحارث بن أبي أسامة . ومن أولها فقط قطعة من « السنن الصغرى للنسائى » وهى من باب « بول الصبى الذى لا يأكل الطعام إلى الطلاق » .

ومن ثانيهما فقط نسخة بـ « علىّ بن عبّاد عن عبد الحكم عن أنس » ، وأخذ « الفقه » أيضاً بـ « بعلبك »[1] ، عن « الشمس بن اليونانية » ، وبـ « دمشق » عن « الزين بن رجب الحافظ » ولازمه ، وسمع عليه الحديث ، وكذا سمع بها على الحافظ « أبى بكر بن المحب » ، و « الجمال يوسف بن أحمد بن المعز » ، واستدعى فى هذه السنة لأخيه القاضى « نور الدين عبد الرحمن » الذى مات فى سنة أربعين — جماعة من شيوخ « الشام » ، وقَدِم « القاهرة » فى سنة سبع وثمانين ، فسمع بها فى ذى القعدة من السنة التى تليها ، من « المعز أبى اليمن بن الكويك »[2] : « المسلسل » بـ الأولية ، وجزء « سفيان بن عيينة » ، وفى ذى الحجة منها « الأربعين المسلسلات » لابن « المفضل » و « الأربعين » لـ « الجلال القزوينى » ، وبقراءة — فى سنة تسع وتسعين — « الموطأ » رواية « يحيى بن يحيى » و « المقامات الحريرية » ، وقرأ على « النجم عبد الرحيم بن رزين » : « صحيح البخارى » فى سنة تسع وثمانين وعلى « السويدائى » فيها أيضاً « السنن الصغرى » لـ « النسائى » وعلى « المجد إسماعيل الحنفى » : « جامع الترمذى » فى سنة تسعين ، و « السنن » : لأبى داود ، و « الصغرى » لـ « النسائى » . وفى سنة اثنتين / وتسعين عليه وعلى « الزين أبى الفرج ابن الشيخة » : « السيرة لابن إسحاق » ، وعلى السراج البلقينى » فى سنة سبع وتسعين . الجزء الذى خرّجه « الولى العراقى » من حديثه ، وفى سنة ثمان وتسعين من المجلس الرابع والعشرين من « أمالى » ابن مَلة إلى آخرها ، وعلى « السراج بن الملقن » و « الشهاب الجوهرى » : « السنن لابن ماجه » ، وعلى أولهما

٥٣

---

(١) بعلبك مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة على رأس أساطين الرخام ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام .

(معجم البلدان لياقوت ج ٤ : ٤٥٣ — ٤٥٥)

(٢) العبارة فى الضوء اللامع [العز أبا اليمن بن الكويك] .

و « التقى بن حاتم » : « الشفاء » وعلى « الشمس الفرسيسى » : « السيرة لابن سيد الناس » ، وعلى « الجمال عبد الله بن العلاء على الحنبلى : « مسند أحمد » ، وعلى « الشرف بن الكويك » فى سنة ثلاث عشرة بقراءة شيخنا بعض صحيح[1] وكان مع صاحب الترجمة ولده « موفق الدين محمد » ، وسمع على « المطرز » ، و « التقى الدجوى » و « الشرف بن الكويك » بجتمعين الجزء الثالث عشر من « السنن لأبى داود » فى سنة أربع وتسعين ، فى آخرين[2] ؛ منهم : « البرهان التنوخى » ، و « الشهاب الطرينى[3] » ، وسافر منها إلى « الإسكندرية » ، فقرأ على « البهاء الدماميني » : « مشيخة السفاقسى »[4] وكذا توجه منها إلى الحج ثم رجع فقطنها ، من ثم ، ولازم كلا من السراجين : « البلقينى » « وابن الملقن » ، وكان مما قرأه على ثانيهما كتابه المسمى بـ « التلويح برجال الجامع الصحيح » وما ألحق به من زوائد « مسلم » ، وذلك بعد أن كتب بخطه منه نسخة ، ووصفه مؤلفه بظاهره فيما نقل من خطه : بالشيخ الإمام العالم الأوحد القدوة جمال المحدثين ، صدر المدرسين ، علم المفيدين ، وكناه « أبا العباس » وصف والده بالإمام العالم العامل ، بقية السلف ، عمدة المحققين ، مفتى المسلمين ، بركة الملوك والصالحين ، وقال : أفاض الله عليه من شآبيب عطائه وجعله وإياى من أخصائه .

وإن القراءة المشار إليها قراءة بحث ونظر ، وتأمل وتدقيق ، وتفهم وتحقيق ، فأفاد وأربى على الحلبة ، بل زاد وصار فى هذا الفن قدوة ، يرجع إليه ، وإماماً تُحَطُّ الرَّواحِلُ لَدَيه ، هذا مع استحضاره للأصول والفروع ، والمعقول والمنقول ، وصدق اللهجة والوقوف مع الحجة ، وسرعة قراءة الحديث وتجويده ، وعُذُوبَةِ لفظِهِ وتحريره .

---

(١) هكذا فى الأصل [بعض صحيح] ولم نستطع إكمال الحديث من المراجع الأخرى .

(٢) هكذا فى الأصل وفى الضوء اللامع [فى آخرين منهم . . . الخ كما أثبتناه]

(٣) الشهاب الطرينى : أحمد بن على بن يوسف ، الشهاب ، أبو العباس المحلى ، ويعرف بالطرينى ، ويلقب « مشمش » مات سنة ٨١٣ هـ
(الضوء اللامع ج ٢ : ٤٥ نشر الخنجى)

(٤) فى الأصل « السفاقس »

وقال : فاستحق بذلك أخذَ هذه العلوم عنه ، والرجوع فيها إليه ، والتقدم على أقرانه ، والاعتماد عليه ، وأذنت له سدَّدَه الله وإياى فى رواية هذا التأليف المبارك و إقرائه ، ورواية شرحى بـ « صحيح البخارى » . وقد قرأ جُمَلاً منه عَلَىَّ ، ورواية جميع مؤلفاتى ومَرْوِيَّاتى وأرخ له بجمادى الآخرة سنة تسعين ، وكذلك لازم « الصلاح محمد بن الأعمى الحنبلى » فى « الفقه » .

والعجيب أنه لم يلازم « الزَّيْنَ العِراقىّ » ، وهو المشار إليه فى علم الحديث ، بل لا أعلم أنه أخذ عنه بالكلية أصلا . مع اعتنائه بالحديث ، وكونه غير مُسْتَغْنٍ عن منظومته « التبصرة » و « شرحها » . حتى كان يطالعهما ، ويستمد من فوائدهما . بل أقرأهما ، ومِمَّن قرأهما عليه الشيخ «سيف الدين الحنفى » . وهو أيضاً مما يتعجب منه ، لأنه ترك أخذهما عن شيخنا مع كونه هو المشار إليه فى زمنه بعلم الحديث ، ثم مع كونه لم يفعل أعرض عن أخذهما عن شيخه ، إمام المذهب « السراج » قارىء الهداية « الحنفى » مع كونه كان يقرئهما ، ولكن « المحب » كان مقدماً فى ذلك عليه .

وقد قال شيخنا : إن القاضى « محب الدين » لم يُمعن فى الطلب ، ولكن له عَمَل كبير فى العلوم ، قلت : خصوصاً فى شرح « مسلم » / ٥٤

ولما استقر بـ « القاهرة » ، واستدعى بوالده ، تقدم عليه ، فى سنة تسعين ، وامتدح « الظاهر برقوق » بقصيدة ، وعمل له أيضاً رسالة فى مدح مدرسته فَقَرَّره فى تدريس الحديث بها ، فى المحرم سنة إحدى وتسعين ، عِوَضاً عن « مولانا زاده الشهاب أحمد بن أبى يزيد السرائى »[1] ، والد الشيخ « المحب » ابن بنت « الأقصرائى » بحكم وفاته ، ثم لما مات مدرس الحنابلة بها وهو « الصلاح بن الأعمى » ، وذلك فى سنة خمس وتسعين قرره عوضه فيها

---

(١) مولانا زاده ، الشهاب أحمد بن أبى يزيد بن محمد السرائى الحنفى ، ولد سنة ٧٥٤هـ ومات سنة ٧٩١ هـ

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٦٢ ط . مطبعة الموسوعات).

أيضاً ، وصار هو وولده صاحب الترجمة يتناوبان فيهما ، ثم استقل « المحب » بهما بعد موت والده ، فى سنة اثنتى عشرة ، وتوزع فى كل منهما ، وساعده جماعة حتى استمر فيهما ، بل بلغنى أن « السراج قارىء الهدية » انتزع تدريس الحديث منه بعد مزيد التعصب على صاحب الترجمة ، واستقر فيه بعد « السراج » « النور القُمُنّى »[١] ، ثم « القاياتى » . وولى « المحب » أيضاً تدريس الحنابلة بـ « المؤيدية » ، بعد شغوره ، عن القاضى « عز الدين عبد العزيز بن على بن أبى العز القدسى »[٢] وعرضه على القاضى « عز الدين الكنانى » ، كما سلف فى ترجمته .

وكذا ولى تدريس « المنصورية » لعله عن « علاء الدين على بن محمد ابن على بن عباس بن اللحام »[٣] الذى انجفل من الفِتْنَةِ إلى « القاهرة »

---

(١) النور القمنى : هو على بن عبد الرحمن بن على ، نور الدين القمنى ، مات سنة ٨٣٠ هـ

(الضوء اللامع ج ٥ : ٢٣٦)

(٢) عز الدين عبد العزيز بن على بن أبى العز القدسى : هو عبد العزيز بن على بن أبى العز بن عبد العزيز بن عبد الحميد ، العز ، البكرى ، التيمى ، القرشى ، البغدادى ، ثم القدسى ، الحنبلى ، القاضى ، ويعرف بالعز القدسى البغدادى ، ولد قبيل ٧٧٠ هـ ببغداد ، ونشأ بها فحفظ القرآن وتلاه بالروايات ، وتفقه على شيوخها ، وتعانى عمل المواعيد ، ثم قدم دمشق سنة ٧٩٥ هـ وكذا سكن بيت المقدس زمناً وولى قضاء الحنابلة به ، وفى سنة ٨١٢ هـ عاد إلى بغداد وولى قضاءها ثم صرف فعاد إلى دمشق ثم إلى بيت المقدس ، ثم تحول إلى القاهرة ، وقرره المؤيد فى تدريس الحنابلة ، وباشر قضاء الشام مدة ثم عاد إلى القاهرة بعد موت المؤيد فاستقر فى قضائها بعد صرف المحب ابن نصر الله البغدادى ثم صرف مرة أخرى ، توفى سنة ٨٤٦ هـ بدمشق .

(الضوء اللامع ج ٤ : ٢٢٢ ط . القدسى)

(٣) علاء الدين على بن محمد بن على بن عباس بن اللحام : هو على بن محمد بن على بن عباس بن فتيان ، العلاء ، البعلى ، ثم الدمشقى ، الحنبلى ، ويعرف بابن اللحام ، وهى حرفة أبيه . ولد ببعلبك بعد سنة ٧٥٠ هـ ونشأ بها فى كفالة خاله ، لوفاة أبيه وهو رضيع ، فعلمه صنعة الكتابة ، ثم حبب إليه طلب العلم ، وتفقه على الشمس ابن اليونانية ، ثم انتقل إلى دمشق وتلمذ لابن رجب وغيره ، وبرع فى مذهبه ، ودرس وأفتى ، وشارك فى الفنون ، وناب فى الحكم ، ووعظ بالجامع الأموى ، ثم ترك الحكم بآخرة ، وانجمع على الاشتغال وصار شيخ الحنابلة بالشام مع ابن مفلح ، فانتفع الناس به ، وقدم القاهرة فسكنها ، وولى تدريس المنصورية ثم نزل عنها ، وعين للقضاء . مات سنة ٨٠٣ هـ

(الضوء اللامع ج ٥ : ٣٢٠ ط . القدسى)

فولى تدريس « المنصورية » ، ثم نزل عنه ، ومات فى سنة ثلاث وثمانمائة ، فكان صاحب الترجمة هو المنزول له . وتدريس « الشيخونية » بعد القاضى « علاء الدين بن المُغَلى » ، وناب فى الحكم مدة عن القاضى « مجد الدين سالم » ، بعد أن كان القاضى « المحب » يشاححه ويباحثه ، بحيث قلق منه ، وشكاه لبعض أصحابه ، فأشار عليه باستنابته ، فقال : أظنه لا يفعل ، قال : فما يضر لو عرضته عليه ؟ فامتثل ذلك ، فأجاب وسكن الأمر .

ونحو هذا فى القدماء ما فى « المدارك » للقاضى « عياض » ، فى ترجمة « أبى الأزهر عبد الوارث بن حسن بن أحمد الأزدى » ، أنه كان بارعاً فى « الفقه » و « الأصول » عارفاً بـ « الوثائق » و « الأحكام » ، فاتفق أن « عبد الله بن أبى حاسم » القاضى استشار « أبا محمد بن أبى زيد » فى استكتابه ، فمنعه ، فبلغ « أبا الأزهر » ، فغضب ، وجلس بالقرب من دار ابن « أبى زيد » ، وصار إذا خرجت مسألة من فتواه ، أخذها وكتب تحتها « هذا الجواب خطأ » وينبه على ذلك ، فضاق ابن « أبى يزيد » من هذا ووجه إليه يعتذر له ويقول : إنما منعناه إجلالا لك ، لأنك من شيوخنا ، فترك ذلك حينئذ ؛ انتهى .

ثم ناب بعده أيضاً عن « العلاء بن المُغَلى » ثم استقل به بعده فى رابع عشرى صفر سنة ثمان وعشرين ، وتصدى لنشر المذهب قِرَاءَةً وإقْرَاءً وإفْتَاءً ، فلما كان فى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ، صُرِفَ بـ « العِزّ القُدْسِىّ » المذكور ، فلزم منزله على عادته فى الاشتغال والأشغال ، إلى أن أعيد فى ثانى عشر صفر سنة إحدى وثلاثين بعد صرف المشار إليه ، وعرف الناس الفرق بينهما واستمر حتى مات ، فمجموع ولايته فى المرتين أربعة أشهر ونصف سنة[1] ونحو عشرين يوماً .

---

(١) فى الضوء اللامع « مجموع ولايته فى المرتين أربع عشرة سنة ونصف سنة ونحو عشرين يوماً » .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٦)

وممن انتفع به فى المذهب ، القاضى « عز الدين[١] الماضى » و « البدر البغدادى » الآتى و « الجمال عبد الله بن المحب بن هشام » و « النور المَتْبولى » ، وآخرون .

وقرأ عليه ولده « مسند الإمام أحمد » بكماله ، وكذا حدث « بالصحيحين » وغيرهما ، وقرأ على « التقى القَلْقَشَنْدِى » وغيره : « السنن للنسائى » ، قال شيخنا : وهى أعلى ما عنده .

٥٥ ولما سافر السلطان « الأشرف » إلى « آمد » كان ممن سافر معه / فى جملة القضاة على العادة ، فسمع من لفظه أحد رُفقَتِه شيخنا « المسلسل » بـ « الأولية » عن « العز بن الكويك » . وعليه بقراءة غيره حديث عرفة فى البُدْن من « السنن لأبى داود » . كل ذلك بظاهر « بيْسَان »[٢] . وكتب عنه أيضاً من نظمه فى هذه السفرة قوله [كامل] :

شوقى إليكم لا يحدّ وأنْتُمُ
فى القَلْبِ لكن للعِيَانِ لَطائفُ
فالجسمُ عنكم كلَّ يوم فى نَوًى
والقلبُ حَوْلَ رُبَى حِماكم طائفُ

قال : وسمعته يقول :

سمعت « سُودون » النائب يقول : « التُرك إن أحبُّوكَ أكلوك ، وإن أبغضُوكَ قَتَلُوك » وأورده فى القسم الآخر من معجمه ، وقال : إنه اجتمع به كثيراً ، واستفاد منه ترجمة أبيه وغيره ، هذا مع مزيد إجلاله أيضاً لشيخنا أيضاً ، حتى انى قرأت بخطه ، وقد رفع له سؤال ليكتب عليه بعد أن أجاب شيخنا عنه مَا نصه : « ما أجاب به سيدنا ومولانا قاضى القضاة

---

(١) فى الضوء اللامع « العز الكنانى » ولعله يقصد بكلمة « الماضى » أى المتقدم فى الذكر و « بالآتى » : الذى سيأتى ترجمته والحديث عنه .

(٢) بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامى ، وهى بين حوران وفلسطين وتوصف بكثرة النخل وهى بلدة وبئة حارة أهلها سمر الألوان جعد الشعور .
(معجم البلدان ج ٤ : ٥٢٧ — ٥٢٨ ، ط . ب) .

أسبغ الله ظلاله ، هو العمدة ، ولا مزيد لأحد عليه ، فإنه إمام الناس في ذلك [الوافر] .

إذا قالت حزام فصدقوها
فإن القول ما قالت حزام[١] ،

فالله — تعالى — يمتع بحياته ويبقيه على توالى الليالى والأيام » .
وامتدحه بأبيات كتبها بخطه فى سنة سبع وثلاثين فى آخر نسخة شيخنا من تصنيفه، تخريج الرافعى بعد أن قابل المحب نسخته بنفسه عليها فقال [طويل] :

جزى اللهُ ربُّ العرش خير جزائه
مخرّج ذا المجموع يومَ لِقائه
لقد حازَ قصبات السباق[٢] بأسرها
وفازَ لمرقى لا انتها لارتقائه
يدُوم له عِزّبه وجلالَةٌ
وذكرٌ جميلٌ شامخٌ فى ثنائه
فلا زال مقرُوناً بكل سعادة
ولا انفكّ محروسَ العلاَ فى اعتلائِه
ولا برحت أقلامه فى سعادة
تُوقّعُ بالأحكام طولاً بقائه
وخُرّقت العادات فى طولِ عمره
تزيد على الأعمارِ عندَ وفائه

وكان إماماً ، فقيهاً ، مفتياً ، نظاراً ، عالماً ، علامة ، مُتقدِّماً فى فنون خصوصاً مذهبه ، فقد انفرد به ، وصار عالم أهله بلا مدافعة ، كل ذلك مع الذهن المستقيم ، والطبع السليم ، وكثرة التواضع ، والخُلُق الرَّضِيّ ، والأبهة والوقار ، والفقدِ لإحدى كريمتيه[٣] ، والتودُّد والتقرب

---

(١) إذا قالت حزام فصدقوها
(٢) فى الأصل « السبق » وفى الضوء اللامع « السباق » .
(الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٧)
(٣) العبارة كما ذكرت فى الأصل ، وهى كذلك فى الضوء اللامع .
(الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٧) .

من كل ، وسلوك طريق السلف والمداومة على الأوراد والعبادة والتهجد ، والصيام وكثرة البكاء ، والخوف من الله — تعالى — والحرص على شهود الجماعات ، والإتباع للسنة ، وإحياء ليلة من كل شهر فى جماعة بتلاوة القرآن وإهدائه ذلك فى صحيفة « الامام أحمد » وغيره مع إنشاء قصيدة يبتكرها فى تلك الليلة غالباً ، وَعِظَمِ الرَّغبة فى العلم والمذاكرة ، والمحبة فى الفائدة ؛ حتى إنه اعتَنَى بضَبْطِ مايقع فى مجالس الحديث ونحوها بـ « القلعة » من المباحث وشبهها أيام قضائه — على ما بلغنى — وفتاويه مسددة ، وحواشيه فى العلوم وسائر تعاليقه مفيدة . وقد رأيت لَه حَواشى على « التنقيح » للزركشى وكذا على الفروع لـ « ابن مفلح » ، جُرِّدَ منهما(١) ، وكذلك حواشى على « الوجيز » و « المحرر » وشرحه ، والرّعاية ، وأشياء عطّلَ ولده على الناس عموم الانتفاع بها / . ٥٦

وذكره « التَّقىّ بن الشُّمنىّ الكَرْمَانىّ » فى ضمن ترجمة والده « نصر الله » فقال : وكان ولده — يعنى صاحب الترجمة — عنده فضيلة أيضا ، خطر فى خاطره فى وقت أن يشرح « صحيح مسلم » وصار يجمع ويكتب قال : وكان والدُه أعورَ العَين اليمنى ، وهو أعور اليسرى ، ثم كُفَّ والده ، وقارب هو أيضا ذلك . وذكره القاضى « علاء الدين » فى « تاريخ حلب » وهو صاحبى ، اجتمعت به مرارا بـ « القاهرة » و « حلب » ، وتكلمت معه وهو رجل فاضل ، عَالمٌ دَيِّنٌ ، فقيهٌ جَيِّدٌ ، ويكتب على الفَتَاوى كتابة مُتْقَنَةً مليحة ، وأخلاقُهُ حَسَنَة ، وانفرد برئاسة مذهب أحمد بـ « القاهرة » .

وقال التَّقى المقريزى : إنه لم يخلف فى الحنابلة بعده مثله ، قال : ولا أعلم فيه مايعاب به لكثرة نسكه ، ومتابعته للسنة ، إلا أنه ولى القضاء فالله يرضى عنه أخصامه .

وأشار — رحمه الله — فى كلامه إلى ماقاله شيخنا حيث نقل عن القاضى

---

(١) فى الأصل « جرد كل »

عز الدين الكنانى توافق صاحب الترجمة مع عمه — يعنى المذكور فى الأصل — فى اسمه واسم أبيه وجده ، ومذهبه ، ومنصبه و مسكنه « بالصالحية » ، فقال: وفارقه فى اللقب ، وأصل البلد ، والنسبة إلى الجد الأعلى ، وطول المدة ، وسعة العلم ، والتبسط فى بيع الأوقاف ، ونحو ذلك ، انتهى .

وقد عرضتُ عليه بعض محفوظاتى ، وكذلك عرض عليه من قبلى الوالد — رحمه الله — واتفق فى ذلك أمر غريب ، وهو : أنه كتب عرض والدى فى ورقة كاملة وعرض بها مش كتابه غيره ولم يكتب الإجازة فى الأول ، مع طول كتابته ، وكتبها لى مع اختصاره[1] ولم يزل على جلالته ورئاسته ، حتى مات بعلة القولنج[2] ، وكان يعتريه أحيانا ويرتفع ، لكنه فى هذه العلة استمر أكثر من ستين يوما ، ثم قضى بعد أن صلى الصبح بالايماء يوم الأربعاء ، خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، عن ثلاث وسبعين عاما إلا دون شهرين ، وصُلى عليه فى يومه .

تقدم الناس شيخنا ؛ ودفن بتربة « السلامى » وتعرف الآن بتربة « البغاددة » بالقرب من « تربة الجمال الإسنائى » — رحمهما الله — وإيانا .

واستقر فى وظيفة القضاء « البدر البغدادى » بعد امتناع « العز الكنانى » وفى تدريس « المؤيدية » « العز » المذكور ؛ وفى « الشيخونية » ، « الزركشى » ، وفى « المنصورية » و « البرقوقية » « الفقه » معا ؛ ولده

---

(١) العبارة فى الضوء اللامع هكذا « وهو أنه كتب عرض كل منهما فى ورقة كاملة ، وعرضى بها مش كتابة غيره ، يصرح فى خطه بالإجازة للأولين مع طول كتابته ، وكتبها لى مع اختصاره » .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٢٣٨)

(٢) القولنج أو القولنج : مرض معوى مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح (القاموس المحيط) مادة قيج وذكر الدكتور الشيال فى مفرج الكروب لابن واصل ج ٢ : ١٠٦ بتحقيقه نقلا عن مفاتيح العلوم للخوارزمى : ص ٩٨ « بأنه اعتقال الطبيعة لانسداد المعى المسمى قولون » (القاموس المحيط) و (مفاتيح العلوم للخوارزمى) .

و(مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لابن واصل ج ٢ : ١٠٦ بتحقيق د. جمال الشيال)

« الجمال يوسف » وبه كناه شيخنا كما تقدم ، وقصد بذلك الإشارة إلى اتفاقية عجيبة ، وقعت له أوردها فى تاريخه فقال :

« ومن الاتفاقيات ، أننى كنت أنظر فى ليلة الأحد ثان عشر جمادى الأولى فى « دُمْيَةِ القصر[1] » ، « للباخرزى » فمررت فى ترجمة « المظفر ابن على » أن له هذه الأبيات الملتزم فيها النون ؟ ثم الموحدة قبل اللام ، يَرْثى بها وهى : [متقارب]

بَلانِى الزّمانُ ولاذَنْب لِى ... بلى إن بلواه للأنبَلِ
وأعظم ماساءنى صرفه ... وفاةُ أبِى يُوسفَ الحنْبَلى
سِرَاجُ العلومِ ولكن خبَا ... وثَوْبُ الجمَالِ ولكن بَلى

فتعجبت من ذلك ووقع فى نفسى أنه يَمُوتُ بعد ثلاثة أيام عدد الأبيات ؛ فكان كذلك .

وكتب إليه بعضهم [كامل]

الحمد مقرونا بكل ثناءِ ... لله ذى الإكرامِ والآلاء
ثم الصلاة مع السلام على الرسو ... لِ وآله وصحَابه الكرَماءِ
مَاقول شيخ العلم أوْحدِ عصره ... قَاضى القضاةِ وأحْمَدِ[2] الفقهاء/ ٥٧
فى ناظر وَلّى جهولا دَرسَ ... أخبارِ النبىّ مشرع الإفتاء
ثم ارتمى الغر الفتى[3] وأقرّ من ... يرضاه كل مسدّد الآراء
ثم ارتضى الغمر الفتى[4] فرَدّه ... من بعد عز الأهل والإقصَاء
هل تضب ذاك الغرّ كان مُحرّما ... نداءً على التحذير والإغراء
وهل التفحص كان عنه واجبا ... قبل الولاية دون ما استثناء

---

(١) هو « دمية القصر وعصرة أهل العصر » ، جاء فى ذيل اليتيمة للثعالبى أنه لأبى الحسن على بن حسن الباخرزى ، وشرحه عبد الوهاب المالكى ، وقال ابن خلكان : قد وضع عليه أبو الحسن على بن زيد البيهقى كتابا سماه « وشاح الدمية » ، وهو كالذيل عليه وكذلك كتاب « زينه الدهر » .

(٢) فى الأصل « أحمد » والواو زيادة اقتضاها وزن الشعر

(٣) فى الأصل « الغر الغبى »

(٤) فى الأصل « ثم ارتضى الغمر الغبى »

وأفاسق هو من وظائف دينه عزل بتقرير لدى الإغواء
وبما يؤدب ذا الجهول بفعله أن مده فى السعى والإطغاء
لا سيما مع عزل الأهل ومنعه من غير جرم موجب لنواء
وهل السكوت اقادر عن زجره جُرْمٌ ينافى شرع ذى الأنباء
ومن المصادف صحةً تقريره يا متحف الساعى بخير رجاء
شرّف بخطّ ما حواه خامل إلا اثنى عقدا بكل علاء

فأجاب : [كامل]

بالله ذى الأفضال والآلاء توفيقنا لجواب ذى الأنباء
أما ولاية ذى الجهالةِ درس أخبـــار الرسول فظاهر اللأواء
جرم حرام ذاك ليس يجوز بالـ إجماع عند أئمـــة العلماء
وولاية الدرس المشار إليه لـ رضى عند مسدد الآراء
فهى الصواب ولاية صحت بلا ريب ولا شك لـدَى الفقهاء
من أهل فى ذوقتها ومحلها محبوبة محفوفة ببقاء
وإعادة الدرس المبارك بعدها للجاهل المذكور شر بلاء
لا يستجيز فعاله أحدٌ ولا يرضاه بل هو أعظم اللأواء
وعلى الإمام وكل ذى أمر إزا لته بغير تردد ومراء
وإعادة الدرس المشار إليه للـ رضى عند مسددى الآراء
فهو الذى لا شك فى إيجابه حقاً لدى العلماء والفقهـاء
ومتى تأخر ناظرٌ عن فعله مع قدرة ولى بسوء شقـاء
ويكون ذلك قادحاً فى دينه وولاية الأنظـار والأنباء
وعلى ولىّ الأمر طال بقاؤه بدوام نصرته على الأعداء
إلزام ناظره بذاك فإنه يُجزَى به والله خيرُ جزَاء
وَيُثَـابُ أعظمَ مايثاب بفعله ويحَفُّ بالأفضال والآلاء
هذا جوابُ فقير رحمةِ ربِّهِ هو أحمد وَيُعَد فى الأبناء
ابنا انصر الله أعنى الحنبـلى البغدادىّ فهو بذاك ذو أسماء
فالله يعفو عنهما ويريهما ما أمَّلاَه فهو ذو النعماء
فى ثانى عشر جمادى الأوّل عام أربع وثلاثين بغير مِراء

بدر الدين بن الصواف*

الحسن بن على بن محمد ، الحصنى ، الحموى القاهرى ، الحنفى

٨٠٣ — ٨٦٨ هـ

الحسن بن على بن محمد بن على ، القاضى بدر الدين ، أبو عبد الله بن علاء الدين بن بهاء الدين الحصنى ثم الحموى ، القاهرى ، الحنفى ، عرف بـ « ابنَ الصَّوَّاف » ، كان جدّه الشيخ « على[1] » مباركا يعتقد فيه الخير والديانة ، فولد له « شمس الدين » ، فكان فى خدمة القاضى « علاء الدين » القضامى يتجر له ، ويقال إن ثروته كانت من قبله ، ولكنه لم يتظاهر بأكثر من قريب ألف دينار ، فلما مات وخلفه الشيخ « على » اشتهرت صلاتهُ حينئذ ، وتعانى التجارة ، وصار خبيرا بالإبل ، وانتقل فى كنف أبيه ، فارّا من الفتنة لـ « حصن الأكراد »[2] — بين « حماة » و « طرابلس » — فولد له صاحب الترجمة هناك / وذلك فى سنة ثلاث وثمانمائة ، فلما انقضى أمرُ الفتنةِ رجعوا إلى « حماه » محلهم . ٥٨

ونشأ « البَدْرُ » على طريقةِ والده فى المعاملة والتِّجارةِ . وحفظ « المُخْتَارَ » و « الإخسيكتى » و « منظومة النسفى » ، وأخذ الفقه عن قاضيها « ناصر الدين محمد بن عثمان بن محمد بن الجيتى » أخى « أبى بكر » المذكور فى سنة تسع عشرة من تاريخ شيخنا . وسمع فى « صحيح مسلم » على « الشمس الأشقر » ، وحجّ وقدم « القاهرة » ، فحضر

(*) ابن الصواف : له ترجمة فى (الضوء اللامع ج ٣ : ١١٣)

(١) هكذا فى الأصل ، وفى الضوء اللامع من المرجع السابق « جد والده على »

(٢) حصن الأكراد : حصن منيع على جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ، ويقابل هذا الجبل حمص من جهة الغرب ، وكان بعض أمراء الشام قد بنى فيه برجاً ، وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج فاستقروا فيه بأهليهم ثم حصنوه حتى أصبح قلعة قوية فى طريق الفرنج المغيرين . فاشتراه الفرنج من المقيمين به من الأكراد فرجعوا إلى بلادهم ، واحتله الفرنج . (معجم البلدان ج ٧ : ٢٦٤ ط . ب)

دروس « الشَّمْسِ ابن الدَّيْرى[١] » ، و « السِّراج قارى الهداية »[٢] وكان ممن عينه أولهما من طلبته « لصوفية المؤيدية » أَوَّلَ ما فتحت ، ورجع إلى بلاده ، ثم قدم و « الكمالُ ابنُ الهُمَامِ » إذْ ذَاك ، شَيْخ « الأشرفية المستجدة » ، فلازمه وقرأ عليه نصف « التحقيق » شرح « الإخسيكتى » ، وسَمع عليه بَاقيه بقراءة غيره مع بعض شرح « ألفية الحديث » ، وصار ذا مشاركته فى الأصول مع حفظ جانب من الفقه . و اتفقت وفاة شيخه « ابن الجيتى » المذكور و « البدر » إذ ذاك بـ « القاهرة » ، فقام معه « الجمالُ بن مصْطَفَى الحنفى » أحد أصحابه أتمّ قيام، بملاحظة شيخه «الكمال» و «الأمين الأقْصرَائِىّ»[٣] لكونه ممن كان يتردد إليه عند بعض الأمراء ، حتى وَلِىَ قضَاءَ بَلدِهِ فى أول سنة إحدى وثلاثين ، فأقام فيه إلى أن مات ، وتقدم بكثرة الهدايا والخدم ، ومزيد البذل لأرباب الحل والعقد ، والمبالغة فى الضيافة ونحوها ، للقادمين عليه من ذوى الوجاهات والمناصب ، فزادت بذلك وجاهته ، وانتشرت متاجره ومستأجراته ، وروعى جانبه ، وكثر الراغب فى الحلول بساحته وطالبه . حتى كان « المقر الجمالى » ناظراً لخواصّ من المساعدين فى مآربه ، والقاهرين لمن يلتمس خفض جانبه لكثرة ما كان يجلبه له ، ويحلّه مما يُتعوّل فيه عليه ، بحيث أنه فى سنة أربع وخمسين

---

(١) الشمس بن الديرى : هو محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح بن أبى بكر ابن سعد ، القاضى شمس الدين ، أبو عبد الله المقدسى الحنفى ، ويعرف بابن الديرى . ولد بعد سنة ٧٤٠ هـ ، وعلى الأرجح ٧٤٤ هـ وذكر السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة ج ١ : ٢٢٢ — ٢٢٦ أن مولده كان سنة ٤ ٧ هـ ، مات سنة ٨٢٧ هـ

(الضوء اللامع ج ٨ : ٨٨)

(٢) السراج قارى الهداية : هو عمر بن على بن فارس ، أبو حفص الكنانى ، القاهرى ، الحسينى ، ويعرف بقارى الهداية ، توفى سنة ٨٢٩ هـ

(الضوء اللامع ج ٦ : ١٠٩)

(٣) . الأمين الأقصرائى : هو أمين الدين ، يحيى بن محمد الأقصراى ، شيخ الحنفية فى زمانه ، ولد سنة نيف وتسعين وسبعمائة ، وانتهت رئاسة الحنفية فى زمانه ، مات فى أواخر المحرم سنة ٨٨٠ هـ

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٢٧ ظ . مطبعة الموسوعات)

أنه لا يغير فكرتكم السليمة إلا من يقصدتحويلها عن الإستقامة ، ليستنتج من التجارب والتعاون على تهييج الفتن ، وتأسيس العداوة والبغضاء ، وأنتم بفضل الله أكمل من أن يشير العبد بأداة البنية إليكم بمثل ذلك ، وحاصل مانقله العبد المساعدة على مطلوب واحد / وقد قال عليه السلام : — « أمتى كالبنيان يَشُد بعضه بعضاً » . هذا والعبد مقيم على وظيفة العبودية » .

٦٠

* * *

سعد الدين بن الديرى*

سعد بن محمد بن عبد الله أبو السعادات النابلسى ، المقدسى ، الحنفى

٧٦٨ — ٨٦٧ هـ

سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح بن أبى بكر سعد شيخنا القاضى سعد الدين شيخ المذهب ، وطراز علمه المذاهب العالم الكبير ، وحامل لواء التفسير ، أبو السعادات بن القاضى بهاء الدين ، النابلسى الأصل ، المقدسى ، نزيل القاهرة الحنفى ، أعرف « بابن الديرى » ، نسبة إلى مكان بمردى[1] جبل نابلس أو الدير الذى بحارة المرداويين من بيت المقدس .

ولد فى يوم الثلثاء الرابع[2] عشر من رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة ، ببيت المقدس ، ونشأ به ، فحفظ القرآن ، وكتبا منها : « الكنز »

(*) سعدالدين بن الديرى : هوسعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح ابن أبى بكر بن سعد القاضى ، سعد الدين ، أبو السعادات ، ابن القاضى شمس الدين ، النابلسى الأصل ، المقدسى ، الحنفى ، نزيل القاهرة ، ويعرف بابن الديرى ، ولد سنة ٧٦٨ هـ ومات سنة ٨٦٧ هـ

(الضوء اللامع ج ٣ : ٢٤٩ ط . الخنجى) و (رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر ج ٢ : ٢٤٥)

(١) مردا : جبل وقرية بنابلس (القاموس المحيط) .

(٢) فى الضوء اللامع « سابع عشر رجب وقيل فى سنة ست وستين وقيل فى التى تليها » (انظر الترجمة فى الضوء اللامع)

و « بعض المنظومة » و « مختصر ابن الحاجب الأصلى » و « المشارق » « للقاضى عياض » ، حفظ أكثره فى أثنى عشر يوما ، وكان سريع الحفظ ، مفرط الذكاء ، فَعُنِيَ به أبوه ، وأعانه هو بنفسه ، فأكب على الاشتغال ، وَتَفقّه بأبيه . و « الكمال الشُّرْيحى » ، و « العلاء بن النقيب » وغيرهم ، وأخذ « النحو » عن « الشمس بن الخطيب » ، و « المحب الفاسى » ، والبيان عن أبيه والقاضى « خير الدين » ، وسمع « الصحيح » بكماله فى عدة سنين ، على الشهاب أبى الخير بن الحافظ والعلائى ، وقطعا متفرقة منه فى سنين متعددة أيضا ، يغلب على الظن أنه اجتمع جميعه فيها على إبراهيم ومحمد ابنى « العماد إسماعيل القلقشندى » ، وعلى والده « صحيح مسلم » ، بسماعه له ، على « أحمد بن عبد الكريم البعلى » ، أبا « زينب » وابنه « كندى[1] » ، عن « المؤيد » ، و « الشفا » عن « البرهان بن جماعة أبا الدلاصى » ، و « معالم التنزيل للبغوى و « ثلاثيات » مسند الدارمى ، و « موافقاته » وعليه بحضرة « الزين أبى هريرة القبانى » : « المصابيح » للبغوى . وكذا سمع على الشهاب ابن المهندس ، وقرأ على « محمد بن كريم العطار » ، فى آخرين ، وأجاز له فيما أخبرنى به « النجم بن الكشك » و « الصدر بن العز » و « الصدر سليمان الياسوفى » ، و « الشهاب الحسبانى » ، و « الشرف الغزير » ، و « الزين القرشى » ، و « ابن الكفر الحنفى » ، وجماعة ، واجتمع بالشيخ « بهاء الدين القونوى » صاحب « درر البحار » ، و « حافظ الدين الزازى » صاحب جامع الفتاوى ، وقرأت بخط صاحبنا الشهاب أحمد بن مبارك شاه الحنفى[2] ، أنه يروى عن الشيخ « كريم الدين عبد الكريم القرمانى » الرومى « الهداية » وكذا

---

(١) هكذا فى الأصل « وابنه كندى »

(٢) الشهاب أحمد بن مبارك شاه الحنفى : هو أحمد بن مباركشاه ، وسمى محمد بن حسين ابن ابراهيم بن سليمان الشهاب ، القاهرى ، السيفى ، يشبك الحنفى ، الصوفى بالمؤيدية ، ويعرف بابن مباركشاه ولد سنة ٨٠٦ هـ بالقاهرة ، واشتغل بالعلوم على ابن الهمام وابن الديرى وآخرين حتى برع وصنف أشياء وجمع التذكرة ، وتعانى نظم الشعر على الطريقة البيانية ، مات سنة ٨٦٢ هـ . واقرأ الطلبة مع التواضع والأدب والسكون والقناعة والإفادة ، ومن نظمه :

لى فى القناعة كنز لا نفاد له وعزة أوطأتنى جبهة الأسد

أمسى وأصبح لا مسترفدا أحداً ولا ضنينا بميسور على أحد

(الضوء اللامع ج ٢ : ٦٥ ط . القدسى)

أنه لا يغير فكر تكم السليمة إلا من يقصد تحويلها عن الإستقامة ، ليستنتج من التجارب والتعاون على تهييج الفتن ، وتأسيس العداوة والبغضاء ، وأنتم بفضل الله أكمل من أن يشير العبد بأداة البنية إليكم بمثل ذلك ، وحاصل مانقله العبد المساعدة على مطلوب واحد / وقد قال عليه السلام : — « أمتى كالبنيان يَشُد بعضه بعضاً » . هذا والعبد مقيم على وظيفة العبودية » .

٦٠

* * *

سعد الدين بن الديرى*

سعد بن محمد بن عبد الله أبو السعادات النابلسى ، المقدسى ، الحنفى

٧٦٨ — ٨٦٧ هـ

سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح بن أبى بكر سعد شيخنا القاضى سعد الدين شيخ المذهب ، وطراز علمه المذاهب العالم الكبير ، وحامل لواء التفسير ، أبو السعادات بن القاضى بهاء الدين ، النابلسى الأصل ، المقدسى ، نزيل القاهرة الحنفى ، أعرف « بابن الديرى » ، نسبة إلى مكان بمردى[1] جبل نابلس أو الدير الذى بحارة المرداويين من بيت المقدس .

ولد فى يوم الثلثاء الرابع[2] عشر من رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة ، ببيت المقدس ، ونشأ به ، فحفظ القرآن ، وكتبا منها : « الكنز »

(*) سعدالدين بن الديرى : هوسعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح ابن أبى بكر بن سعد القاضى ، سعد الدين ، أبو السعادات ، ابن القاضى شمس الدين ، النابلسى الأصل ، المقدسى ، الحنفى ، نزيل القاهرة ، ويعرف بابن الديرى ، ولد سنة ٧٦٨ هـ ومات سنة ٨٦٧ هـ

(الضوء اللامع ج ٣ : ٢٤٩ ط . الخنجى) و (رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر ج ٢ : ٢٤٥)

(١) مردا : جبل وقرية بنابلس (القاموس المحيط) .

(٢) فى الضوء اللامع « سابع عشر رجب وقيل فى سنة ست وستين وقيل فى التى تليها » (انظر الترجمة فى الضوء اللامع)

و « بعض المنظومة » ، و « مختصر ابن الحاجب الأصلى » و « المشارق » « للقاضى عياض » ، حفظ أكثره فى أثنى عشر يوما ، وكان سريع الحفظ ، مفرط الذكاء ، فـعُـنِىَ به أبوه ، وأعانه هو بنفسه ، فأكب على الاشتغال ، وتَـفقّـه بأبيه ، و « الـكمال الشُّـريحى » ، و « العلاء بن النقيب » ، وغيرهم ، وأخذ « النحو » عن « الشمس بن الخطيب » ، و « المحب الفاسى » ، والبيان عن أبيه والقاضى « خير الدين » ، وسمع « الصحيح » بكماله فى عدة سنين ، على الشهاب أبى الخير بن الحافظ والعلائى ، وقطعا متفرقة منه فى سنين متعددة أيضا ، يغلب على الظن أنه اجتمع جميعه فيها على إبراهيم ومحمد ابنى « العماد إسماعيل القلقشندى » ، وعلى والده « صحيح مسلم » ، بسماعه له ، على « أحمد بن عبد الكريم البعلى » ، أبا « زينب » وابنه « كندى[1] » ، عن « المؤيد » ، و « الشفا » عن « البرهان بن جماعة أبا الدلاصى » ، و « معالم التنزيل للبغوى و « ثلاثيات » مسند الدارمى ، و « موافقاته » وعليه بحضرة « الزين أبى هريرة القبانى » : « المصابيح » للبغوى . وكذا سمع على الشهاب ابن المهندس ، وقرأ على « محمد بن كريم العطار » ، فى آخرين ، وأجاز له فيما أخبرنى به « النجم بن الـكشك » و « الصدر بن العز » و « الصدر سليمان الياسوفى » ، و « الشهاب الحسبانى » ، و « الشرف الغزير » ، و « الزين القرشى » ، و « ابن الـكفر الحنفى » ، وجماعة ، واجتمع بالشيخ « بهاء الدين القونوى » صاحب « درر البحار » ، و « حافظ الدين الزازى » ، صاحب جامع الفتاوى ، وقرأت بخط صاحبنا الشهاب أحمد بن مبارك شاه الحنفى[2] ، أنه يروى عن الشيخ « كريم الدين عبد الـكريم القرمانى » الرومى « الهداية » ، وكذا

---

(١) هكذا فى الأصل « وابنه كندى »

(٢) الشهاب أحمد بن مبارك شاه الحنفى : هو أحمد بن مباركشاه ، وسمى محمد بن حسين ابن ابراهيم بن سليمان الشهاب ، القاهرى ، السيفى ، يشبك الحنفى ، الصوفى بالمؤيدية ، ويعرف بابن مباركشاه ولد سنة ٨٠٦ هـ بالقاهرة ، واشتغل بالعلوم على ابن الهمام وابن الديرى وآخرين حتى برع وصنف أشياء وجمع التذكرة ، وتعانى نظم الشعر على الطريقة البيانية ، مات سنة ٨٦٢ هـ . واقرأ الطلبة مع التواضع والأدب والسكون والقناعة والإفادة ، ومن نظمه : —

لى فى القناعة كنز لا نفاد له ... وعزة أوطأتنى جبهة الأسد

أمسى وأصبح لا مسترفدا أحداً ... ولا ضنينا بميسور على أحد

(الضوء اللامع ج ٢ : ٦٥ ط . القدسى)

« المصابيح للبغوى » و « المشارق للصغانى » بروايته لذلك عن « البرهان البلغارى » ، « عن القوام الكاكى » — يعنى — محمد بن محمد بن أحمد الخبازى.

قلت : ولم يجد من يعتنى به فى السماع و لإجازة ؛ لعدم اعتناء والده بذلك ، ولو تيسر له ذلك لأدرك الإسناد العالى ، لكنه شمرّ عن ساعد الاجتهاد ، وكحل عينه البصر والبصيرة بميل السهاد ، حتى صار من أوعية العلم مع ما رزقه الله من التواضع والحلم .

وحج مرارا وسافر إلى « دمشق » ، واشتهر بمعرفة « الفقه » حفظا وتنزيلا للوقائع ، واستحضارا للخلاف ، حتى كان والده يقدمه على نفسه فى الفقه وغيره .

وولى عدة وظائف ببلاده ، وقدم القاهرة مراراً ؛ وولى بها « مشيخة المؤيدية[1] » / عوضاً عن أبيه لما ولى القضاء ؛ فباشرها تصوفا وتدريسا ؛ وانتفع به الناس فى الفتاوى والمواعيد والأشغال ، ودرس بعده بعدة أماكن « كالفخرية — مدرسة ابن أبى الفرج » قرره فيه الواقف ، فلما استقر فى القضاء رغب عنه لأخيه الأمين « عبد الرحمن » و « بجامع الماردانى[2] » فى الدرس الذى رتبه فيه صَرْغَتْمشَ قبل بناء مدرسته برغبة الشيخ « بدر الدين حسن القدسى » له عنه قبيل موته ، فباشره درسا واحدا ، ثم انتزعه « الأشرَف بَارْسباى[3] » منه لكونه كان أمر بترك النزولات وعدم

٦٥

(١) إلى هنا انقطع الكلام من صاحب هذه الترجمة — وهو سعد الدين الديرى وتتمة ترجمته فى صفحة ٦٥ وما بعدها .

(٢) جامع الماردانى ، أنشاه الطنبغا الماردانى أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون وزوج ابنته سنة ٧٣٩ — ٧٤٠ هـ ويتكون من صحن يحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة الذى يفصله عن الصحن حاجز خشبى من الخشب الخرط يزينه زخارف محفورة ، وأمام محراب هذا المسجد قبة تحملها أعمدة ضخمة من الجرانيت ذات التيجان المصرية ومحراب هذا المسجد يعتبر من التحف الفنية بما حواه من إبداع تفشيته بالرخام الدقيق الملون والصدف ، كما يعتبر منبره من أبدع المنابر لما فيه من دقة وجمال فى تطعيم حشواته بالسن والزخارف النباتية الدقيقة (وموضعه شارع التبانة بحى الدرب الأحمر الآن) . (الخطط التوفيقية ج ٢ : ١٠٢ ، ج ٥ : ٩٨) و (فنون الإسلام للدكتور زكى حسن : ٤٦٩)

(٣) فى الضوء اللامع « برسباى » من غير « ألف » وكذلك فى النجوم الزاهرة (لمرجع إلى الترجمة فى الضوء اللامع) ، و (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٧٥ ط . دار الكتب) .

إمضائها وقرر فيه عوضه إمامه «الشيخ محب الدين الأقصرائى»، وتألم القاضى لذلك لكنه لم ينازعه بل دعا الله أن يعوضه خيرا منه .

فاتفق أنه ولى القضاء بعد ، بل دعاء الدرس بعد دهر لابن أخيه ، فإنه بعد وفاة « المحب » استقر فيه شيخنا « العز عبد السلام البغدادى » ثم رغب عنه للشيخ « عضد الدين الصيرافى » وهو « البدر محب الأمين عبد الرحمن بن الديرى » وعد ذلك كرامة القاضى ، وقد أشار شيخنا بشىء من ذلك فى ترجمة القدسى المذكور سنة ست وثلاثين من أنبائه فقال ما نصه : واستقر بعده فى تدريس « جامع الماردانى » الشيخ سعد الدين بن الديرى ، فلبّس بعد الناس على السلطان أنه نزل له ، وكان السلطان أمر بترك النزولات وعدم إمضائها ، فغضب وأمر بتقدير «محب الدين بن الشيخ زاده» فيه ، فتألم الناس « لسعد الدين » واعتذر محب الدين بأنه لم يكن له فى ذلك سعى ، ولا يقدر على مخالفة السلطان خشية على نفسه انتهى .

وكانت ولايته لقضاء الحنفية بالديار المصرية بعد امتناعه وإلحاح « الظاهر » قبل سلطنته بيسير عليه حتى قبل ، واستقر فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة عوضا عن شيخنا القاضى بدر الدين العينى ، فباشره بمهابة وصرامة وعفة ، وأحبه الناس لاسيما إذ شرط على نفسه استبدال الأوقاف ، ودام ذلك إلى مضى ثالث سنة من ولايته ، وحصل للأوقاف من ذلك رِفق كبير ، وعمرت أوقاف الحنفية فى ولايته ، وكثر متحصلها بعد أن كان تلاشى أمرُها ، من كثرة مابيع منها أنقاضاً ، واستبدالا بالذهب والفضة ، وليت الذى شرطه دام ، بل قيض الله له من احتال عليه بكل طريق موصل إلى ظهور مسوّغ عنده ، وغضب فى بعض الكوائن المتعلقة « بالسفطى » حسبما يأتى فى ترجمته ، وكذا فى غيرها ، وعزل نفسه وصمم على عدم العود ، ثم يلزم ويعاد .

وكان إماما عالما علامة ، جبلا(١) فى استحضار مذهبه ، قوى الحافظة ، حتى بعد كبر السن ، سريع الإدراك ، شديد الرغبة فى المباحثة فى العلم والمذاكرة به مع الفضلاء والأئمة ، مقتدراً على الاحتجاج لما يروم

---

(١) فى الأصل « حلا »

الانتصار له ، لاينهض أحد بزحزحته غالباً ، ذا عِناية تامّة بالتفسير لاسيما معالم التنزيل ، وبالمواعيد يحفظ من متون الأحاديث مايفوق الوَصْفَ ، غير ملتزم الصحيح من ذلك ، وعنده من الفصاحة وطلاقة اللسان فى التقرير مايُعجِزُ عنْ وصفه ، لكن مع الإسهاب فى العبارة ، وصار منقطع القرين ، مَفخر العصريين ، ذا / وقع وَجلالة فى النفوس ، وارتفاع عند الخاصة والعامة على الرؤوس ، من السلاطين والأمراء والعلماء والوزراء فمن دُونهم ، بحيث إنه عرض على كل من شيخينا « الكمال بنُ الهمام » و « الأمين الأقصرائى » الاستقرار فى القضاء عوضا عنه فامتنعا مُصَرِّحين[1] بأنه لايَحسُنُ التقدّم مَعَ وُجودِه ، وَقدِمَ الكمالُ[2] من الحج مرة فابتدأ السلام عليه . « المؤيدية » قبل وصوله إلى بيته .

66

وعُقِدَ مجلس فى « الصالحية » بسبب وقف « العجمى » سبط « الدّميرى[3] » فسُئل « الأمين » إذ ذاك عن الحكم فأجاب بقوله : أنا أفتيت ولاشعور عندى بكون الاستفتاء يتعلق بحكم مولانا قاضى القضاة ، فإنّ الذى عندى أنّ مشايخنا المتأخرين لوكانوا فى جهة وهو فى جهة ؛ كان عندى أرجح وأوثق .

وأما شيخنا[4] فكان أمراً عجباً فى تعظيمه والاعتراف بمحاسنه ، وترجمته له فى الأصل[5] مع كونها مختصرة شاهدة لعنوان ذلك . وكذا كان « القاضى سعد الدين » يكثر التأسف على فقد شيخنا بعد موته ، ولايزالُ يترحَّمَ ويذكر مامعناه : أنه صار بعده غريباً فريداً ويحكى من مذاكرته

---

(١) فى الأصل وكذلك فى الضوء اللامع ، العبارة « فامتنع مصرحا » وما ذكرناه هو الصواب .

(٢) هو الكمال بن الهمام المذكور آنفاً .

(٣) الدميرى بفتح أوله .
(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٠٠)

(٤) المراد بشيخنا « ابن حجر » كما ينبه على ذلك كثيرا .

(٥) المراد بالأصل : هو كتاب رفع الإصر عن قضاة مصر لشيخه ابن حجر كما يصرح بذلك فى هذا الكتاب .

معه جملة ، ويقبح من كان يمشي بينهما بالإخاش المقتضى للاستيحاش ، فرحمهما الله تعالى .

ولقد كان للزمان بوجودهما البهجة ، وبهما فى كل حادث المحجة ، ولذلك سمع هاتف يقول : بعد « أحمد » و« سعد » مايفرح أحد .

وقد اشتهر ذكره ، وبَعُد صيته ونشره ، وكثرت تلامذته ، وتبجح الفضلاء من كل مذهب وقطر بالانتماء إليه ، والأخذ عنه ، حتى أخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى ، وألحق الأبناء بالآباء ، بل الأحفاد بالأجداد ، وقصد بالفتاوى من سائر الآفاق ، وحدث بالكثير .

قرأت عليه أشياء ، وكتبت عنه من فوائده ونظمه جملة ، وقرض(١) عَلَيَّ بعضَ تصانيفي فى سنة خمسين بما نصه : وقفت على هذا التخريج النفيس المبارك فألفيته قد فاق أو قارب أو شارك ، فلله دره ، من جامع درر فاخرة ثمينة ، ومانع شرر عن حوزته الحصينة المصونة ، نفعه الله به ، والناظرين فيه والمقتبسين من جواهره ودراريه .

ووصف مصنفه فى موضع آخر بخطه : بالشيخ الإمام الفاضل ، المحدث الحافظ المتقن ، وكان مع ذلك ؛ قد رزقه الله السَّمت الحسن ، وصحةَ الحواس مع كِبَر السِّن . الذى لا يتأخر بسببه عن عظيم رغبته فى الإلمام بأهله ، ولكن أعانه على ذلك ماسمعته غيرَ مرة بقوله : هو أنه كلما تقدم الناس فى السِّن غالباً يَتَغَيَّر مِزاجُهم من الحرارة إلى البُرودَة ، وأنا بالضِّدِّ من ذلك . ولهذا كان لم يزل محمرّ الوجنتين .

كل هذا مع كثرة البِشر ، ولَينِ الجانب ، والحاضِرَة الفَكِهَة ، وفَرطِ التَّواضع ، والقُربِ من كل أحد ، مع الوقارِ والمَهابة على بَنِي الدُّنيا ، والتقلل من الاجتماع بهم ، والدين المتين ، وسلامة الصدر جداً ، ومزيد التعصب لمذهبه ، والميل الزائد لأصحابه ، وانقيادِه معهم

---

(١) التقريض : المدح والذم . وقرض : زال من شيء إلى شيء (القاموس المحيط)

تحسيناً للظن بهم ، وما أتى إلا من قبل ذلك ، مذكوراً بإجابة الدعوة ، عظيم الرغبة فى القيام بأمر الدين ، وقمع من يتوهم إفساده لعقائد المسلمين .

اتفق أنه أحضر له شيخ من أهل العلم حصنى[١] فادُّعى عليه بين يديه أنّ عنده بعض تصانيف « ابن عربى » وأنه ينتحلها ، / واعترف بكونها عنده ، وأنكر ما عدا ذلك ، فأمر بتعزيره[٢] بحضرته فعُزِّر بضرب عُصَيات ، ثم أمر به « الظاهر جقمق »[٣] فنفى ، فرحمهما الله . كيف لو أدركا هذا الزمن الذى حلّ به كثير من الرزايا والمحن ! .

٦٧

ولم يشغل — رحمه الله — نفسه بالتصنيف مع كثرة اطلاعه وحفظه ؛ ولذلك كانت مؤلفاته قليلة ، فما عرفته منها : « الكواكب النيرات فى وصول ثواب الطاعات إلى الأموات » ؛ اقتفى أثر السُّروجى فيه مع زيادات كثيرة ، و « السهام المارقة فى حد[٤] الزنادقة » فى كراريس ، و « فتوى فى الحبس بالتهمة » فى جزء ، وأخرى فى « هل تنام الملائكة أم لا » ؟ وهل منعُ الشعرِ مخصوصٌ بالنبى صلى الله عليه وسلم أم عام فى جميع الأنبياء ؟ وشرَعَ فى تكملة « شرح الهداية » للسُّروجى وذلك من « أول الأيمان » بفتح الهمزة ، فكتب إلى أثناء « باب المرتد » من كتاب « السِّيَر » ست مجلدات ، أطالَ فيها — تبعاً لأصله — النَّفَس ،

---

(١) حصنى : هى كذلك فى الضوء اللامع ج ٣ : ٢٥٢ . أنظر الترجمة فى نفس المصدر

(٢) التعزير : عند الفقهاء هو التأديب على فعل معصية لا حد لها ولا كفارة كشهادة الزور مثلا ، والضرب بغير حق ، وقد يشرع التعزير لما ليس بمعصية مما ينبغى التحرز منه كالاشتغال باللهو الذى لا معصية فيه كالضرب بالدف ، وغناء الرجل فى المجامع من غير آلة لهو محرمة . والتعزير يرجع فيه إلى تقدير القاضى ، ويكون بنحو الحبس والضرب والتوبيخ بالكلام ، وقد عقد الفقهاء له باباً بينوا فيه أحكامه وحدوده . والتعزير فى أصل اللغة من العزر وهو المنع ، ويأتى التعزير فى اللغة أيضاً للتفخيم والتعظيم ومنه قوله تعالى « وتعزروه وتوقروه » كأنك إذ تفخم الرجل تمنع عنه الازدراء والاحتقار
(معيد النعم ومبيد النقم للسبكى ٢٣ بتحقيق محمد على النجار وآخرين . نشر الخانجى) .

(٣) جقمق : بفتح أوله وسكون ثم فتح ؛ الضبط من النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٢٠٢) .

(٤) فى الضوء اللامع « السهام المارقة فى كبد الزنادقة » أنظر الترجمة : ٢٥٢ .

وله منظومة طويلة سماها « النعمانية » ، فيها فوائد نثرية بديعة ، كان يُكثر إنشادَها ، ولا يزال يلحق فيها حتى صارَت كراريس ، وكذا له قصيد مخمس فى مدح النبي — صلى الله عليه وسلم ؛ كان السبب فى نظمه : أن والده اقترح عليه عمل بيتين « دوبيت »(١) فعمل كل منهما ذلك ارتجالا ، ثم قال له : اعمل ذلك من الأبحر ، فعملا كذلك . ثم قال له : اعمل قصيدة حافلة على مَهلك ، قال : فنظمتُ قصيدةً نحو سبعين بيتاً ، لكن لم أقيدها بالكتابة ، فلما كان فى حدود سنة أربعين وثمانمائة ؛ قيدت منها ما حفظته وخمسته وزدت عليه أبياتاً وأولها : [كامل]

مَا بَالُ سِرِّكَ بالهَوَى قدْ لاحا
وَخفِيُّ أمرِكَ صَارَ مِنكَ بَوَاحا
ألِفرْطِ وَجدِكَ مِنْ حَبيبٍ لاحِي
نَمَّ السَّقَامُ على المُحِبِّ فباحا
ونمى الغرام به فصاح وناحا

وأنشدنى لفظاً قال : أنشدنى « الصدر بن العز » لنفسه : [طويل]

صريح طلاق المرء يلحق مثله ويلحق أيضاً بائناً كان قبله
كذا عكسه لا بائن بعد بائن سوى بائن قد كان علق فعله

قال القاضي : وقد جمعت ذلك فى بيت واحد فقلت : [طويل]

وكلُّ طلاقٍ بعد آخَرَ واقع سوى بائنٍ مَعْ مِثلهِ لم يعلَّقِ

قال : وقلت أيضاً : [طويل]

ويعقب رجعى سواهُ لعكسه فى بائنه لا الغير معلق

ومما كتبته عنه قوله : [طويل]

أيا سعدُ لا تيأسْ لذنبٍ لوَ انه على جبل راسٍ لدُكَّ بحَمْله
فكم مِنْ ذُنُوبٍ قدْ تَضَاعَفَ عدُّها
تجاوز عنها ذو الجلالِ بفضله

(١) الدوبيت : هو أن يكون كل بيتين على روى واحد .

وثَمّ شفيعُ الخَلْق أحمدُ مَلْجـأ العُصاة نبيّ الله خاتم رُسله
فكن راجيا منه الشفاعةَ تعطها فما خاب من ناط الرجاء بأهله

وقوله : [بسيط]

يارب عَبْدك قد زلّت به القدمُ وكان منه الذى قَدْ خَطّه القلم
وقد أتىَ تائبا مستغفراً حذراً وشفّه الخوف مما كان والندم
فاغفر له ، وتجاوز عن جريمته فالعَفْو دأبك ياذا الحلم والكرم

وقوله فى أهل الزمان وشكاية الإخوان ، وقد كتب عنه شيخنا أيضاً بظاهرُ شبرا فى شعبان سنة إحدى وأربعين : [كامل]

ذَهَبَ الأولى كان التفاضُل بينهم بالحِلْم والإفضال والمعروف
يتجشمون متاعبا لإعانة الـ مظلوم أو لإغاثة الملهوف
وأتىَ الذين الفخرُ فيهم مَنْعُهم للسائلين وظلمُ كلّ ضعيف
فتراهمُ يترددون مع الهَوَى قد أعرضوا عن أكثر التكليف
ما بين جبّارٍ وباعثِ فتنة ومخاتلٍ بخداعه مشغوف
والمستقيم على الطريقة نادرٌ مَا إنْ تراهُ بين جمع ألوف
فاسلم بدينكَ لا تكن مستبدلا ذا ضنّةٍ وفظاظةٍ برءوف
فهو الذى يُجرى الأمور بحكمه فى سائرِ التدبير والتصريف
فالكم جلا عنا حنادسَ كُرْبة قد حلّها من بعد مَسّ حتوف
وهو الذى يُرجَى ليوم معادنا فى رفع أهوال وطولِ وقوف
ثم الشفاعة من إمام المرسلـ ين السيّدِ المخصوصِ بالتشريف

وقوله عقب فطره فى بعض ليالى رمضان :

يا مُطعم عبده وياساقيَهْ يا حافظ نفسه ويا واقيَهْ
يرجوك لما لا يعلمه لاقِيَهْ أن تجعلِ خير عمره باقِيَهْ

وقوله : [كامل]

لم أنس إذ قالت وقد أزف النوى أفديك بالأموال بل بالأنفُسِ
ماذا الفراق ؟ فقلت أنتِ أردْتِه قالت: كذا فعْلُ الجوارى الكنس
فكأن نَثْر دُموعها بخدودها طل على وَردُهما من نرجس

وقوله : [الرمل]

رَوح الروحَ براحاتِ الأملْ وتعللْ بعَسَى ثم لعلّ
واحتمل أوصاب دهر كدر فغريق البحر لا يخشى البلل
وابدأ البلوى بوجه طلق واترك الشكوى ودع عنك الملل
فمعاناة صروف الدهر لا تبعد البلوى ولاتدنى الأجل
وإذا ضاق بك الأمر فقل قَدر الله وما شاء فعل
ما تناهَى الخَطْب إلا وانتهى وبَدا به حيث كمل

وقوله وأنشدهما قبيل موته : [رجز]

يا من قضى على العباد بالْفَنَـا فصائر إلى عناء أوْ هَـنا
اجعل لنـا مَصيرَنا فى سَيْرِنا إلى هَنَـا إلى هُنا إلهنا/ ٦٩

ومن فتاويه ممـا وجدته بخط شيخنا مانصه ، قال :

سأل الشيخ يونس بن حسين الألواحى عن منشد أنشد على منارة مسجد أبياتا منها : [خفيف]

خمرة تركُها علىّ حرامٌ ليس فيها إثمٌ ولا شُبُهاتُ
شَرِبُها آدمٌ ونوحٌ وشيث وتحيّاتهـا غدت زاكيات
شربها[1] عيسى فصار نبيا وحبيباً وزائد البركات

وهى طويلة ، فأنكر عليه طالب فغضب ، واستفتى على الطالب فكتب له بعض الناس : اللهم فهم الصواب ! ، إذا كان القصد بذلك خمرة التوحيد التى يهيم بها العارفون فليس فى ذلك خطأ ، ولا يجب على المنشد شىء ، ويؤدب المعترض عليه بتَعَدّيه ، وقد قال الشيخ ابن الفارض [طويل] .

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فاستفتى الطالب علماء عصره ، فوقفت على خط الشيخ « عز الدين عبد السلام البغدادى » الحنفى فأطنب فى تصويب الطالب وتخطئة المنشد

(١) فى الأصل « وشربها » .

والمفتى . وعلى خط الشيخ « شهاب الدين بن تقى » المالكى فسلك مَسْلكه ونقّح المسألة ، وحرّر الأدلة . وعلى خط الشيخ « سعد الدين بن الديرى » ونصه :

الحمد لله الهادى للحق ؛ لا ينبغى ولا يَصْلحُ أن يستعار لفظ الخمرة فى هذا المقام العلى ، والمحل الزكى ، وإن كان قد حصل الإطباق من أهل النظم والنثر قديماً وحديثاً ، على استعارة الخمرة أو ما رادفها أو ما أطلق عليها باعتبار صفة من صفاتها على ما يعتنون به ، من محبة أو جمال أو سرور أو غير ذلك ، لكن هذا المقام يجل عن إيراده مورد التشبيه بشىء قد أذله الشرع ، وحقره واستقذره ، وأسقط قدره وحظره ، وحرّم عينه ، وذم أثره ، وإن كان من المعلوم أن أحداً من المسلمين لا يريد بذلك الحقيقة ، ولا سيما إذا دلت القرائن على عدم القَصْد إليها ، لكن ينبغى أن ينزه ذلك المكرّع الذكى عن شبيهه بما ظهره عُواره ، وذمت آثاره ، وعظمت أوزاره ، وحقر مقداره . وإطلاق الجواب أنه ليس على قائل ذلك شىء ؛ فيه تجاسر واجتراء ، ولو لم يكن إلا ما فيه من إساءة الأدب لكان(١) فى ذلك كفاية ، فكيف مع موانع الإطلاق ، والله أعلم . كتبه « سعد بن محمد الديرى » الحنفى .

ومما كتب إليه من الأسئلة المنظومة [كامل] :

الحمدُ لله العلىّ الفردِ ذى	الإعزاز والإجلال مُولى الحمد
ثم الصلاة مع السلام على الرسو	ل وآله أهل السخا والزهد
ما قولُ فردِ العصر سَعْدِ هُداته	شيخِ الشيوخ إمامِ سُبْل الرشد
فى ناظرٍ وَلىّ عَمِيّا جاهلا	درس الحديث حديث أكرم عبد
ثم ارتماه حين حقّقَ جَهْلَه	وأقرّ مَنْ يرضَى لهذا القصد
ثم ارتضى الغَمْرَ الغبى فردّه	من بعد حلّ المرتضَى للعقد
هل كان تقريرُ الجهول محرّماً	بَدْءاً عليه فى الكلامِ الجد
وهل التفحص كان عَنْه واجباً	قبل الولاية يا كريمَ الجد

(١) فى الأصل « وكن » .

وَأَفاسِق هُوَ مِنْ وظائف دينه ... عَزْل بإدنـاه يستحق البعد
وبما يؤَدِّب ذا الجهول بفعله ... إن مَدَّه فى السَّعى أى المَدّ
٧٠ لا سيما مع عزل الأهل وطرده ... من غير جرم موجب للطرد
وهل السكوت لقادر عن زَجْره ... جرمٌ ينافى شرعَ أهلِ المجد
وَمن المُصَادِف صحةً تقريره ... يا مُرْفد السُّؤَّال إلى خير الرفد
أسعِدْ بحظ ماحوَتْه راحـة ... إلا استراحت فهو خط السَّعْد

فأجاب :

ياسائلى عن خُلة جالت فمـا ... ينحو إليها غيرُ ذاك الفرد
أين المفَتشُ عن محل ولادة ... خوفَ الفضيحةِ عند ضيق اللحد
فلَقلّ مايُعنى بذلك عالمٌ ... إن لم يُعَنْ من ربه بالرِفْد
حق الحديث بأن يُعَظِّمَ حقَّه ... مع جهدِ ذى جَدّ عظيمِ الجد
فيقره فى أهـله ومحلِّه ... من غير حَيْد عن سواءِ القصد
فإن استمالتْهُ الدُّنا عن قصده ... عَطَفَته آثارُ الهدى والرُشد
فيظل يأسفُ نادما من تركِه ... فرْضَ التثبُّت عند قصْدِ العقد
وكَفَتْ سفاهةُ ناظر بولاية ... لمجازف متجاوز فى الحدّ
وشريكه فى الإثم من يقْوَى على ... رد ويرضى رَفْضَ فرضِ الرد
وكفَتْ بنُظَّارٍ عمىً وجناية ... وخيـانة وركوبِ أمرٍ إد
جعَلَ الوظائفَ فى محل ضياعها ... فيرى بهزْل الحكمِ حكمُ الجِد
ماذاك ذنبٌ واحدٌ بل جُمِعَتْ ... فيه ذنوبٌ موبقات العبد
ومَن ادَّعَى حبَّ الشريعة قاصداً ... لعلومها ورُسومها بالهَدّ
فلقد قضَتْ منهُ شواهدُ فعلـه ... محفوفة منه بفعل مُرْد
بفسادِ دعواه دَمينِ مقالِه ... وإبائه عن رَعْيِ ذاك العهد
ومن العناية بَذْل الجهد فى الذى ... يُرْضى الإله وخَتْمها بالسَّعْد

وسُئِلَ أيضاً عن رجلٍ حلَفَ بالطّلاق والعِتَاق : أن شعر « ابن نباتة[1] » أحسن من شعر « الصفى » . فأجابه رجل بمثل يمينه : أن

(١) ابن نباتة : جمال الدين ، أبو بكر، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ، الجذامى ...

شعر « الصفى » أحسن من شعر « ابن نباتة » ، وصورة السؤال : [الكامل]

شيخَ الشيوخ وصاحب الجاهِ الوفى ... قلبى يحدثنى بأنَّك مُنْصِفِى
هذا سؤالٌ عبد بابك لم يزرْ ... أحداً وكيف يزور من لم يعرف
فى حالف بطلاقه وعتاقِـه ... ابن النباتة فاق أشعار الصفى
فأجابه رجلٌ بمثـل يمينه ... أن الصفىَّ الرائق العذْب الصفى

فأجاب : [كامل]

يا سائلى عن حالفَيْن تحالفا ... فى فضْل ذَين بغيرِ فصل منصف
قد حاد كل عن سواء محجّـة ... إذْ أطلق التفصيل للمستوصف
أنَّى وقد عُرِف التفاضُل فيهما ... فى الجانبين فمن نَفَى لمْ يعْـرِف
ولَـئنِ سَمّـا نظم لنَجْـل نباته ... بتغزّل وترفـق وتآلف
وقريحة شفت معانِى أنبْأت ... عن حسن مأخذ منشىء أو مقتفى
فلكم جنت أيدى البديع جنى دنا[1] ... وصفا لمشتار من العذب الصفى/
إن لم يكن كلٌ بذا متأوِّلا ... فالحنْـثُ حَتْمٌ لازمٌ لا يختفى
لـكن أعم نظام الأول فائق ... عنـد الأعم فبر ناويه وفى
هذا وتَرْكُ الخوض فى أمثال ذا ... أوْلَى وأسْلمُ عند هول الموقف
ولربما اقتضت البواطن ضدَّما ... قضت الظْواهر فاحكمن بتوقف

٧١

ولم يزل على جلالته وعلو مكانته ، وأكرمهُ الله قبلَ موته بالانفصال عن وظيفة القضاء باحتيال بعضهم فى التبليغ عنه أنه طلبَ الاستعفاء ، فأجيب ، وذلك فى النّصْـف الثانى من شوال سنة ست وستين .

واستقرّ بعد انفصاله فى القضاء « محب الدين بن الشّحنة » ، وذلك فى فى يوم الاثنين حادى عشر الشهر المذكور ، وفى « مشيخة المؤيدية » ، ولده

═المصرى ، ولد بمصر سنة ٦٨٦ هـ وفاق أهل زمانه فى النظم والنثر وهو أحد من حذا حذو القاضى الفاضل ، وسلك طريقه ، مات بالقاهرة سنة ٧٦٨ هـ
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٧٣) .

(١) فى الأصل « جادنا » والأصح أن تكون « جنى دنا » .

«التاج عبدالوهاب» ، واستمر القاضى متوعكا حتى مات فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ، فأقام معزولا نحو ستة أشهر ، وصُلى عليه بـ «مصلى المؤمنى» ، تقدم المستقر بعده للصلاة ، وحضر جنازته السلطان والقضاة والأمراء والأعيان ، ودفن بتربة «الظاهر خشْقَدم» ، وتأسف الناس على فقده كثيرا ، ولم يخلف بعده مثله — رحمه الله وإيانا — ونفعنا ببركته .

***

زين الدين الأنصارى*

زكريا بن محمد بن أحمد السنيكى القاهرى ، الشافعى

٨٢٣ — ٩٢٦ هـ

٦١ / زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا بن رداد بن حميد بن أسامة بن عبد الولى ، صاحبنا الشيخ زين الدين الأنصارى السَنَيْكى[1] ثم القاهرى ، الأزهرى ، الشافعى .

ولد بـ «سُنَيْكَة» من «الشَّرْقيَّة» ، ونشأ بها فحفظ القرآن عند الفقيهين «محمد بن ربيع» و «البرهان الفاقوسى البُلْبَيْسى[2]» — أحد من كتبتُ عنه — و «عمدة الأحكام» ، وبعض «مختصر التِّبْرِيزى» فى «الفقه» ، ثم تحول إلى «القاهرة» فى سنة [إحدى وأربعين[3]] ، فقطن «جامع الأزهر» ، وكمل حفظ «المختصر» المذكور ، بل حفظ

---

* زكريا الأنصارى : أنظر ترجمته .
(فى الضوء اللامع ج ٣ : ٢٣٤)

(١) نسبة إلى سنيكة من الشرقية كما فى الضوء اللامع ، وجاء فى معجم البلدان لياقوت ج ١١ : ٢٧٠ ط . ب : أنها من قرى مصر بين بلبيس والعباسة .

(٢) البلبيسى بضم ، اوله نسبة لبلبيس من الشرقية كما جاء فى .
(الضوء اللامع ج ١١ : ١٩١)

(٣) ما بين المعقوفين ناقصة من الأصل ، والزيادة من الترجمة فى .
(الضوء اللامع ج ٣ : ٢٣٤)

أيضاً « المنهاج الفرعى » و « الألفية النحوية » و « الشاطبية » ، و « الرائية » وبعض « المنهاج الأصلى » ، ونحو النصف من « ألفية الحديث » ومن « التسهيل » إلى « كاد » ، وبعض ذلك بعد هذا الأوان ، وأقام بعد مجيئه « القاهرة » بها يسيراً ثم عاد إلى بلده ، ثم رجع ، فداوم الاشتغال وجدّ فيه . فكان ممن أخذ عنهم « الفقه » : « القاياتى » و « العلم[1] البلقينى » ، أخذ عنهما بقراءة « شرح البهجة » مُلفقاً ، بل أخذ عنهما فى « الفقه » غير ذلك ، و « الشَّرَف السُّبكى » و « الشُّموس الونائى[2] » و « الحجازى » و « البَدْرَشى »[3] و « الشهاب بن المجدى » و « البدر النسابة » و « الزين البُوتيجى » بل وعن شيخنا و « الزين رضوان » فى آخرين ، وحضر دُرُوسَ « الشَّرف المناوىّ » وغيره .

و « أصول الفقه » : « القاياتى » و « المحيوى الكافياجى » قرأ عليهما « العضد » ملفقاً .

و « العز عبد السلام البغدادى » و « الكمال بن الهمام » و « الشمس الشروانى[4] » و « التقى الشُّمُنِّى » وجماعة . و « أصول الدين » : « العز » المذكور أخذ عنه « شرح العقائد » بكماله ، ما بين سماع وقراءة . « والشروانى » قرأ عنه « شرح المواقف » ، و « الشمس محمد بن محمد ابن محمود » المدعو بالشيخ « البخارى »[5] نزيل « زاوية الشيخ نصر الله »

---

(١) فى الأصل « العلمى » وفى الترجمة فى الضوء اللامع « العلم » .

(٢) هو الشمس محمد بن محمد بن عثمان الونائى ، نسبة إلى « ونا » من قرى الصعيد بالقرب من بوش .
(انظر الترجمة فى الضوء اللامع)

(٣) البدرشى : نسبة للبدرشين من الجيزة ، وهو الشمس محمد بن على بن محمد بن محمد ابن على بن عثمان .
(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٩)

(٤) الشروانى : هو الشمس محمد بن مرهم الدين والشروانى نسبة إلى مدينة بناها أنوشروان محمود باد .
(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٠٩)

(٥) الشمس محمد بن محمد بن محمود (المدعو بالشيخ البخارى) وهو محمد بن محمد بن محمود =

قرأ عليه « العبري » « شرح الطوالع » و « الأبدى »[1] وغيرهم ، وعن كل مشايخه فى أصول الدين أخذ « النحو » بل وأخذه أيضاً عن « ابن المجدى » و « ابن الهمام » و « الشمنى » ، و « الصرف » عن « العز عبد السلام و « الشروانى » وكذا عن « محمد بن أحمد الكيلانى »[2] ؛ قرأ عليه « شرح تصريف العزى للتفتازانى » وطائفة . و « المعانى والبيان والبديع » عن القاياتى ؛ أخذ عنه « المطول » ما بين قراءة وسماع ، و « الشمس البخارى » المذكور قرأ عليه « المختصر » ، و « الكافياجى » و « الشروانى » وعن من عداه أخذ « المنطق » ، وكذا عن « ابن الهمام » و « الأبدى » ، و « الزين جعفر العجمى الحنفى »[3] نزيل « المؤيدية » قرأ عليه « شرح الشمسية » وغالب حاشيتها لـ « السيد » . و « التقى الحصنى » أخذ عنه ظناً فى « القطب » وحاشيته ، وأخذ عنه « القاياتى » فى « اللغة » وكذا أخذ عنه وعن « الكافياجى » وشيخنا فى « التفسير » .

وأخذ « علم الهيئة » و « الهندسة » و « الميقات » و « الفرائض » و « الحساب » و « الجبر » و « المقابلة » ، وغيرها عن « ابن المجدى » .

= ابن محمد بن محمد بن مودود ، الشمس ، الجعفرى ، البخارى الحنفى ، اشتغل ببلاده ثم قدم مكة فجاور بها وانتفع الناس به فى علوم المعقول ، ولد فى سنة ٧٤٦ هـ ، ومات بمكة سنة ٨٢٢ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٠ .)

(١) الأبدى بضم الهمزة وتشديد الموحدة ، نسبة إلى بلدة بالأندلس من كورة جيان وهو الشهاب أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨١)

(٢) محمد بن أحمد الكيلانى : هو محمد بن أحمد الكيلانى — البجار بنيه — ومن ناها ابن بلد البجار ، الأزهرى الشافعى ، قدم القاهرة فجاور بالأزهر ، وكان عالماً محققاً صالحاً أخذ عنه الفضلاء ، وقرأ عليه الزين زكريا « شرح الشافية للجار بردى » و « شرح تصريف العزى للتفتازانى » مات بالقاهرة قريباً من سنة ٨٥٠ هـ .

(الضوء اللامع ج ٧ : ١٢٩)

(٣) الزين جعفر العجمى الحنفى : هو نزيل المؤيدية ، وممن قرأ عنه الزين زكريا القاضى « شرح الشمسية » وغالب حاشيتها للسيد ، وكذا أخذ عنه الحكمة ، ووصفه بالفضل والديانة .

(الضوء اللامع ج ٣ : ٧٠)

وقرأ عليه من تصانيفه أشياء . و « الفرائض » و « الحساب » أيضاً عن « الشمس الحجازى » و « البُوتيجى » . وكذا عن « أبى الجود البَنَبْنى » قرأ عليه « المجموع » و « الأصول » و الحكمة » عن « الشروانى » و « جعفر » المذكور . و « الطب » عن « الشَّرَف بن الخَشَّاب » ، و « العروض » عن السِّرَاج الوَرْوَرِى »[1] . و « علم الحرف » عن « الناصرى محمد بن قرقماس[2] الحنفى » . و « التصوف » عن جماعة ؛ منهم أبو عبد الله الغمرى ، و « الشهاب أحمد الإدْكاوى » و « محمد الفُوِّى » وكلاهما من أصحاب « إسحاق إبراهيم الإدكاوى » ، وعن « السراج عمر أبى النَّبْتيتِى »[3] و « الزين عبد الرحمن الخليلى » وتلقَّنَ منهم ومنْ « أحمد ابن الفَقيه على بن محمد بن / الدمياطى[4] » عرف بالزلبانى الذكر » ، وتلا بالسبع على كل من « النور البُلبيسى » إمام « الأزهر » ، « والزين

٦٢

---

(١) هو السراج عمر عيسى بن أبى بكر بن عيسى ، السراج الوروري ، ثم القاهرى الأزهرى ، الشافعى ، توفى فى ذى الحجة سنة ٨٦١ هـ .
(الضوء اللامع ج ٦ : ١١٢)

(٢) هو محمد بن قرقماس بن عبد الله ناصر الدين ، الاقتمرى القاهرى ، الحنفى ويعرف بابن قرقماس ولد فى سنة ٨٠٢ هـ تقريباً ، بالقاهرة وتوفى فى سنة ٨٨٢ هـ .
(الضوء اللامع ج ٨ : ٢٩٢)

(٣) السراج عمر النبتيتى : هو عمر بن على بن غنيم بن على السراج ، أبو حفص ، ابن أبى الحسن ، الدمشقى الأصل ، الخانكى المولد ، المشتولى المنشأ ، الشافعى ويعرف بالنبتيتى (نسبة إلى نبتيت قرية بالقرب من سرياقوس) ولد تقريبا بعيد سنة ٧٨٠ هـ بالخنقاه ، ونشأ مع أبويه بمشتول الطواحين من الشرقية ، ومات أبوه وهو صغير ، فحفظ القرآن ، وربع العبادات من « التنبيه » ، وأقبل على العبادة ودرس على جماعة من العلماء ، وتكسب بالزراعة ونحوها إلى ان اشتهر ذكره ، وارتفع محله ، وذكرت له احوال صالحة وكرامات ، وكان مداوماً على التهجد والصوم وإكرام الوافدين ، قطن بنبتيت نحو خمسين سنة ، وبنيت له زاوية بالقرب منها ، ولكنه انتقل قبل موته إلى الخانقاة سنة ٨٦٥ هـ ، وبنيت له بشرقيها زاوية ، ومات بها سنة ٨٦٧ هـ ودفن بها .
(الضوء اللامع ج ٦ : ١٠٨)

(٤) احمد ابن الفقيه على بن محمد بن الدمياطى : هو احمد بن الفقيه على بن محمد بن تميم شهاب الدين ، ابو عبد الباسط الدمياطى ، الشافعى ، ويعرف بالزلبانى ، شيخ معمر رآه صاحب الضوء اللامع سنة ٨٧٧ هـ ، وهو ممن صحب الزين أبا بكر الحوافى وعبد العزيز الغزنوى ، وتلقى منهما الذكر ، هو ممن أخذ عن الشبرالسى .
(الضوء اللامع ج ٢ : ٣٢)

رضوان » و « الشهاب القلقيلي السكندري » بعد تمرنه به في ذلك ببعض طلبتهم ، وبالثلاث الزائدة عليها بما تضمنته مصنفات « ابن الجزري » النشر والتقريب والطيبة[1] على « الزين جعفر طاهر المالكي » وبالعشر لكن إلى « المفلحون » فقط ، على الزين بن عباس المكي » بها . وأخذ مرسوم الخط عن « الزين رضوان » ، بل سمع عليه في البحث من « شرح الشاطبية » لـ « الجعبري » ، وحمل عنه كتباً جمة في « القراءات » و « الحديث » وغيرهما كحمله من « شرح ألفية الحديث للعراقي » . وعن « ابن الهمام » أخذ هذا « الشرح » بتمامه سماعاً وبعضه قراءة ، وعن « القاياتي » بعضه ، بل وأخذ عن شيخنا الكثير منه ، ومن « ابن الصلاح » وجميع « شرح النخبة » له ، وقرأ عليه « بلوغ المرام » ألفيه أيضاً و « السيرة النبوية لابن سيد الناس » ، ومعظم « السنن لابن ماجه » ، وأشياء غيرها ، وسمع في « صحيح مسلم » على « الزين الزركشي » ، وكذا سمع على « العز بن الفرات » « البعث لابن أبي داود » ، وغيره ، وعلى « سارة ابنة ابن جماعة »[2] في « المعجم الكبير للطبراني » بقراءتي . و « البرهان الصالحي » و « الرشيدي » وكثير ممن تقدم « كالزين رضوان » ، واشتدت عنايته بملازمته له في ذلك ، حتى قرأ عليه « مسلماً والنسائي » و « البوتيجي » و « البلقيني » .

بـ « مكة » في سنة خمسين حين حج على « الشرف أبي الفتح المراغي » ، و « التقي بن فهد » والقاضيين « أبي اليمن النويري » ، و « أبي السعادات ابن ظهيرة » ، في آخرين بـ « القاهرة » وغيرها .

ويعد من ذكر من جمع شيوخه في أخذه عنه أكثر من بعض كما أن عمله في هذه العلوم أيضاً يتفاوت ، ولم ينفك عن الاشتغال على طريقة جميلة من التواضع وحسن العشرة والأدب ، والعفة ، والانجماع عن

---

(١) « الطيبة » أيضاً في الضوء اللامع .

(٢) هي سارة ابنة عمر بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن صخر ، أم محمد ابنة السراج ابي حفص بن العز الكناني الحموي ، القاهري ، الشافعي توفيت في ليلة الاثنين خامس المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة .

(الضوء اللامع ج ١٢ : ٥٢)

بَنِى الدُّنيا مع التَّقَلُّلِ وشَرَفِ النَّفْس ، ومزيد العقل وسعة الباطن ، والاحتِمالِ والمدَارَة ، إلى أن أذِنَ له غيرُ واحدٍ منْ شيوخه ، فى الإفتاء والإقراء .

وممن كتب له شيخنا ، ونص كتابته فى شهادته على بعض الآذنين له « وأذنت له أن يقرأ القرآن على الوَجْه الذى تَلقّاه ، ويقرأ[1] « الفقه » على النَّمط الذى نصَّ عليه الإمام وارْتضاه . قال : والله المسئول أن يجعلنى وإياه ممن يرجوه ويخشاه إلى أن نلقاه » .

وكذَا أَذِنَ له فى إقْرَاء شرْح « النُّخْبة » وغيرِها . وتصدى للتدريس فى حياة غير واحد من شيوخه ، وانتفع به الفضلاء طبقة بعد طبقة وشرَحَ عدَّة كتب منها : « آداب البحث » وسماه « فتح الوهاب بشرح الآداب » و « فصول ابن الهائم فى الفرائض . وسماه « غاية الوصول إلى علم الفصول» مزَجَ المتْن فيه ، وآخرَ سمَّاه «منهج الوصول إلى تخريج الفصول» وهو أبْسَطهما ، والتُّحْفة القُدْسيَّة فى الفرائض لابن الهمام أيضاً . وسمَّاه التحفة الأنسية لغلق التحفة القدسية و « ألفية بن الهائم » أيضاً المسماة بـ « الكفاية » وسمَّاهُ « نهاية الهداية فى تحرير الكفاية » و « بهجة الحاوى » وسماه « الغرر البهية فى شرْح البهْجة الوردية » و « تنقيح اللباب » لابن العراقى ، و « مختصر الروضة لابن المقرى » المسمى « بالرَّوْض » وكتب على « الألفية » يسيراً ، وأقرأ معظم ذلك . وطار منه « شرح البهجة » فى كثير من الأقطار ، وقُصد بالفتاوى ، وزاحم كثيراً من شيوخه فيها ، وكان أحد من كتب فى كائنة « ابن الفارض »[2] . بل هو أحد من عظم

(١) العبارة فى الضوء اللامع « ويقرر » أنظر الترجمة فى
(الضوء اللامع ج ١٢ : ٢٣٦)

(٢) ابن الفارض : هو شرف الدين ، أبو القاسم ، عمر بن على بن مرشد الحموى الأصل ، المصرى ، ولد فى القاهرة فى ذى القعدة سنة ٥٧٦ هـ ، وكان أبوه يكتب فروض النساء ، وكان يسلك طريق التصوف ، وينتحل مذهب الشافعى ، مات فى ثالث جمادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٤٦)

٦٣

« ابن عربى » ، واعتقده وسماه « وليًّا » . وعزلته عن ذلك فما كفّ ، وله تهجّد وتوجّد ، وصبر واحتمال . وترْك للقيل والقال ، وأوراد واعتقاد وتواضع وعدم تنازع ، بل عمله فى التودد يزيد فى الحدّ ، وروّيته أحسن من بديهته ، وكتابته أمتن من عبارته ، وعدم مسارعته إلى الفتاوى مما يعد فى حسناته ، وبيننا أُنسة زائدة ، ومحبّة من الجانبين تامّة ، ولا زالت المسرات واصلة إلىّ من قِبلهِ بالدُّعاءِ والثناء ، وإن كان ذلك دأبه مع عموم الناس لحظّى منه أوفر ، ولفظى فيه لذلك أغزر .

وقد عمل الميعاد بـ « جامع الظاهر »[١] نيابة ، واستقر به « العلمى بن الجيعان »[٢] فى « مشيخة التصوف » بـ « الجامع » ، الذى أنشأه « بـ « بركة الرّطلى[٣] » أول ما فتح وكذا استقر فى « مشيخة التصوف » »

---

(١) جامع الظاهر : بناه السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٥ — ٦٦٧ هـ (بالميدان المعروف الآن بميدان الظاهر ، وقد عرف قديماً بميدان قراقوش) وتبلغ مساحته قرابة ثلاثة أفدنة ، وقوام تصميمه صحن مكشوف وأربعة ايوانات تحيط به ، لم يبق منها الآن إلا إيوان القبلة الذى جددته مصلحة الآثار سنة ١٩١٨ م وقد تعطلت الشعائر الدينية فى هذا المسجد منذ القرن العاشر الهجرى لا تساعه وعجز موارد الدولة عن إصلاحه ، فاتخذه العثمانيون مخزناً للمهملات الحربية ، ثم اتخذه الفرنسيون ثكنات للجند ، ثم حول فى عهد محمد على الى معسكر ومخبز ثم مصنع للصابون ، ثم جاء الإنجليز سنة ١٨٨٢ م فاتخذوه مخبزاً ومذبحاً فاطلق عليه اسم « مذبح الانجليز » وظل هكذا حتى أوقف فيه الذبح سنة ١٩١٥م ولكن عليه الاسم ثم أعيدت فيه إقامة الشعائر الدينية منذ ١٩١٨ م بعد أن أصلحته لجنة حفظ الآثار العربية ، وهو الآن متنزه ومسجد .

(الخطط التوفيقية ج ٥ : ٤٣) و (المقريزى ج ٤ : ٩١) و (فنون الاسلام للدكتور زكى محمد حسن) و (القاهرة القديمة وأحياؤها للدكتورة سعاد ماهر : ٤٣) .

(٢) ابن الجيعان : أنظر ترجمته فى (الضوء اللامع ج ٣ : ٢٩١) .

(٣) بركة الرطلى : قال المقريزى: إنها فى الجهة البحرية من مدينة مصر غربى جامع الظاهر وقد عرفت ببركة الطوابة بسبب عمل الطوب بها ، وقد كان الخليج الكبير يجرى من شرقيها . ثم عرفت ببركة الحاجب بسبب أن أرضها كانت بيد بكتمر الحاجب ، وكان طولها قرابة ٣٠٠ مترا وعرضها قرابة مائة متر ، وسبب تسميتها ببركة الرطلى هو أنه كان بالقرب منها زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال التى يزن بها الناس ، فسماها الناس « بركة الرطلى » وقد بقى محل الزاوية قائماً بالبركة إلى ما بعد سنة ٧٩٠ هـ ، وقد ردمت البركة فى عهد الخديوى اسماعيل فى نظارة على باشا مبارك للأشغال .

(الخطط التوفيقية ج ٣ : ٧٢ — ٧٣)

بمسجد « الطواشي عَلَم دَار[١] » بدرب ابن « سنقر » ، بالقرب من باب « البرقية » ، عوضاً عن ربيب[٢] شيخه « أبي الجود » ، ثم رغب عنه ، وقرره « الظاهر خشقدم[٣] » فى التدريس بتربته التى أنشأها بالصحراء أول ما فتحت ، وفى تدريس الفقه « بالمدرسة السابقية » بعد موت « ابن الملقن » وقدمه على غيره ممن نازعه ، وتحول من ثم للسكن فى قاعتها ، وزاد فى الترقى وحسن الطلاقة والتلقى مع كثرة حاسديه ، والمتعرضين لجانبه وواديه ، وهو لا يلقاهم إلا بالبشر والطى للشر[٤] ، إلى أن استقر به « الأشرف قايتباى »[٥] فى « مشيخة الدرس المجاور للشافعى » ، والنظر عليه عقب موت « التقى الحصنى » بعد سعى جل

---

(١) « علم دار » هى كذلك أيضاً فى الضوء اللامع (الترجمة فى الضوء اللامع للمؤلف)

(٢) فى الضوء اللامع « عوضاً عن زينب بنت شيخه أبى الجود .
(ارجع إلى الترجمة فى الضوء اللامع) .

(٣) الظاهر خشقدم : كان أتابك العسكر فى دولة المؤيد أحمد بن إينال ثم وقعت فتنة بين المؤيد أحمد والعساكر فقبضوا عليه وسجنوه ، وولوا بدله خشقدم (المذكور سنة ٨٦٥ وقد عرف بالظاهر أبو سعيد خشقدم الناصرى ثم المؤيدى ، وأراد فى سنة ٨٦٦ هـ التخلص من بعض الأمراء فتحايل عليهم حتى جمعهم فى القلعة ثم قبض على من يريد وسجنهم ، فقام عليه الباقون ، ودارت معركة بين أنصاره وبين من ولوه بدله كان النصر فيها حليفه وفى هذه السنة من حكمه توقف النيل وغلت الأسعار وتوفى سنة ٨٧٢ هـ ، ودفن فى تربته بالصحراء الشرقية كان كفءا للسلطنة ، طاهر الذيل ، لكنه كان سريع العزل للقضاة والمباشرين وأخذ أموالهم بغير حق .
(الخطط التوفيقية ج ١ : ٤٦)

(٤) فى الضوء اللامع « والطى للنشر » .

(٥) الأشرف قايتباى : هو أبو النصر قايتباى الظاهرى المحمودى ، كان أول أمره مملوكا للظاهر جقمق ثم أعتقه وظل يترقى حتى تولى السلطنة سنة ٧٨٢ هـ ، ويعتبر من أعظم سلاطين المماليك الجراكسة ، إذ له مبرات وعمارات شتى فى مصر والمدينة ومكة المكرمة ، فمن آثاره بمصر جامع بجزيرة الروضة وجامع بقلعة الكبش ، وجامع بالناصرية ، وأنشأ عدة قناطر وجسور فى الأقاليم ، ووقف أوقافا كثيرة على عماراته ، ومن أجل عمائره الباقية المدرسة والتربة المعروفتين باسمه بالصحراء وقد وقع بينه وبين ملك العراقين حروب وكذلك بينه وبين السلطان محمد من ملوك الدولة العثمانية انتصرت فى معظمها جنود مصر وقد أراد خلع نفسه فتحايل عليه الجند والناس فظل حتى توفى سنة ٨٩١ هـ . اشتهر بوفور العقل والفروسية والرأى الحازم ، وعدم التعجل فى الأمور ، وحب جمع المال .
(الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ١ : ٤٦ — ٤٧)

الجماعة فيه بدون مسألة منه ، وألبسهُ لذلك جبة خضراء ، وتوجّه إلى المقام ومعه القُضاةُ الأربعة ما عدا الحنفي لتوعُّكه ، وقاضي الشام « القطب الخيضري » ومن شاء الله وبعضُ الأمراء ، ثم رجع إلى منزله ، وباشر الدرس والتكلم على أوقافه ، واجتهد في عمارتها ، واستخلص منها ما كان منفصلا عنه من مدة بعد خطوب في استخلاصها ، يطول شرحها .

ثم أضاف إليه بعد ذلك نظر « القرافة » ، وباشرها ، إلى غير ذلك مما يُؤْذِنُ بمزيد خصوصِيَّته عنده ، ولذا كثر توسُّل الناسِ به إليه ، وإلى غيره من أمرائه ، فمن دونهم في كثير من المآرب . وانفردَ عن غيره من المتطوعة بالمزيد من ذلك . ودخل في وصايا ونحوها والسلطان في غضون ذلك يلهج بالتحدث بولايته القضاء ، مع علمه بعدم قبوله عن « الظاهر خشقدم » بعد تصْميمِه عليه لذلك ، إلى أن أذْعن بعد مجيء « الزِّمام[1] » و « ناظر الخاص[2] » ، و « نائب كاتب السر »[3] و « ناظر الدولة[4] » وغيرهم إليه ، وطلبه له . فطلع معهم وما وجَدَ بُدًّا من القبول ، وذلك وقتَ الزَّوال ، من يوم الثلاثاء ، ثالث شهر رجب ، سنة ست وثمانين .

وقد صرفَ « الولوي الأسْيوطي » في أول يوم من الشَّهرْ . حين التهنئة كما سلف ورجع — ومَنْ شاء الله معه — من الأمَراءِ والقُضاةِ ، والمُباشرين[5] والنُّوَّابِ والطَّلَبَة ، إلى « الصَّالحية » على العادَة . ثم

---

(١) الزمام : زمام القصر أو زمام دار : هو من يتحدث على باب ستارة الأمير أو السلطان من الخدم والخصيان . وأصلها « زنان دار » مركبة من كلمتين فارسيتين « زنان » بمعنى نساء و « دار » بمعنى ممسك ، حافظ ثم قلبت النونان ميمين تحريفاً .

(صبح الأعشى للقلقشندي ج ٥)

(٢) ناظر الخاص ، وظيفة سبق التعريف بها .

(٣) نائب كاتب السر : كاتب السر وظيفته التوقيع عن الملك والاطلاع على أسراره التي يكاتب بها ، وعنه يصدر التواقيع بالولايات والعزل ، ومن حقه إنهاء القصص إلى الملك وتفهيمه إياها (معيد النعم ومبيد النقم للسبكي : ٣٠ بتحقيق الشيخ النجار وآخرين) .

(٤) ناظر الدولة : وظيفة .

(٥) **المباشرون : يفهم من السياق أن المباشرين هم القائمون بأعمال الدولة من أصحاب الرتب العسكرية والموظفين (المحققان) .**

إلى منزله . فباشَرَ بعِفَّة ونَزاهَة ، واستَقَرّ في أَمانَة الحكم بأحد جماعته ؛ « الجمال الصَّافى الأزهرى » . وفى النقابة بعده « الزين المحلى الحنفى ابن الجندى » أحد جماعة قاضى المحلة ، « أوحد الدين العُجيمى »[1] . بل وجماعته أيضاً ، مع تدبير « الشهاب الأبشيهى »[2] لهما ، مراجعتهما له ، وامتنع من ولاية « أبى الفتح السُّوهائى »[3] ، مع توسله عِنْدَه بكل طريق ، ثم بعد مدة ابتكر جَمْعاً كثيراً من النُّوَّاب ، وأعادَ جماعة ممن امتنع « الزَّيْنُ » قَبْله من إعادتهم . وصَمَّمَ فى أمورٍ واجبةِ التصميم ، وتقدم/ لفعل ما عتب بسببه وَلِيمَ ، واجتهد فى عمارة الأوقاف لاستيلاء الخَرابِ على أكْثَرِها ، ولم يتمكنْ من الصرف لأحدمن المستحقين فيها ، وكذا لم يتهيأ له الإرسال بحمل « أهل الحرمين » لكماله فى جميع سنيه وسوّى بين المستحقين فى كل هذا ، وكثر الساخط عليه بسببه ، وبسبب أمينه ونقيبه سيما ابن السلطان ، وهو يدافع ويناضل عنهما ثم أشهروا أمره بكتابة « الغيبة فى دروس الصالحين » وأتعبوا المفتقر له بهذه القضية ، ولكن قصده فى العمارة جميل ، ونيته حسنة فى عدم التكمل .

٦٤

وقد ظهر مآثر ذلك ، مع كثرة القيل والقال ، فى عدة أوقاف لها مدة متطاولة ، مشرفة على الزوال ، وتقدمه لهذين ، فباجتهاده وتسليمه الأمر إليهما . فيحسن اعتقاده مع العلم بأنه مَبْنى أكثر أمور الناس بهذه الأزمان على التقليد ، غير ناظرين للمقاصد المقربة للتحسين والتسديد ، بل الحد

---

(١) أو احد الدين العجيمى .

(انظر ترجمته فى الضوء اللامع ج ١١ : ٢١٤)

(٢) الأبشيهى : هو محمد بن محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن عيسى ، الشمس ، أبو النجا ، بن الخطيب ، البهاء ، بن الشهاب ، الأبشيهى المحلى ، الشافعى ، ولد سنة ٨١٨ هـ وتوفى قبيل الثمانين .

(الضوء اللامع ج ٩ : ٤٧)

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل ، فتح الدين ، أبو الفتح ، بن الشمس ، السوهائى الأصل ، نسبة لسوهاء — بضم المهملة ثم واو ساكنة وهاء مفتوحة بلدة من أعمال إخميم من صعيد مصر الأعلى ، ولد سنة ٨٢٦ هـ ، وتوفى سنة ٨٩٥ هـ

(الضوء اللامع ج ٩ : ٢٠٤)

شعارهم ، والنَّكَدُ دِثَارُهم ، والرجُل فى شأنٍ ، وهم فى آخر ، والأعمال بالنيات ، لا لمن باهى وفاخر ، والحقُّ ثقيلٌ ، والمُتَوَجِّهُ إليه قليل .

وقد عزر شخصاً أعرض عن الإذعان للحقّ ثم حبس ، ونقل إلى « البيمارستان » لكونه فيما قيل به أحقّ ، فقدرت وفاته فى شوال سنة ثمان وثمانين وتكدرت خواطر المتعصبين ، حيث لم يظهر أثر ذلك سنين ، وترجمته تحتمل كراريس والله يعلم المفسد من المصلح وأخر فى أواخر عمره وانقطع بمنزله يقرئ فى العلوم ويصنف فيها « شرح الروض مختصر الروضة » لليمنى شرحاً حسناً فى أربعة أسفار وطارت مصنفاته فى الآفاق وعكف على الاستفادة منها ذو الخلاف وذو الوفاق ، وورد الخبر إلى « دمشق » ، لأنه توفى فى شهر ذى الحجة سنة ست وعشرين وتسعمائة ، وصلى عليه بالجامع الأموى ، وكثر التأسف والترحم عليه رحمه الله ، وجمع بيننا وبينه فى دار الكرامة بمنّه وكَرَمِهِ آمين .

* * *

صدر الدين أبو الربيع*

سليمان بن أبى العز بن وهيب بن عطاء الأذرعى ، الدمشقى الحنفى .

٥٩٥ — ٦٧٧ هـ

سليمان بن أبى العز بن وُهَيب بن عطاء بن حسين بن جابر بن وهيب القاضى صدر الدين أبو الربيع ، وكناه « الذهبى » — أبا الفضل — ابن أبى العز الأذرعى ثم الدمشقى الحنفى ، لم أره فى الأصل ، وهو مما يتعجب منه ، وكان مولده بأذرعات سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وتفقه بالشيخ

* سليمان بن أبى العز بن وهيب بن عطاء الأذرعى ، صدر الدين ، قال الصفدى : كان إماما عالماً متبحراً عارفاً بدقائق الفقة وغوامضه ، انتهت إليه رياسة الأصحاب بمصر والشام ، تفقه على الجمال الحصيرى وغيره وسكن مصر وحكم بها ، وولى قضاء العسكر ودرس بالصالحية ثم ولى قضاء الشام ، مات سنة ٦٧٧ هـ . (له ترجمة فى السطر الثالث عشر ص ٧١ من الأصل المخطوط . المحققان) .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٢٠)

« جمال الدين الحصيرى » وغيره ، وبرع فى « الفقه » ، وأفتى وصنف، وسمع الحديث وأسمع ، ثم قدم « القاهرة» فدرس بـ « الصالحية النجمية » ، ثم عاد إلى « دمشق » ، ودرس بـ «الظاهرية » بعد « المجد عبد الرحمن[1] بن العديم » ثلاثة أشهر ، ثم ولى قضاء الحنفية بمصر فى ثانى عشر ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة ، حين صارت القضاة أربعة فى دولة « الظاهر بيبرس » ، فكان هذا أول حنفى وليها ، والشافعى . « تاج الدين بن بنت الأعز[2] » ، والمالكى « شرف الدين[3] عمر السُبكى » ، والحنبلى الشيخ « بهاء الدين المقدسى » ، وكان هذا قد اختص بـ «الظاهر» ، وقرره أيضا فى قضاء العسكر وصار لا يفارقه سفراً ولا حضراً حتى شهد معه سائر فتوحاته ، وحج به ، ويقال : إنه لما توجه صحبته إلى « بلاد الروم » ثم رجع ؛ أقام بـ «دمشق» . وسأل أن يكون مدرسا بالتربة « الظاهرية » وينقطع بها ، فأجيب ، ولما مات « الظاهر » ؛ عزل عن قضاء « مصر » عقبه ، وذلك فى آخر المحرم سنة ست وسبعين .

واستقر عوضه « المعز نعمان بن الحسن الرومى » ، ثم ولى قضاء « الشام » أيضاً عوضاً عن « المجد بن العديم » فى يوم الخميس عاشر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ، فأقام دون ثلاثة أشهر ومات بها فى ليلة الجمعة سادس

---

(١) المجد عبد الرحمن بن العديم الحنفى : هو مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ابن هبة الله بن العديم ، الحلبى ، كان عالما بمذهب الحنفية ، عارفا بالأدب ، وهو أول حنفى خطب بجامع الحاكم ، وأول حنفى درس بالظاهرية بالقاهرة ، ثم ولى قضاء الشام وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر والشام ، ولد سنة ٦١٣ هو مات سنة ٦٧٧ هـ .
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٥٢٠)

(٢) تاج الدين بن بنت الأعز الشافعى : هو أبو محمد ، عبدالوهاب بن خلف بن بدر العلامى ، كان فاضلا عالماً ، صالحاً ، نزها ، ولى قضاء الديار المصرية ، وتدريس الشافعى ، والصالحية والوزارة ، وغير ذلك ، مات سنه ٦٦٥ هـ .
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ١٩٤) .

(٣) شرف الدين عمر السبكى والمالكى : هوأبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح السبكى ولد سنة ٥٨٥ هـ ، وتفقه وأفتى ، ودرس بالصالحية ، وولى حسبة القاهرة ، ثم قضاء الديار المصرية ، وقد اشتهر بالعلم والدين ، مات سنة ٦٦٩ هـ .
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ١٤١)

٧٢ شعبان من السنة ، ودفن من يومه فى تربته بسفح قاسيون ، وله ثلاث / وثمانون سنة ، وكان كثير العبث بعمامته وثيابه وجسمه ، فلا يزالُ يعبث، ويلتفت فى صلاته ، وله نظم ، فمنه وقد زوج « المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب[1] ، جاريته من مملوكه : [بسيط]

يَا صَاحِبَيَّ قِفَا لى وانظرا عجبا أتى بِهِ الدَّهرُ فِينَا مِن عجائبه

البدرُ أَصبَحَ فوق الشمس منزلة ومَا العُلوُّ عَلَيهَا من مراتبه

أضحَى يُماثلها حُسناً وَكانَ لها كفئا وسَارَ إليها فى مواكبه

فأشكل الأمر لولا وشى[2] نمنمة بصُدْغه واخضرار فوق شَاربه

وقد ترجمه «الذهبى» فى تاريخ الإسلام فقال : إمام عالم متبحر. عارف بدقائق المذهب وغوامضه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر والشام ، وتفقه على الشيخ « جمال الدين الحصيرى » وغيره ، وأقرأ : الفقه بـ«دمشق» مدة ، ثم سكن « مصر » وحكم بها ، ودرس بـ«الصالحية» ، ثم انتقل إلى «دمشق» قبل موته بيسير ، فاتفق موت القاضى « مجد الدين بن العديم » فقلد بعده القضاء فلم يبق فيه ثلاثة أشهر ، وكان الملك الظاهر يحبه ، ويبالغ فى احترامه، بحيث أذن له أن يحكم حيث حل ، ولا يكاد يفارقه فى غزواته وحج معه ، ولم يخلف بعده مثله فى مذهبه ، وله شعر جيد ثم أرخ وفاته فى سادس شعبان ، وأنه دفن بسفح قاسيون[3] .

وذكره الحافظ « شرف الدين الدمياطى » فى معجمه فساق نسبه إلى « عطاء » ، وقال : « الأذرعى الشامى ، نزيل « دمشق » الحنفى ، قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية ، وكناه « أبا الربيع » ، وبيض لترجمته .

---

(١) المعظم عيسى بن العادل بن أبى بكر بن أيوب : ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦ هـ وبرع فى الفقه والأدب ، وشرح « الجامع الكبير » وصنف فى العروض ، ملك دمشق ثمانى سنوات وأشهرا ، مات فى ذى الحجة سنة ٦٢٤ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢١٩)

(٢) فى الأصل « وشى » بتشديد الشين .

(٣) قاسيون : جبل بدمشق .

وكذا ذكره القطب الحلبي فى ثلاثة مواضع من « تاريخ مصر » ، ولم يستوف ترجمته فى واحد منها . وأما القاضى عبد القادر ، فما رأيته ذكره فى النسخة التى وقفت عليها من « طبقات الحنفية » له ، نعم هو فى مختصرها للقاضى « مجد الدين الفَيْرُوز ابادى » . ثم رأيته عند القاضى « عبد القادر » فى « سليم بن وهب » باختصار جداً .

* * *

شاهنشاه بن بدر

الجمالى الأرمنى ، أبو القسم الأفضل بن أمير الجيوش الأفضل المتوفى سنة ٥١٥ هـ

الجمالى الأرمنى ، أمير الجيوش ، أبو القسم[١] الأفضل بن أمير الجيوش الأفضل ، ذكره شيخنا فيمن كان إليه أمر القضاة فى التولية وغيرها . لكنّه لم يترجمه مع كونه ترجم والده ، فأحببت الإشارة لشىء من أخباره كان والده هو الكل ، وكان « المستنصر أبو تميم معد[٢] » مقهوراً معه ، ومات فى سنة سبع وثمانين وأربعمائة على الصحيح ، وقيل سنة ثمان وقيل خمس ، فلما مات وزر ولده هذا ، ونُعت بنعت والده ، فقام بالأمر إلى أن مات المستنصر ، فكان هو المتولى لبيعة ولده أبى القاسم أحمد الملقب بالمستعلى بالله ، وخرج « نزار بن المستنصر[٣] » فلحق بـ« الأسكندرية » ، وتحصن بها وبَايَعَهُ أهلُها ، ولقب بـ« المصطفى » بالله ، ولعن الأفضل هذا على

(١) فى الضوء اللامع « أبو القاسم » والمعروف أن معظم الحروف التى يعقبها الف فى هذا الوقت كانت تكتب بدون ألف ويكتفى برسم (مدة) فوقها .

(٢) فى الأصل « معز » وهو خطأ والتصويب من الضوء اللامع (معد) وهو المستنصر أبو تميم معد الفاطمى (ارجع إلى الترجمة فى الضوء اللامع ، وكذلك فى تاريخ الإسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم حسن)

(٣) نزار بن المستنصر بالله الفاطمى : ولقبه المستعلى بالله ، وهو أبو القاسم أحمد ، تولى الملك فى مصر والبلاد التابعة لها بعد وفاة أبيه المستنصر ٤٨٧ هـ وتوفى سنة ٤٩٥ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٦)

المنابر ، وأعانه على ذلك قاضى «الإسكندرية» «ابن عمار[١]» فجاء الأفضل إلى الإسكندرية فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة فحاصرها وفتحها ، وأخذ نزاراً ، وقتل جماعة من وجوهها منهم «ابن عمار» القاضى المشار إليه ، ثم عاد إلى «القاهرة» وهو على وزارته .

وكان حسن التدبير ، فدبّر دولة «المستعلى» ، وحَجَرَ عليه ، ومَنَعَه من ارتكاب الشهوات ، فإنه كان كثير اللعب ، فحمله ذلك على أن عمل على قتـــله ، وكان يسكن بمصر بدار الملك التى على البحر ، وتُعرَف يومئذ بدار الوكالة .

فلما ركب من داره وتقدّم إلى ساحل البَحْر وثبَ عليه جماعة فقَتَلوه ، وذلك فى سلخ / رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة ، فكانت وزارته ثمانى وعشرين سنة ، وكان داهية شهما مهيبا كأبيه . فَحْلَ الرّأى ، جَيِّدُ السِّيَاسَة ، حسنُ الاعتقاد عَلى السُّنة ، ومولده : بـ «عكا» سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وخلّف من الأموال مالم يَسْمع بمثلها أحد قال صاحب الدّول المنقطعة : خلف ستمائة ألف ألف دينَار عَيناً ، ومائتين وخمسين إردبا دراهم نقد «مصر» ، وسبعين ألف ثوب أطْلَس ديباج ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقى مغزولة برسم الرقوم ودواةَ ذهب فيها جوهَر قيمته إثنا عشر ألف دينار ، ومائة مسمار من ذهب ، وزن كل مسمار مائة مثقال فى عشرة مجالس ، فى كل مجلس عشرة مسامير ، على كل مسمار منديل مشدود مذهب ، أيها أحب منها لبسه ، وخمسمائة صندوق كسوة لخاصته من دقّ «تِنِّيس[٢]» و«دمياط» وغيره[٣] .

٧٣

---

(١) القاضى بن عمار : (قاضى الإسكندرية الفاطمى) ، وهو جلال الدولة أبو القاسم على بن أحمد بن عمار ولى قضاء الديار المصرية فترة قصيرة فى عهد المستنصر بالله الفاطمى ، بعد القاضى أبى الفضل طاهر بن على القضاعى ، وقد صرف سنة ٤٧٥ هـ .

(حسن المحاضرة ج ١ : ١٠٣)

(٢) تنيس : كانت جزيرة فى بحر مصر من البر بين الفرما ودمياط (ياقوت ج ٥ : ٥١ — ٥٤) .

(٣) هكذا وردت هذه المقادير فى الأصل .

وبلغ ضمان البقر والجواميس فى كل سنه أربعين ألف دينار ، وَوجد فى تركته صُنْدُوقان كبيران فيهما إبر ذهب برسم النساء والجوارى ، ومن الكتب خمسمائة ألف مجلد ، وعمل خيمة سماها الفرجة ، ثم سميت[(١)] لأنها كانت إذا نصبت يموت تحتها من الفراشين رجل أو رجلان ، اشتمل على ألف ألف ذراع وأربعمائة ألف ذراع وبابها ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل ، أنفق عليها عشرة آلاف ألف دينار . وأقامَ الخليفة فى « دار الأفضل » أربعين يوما والكتاب بين يديه ماينقل

ولما قتل حصلَ للناس الظلم والجور ، فرفعوا الأمر ودعوا على « الأفضل » بعد موته ، ولعنوه وسبوه ، فسير إليهم : ما السبب فى سبكم له وقد كان له ميل إليكم ؟ . فقالوا : إنه عدل وتصدق وحسنت أيامه ، وفارقنا بلادنا حبا لأيامه وأقمنا فى بلده ، فحصل لنا من بعده هذا الجور فهو كانَ السبب .

***

صالح بن عمر الكنانى العسقلانى*

البلقينى القاهرى

٧٩١ هـ — ٨٤٨ هـ

صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق ابن محمد بن مسافر هكذا ساق شيخنا نسبه فى ترجمة والده من معجم شيوخه، ولم يزد فى مشيخة « البرهام الحلبى » من تخريجه على « عبد الخالق » ، وزاد بعده فى تاريخه « عبد الحق » ، وقال فى موضع آخر بعد « شهاب بن عبدالخالق » وفى نسخة « عبدالحق بن مسافر » ، وأما فى

(١) بياض بالأصل مقدار كلمتين .

* علم الدين البلقينى : له ترجمة فى كتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر » لابن حجر العسقلانى شيخ المؤلف .

(أنظر القسم الثانى بتحقيق د . حامد عبد المجيد)

وكذلك (الضوء اللامع ج ٣ : ٣١٢)

ترجمة أخيه من الأصل. فقال بعد «صالح»: «عبد الخالق بن عبد الحق ابن شهاب»، اقتصر فى معجمه منه على سياقه لـ«صالح»، وقال فى ترجمة صاحب الترجمة من الأصل بعد «صالح. عبد الحق».

وأمّا «الصلاح الأقفهسى» فى معجم «ابن ظهيرة» والتّقى الفاسى، فى «ذيل التقييد» فساقاه كما أوردته أولا إلى «شهاب»، وقالا: «ابن عبد الحق»، وكذا سَرَدَهُ «النجم بنُ فهد» فى مُعْجَم أبيه وغيره، لكن بزيادة «مسافر» وإسقاط «صالح»، ولهذا الخلاف — فيما أظن — اقتصر «العلاء بن خطيب الناصرية» فى «تاريخ حلب» وصاحب الترجمة فى ترجمة أبيه مَعاً: على «عمر بن رسلان بن نصير ابن صالح»، شيخنا القاضى «علم الدين أبو التقى» بن شيخ مشايخ الإسلام «السراج أبى حفص» الكنانى العسقلانى الأصل، البلقينى، القاهرى المولد والدار، الشافعى، ولد بعد عشاء الأخوة ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة[1] بـ«القاهرة»، ونشأ بها فى كنف والده، فحفظ القرآن، وصلى به للناس التراويح على العادة بمدرسة والده فى سنة تسع وتسعين، وحفظ «العمدة» و«الألفية» / و«منهاج 74 البيضاوى»، وأقرأه والده تصنيفه المسمّى بـ«التدريب»، فلما انتهى فى الحفظ إلى حيث كان الشيخ وقف وهو: فى أثناء «الطلاق»، صار يكتب له لوحاً فلوحاً حتى مات، وقد وصل فيه إلى النفقات، فأكمل الحفظ من «ثم إلى آخر الفقه» من «المنهاج للنووى».

وعرض بعض محافيظه على أبيه و«الزين العراقى»، وجماعة، وجميعها على أخيه، وكان أحياناً يُرَمِّل[2] الفتاوى بين يدى والده؛ وحضر

---

(١) البلقيني: جاء فى ترجمته من «رفع الإصر» أنه ولد أول سنة ٧٩٠ هـ، وعلق المحقق على ذلك بأنه جاء فى حسن المحاضرة للسيوطى، أنه ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (ج ١ : ٢٥٤) أى كما ذكر السخاوى فى الترجمة التى معنا، وكذلك مع ترجمته فى (الضوء اللامع ج ٣ : ٣١٢.
(أنظر رفع الإصر لابن حجر: القسم الثانى : ٢٥٦ بتحقيق د: حامد عبد المجيد)،

(٢) يرمل الفتاوى: هكذا وردت بالأصل، وكذلك فى الضوء اللامع من الترجمة ولعل المعنى أنه كان يضع رملا على ما يكتبه والده من الفتاوى ليجف المداد.

دروسه ، ونشأ متصوفاً غاية فى الذكاء وسرعة الحفظ ، مُقيما بعد موت والده فى طبقة علوّ مدرسته مع أمه « زينب ابنة صالح بن مظفر بن نصير » ابنة ابن عمّ زوجها ، وكان الشيخ هجرها قبل موته بعشر سنين بعد أن استولدها صاحب الترجمة وأخاه « الضياء عبد الخالق » ، لكون أخته قدمت عليه من « بلْقِينَة »[١] فذكرت له أنها أرضعتها ، وبحث عن ذلك حتى وضح له ، فلما علم صحة قولها اجتنبها ، ثم سكنت به أمه عند قريبهم : ابن عمها « العز عبد العزيز بن محمد بن مصطفى » ، بجوار « باب سر البيمارستان » ، وتأخرت وفاتها إلى المحرَّم سنة ثمان وعشرين بعدَ أنْ تزوّجت وأدركت وَلاية ولدها القضاء . ولازمَ القاضى مع تقلله منالدّنيا ، وذلك كله بأخيه خصوصاً حين لازَمه ، إذ عزل بـ « الهروى » حتى كان جلّ انتفاعه به ، وكتب بخطه من تصَانيفه جُملة وقرأها عليه ، وكذا أخذ فى « الفقه » وغيره عن « المجْدِ البرماوى » و « البَيْجُورى »[٢] و « الشّمس الغرّاق »[٣]

وفى « الأصول » عن « العز بن جماعة » ، وفى « النحو » عن « الشمس الشطنُوفى » ، وفى « الحديث » عن « الوَلىّ العراقى » و شيخنا[٤] ، قرأ عليهما فى « محاسن الاصطلاح » لوالده ، وكتب عند الحافظ « الزين العراقى » مجالِس منْ أماليه بحضور الشيخ « نور الدين الهيثمى » ، ورأيت « المُملى » أثبت اسمه فى المجلس الحادى بعد المائتين منها . وسمع عليه والده « جزء الجمعة » لِـ « النسائِى » فى جمادى الثانى سنة ثمانمائة بقراءة « الشهاب أحمد بن على بن خلف » الحسينى » سكناً ، أخى مؤدبه ورفيقه فى السماع

---

(١) بلقينة : بالضم وكسر القاف ، وياء ساكنة ، ونون : قرية من حوف مصر من كورة بنها يقال لها البوب أيضاً (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) البيجورى : نسبة لبيجور قرية بالمنوفية .

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٩٤) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن خليل ، الشمس أبو عبد الله الغراقى ، نسبة للغرقة . قرية من القرى البحرية بالشرقية ، مات سنة ٨١٦ هـ .

(٤) المراد بشيخنا ابن حجر .

الفقيه ، غرس الدين خليل بن أحمد بن جمعة الحسبنى[1] ، من الرضاع ، و « ختم دلائل النُّبوةِ للبيهقى » بقراءة شيخنا ، وقال ، كما قرأته بخطه : « ما رأيناه فى مجالس إسماع أبيه إلا نادراً ، لأنه كان مشتغلا بتأديب معلمه له ، فلا يُحضرونه إلا يوم بطالة ، حتى أنه لم يسمع « الأربعين » التى خرجتها له ، ولا « الجزء العوالى » الذى خرجه له « الولى العراقى » ولا غيرهما من « العوالى » التى كانت تقرأ عليه بطريق الرِّواية ، ولا يحصل فيها بحث ولا لغط بخلاف ، غير المجالس المشار إليها حيث يقرأ « البخارى » أو « صحيح مسلم » ، أو نحو ذلك من الكتب المشهورة ، فإنها كانت تقرأ ويبحث فيها عنده » . إلى آخر كلامه .

وكذا سمع القاضى بقراءة شيخنا على « الشهاب بن حجى الدمشقى » فى سنة ثمان وثمانمائة « جزء ابن نُجَيْـد »[2] بسماعه له على « إسماعيل بن قرفين » وقرأ هو بنفسه على « الشهاب » المذكور بعض « مشيخة الفخر » ، وسمع على أخيه « عشارياته » تخريج شيخنا « الزين أبى النَّعيم رضوان العقبى : « المستملى » ، و « الصحيحين » وغير ذلك فى آخرين كالشيخ «جمال الدين ابن الشرايحى » لما نزل بمدرستهم ، وأجاز / له « أبو إسحاق التَّنُوخى » وجماعة من الشّاميين وغيرهم ، فيهم كثرة باستدعاء شيخنا ، وخلق باستدعاء « الجمال بن موسى المراكشى » .

٧٥

وحجَّ فى سنة أربع عشْرَة ، ولقىَ « الحافظ الجمال بن ظهيرة » تلميذ والده وغيره . ودخل دمياط فما دونها . ولم يزل ملازماً لأخيه حتى تقدم وأذن له فى الإفتاء والتدْريس بعد عزل « الهرَوى » ، وعوده إلى القضاء ، ووصفه بالعالم المفتن ، وخطب بـ « المشهد الحسينى » حين أحدث

---

(١) هو خليل بن أحمد بن جمعة الفرس ، الحسينى سكناً ثم البهائى الشافعى ، ويعرف بالفقيه ، ولد بعد سنة ٧٧٧ هـ تقريباً ، ومات فى خامس عشرى ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة .

(الضوء اللامع ج ٣ : ١٩٠) .

(٢) هى كذلك أيضاً فى الضوء اللامع من الترجمة .

فيه « ابن النسخة[١] » الخطبة ، ليتمرن فى الخطبة وبغيره ، وقرأ فى « البخارى » عند « الأمير الصطلاوى »[٢] ، وألبسه يوم الختم خلعة ، وعاونه حتى استقر فى توقيع الدست ، كما وقع لأخويه « البدر » ثم « الجلال » ، وناب فى القضاء عن أخيه بـ « دمنهور » وغيرها .

ودرّس « الفقه » وهو شاب بالمدرسة « الملكية » ، تلقاه عن « ابن أبى الفتح البلقينى » قبل العشرين ، ثم رغب له أخوه عن درسى التفسير والميعاد بـ « البرقوقية » فى سنة إحدى وعشرين ، وعمل فيها إذ ذاك إجلاساً حافلا ارتفع ذكرُه به ، وكذا نوّه بذكره فى مناظرات « الهروى » بحيث أن القاضى كان يخبر أن « المؤيد » رام أن يوليه القضاء عِوَضاً عن أخيه ، فما أجاب حياءً منه وأدباً معه .

وقد تعرض شيخنا[٣] فى ترجمة القاضى « جلال الدين » من الأصل[٤] لتقديم أخيه صاحب الترجمة لمناظرة « الهروى » فقال : ورتب القاضى « جلال الدين » أخاه القاضى « علم الدين » فى أسئلة يبديها مشكلة ، ويحفظه أصلها وجوابها ومستشكلها ، ويخص « الهروى » بالسؤال عنها ، فيضج « الهروى » من ذلك ، قال : وانتفع أخو القاضى — يعنى صاحب الترجمة — بأن أنعم عليه السلطان بفَرجية لبسها يوم العيد ، بعد أن كان سأل عنه ، فقيل له : إنه ولد الشيخ « سراج الدين » ، وكان له فى الشيخ اعتقاد » . انتهى .

وقدمه لخطبة العيد بالسلطان « الظاهر ططر » حين سافر معه ، وَبَرَزَ صاحب الترجمة لِتَلَقِّيه من « قطيا »[٥] ، فوجد أخاه ضَعِيفاً جدًّا ،

---

(١) ابن النسخة : هو أحمد بن محمد بن أحمد ، الشهاب المحلى الأصل ، القاهرى ، المالكى ويعرف بابن النسخة مات سنة ٨٤٩ هـ

(الضوء اللامع ج ٢ : ٩٣)

(٢) فى الضوء اللامع من الترجمة : « الأمير إينال الصصلاى » .

(٣) المراد بشيخنا : ابن حجر

(٤) المراد بالأصل : كتاب رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر .

(٥) قطياً : جاء فى القاموس المحيط (قطية) بلدة بطريق مصر قرب الفرما — وجاء =

وصادف إرسَالُ السلطان بأمره أن يَتَجَشَّمَ المشَقَّةَ ويخطب بهم في العيد ، لكونه أوّل عيد من سَلْطَنَتِه ، وإلا فليعين مَنْ يصْلُح للخطبة . فعرض ذلك على كلٍّ من وَلَدَيْه وابن أخيه « تقيّ الدّين » ، فما جسر أحد منهم على ذلك ، فعيّن حينئذ أخاه ، وكان كما تقدم أدمن على الخطبة بالمشهد وغيره ، فخطب بالسلطان والعسكر فأعجبهم جَهْوَرِيّةُ صوته واستَقرّ في أنفسهم أنه عالم ، ولذلك لما مات أخوه استَقرّ عوضَه في تدريس « الفقه » بـ « الخشابية » والنظر عليها بـ « جامع عمرو » ، وحضر عنده فيه الكبار من شيوخه وغيرهم ، ثم استقر بعد صرف شيخه « الولي العراقي » في « قضاء الشافعية » بالديار المصرية في سادس ذي الحجة سنة ستٍّ وعشرين بعناية قصروه أمير آخور[1] ، و« ابن الكُوَيز » [2] كاتبَ السّر ، و « العلاء ابن المُغلي » قاضي الحنابلة » :

ولشيخنا في ذلك شائبة[3] مساعدة ، وقال بعض الشعراء : [الوافر]

= في النجوم الزاهرة : أنها قرية من نواحي الجفار في الطريق بين مصر والشام في وسط الرمل قرب الفرما ، وبها جامع ومارستان (مستشفى) وبها والي طبلخاناه مقيم لأخذ العشر من التجار ، وبها قاض ، وناظر ، وشهود مباشرون ، ولا يمكن لأحد من الجواز مصر إلى الشام وبالعكس إلا بجواز مرور ، فهي مزم الدرب ، لا يمكن ، الدخول إلى مصر إلا منها ، وكان بها مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر ، وأقول قد اندثرت هذه القرية ، ولم يبق إلا أطلالها في الطريق بين القنطرة والعريش من الجنوب الشرقي من محطة الرمانة (الروماني قديماً) وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٦١)

(١) قصروه أمير آخور : هو قصروه من تمراز الظاهري برقوق ، ممن تأمر عشرة في أيام السلطان المؤيد بعد خطوب وحروب قاساها ، ثم قدمه « ططر » ، ثم عمله رأس نوبة النوب ثم عمله الأشرف في سنة ٨٢٥ هـ « أمير آخور كبير » ثم أعطاه في التي بعدها نيابة طرابلس ثم نقله إلى نيابة حلب في سنة ٨٣٠هـ ثم نقله منها إلى دمشق سنة ٨٣٧ هـ ، واستمر حتى مات بها سنة ٨٣٩ هـ ، وكان عارفاً عاقلا شجاعا مقداماً ، مدبراً سيوساً ، صاحب دهاء ومكر مع شكالة وحشمة وبهاء ووقار ، وهو أحد الأسباب في سلطنة الأشرف .

(الضوء اللامع ج ٦ : ٢٢٢) .

(٢) ابن الكويز : هو داود بن عبد الرحمن بن داود ، علم الدين أبو عبد الرحمن ابن الزين الشوبكي الكركي القاهري ، ويعرف بابن الكويز تصغير كوز .

(الضوء اللامع ج ٣ : ٢١٢) .

(٣) هكذا في الأصل « نائبة » .

أيا علم الأنام رفعت حتى | رأينا من بدايتك النهاية
ووليت القضاءَ ولا عجيب | إذا حصلت لصالحه[١] الولاية

واتفق لابن «الكُوَيز»، و«العلاء» ما سيأتي في ترجمته، ثم صرفَ شيخنا بعد استيفاء سنة وأكثر من شهر في سابع عشر من المحرم سنة سبع وعشرين، فلزم منزله مُقْبِلاً على التَّدريس والإفتاء وعَمَلِ الميعادِ في كل جُمُعة بمدرسة والده، وحضر في سَماع الحديث بمجلس السُّلطان مع القضاة المنتصبين بأمْرِ السلطان في شَعْبان ورمضان سنة ثمان وعشرين، وجَلسَ عن يَسارِ السُّلْطان فوق الحنفي، إلى أن أعيد في يوم الخميس سادس عشرى صفر سنة ثلاث وثلاثين بعد شيخنا، وذلك بعد أن اسْتَدعى به السلطان في جمادى الآخرة سنة اثنتين، وعُرِضَ عليه قضَاءُ «دِمشْقَ» فأبى.

وفي ولايته هذه تُوفي[٢] العلماء: حفيد «الولي العراقي» فقرره «جَقْمَق» وهو إذ ذاك «أمير آخور» فيما باسمه من تدريس الحديث النبوي بمدرسة «قانِبَاى الدَّوادار المؤيدي» المجاورة لـ«شَيْخُون». وكذا استقرَّ حينئذ في التصدير بكل من وظيفتي الميعاد والإفتاء بالمدْرَسة «الحسينية» إذا اطّلع عليهما في كتاب الوقف بكونهما شاغرتين.

واتفق وقُوع الطّاعون فبرز هو والشَّريف كاتب السِّر وجَمْعٌ كثير من بِياضِ[٣] النَّاسِ وعوامِّهم إلى الصَّحراء بعد الأمر بصيام ثلاثة أيام، وبالتَّوْبة، فضَجُّوا وبَكَوا ودَعُوا وانْصَرَفوا قبل الظهر، ولم يوافق شيخنا على الدعاء برفعه.

ثم صرف عن القضاء شَيْخنا في رابع عشرى جمادى الثاني سنة

---

(١) في الأصل «لصالح».

(٢) (العلماء) هكذا بالأصل.

(٣) هكذا جاءت بالأصل ويفهم من السياق أن بياض الناس هم العظماء والكبراء منهم (المحققان)

أربع وثلاثين ، وتوسط له « ابن السَّفاح » صاحب « ديوان الإنشاء » حينئذ فى أن يعطى بعض الأنظار ، ففوض له نظر « الجامع الطولونى » و « المدرسة الناصرية » ببين « القصريين » ، وذلك فى رمضان سنة خمس وثلاثين . وعاهد شيخنا ألا يسعى فى وظيفة القضاء .

فلما كانت أيام قراءة « البخارى » بالقلعة فى سنة أربعين وحضر الجماعة كلهم فى يوم الأحد رابع شعبان وأُلزموا بالإنصات بحيث لَمْ يتكلم إلا شيخنا رداً على القارىء فقط ، وكان صاحب التَّرْجمة قد سعى سعْياً شديداً حتى أُذِنَ له فى الحضور ، فلما حضر المجلس التالى وَجدهم قدالتزموا السكوت ففات المقصود .

ثم أنه فى خامس شوال منها أُعيدَ إلى القَضاءِ بعد صَرف شيخنا ثم عزل به فى يوم الثلاثاء سادس شوال سنة إحدى وأربعين ، ثم اعيد فى أول يوم من المحرم سنة إحدى وخمسين بعد شيخنا ، ثم صُرف فى يوم الخميس خامس عشر من ربيع الآخر منها بالشيخ « وَلىّ الدّين الشافعى » ، ورام منا كدته مرةً بعْدَ اخرى ، حيث سعى فى استقرازه فى الخشابية ، عِوَضَه ، وأُجيب بعد ان صرَّحَ السُّلطان بعزْلِه منها ، وبلغه ذلك فانزعج ، واستغاث بجماعة من أخصاء السلطان وجلسائه . فتواطأوا وتواردوا على مساعدته فى عودها ، وأعلموه أنَّها أجلُّ وَظائفِ الشَّافعية ، ولأجل ذلك كانت مع « ابْنِ عَقَيل » ، لتقدّمه فى الفقه ، والعلوم على القاضى « عز الدين بن جَماعة » ، وانتقلت بـ « البُلْقينى » / الكبير لكونه قد صاهر « ابن عقيل » على ابنته ، فأولدَها كلاً من ولَدَيه « البدر والجلال » ، فباشرها « البلقينى » نحو أربعين سنة . ولم يبيّنوا أنها لم تنتقل له إلا بعد ولد « ابن عقيل » ، إما لكونه غير مُوافقٍ لهم فى غرضهم ، أوما علموه كما هو الظاهر .

ثم انتقلت من بعد « البلقينى » لولده القاضى « جلال الدين » فباشرها بضع عشرة سنة ، ثم انتقلت من بَعدِه لأخيه هذا فباشرها بضعاًوعشرين سنة ، فلها بأيديهم نحو مائة سنة منذ استقل بها « ابن عقيل » .

ومن جملة مَن قام فى ذلك قاضى الحنابلة «البَدر البَغدادى» الآتى، فلم يتهمه السلطان، وكان يصغى إلى قوله، ويعجبه ما يتعاناه من حسن التأنى فى المخاطبة، والتوصُّلِ بحسن التوسل، فرجع عن تولية «السفطى» لها ووعده بوظيفة غيرها، فأراد ألا يَخْرُجَ عن «البلقينى»، فعيّن تدريس الحديث بـ «بالقانبيهية»، فراسل «البُلقينى» السلطان بأنه هو الذى ولاه إياه بحكم الشغور — يعنى كما تقدم — ولا يعزل إلا بذَنْب، فأصغى لذلك، لكنه لعدم رغبته فيه وإضماره بادِرَته قديماً إليه بـ «التجبية»؛ عين نظر «الخشابية» لـ «الحاج ياقوت الحبشى» مولى «السَّخاوى»، فاستقر وَباشَر وصرف المُستحقِّين فى السَنة خمسةَ أقباط بعد ثلاثة. ثم استرجعه القاضى وأقام مُدَيْدَة بصرفها خمسة، ثم رجع إلى أربعة، ولم يلبث أن انفصل «السَّفَطىّ» عن القضاء، وأُعيد شيخنا، ثم صاحب الترجمة، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرى جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين. ورسم فى أوائل النصف الثانى من رجب منها بإحضارِ «السَّفَطِىّ» لِبابِه ليسمع بَيِّنة سبب دعوى عليه، فامتثل وسَمِعَها ثم رجع.

والتمس منه القاضى بعد أيام المجىء للعذر فيما قامت به البينة فامتنع، فبلغ السلطان فأمر بإدخاله حَبْس أولى الجرائم فى سلخه؛ ثم فى مستهل شعبان، أخرج منه، وجىء به ماشياً لبابِ القاضى امتثالا للمرسوم، ثم توجّه راكباً إلى الصالحية، وتوجّه وركب صاحبُ الترجمة بعدَهُ لينفصل الأمر هناك، فانتظر «العلاء القَلْقَشَنْدىّ» وغيره من الشافعية الذين رسم بحضورهم فلم يجيئوا فرجع القاضى وأقام «السَّفطى» فى الترسيم بـ بقية «الصالحية»، ثم أُطلق من الغد، وعدّ ما أنفق من مجىء «السفطى» لباب القاضى أولا، ثم ثانياً، وإهانَتُه بسبب امتناعه عن المجىء إليه من بركة السَّلف، وأنشد بعضهم: [الوافر]

أيا قاضى القضاة توق قَوْماً ... أتوك بغَدرِهم ثم الخيانة
وفَوّقْ بالنَكال لهم سهاماً ... ولا ترجع فإنك من كنانة

واستمر فى القضاء إلى يوم السبت عاشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين بعد أن ظن صفاء الوقت له واطمأنت فكرتُه بوفاة شيخنا ، مع علمه أنه ما ماتَ حتى زَهِدَ فى المنصب وأقلعَ عن الميل إليه فعزله السلطان عَزْلاً شنيعاً ، وأمر بخروجه من « الديار المصرية » ، فخرج ومعه نقيب الجيش[1] إلى « تربة برقوق » بالصحراء / فأقام إلى بُعيد العصر ، وضجَّ الناسُ بسبب ذلك ، وخرجوا لموادعته وهم يَستَغيثُون ويبكون ، ومن جملة من كان هناك قاضى الحنابلة « البدر البغدادى » .

78

وكنتُ ممّن توجّه إليه ، فبَيْنا نحن كذلك قبل الغُروب ؛ وإذا بالقاصد يخبر بالإذن له فى الرجوع إلى بيته ، فبادر هو والحنبلى ومنْ شاء الله لذلك . وتلقّاهُ « الجمالى ناظر الخاص » ، وكان له وللحنبلى فى رُجُوعه إليه اليد البيضاء .

وكذا أمر « الظاهر » بخروجه من « القاهرة » مرّةً أخرى قبل ذلك ، وتوجه مع نقيب الجيش « ابن الطبلاوى »[2] فأقام بالمدرسة « الحجازية » بالقرب من بيْتِهِ حتى أمر برجُوعه لبيته بشفاعةِ شيخنا ، ثم بعد يوم وذلك يوم الإثنين ثالث عشر الشهر المذكور ؛ استَدْعى بالشيخ « شرف الدين المناوى » وهو إذْ ذَاكِ شيخ الدرس المُلاصقِ لضريح « الشّافعى » رحمه الله فى جماعة منهم الشيخ « العلاء القلقشندى » ، فرسم « العلاء » بتدريس « الخشابية » فقبل فى المجلس ، ثم استعفى بعد نزوله أدباً مع صاحب الترجمة ، وعلماً أنه لا يَتم .

واختير من بين الجماعة المشار إليهم للقضاء « المَنَاوى » ، فولى فى

---

(١) نقيب الجيوش : جاء فى حسن المحاضرة للسيوطى « أنه كأحد الحجاب الصغار ، وله تحلية الجند فى عرضهم ، وإذا أمر السلطان بإحضار أحد والترسيم عليه فهو صاحب ذلك .
(الخطط التوفيقية ج ١٢ : ٣٢) و (حسن المحاضرة ج ٢ : ٩٤) .

(٢) نقيب الجيش ابن الطبلاوى : وهو محمد بن محمد ، ناصر الدين الطبلاوى ، خازندار قرقماس الجلب ثم أمير سلاح نمراز ، حج فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ، وجاوز إلى أن رجع فى البحر من السنة التى تليها ، وقد وصف بالعقل والتدين .
(الضوء اللامع ج ١٠ : ٤٠ ، ج ١١ : ٢١٢) .

هذا اليوم القضاء مضافاً لوظيفته المذكورة عوضاً عن صاحب الترجمة ، فأقام بقيّة حياة « الظاهر » ، وسكنَ القاضى « علم الدين » حينئذ ، وتحقق بركة الشيخين ومزيد احتمالها ومراعاتهما لحقّ والده . فلما مات « الظاهر » صُرف « الشرف » ، وأُعيد صاحبُ الترجمة فى دولةِ « المنصور » يوم السبت ثانى عشرى صفر سنة سبع وخمسين . ثم كان ممَّن حضر خلعه ؛ بل هو الذى أملى على الموقع ألفاظاً فى ذلك ، وأمره بقراءتها وهو قائم على قدميه لتبلغَ جميعَ العَسكر ممَّن كان حاضراً ، وحفظ له « الأشرف إينال »[1] المستقرّ حينئذ ذلك ، فلم يسمح بتقرير غير مدة تملُّكه ، بل كان يكاد أن يتزحزح ثم يبطل ويلبس خِلعَة الاستمرار ، مع عناية نظام المملكة « الجمالى » ناظر الخاص أيضاً به لعدم ميله إلى « المناوى » ، وكذا بسفارة جهة السلطان لأجل أم « المقَرّ الزّينى ابنِ مِزهَر » ، لكون القاضى قد تزوّج بها . وكلف القاضى فى أول النصف من ذى القعدة منها للحضور مع جماعة منهم ناظر الخاص لزيارة جامع الحاكم حين هُدِم منها دعامة ، لكونه بلغ السلطان أن بها صندوق بلور ، فيه أوراق تدل على خبيئة بالجامع المذكور ، فلم يوجد لذلك صحة ، وكانت حادثة منكرة لم يسع صاحب الترجمة بإنكارها .

وكذا كان ممَّن حضر هو ورفاقُه قُضاة المذاهب فى أوائل رجبٍ سنةَ تسعٍ وخمسين خلع الخليفة القائم بأمر الله ، وتقرير أخيه المتوكل

---

(١) الأشرف إينال : هو أبو النصر إينال العلائى الظاهرى ، ولقبه الملك الأشرف ، كان أصله من مماليك الظاهر برقوق ، ثم صار بعد موته إلى ابنه الناصر فأعتقه ، وجعله جدارا ثم صار أمير عشرة فى دولة المظفر أحمد بن المؤيد شيخ ثم رقى إلى رتبة أمير طبلخانة رأس نوبة ثان فى دولة الأشرف برسباى ، وقد أنابه الأشرف برسباى عنه مرة فى غزة ومرة فى الرها ثم رقاه إلى رتبة تقدمة الف مع نيابة الرها ثم أصبح نائب صفد سنة ٨٤٩ هـ وظل حتى قامت الثورة ضد ابن جقمق سنة ٨٥٧ هـ فصار سلطانها ؛ وظل ثمانى سنوات وشهرين ، وكان يعرف بإينال الأجرود لخفة عارضيه ، وكان لا يحسن الكتابة والقراءة ، وكان ليناً هيناً ، وتعتبر مدة حكمه من خير الفترات فى الحكم المملوكى لولا سوء سيرة مماليكه ، وقد خلع نفسه فى مرض موته سنة ٨٦٥ هـ وخلفه ابنه الملك المؤيد أحمد أبو الفتح .

(الخطط التوفيقية ج : ٤ ـ ٤٦) .

على الله الجمال أبى المحاسن يوسف ولم يتكلم ، إلا أنه فيما قيل نقل عن بعض أئمة مذهبه : أن للسلطان أن يعزل الخليفة ويولّى غيره » .

وفى هذه السنة رغب له الشيخ « محب الدين القِمَنّى[1] » فى مرض موته عن نصف التدريس بـ « الشريفية » المجاورة « لجامع عمرو » بمصر ليكون نائباً عن والده بعد موته فى النصف الثانى ويحفظه له ، ولم يلبث أنْ مات وذلك فى يوم الإثنين رابع عشر من رجب منها . فتوجّه القاضى بعد يومين يوم الأربعاء مستصحباً معه / الولد ، وهو كما سبق شريكه فى الدرس فعمل خطبة وإجلاساً ، ثم بعد يسير بلغه أن الولد المشار إليه رام النزول عن النصف المتعلق به فبادر واستنزله عنه ، فكملت الوظيفةُ له ووثب حينئذ فانتزع نظرها من القاضى « شرف الدين الأنصارى » بمقتضى أنه ثبت بشهادة « البُرْهانُ النُّويرى » و « التَّقِىّ الكَنانى » أن النظر فيها للمدرس ، وما نهض « الشَّرف » لمدافعته ، وفوّض القاضى حينئذ لربيبه « المقر الزَّينى بن مُزْهِر » التحدُّثَ فيه وحمد الطلبة سَيره فيه بالنسبة لمن قبله .

٧٩

ومما اتفق فى أيام ولايته هذه المرة تغيير المعاملة بسبب فساد الفِضَّة لكثرة الغشّ فيها ، وقلق العامة بسبب الأمر بنقصها الثلث ، ونسبوا صاحب الترجمة للتقصير فى عدم النظر فى مصالحهم بحيث شافهوه بمكروه كبير حين اجتيازه بباب زُوَيله وهو طالع إلى القَلْعة بسبب عقد مجلس لذلك ، وامتنعوا من ردّ السلام عليه ، وقلق بسبب ذلك قلقاً زائداً ، وصار يدعو على منْ كان السبب فى الإيحاش لبنيه وبين العَامَّة ، بعد المحبة الزائدة له والاعتقاد فيه ، وكان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين .

ومرض القاضى فى هذه الولاية مرضاً أيِس من حياته فيه ، حتى كتب

---

(١) القمنى : بكسر ثم فتح ثم نون ، وهو محمد بن أبى بكر بن عمر بن عرفات ، المحب ، أبو اليمن ، ابن الزين الأنصارى ، القمنى الأصل ، القاهرى ، الشافعى ، ولد فى جمادى الثانية سنة ٧٩١ هـ ، وتوفى سنة ٨٩٥ هـ .

(الضوء اللامع ج ٧ : ١٨٧ ، ج ١١ : ٢٢٢)

بـ « المناوى بـ « الخشابية » حينئذ ، وعاده إذ ذاك الشيخ « مدين » فبشره بالعافية . وأنه إن شاء الله سيقوم ، ويقضى ويُدرِّس ، ويُفتى ويصنِّف فكان كذلك .

وكان المُستبدّ ببابه فى هذه الولاية ربيبه القاضى « صلاح الدين المكينى » كما قدمته فى ترجمته ، لكون القاضى « بهاء الدين أبى البقاء » وكذا القاضى كان قد توفى قبلها . فكانت المقالاتُ تنتشر بحيث يُؤمر فى كل قليل بمنعه من التكلم فى بابه ، بل وتكرر ما هو أشدّ من هذا — مما لا أحبُّ شرح تفصيله — مرة بعد أخرى . وهو رحمه الله لا يَنْثنى عن الإصغاء إليه ، رغبةً فيما تقرر عنده من دُربته وتزيد سياسته ، وتكررت الخدم للسلطان فى هذه المدة كثيراً ، وجىء إليه فى هذه الولاية بغير واحد ممن تقدّم منه مناكدة له ، كياقوت السخاوى ؛ أدعى عليه ببابه بسبب « القمحية » ، وأقام فى الترسيم أياماً . فلما كان فى العشر الأخير من شوال سنة خمس وستين ؛ انفصل بالمناوى أيضاً ، ثم أعيد فى يوم الخميس العشرين من شوال سنة سبع وستين ببذلِ مال كثير لم يعهد له بذل نظيره دفعه ، يقال إنه ثمانية آلاف دينار ، ومات قبل استكمال عشرة أشهر من حين ولايته .

وفى هذه الولاية استقر فى نظر كل من « الخانقاه البيبرسية »[1] و « جامع الحاكم » ، من غير سعى منه فيهما ، وإنما السبب فيه كون المستأجرين بعد ؟ قبل « الدوادار جانى بك » تظلموا بين يدى السلطان من كثرة ما زيد عليهم ، مما لم تجرِ عادتهم به قبل ذلك فى أيام شيخ الإسلام

---

(١) الخانقاه البيبرسية : بناها الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩ هـ موضع دار الوزارة ، وقد أغلقها الناصر محمد بن قلاوون فى فترة سلطنته الثالثة — (٧٠٩—٧٤١هـ)— مدة ثم أمر بفتحها ، وقد قال المقريزى عنها : انها أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا ، وأتقنها صنعة ، والشباك الكبير الذى بها هو الشباك الذى كان بدار الخلافة ببغداد وقد حمله الأمير البساسيرى من بغداد لما غلب على الخليفة القائم العباسى ، وأرسل به الى صاحب مصر المستنصر بالله الفاطمى (وتعرف هذه الخانقاه الآن بجامع بيبرس بشارع الجمالية بالقاهرة المحققان)

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٦٠)

٨٠ « ابن حجر » حين كان ناظراً عليهم / ، فأمر بتقرير « البلقينى » فيهما وباشرهما ، كل ذلك خارجاً عما باسمه من الأنظار والرزق والمرتب بـ « الجوالى » ورَبْع العقارات والمعاملات وغيرها . وكان ذلك انتهاء كماله وإدبار إقباله .

وبالجملة فمدَّةُ ولايته القضاءُ فى المِرارِ السبعة ثلاث عشرة سنة ونصف سنة . وكان إماماً فقيهاً عالماً قوىَّ الحافظة ، سريعَ الإدْراك طَلْقَ العبارة فصيحاً ، يتحاشى عدم الإعراب فى مخاطباته ، بحيث لا نضبط عليه فى ذلك شاذَّةَ ولا فاذة ، حسن الاعتقاد فى الصالحين ، كثير التَّودّد إليهم ، بَسَّاماً بَشُوشاً ، طَلْقَ المُحيَّا ، فاشياً للسَّلام مُهاباً ، له جلالةٌ ووقعٌ فى صدور الخاصَّة والعامَّة ، لطيف المُحاضَرةَ ، فكِهاً ، ذاكراً لكثير من المُتون والفَوائد الحديثية ، والمبهمات التى حصَّلها حين كان أخوه يقدمه لمحاضرة « الهروى » ، مستحضراً لجملة من الرَّقائق والمواعظ والأشعار ، وكذا الوقائع والحوادث العلمية ، سَمْحاً بعارِيةِ الكتب ، باذلا بجاهه والثناء بقلبه ولسانه ، حتى كانَ بعض الفضلاء يقول : إن الحضور بين يديه من المفرجات ، شَهماً مقداماً لا يَهابُ ملكاً ولا أميراً ، قال مرة مخاطباً « لتمْراز[1] رأس نَوبة »[2] : أما تُؤَدِّبُه ؟ يعنى « شرافطلى » ، وهو الأمير الكبير إذ ذاك ، وكان حاضراً يعصى السلطان ، فغضب الأمير ، وصعد إلى الأشرف ، فكان سبباً فى عزله .

وطلع إلى « الظَّاهر جَقْمَق » فى شفاعة ، ففهم توقفه فيها ، فقال : العلماءُ يشفَعون فى الآخرة عند الله تعالى وتُقْبَل شفاعتهم ، فبالأحرى أنت ، أو كما قال ، فأجاب سؤاله .

---

(١) لعل تمراز هذا هو تمراز الجركسى الإينالى الأشرفى المتوفى سنة ٨٧١ هـ . (الضوء اللامع ج ٣ : ٣٦)

(٢) رأس نوبة : وظيفة عظيمة ، كان صاحبها يسمى رأس نوبة الأمراء ، ومعناه أكبر طائفة الأمراء ، وهو أكبر من أمير مجلس وأمير سلاح ، وهو فى مرتبة الأمير الكبير (حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٩٥) .

وقصد بعضَ الأمراء مرةً في عَوْدِ بَعْضِ الفقهاء لوظيفته المشمولةِ بنظره ، لكونه كان قد أخرجها عنه ، فلما جلس عنده قال للأمير : أما ترْضى أن أكونَ نائبك في المكان الفلاني فاستحيا وخجل وقال : نعم ، فقال : قد استخرت اللهَ وأعدْتَ فلاناً إلى وظيفته .

[ذا][1] بادرة ربما تؤدى إلى ما يقتضى لومه بسببها كما وقع له مع شيخنا « البرهان بن خضر » و « القطب القلقشندى » و « التقىّ المنوفى البهائى » و « الشرفىّ يونس الواحى »[2] وغيرهم ، سريع الغضب وكذا الرجوع ، سليم الصدْر لا يتوقف عن قبول مَن اعتذر إليه ، سريع الدمعة ، سريع الكتابة ، بحيث انه كان يحكى لنا أنه أعجله سفر أخيه فكان يكتب من المبهجات له كل يوم كراسين ويقرؤهما عليه ، معرضاً عن تتبع زلاّت من يناوئه غير مشتغل بتنقيصه ، بل ربما يمنع من يشتغل في مجلسه بذلك ، وهو أواخر عمره في غالب ما أشرت إليه أحسن حالا فيه قبله ، خصوصاً في التواضع ، والاعتراف بالتقصير ، ومزيد المداواة ، غير متأنق في مأكله وملبسه ، متغافلا عما يحصله أتباعه بجاهه ، غير سائل عنه ، يقنع باليسير مما يُهدَى إليه ، إلى غير ذلك مما يَطولُ شرحه .

ولشاعر العصر « الشمس النواجى »[3] فيه عدة قصائد ، وكذا لغيره من الفضلاء مما لا أُطيل بإيراده ، وقد / تصَّدى لنشْر العِلْم قديماً . ٨١ وكذا للوعظ والإفتاء ، وحضر مجلسَ وعْظِه السادةُ من الشُّيوخ

---

(١) ما بين المعقوفين هكذا في الأصل .

(٢) هو يونس بن حسين بن على بن محمد بن زكريا ، الشرف ، ذو النون ، الزبيرى الواحى ، المصرى ، القاهرى ، الشافعى ، الجزار ، ويعرف بيونس الألواحى ، ولد في سنة ٧٩٥ هـ ومات في سنة ٨٩٦ هـ .
(الضوء اللامع ج ١٠ : ٣٤٢)

(٣) النواجى : هو محمد بن حسن بن على بن عثمان ، شمس الدين النواجى ، ولد سنة بضع وثمانين وسبعمائة ، وأمعن النظر في علوم الأدب حتى فاق أهل العصر ، ومات في سنة سنة ٨٥٩ هـ .
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٧٤)

والوفاق . وطارت فتاويه فى الآفاق ، وأخذ عنه الفضلاء من كل ناحية طبقة بعد أخرى ، حتى صار أكثر الفضلاء من تلامذته واشتهر اسمه ، وبعد صيته ، وكان « القاياتى » يقول : إنه يخطى[١] الناس بحفظ التدريب[٢] .

وقد قرأ عليه الشيخ « كريم الدين العقبي[٣] القطعة للإسنائى ، قراءة تحقيق ونظر وتدقيق معتبر . وشرع فى التكملة لـ « الزركشى » فمات ، فبنى « الشمس ابن الفالاتى »[٤] على قراءته فيها ، فمات القاضى قبل إكمالها ، وهذه هى الدروس التى كانت الفضلاء تجتمع عنده بسببها .

وله تصانيف كثيرة ، منها : « تفسير القرآن » وهو فى ثلاثة عشر مجلداً شرع فيه لما عقد الميعاد بالمدرسة التى لوالده بعد موت أخيه ، وانتهى منه فى سنة ثلاث وستين ، استمد فيه من « ابن كثير » و « البغوى » و « القرطبي » ، وتعاليق أبيه وأخيه فى ذلك ونحوها .

وتعليق على « الكشاف » بنى فيه على كتابة والده ، وذلك من قوله فى سورة آل عمران (يَسْتَبْشِرُون) . شرع فيه حين استقر فى التفسير بـ « البرقوقية » ، واستمر فيه حتى وصل إلى الأنعام فى عدة مجلدات رأيتها

---

(١) وردت الكلمة فى الأصل « يخطى » بدون نقط للياء أو التاء .

(٢) التدريب : اسم لكتاب كما سيأتى بعد ذلك .

(٣) هو عبد الكريم بن الغنى بن يعقوب ، كريم الدين ، بن فخر الدين بن شرف الدين القاهرى ، أحد من ناب عن ناظر الخاص ، ويعرف بابن خثيرة (تصغير للقب أبيه) ، مات فى سنة ٨٥٠ هـ . أو هو عبد الكريم بن عبد اللطيف بن صدقة بن عوض ، كريم الدين ، ابن الزين المناوى ، العقبي ، ثم القاهرى ، ثم الصحراوى ، الشافعى ، ويعرف بكريم الدين العقبي ، ولد سنة ٨٠٨ هـ ومات سنة ٨٦٦ هـ ونرجح أن يكون هو هذا الأخير ، والعقبي نسبة لمنية عقبة من الجيزية .

(الضوء اللامع ج ٤ : ٣١٤)

(٤) الشمس ابن الفالاتى : هو محمد بن على بن محمد بن نصير — ككبير — الشمس أبو الفضل ، الدمشقى ، القوصى الأصل ، القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بابن الفالاتى حرفة أبيه ولد سنة ٨٢٤ هـ ، ومات سنة ٨٧٠ هـ .

(الضوء اللامع ج ٨ : ١٩٧ وما بعدها)

بخطه مُلَقَّبَةً بالكشاف على الكشاف . وشرح على البخاري بنى فيه على كتابة شيخه الولي العراقي وذلك من الحج شرع فيه حين استقر بالقانبهية ، واستمر حتى وصل إلى أواخر الصيام وجاء ذلك في اربعة مجلدات رأيتها بخطه ، واستمداده فيه من شرحي ابن الملقن وشيخنا وغيرهما ، سماه « الغيث الجاري على صحيح البخاري » .

وتعليق على « الرافعي » و « الروضة » من « البيع » والنكاح ، الجراح فأما الذي من « البيع » فكان يلقيه بـ « الصالحيه النَّجْميَّة » ، في أيام الدروس بها حين يكون قاضياً ، وهو كراريس ، وأما الذي من النكاح فإنه بنى على كتابة أخيه التي افتتحها من كتاب النكاح ، ورأيت منها ثلاثة مجلدات ، فكتب القاضي « علم الدين » نحو أربعة مجلدات تلوها ، رأيتها بخطه ، وكتب عليها كأخيه ما نصه « تلخيص الفوائد المحضة على الرافعي والروضة » وانتهى منها إلى [ ](١) .

وهذه هي القطعة التي كان يلقيها في دروس « الخشابية » مدة ولايته لها وأما الذي من الجراح فكان يُلقيه في «الشَّريفية»(٢) أيام الدروس ، وهو كراريس ، والتقط حواشي أخيه على « الروضة » في مجلدين انتهيا في سنة ثمان وعشرين . قرأ عليه أولهما ، وكان فراغه من قراءته له كما قرأته بخط أخيه في سنة أربع وعشرين ، وصفه بالشيخ الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين نفع الله به وفتح عليه ؛ انتهى .

ومات قبل إكمال المجلد الثاني عليه ، ولهذا فيه مواضع كثيرة تحتاج إلى تحرير لكونها كانت انمحت من خط المحشي أو عسر عليه استخلاصها ، ثم أشار عليه شيخنا بالجمع بين حاشيتي أبيه وأخيه في كتاب واحد فجمعها كما أشار في اربعة مجلدات ضخمة وكان فراغه منه في سنة أربع وأربعين ، وسماه « الاعتنا والاهتمام بفوائد شيخي الإسلام » .

---

(١) ما بين المعقوفين بياض بالأصل بمقدار كلمة .

(٢) الشريفية : يراجع فهرس المدارس باخر الكتاب

٨٢ وأكمل « التدريب »[١] بوالده فى مجلد قريب من حجم الأصل حفظه / ولده « فتح الدين » فتح الله عليه بالطاعات ، واستوفاه على مؤلفه ، قراءة « الشمس بن قاسم » ، وجمع ما علمه من فتاوى والده فى مجلدة مرتبة على الأبواب انتفع الناسُ بها ، وبيَّض ما كتبه والده على المُبهمات فى أربعة مجلدات ضخمة ، وفيه إكماله لنفسه . وجمع المهم من فتاوى نفسه فى مجلدة خارجاً عن « الأجوبة المرضية على الأسئلة المكية » .

وله « القول المقبول فيما يدعى فيه بالمجهول » و « القول المستبين فى أحكام المرتدين » و « الجَوْهرُ الفرد فيما يُخالف فيه الحرُّ العبد » و « أحكام المبعض »[٢] ومصنف فى الطاعون س . [×][٣] رأيته بخط النواجى .

وأفرد لوالده ترجمة فى مجلدة ، أخذ الترجمة التى جمعها له أخوه من قبله وضمَّ إليها فوائد بإرشاد شيخنا ، وذلك فى حياة أخيه ، وعليه فيها مؤاخذات كثيرة ، وكتب له عليها إذ ذاك القاضى « علاء الدين ابن المُغْلى الحنبلى ما نصّه ، ومن خطّه نقلت .

وقفت على هذه السيرة العمرية ، والمآثر الزواهر السراجية ، والمناقب الثواقب العُلوية ، فوَجَدْتها عقْداً تلألأ دررُهُ ، ومنْهلاً صافياً عَذُبت موارِدُه ، وحلَت درُرَه ، وأُفقاً مضيئاً قد أشرقت شمْسهُ ، واستدار قمَرُه ، وكنزاً نفِيساً نُثرت جوَاهرُه على الآفاق وبدَرُه ، وعقداً جُليت على أعلى المنصات عرائسه ، ومهداً تمهدت فيه أبكار العلم ونفائسه وطرْساً حكت أسطاره سواد العيون بأنوارها ، وغرساً أينعت رياضه فهبّت نسمات السحر بنفحات أزهارها ، واستمتعت الأمم على انتشارها باجتناء ثمرها .

فقى كل لفظٍ منه رَوْضٌ من المُنى وفى كل سطر منه عقد من الدّر

---

(١) التدريب : اسم كتاب كما يفيد السياق .

(٢) هكذا فى الأصل « أحكام المبعض » .

(٣) ما بين المعقوفين بياض بالأصل بمقدار كلمة .

فهو وإنْ طالت مدائحهُ ، وطارت فى الآفاق سوانحه ، وسبقت فى ميدان الثناء جوانحه ، وتناهت فى صفحات الكمال خواتيمه وفواتحهُ ، فقد قصُر فى حقّ هذا الإمام المترجَم ، وصغُر بالنسبة إلى مَن كان للعلماء الكبار الطراز المعلم ، واختصر فى مقام الإطناب ، وأوجز فى المقال ، وكان جديراً بالاستيعاب ، لكنه أطربَ وأطابَ ، واجتهد فأصاب ، وأوفى فى ترتيب هذه المِدَح ، وتهذيب هذه المُلح الحكمة وفصل الخطاب : [طويل]

هُمُ القومُ إن قالوا أصابُوا وإن دُعُوا
أجابُوا وإن أعطوْا أطابُوا وأجزلوا[1]

فلقد ارتقى فى حسن التصنيف ، ونَظمِ التأليف إلى مُنتهَى الغاية[2] آية واضحة على تفرّد أبيه — رضى الله عنه — فى جميع العلوم ، وصالح لا تنكر له آية .

وكم أورد فى هذه الترجمة من دراية لا يدركها إلا بصرَة[3] أولى النظر ، وكم أسند من رواية كلما استنبط منها علم نافع قلنا رضى الله عن « عمر » و « ابن عمر » ، أبقى الله هذا البيت المعمور بالعلم مشيداً ، وحفظ جلاله ذو الجلال والإكرام أبداً وخلد خبره المتلقّى بالقبول مرفوعاً على التأييد كما كان فى الابتداء عنه وكرمه .

وكذا كتب عليه « التقى المقريزى » المؤرخ الشافعى ، وذلك فى رمضان سنة أربع وعشرين / قوله : وقف ذو الذهن الكليل ، والقلب العليل ، والفكر الحائر من تصرف الزمان الجائر على هذا المشرع الروّاء والحديقة الغناء ، فإذا هو بحر لا تُخاضُ لجَجُهُ ، ولا يمتطى ثَبَجُه[4] ، ٨٣

---

(١) الجزيل العظيم ، وأجزلت له العطاء : أى أكثرت . وعطاء جزل وجزيل إذا كان كثيرا . (مادة جزل (لسان العرب لابن منظور)

(٢) ما بين المعقوفين بياض بالأصل بمقدار أربع كلمات تقريباً .

(٣) هكذا وردت العبارة فى الأصل « الأبصرة »

(٤) الثبج : علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه (مادة ثبج . لسان العرب لابن منظور)

يشهد بجامعه بإتقان عُلومِ الشريعة ، وترقيه منها الدرجة الرفيعة ، واتساع باعِهِ فى الحفظ والإتقان ، ورسُوخِ قَدَمِهِ فى أنواع الإحسانَ و « الشِّبْلُ فى المخبر مثل الأسد » :

[البسيط]

إن الأُصُولَ عليها تنبت الشجر وابن السرى إذا سرى اسراهما(١)

فاغترفت من بحر هذه الفوائد ، والتقطت من فاخر دررها الفرائد مُلحاً تزكت نفسى وتحلت بيدائعها طِرْسى ، وعلمتنى كيْفَ أُصنِّف ، ودلَّتْنى بحُسْنِ التأنّى ، وبديع التأنق كيْفَ أجْمَعُ وأُؤَلِّف ، فالله يرِى الكافة فى جامعه ما أرانا لأبيه وأخيه من ارتفاع القدر ، ومزيد الفخر ، وانتشار الذكر ، ونُفُوذِ الأمر ، وبَسْطِ العلم فى عامّةِ الأقْطار ، واختِراق أحكامه وفتَاوِيه جهور الأمصار بمنه وكرمه .

وكذا أفرد القاضى لأخيه ترجمة أصغر من التى قبلها .

وله « القول المفيد فى اشتراط الترتيب بين كلمتى التوحيد » وفى المواعظ « النثر الرائق فى الرقائق » فى أربعة أجزاء ، و « النثر الفائق » فى مجلدة ، و « ديوان خطب » فى مجلد ، سماه « المقالُ المُقَطَّرْ فى مقام المِنْبر » وتذكرة فى ست مجلدات ، قطع الصف . وله نظم يقع فيه ، وأجوبة عن أسئلة منظومة ، وأعرف الآن منها سؤال البقاعى له ونصه : [الكامل]

الحمد لله العلىّ العدلِ ذى العزّ والإجلال(٢) مولى الفضل(٣)
ثم الصلاة مع السلام على النبىّ مَع آله ما لَذّ جَمْع الشمل
ما قول مفتى العصر صالح أهله علم القضاة إمام أهل النقل
فى ناظر ولى عميا جاهــلا دَرْسَ الحديث حديث خير الرسل
ثم ارتماه حين حقق جهلَه وأقرأ أهلا صالحاً للوصل

---

(١) هكذا ورد شطر البيت فى الأصل .

(٢) فى الأصل « الجلال » .

(٣) القصيدة الواردة بهذه الصفحة سبق ورودها فى صفحة ١٢٩ بتغيير القافية فقط .

ثم ارتضى الغُـمرَ الغبىّ فرده ۞ وأقره من بعد عذل الأهل
هل كان تقرير الجهول محرَّما ۞ بَدْءًا عليه فى الكلام الفَصْل
وهل التفحص كان عنه واجباً ۞ قبل الولاية يا كريم الأصل
وأفاسِقٌ هو من وظائف دينه ۞ عزل بتقرير الكثير الجهل
وبما يؤدَّب ذا الجهول بِسعيه ۞ . أنْ مَدّه مع علمه بالفضل /
لا سيما مع عزل الأهل ومنعه ۞ من غير جرم موجب للعزل
وهل السكوت لقادر عن زَجْرِه ۞ جُرْم يعين على ارتكاب البطل
ومن المُصادفَ صحة تقريره ۞ يا مَلْجَأ الخيرْ وهادِى السُبْل
شرّف بخط مارآه باشر ۞ إلا أراه حسن جمع الشمل

٨٤

فأجابه [الكامل]

الحمد للمولى الجميل الفعل ۞ المحسن المعطى كثير البذل
ثم الصلاة والسلام دائماً ۞ على النبى المجتبى بالوصل
جوابنا عن السؤال قولنا ۞ مسدّدا من العلى العدل
تقرير ذا الغبى ليس يُرْتَضى ۞ ولا يجُوز فِعله من أصل
حتى يبين للمَولى وصفه ۞ بأنه أهل كذا بالفضل
وبارتكاب ما جرى من ناظر ۞ سلب الولاية جملة بالعزل
ويؤدب الساعى الجهول بسعيه ۞ تأديب زجر رادع عن جهل
والمستطيع بالسكوت آثم ۞ والحق فى تقرير ذا بلا أهل
هذا الجواب كتابة من صالح ۞ يرجو الثوابَ تفضّلا بالبذل
« بلُقينة » بلدٌ لنا ولأصلنا ۞ عمر المروى قبره بالوبل

وكذا له نثر ، فمنه ما قرض به على درج بخط جمال الدين عبد الله ابن حجاج البرماى مما كتبته من خطّه ، وسمعتُه من لفظه ، فقال : الحمد لله الذى علّم بالقلم ، وفضّلهُ بالقسم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى كلمّته الحروف من السُّطور ، وناهيك بها معجزة وكرامة ، وهو القائل — جفّت الأقلام — بما هو كائن إلى يوم القيامة وعلى آله وأصحابه نُجُوم الهدى ، ومصابيح الظلام ، الذين حفظوا شريعته

وكتبوها عنه بمحاسن يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

وبعد فقد وقفت على ما سطرته أناملُ هذا الكريم الكاتب من بديع الخط المشرق كالكواكب ، فألفيته جمال هذا الفنّ الذى فاق فيه وبرع وجمع الأقلام التى لم يسبق بجمعها ، فلله دره فيما جمع . [الكامل]

وأجاد فى درج بديع كله غرر فأغنى أن يُحدّ ويُوصفا
فكأنما منع السماء صحينة والليل حبرا والكواكب أحرُفا

فلو شاهدا بن « هلال » دقائقه ، لقال من ساعته : هذا الذى نال العُلا ، وترقى إلى أرفع الدرج ، فمن أين لى بمقاومته على مافى من عوج ، أو ابن « البواب » لكشف له من أسرار الكتابة الحجابُ ، وسلّم له المفاتيح ، لأنه أتى بيوت هذه الصناعة من الأبواب . ولو رأى خطه وخطّ غيره ابن « العفيف » أو عاينهما « الكمال » لقال شتّان بين خط الاستواء وخط الزوال ، ولو أدركه « الولى » لاعترف له بالرّق / من حينه ، أو « المجد » ابن مقلة » لقال : هذا إنسان عين الزمان بعينه ، ولو عاصره « ياقوت لقال : دونكم هذا الدّر النظيم فكله مُلَح ، أو الشيخ « عصفور » لخفض جناح الذّل ورفرف عليه وطار من الفرح ، هذا وكم رام فارسٌ الوصول إلى توقيعات رقاقه فما لحق لحواشيه الرقيقة غبار يستنشق أرائج[1] ريحان نسخه المزرى بزهر المنثور ، وبدائع الأشعار وكم ودّ حاسدٌ محاكاةَ طوماره[2] فبراه الضنا حتى صار جسمه على الثلث ، وتقطعت منه الأوصال ، ورام أن يستعين بمثال ، فغدا بجنونه مسلسلا وقال فضاح دمعه : من المحقق أن هذا ليس له مثال . وإذا كان

٨٥

---

(١) أرائج : الأرج والأريج والأريجة توهج ريح الطيب ، أرج والتأريج الإغراء والتحريش ، كالأرج وشىء فى الحساب ، والأرجان : سعى المغرى والأراج : الكذاب والمغرى . والمؤرج : الأسد .

(القاموس المحيط)

(٢) الطامور والطومار : الصحيفة وجمعها طوامير .

كريم الأصل ، زكىّ الفرع ، وجمع بين القراءة والكتابة ، فأكرم على الحالين بهذا الجمع ، وما أحقه أن يقول القائل . [وافر]

أيا زَيْنَ المعالِى حزت جودًا　　وفضْلاً شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فحُزْت خطا　　فصرت من الكرام الكاتبينا

جمل الله بجماله هذه الصناعة وأربابها ، ونشر له سبل الحراسة وفتح له أبوابها ، بمنّه وكرمه إن شاء الله .

وكتب أيضا على مسلسلة الساكت لـ « البرهان السوسى » ، وقفت على هذا التصنيف المفيد ، والتأليف المعين للمستفيد ، وعملت بشرط الواقف من استيفاء النظر ، فوجدته مشحوناً بالدُّرر ، فياله من مجْمُوع جَمَع فيه جامعه فأوعى الفوائد ، وبذل فى جمْعه وُسعه وأكثر من الفرائد ، فحق أن يُنوّه به وينبّه على فضْله ، فلقدْ فاق على أقْرانه وأهله ، أشكر الله سعْيه على هذا الصّنيع ، ورقّاهُ إلى المحلّ الرّفيع بمنّه ويُمْنه .

وكذاله تقريظ على مصنّف حافظ الشام « الشمس ابن ناظر الدرر » المسمى « الرد الوافر » وهو عندى فى غير هذا الموضع . ورأيت أيضا على منسك الشريف ، تاج الدر « عبد الوهاب الدمشق » ، وأشياء لاتدخل تحت الحصْر .

وكتب على عهد كان حاضره وهو قاضى الشّافعيّة مانصه :

حضرتُ المجلس المذكور ، وسمعت تفويض مولاى أمير المؤمنين . واضع خطه أعلاه أدام الله عُلاه . لمولانا السلطان المالك الملك الفلانى سلطان الإسلام والمسلمين ، أيّد الله به الدين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين فى التاريخ المذكور .

وكتبه الفقير إلى عفْوِ ربّه « صالح بن عمر البلقينى » الشّافعى لطفَ الله به ، وحدّث ببعْض مرْويّاته ، وكان القارِىء فى ميعاده « الجلال

« القمصى » . وفى رمضان « البرهان العريانى »[١] ، ثم « التلوانى »[٢] إمام المالكية ، قرأ عليه من الكتب الكبار « دلائلَ النبوة » للبيهقى ، و « الحلية » ، وأشياء ؛ وامتنع كثيرٌ من الرَّحالة من الاجتماع به لما كان يبلغهم من الجفاء لشيخنا بحيث يزيد فى ذلك على الحدّ ، خصوصاً فى مصنفه الذى سماه « تفرق الجمع » دأبه أقذع فيه ما شاء . وكان ما فيه من الألفاظ القبيحة نحو السبعين وهم والله بسببه معذورون ، ومنهم الحافظان ؛ « تاج الدين بن الغرابيلى »[٣] و « نسيم الدين عبد الغنى المرشدى »[٤] / ٨٦ وكذا تقلَّل آخرون من الاجتماع به ؛ كالشيخ « نعمة الله الجريفى » — خصوصاً — وجزء الجمعة قد اشترك فيه معه فى روايته ابن أخيه « تقى الدين » وفقهيهما ، و « الجمال ابن جماعة » ، وغيرهم ممن تأخَّرت وفاته عن صاحب الترجمة ، ولكن قد اصطلحا قبيل موت شيخنا ، وراسله يعلّمه بالزهد فى المنصب ، وجاء كلٍ واحدٍ منهما الآخرِ ، والله تعالى يثبت المحسنين .

وكان شيخنا قد خرج له قديماً فى سنة أربعين بالإجازة من « العراقى » و « التنوخى » وجماعة من الشَّاميين فهرستاً لطيفاً فى كراسة لقبه فى أوله كما قرأته بخطه بـ « الشيخ الإمام شيخ الإسلام قاضى المسلمين » وكذا خرجت له بعد وفاة شيخنا مائة حديث عن مائة شيخ ، وأحاديث مسلسلات وأسانيد

(١) البرهان العريانى : لعله عبد الله بن أحمد بن على بن محمد بن قاسم بن صالح البدر ، ثم الجمال ، أبو المعالى بن الشهاب المعرى ، الشافعى ، ويعرف كأبيه بـ « العريانى » ولد سنة ٧٥٢ هـ ، ومات سنة ٨٥٧ هـ .

(الضوء اللامع ج ٥ : ٨)

(٢) التلوانى : جاء فى الضوء اللامع ج ١١ : ١٩٥ ، والتلوانى ـ بالكسر ـ نسبة الى قرية تلوانة بالمنوفية .

(٣) الغرابيلى : هو محمد بن محمد بن محمد بن مسلم بن على بن أبى الجود ناصر الدين الكركى ، المقدسى ، ويعرف بابن الغرابيلى ، ولد سنة ٧٥٣ هـ بالكرك ، ومات سنة ٨١٦ هـ

(الضوء اللامع ج ٩ : ٦)

(٤) المرشدى : هو عبدالغنى بن أبى بكر بن عبد الغنى بن عبد الواحد ، نسيم الدين ، أبو اللطف بن الفخر بن النسيم بن الجلال ، المرشدى ، الحنفى

الضوء اللامع ج ٤ : ٢٤٧)

لعدّة كتُب ، قرأتُ عليه ذلك مع أشياءَ منها : « المسَلْسَلُ » وجزءُ الجمعة للنسائى ، وذلك فى يوم الأربعاء سابع عشرى المحرم سنة تسع وأربعين و « عشَاريّات » أخيه « الجلال » فى مجلسين ثانيهما فى ثانى عشر شوال منها ، وجُزْءُ ابن شاهد الجيش فى مجلسين أيضاً . وترجمة والده ، وبعضٌ من ترجمة أخيه كلاهما من تصنيفه .

ومن الفتاوى التى جمعها لوالده ، ومما قرَأتهُ من الفتاوى آخر مسألة منها وهى فى « ابن عربى » وتصانيفه . وكتب لى بخطه أنه يقول فيها كما قال والده ، وأشياء .

وحضرت كثيراً من دروسه ومَرْويّاته ، وعلّقْتُ من فتاويه وفوائده جملة . ومما كتبتُه من ذلك المسألة « السريجية » التى دار فيها الكلام بينه وبين شيْخى ، وكتب على جزء رددت فيه تعقب بعض أصحابنا حكم شيخنا على رجال حديث « عرفة فى البُدن » ما نصه :

« وقفت على ما كتبه الولد الفاضل المحدث الحافظ فلان ، نفعه الله بالعلم الشريف ورَقَّاه إلى المحلّ المنيف » وعملت فيه شرْطَ الواقف من استِيفاء النظر فوجدته مشحوناً بالدُّرَر ، وما اعتذر به عن شيخه حافظ العصر المرحوم العسقلانى اعتذار حسن ، وأبان عن فصَاحةٍ ولسَن » .

وفى موضع آخر ما نصه : صحيح ما كتبه الشيخ العالم المحدث البارع الحافظ فلان . وعلى مصنفى « القول البديع فى فضل الصلاة على الحبيب الشفيع » وعملت فيه شرط الواقف من استيفاء النظر ، فوجدته مشحوناً بالفوائد الغرر ، وكيف لا ، وهو المشتمل على فضل الصلاة على سيد البشر ، فشكراً لله سعى جَامعِه ، فقد جمع فأوعى ، واهتم بهذا الفن ، ولم يزل له يرعى ، وهو للشيخ الفاضل العلامة الحافظ المفنن فلان . نفع الله به وأوصل أسباب الخير بسببه ، حضر دروس الخاصة والعامة ، ولازم ولم يبد السآمة وبحث فأجاد ، وأفاد واستفاد ، ثم أذن فى التدريس والإفتاء ، وذلك فى سنة ستين . بل كان يرسل ما يرد إليه من الفتاوى الحديثية . فيأمر بالكتابة عليها مرة ، وبالكشف ليكتُب هو أخرى . إلى غير ذلك مما يطول

تعداده ، ويثقل على الحاسد إيراده ، كقوله قد آتاك الله هذا العلم العظيم ، ومَنحكَ به وهو خيرٌ مِنَ الدنيا .

وبالجملة فلم يزل على جلالته وعُلو مكانته حتى مات / بعد أن توعك قليلا فى يوم الأربعاء خامس شهر رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة وصلىّ عليه من الغد بجامع الحاكم بمحضر جمّ ، تقدمهم قاضى الحنفية ، « المحبى ابن الشحنة » ، بجوار والده بمدرسته الشهيرة ، وأقاموا على قبره أياماً يقرءون ، وخلف دنيا طائله وكتبا جمة . من جملتها من أوقاف المدارس أو نحوها ، ما يزيد على ألف مجلد . وثمانية أولاد فيهم من الذكور ثلاثة ، فبذل لأجل استقرار الثلاثة فى وظائف أبيهم ما عدا القضاء بعناية ربيب والدهم « المقر الزينى بن مزهر » من التركه ثلاثة آلاف دينار ، وثبت التفويض على القاضى المالكى ، بعد أن شهد عنده حسبما شاهدته فى الأسجال الشيخان « ابن الفالاتى » و « ابن قاسم » بأهلية « فتح الدين » أكبر أولاده لمباشرة ما استقر باسمهم من إلقاء التفسير والميعاد بـ « البرقوقية » . وتدريس الحديث بـ « القانبيهية » . وتدريس الفقه بمكان الشافعى المعروف بـ « الخشابية » و « الشريفية » ، والإفتاء بـ « الحسنية » ، والأنظار وغيرها . وزيد معلومها فيها باسمها منها . وقرأ ثانيهما عنده الحديث فى رمضان . وأشرك مع الأولاد فى ربع ذلك كله بمال أيضاً : تربيهم للشيخ « البدرى أبو السعادات البلقينى[1] الآتى » بعد حوادث وخطوب ، وأمور غير مرضية من المذكورين ونحوهما ، مما لا أحب شرح تفصيله ، وعتبت أحد الشاهدين حين رؤيتى الأسجال بحضرته ، فقال : دع الناس يقولون إنى شاهد زور ، وصار بعد ذلك يُحتَج بهذا الصنيع فى معارضة مَنْ يستقر فى تدريس أو نحوه ، عن مَيت يَتركُ أولاداً لا أهليةَ فيهم ، كل ذلك خارجاً عن تدريس الملكية والميعاد بـ « الحسنية » .

---

(١) أبو السعادات البلقينى : هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن رسلان ، البدر أبو السعادات بن أوحد الدين بن العجمى ، البلقيني الأصل ، ولد بالمحلة ونشأ بها

(الضوء اللامع ج ٩ : ٣)

فإن القاضي كان قد رغب عنهما قديماً لأخيه شقيقه « الضياء عبد الخالق » ، فأمَّا القضاء فإنه استقرَّ فيه « الشرف المناوى » ، وراسل يستأذن فى حضور المأتم بالمدرسة ، فأذن له بعد أن اعتذر عن شهود الجنازة بمراعاة خاطرهم فى توهم سيء .

ورثاه « الشَّمسُ بن الفالاتى » و « ابن الجلال النَّقيب » ، و « ابن الكمال الأسيُوطى » ، وقد أحضر إلىّ مرثيته بخطه ، فاقتصرت على إثباتها هنا ، فقال : [رجز]

مات إمامُ الناسِ شيخ الورَى	ففاضت الأعينُ ممَّا جرى
وناحت الأورُقُ فى أيكها	وغابت الشمسُ فلن تظهرا
وأظلم الأُفقُ وقد كان من	بهَا مُحيَّاهُ غدا أزهرا
يا علماً فى عصره مُفرداً	قدْ صمَّ إذ ناداهُ داعى الورى
يا حُجَّة قد كان فى علمه	يُرى إماماً والورَى من ورَا
يا رحلة من سُنَّة المصطفى	يا راقياً فى الفقه [فى] (١) أعلى الذُرا
أنلت طُلاب العُلا رفعةً	حتى استوى الأصغر والأكبرا
مضيت فالفقهُ غدَا آسفاً	محله قد رجع القهقرى
قد كان علم الفقه قِدماً به	مُعرَّفاً والآنَ قد نُكرا
مَنْ صار للمشكل من بعده	يوضحه كالصبح إن أسفرا
لهفى على شيخى إمام العُلا	وشيخ الاسلام الوثيق العرى
لهفى عليه عالم كامل	ورحلة الطلاب لا تُشترى
لهفى عليه مَنْ رأى وجهه	فقد رأى حقاً جميعَ الورَى
لهفى على التفسير من بعده	كشافه للخلق أو يظهرا
لهفى على علم الحديث الذى	حققه من فيض رب البرا
لهفى على الفقه الذى نهجه	مهذَّبٌ منه كما حُرّرا
لهفى على الوعظ وميعاده	لهفى على الدُّر إذا حاورَا
لهفى على شيخى الذى كان فى	علومِ شرع الله بحراً جرى

(١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها الوزن والسياق

لهفى على شيخ إذا اعضلت ... مشكلة عنهـا أزال المرا
إنْ جادل الأقوام فى حلها ... نضا لهم من ذُهنه باترا
لهفى على شيـخ بكلٍّ الورى ... قد عمَّ البشرَ ولن يُؤثرا
لهفى على شيخ حليم على ... أعدائه والحقد لن يوقرا
وإن يكن ناواه شخص فإن ... يلق المناوى فيه استبشرا
لهفى على شيخى ومن نعته ... مكملٌ والوصف لن يُحصرا
والله لم أنظر له مشبهاً ... من عين تطلابى وان أنظرا
ولا مقرئاً درساً ولا راكباً ... ولا خطيباً قد علا منبرا
لهفى عليه إذ أتى نعيه ... وددت لو كنت إذاً أوقرا
لهفى وهل تنفعنى حسرتى ... والقلب منه ذالظى سُكرا
والفكرُ منىِّ لم يزل حائراً ... ومُقلتى قدْ زالَ عنها الكرى
ونارُ شوقى منهُ قدْ أُجِّجَتْ ... ومُزنُ دمعى قد غدا هامِرا
فارحمه يا رب مَدَى دهره ... واغفر له وبعد أن يُنشرا

فائدة :

المكان المعروفُ بـ « الخشابية[1] » ، هو زاوية من زوايا « الجامع العُمَرِى » بـ « مصر » كان إمامنا الإمام الأعظم الشافعى — رحمه الله — يجلسُ فيها ، عمل عليه مَقصورَةً السلطانُ « صلاح الدين» ورَتَّبَ لهُ شَيخاً وَطلَبة ، ووقَفَ عليها بلدًا معروفة بالحربة وكان « السِّراج البُلقينى » يسميها « العامرة » تفاؤلا . وإنما عرفت بـ « الخشَّابِيَّة » لطول مُكثِ « المجد عِيسَى بنِ الخَشَّاب » فى تدريسها .

---

(١) الخشابية : جاء تحت (فائدة) ، المكان المعروف بالخشابية ، هو زاوية من زوايا الجامع العمرى بمصر ، كان الإمام الأعظم الشافعى يجلس فيها ، عمل عليه مقصورة السلطان صلاح الدين الأيوبى ورتب له شيخاً وطلبة ، ووقف عليها بلداً معروفاً بالحربة وكان السراج البلقينى يسميها العامرة تفاؤلا ، وإنما عرفت بالخشابية لطول مكث المجد عيسى ابن الخشاب فى تدريسها
(انظر النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٤٠ ، الجامع العمرى)

وأول من درس فيها « البهاء على بن هبة الله بن بنت الجميزى (١) » ، ومات فى سنة تسع وأربعين وستمائة ، ودرس — فيما أظن — بعده « النجم أبو بكر محمد بن أحمد محي بن هبة الله بن الحسن بن سنى الدولة » المتوفى فى سنة ثمانين وستمائة ، ولبها بعده — فيما أظن — « المجد عيسى بن عمر بن خلد بن عبد المحسن بن الخشاب » المتوفى سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وَوَلِيها « الصدر أبو بكر بن عبد الله بن أحمد النشائى » المتوفى سنة ست عشرة وسبعمائة بعد أن عُزِلَ فى حياته عنها ، واستقرّ عوضه « الصّدْر محمد بن عمر بن الوكيل » ، ومات سنة ست عشرة ، فوليها « البدر محمد بن إبراهيم بن جماعة » ومات سنة ثلاث وثلاثين ، فوليها الشيخ « شمس الدين محمد بن أحمد اللبان » ، سنة تسع وأربعين ، فوليها « العماد » (١) محمد بن الحسن بن على الإسنائى أخو الجمال ومات سنة أربع وستين فوليها « العز عبد العزيز بن البدر بن جماعة » ومات سنة سبع وستين ووليها « البهاء بن عقيل » (٢) بعد « العز » من [(٣)] ثم مات ابن عقيل فانتقلت لولده « فتح الدين » ، فأقامَ فيها مُدَيْدَة ، ثم سعى « السِّراج البُلْقينى » عليه لكونه قصير الرتبة فى العلم واستقر فيها .

قال شيخنا ، وهو أى كون « فتح الدين » أخذها عن أبيه وانتزعها « السِّراج » منه أمر مشهور ، وقد نُوزِع « البُلقينى » فيها بعد استقراره غير مرة ، ثم استقرت قدمه ، ولما مات « البُلْقينى » انتقلت لولده

---

(١) البهاء على بن هبة الله بن بنت الجيزى : هو أبو الحسن بن على بن هبة الله بن سلامة اللخمى ، المعروف بابن الجيزى ، ولد بمصر سنة ٥٥٩ هـ ، مات بمصر فى ذى الحجة سنة ٦٤٩ هـ (حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٩٣)

(٢) البهاء بن عقيل : هو قاضى القضاة ، بهاء الدين ، عبدالله بن عبد الرحمن بن عقيل العقيلى ، من ولد عقيل بن أبى طالب وُلد فى لمحرم سنة ٦٩٨ هـ ، وأخذ القراءات عن التقى الصائغ ، والفقه عن الزين الكنانى ، ولازم العلاء القونوى وغيره ، وتفنن فى العلوم وولى قضاء الديار المصرية ، وتدريس الخطابية ، والتفسير بالجامع الطولونى ، وله تصانيف منها « المساعد فى شرح التسهيل » و (شرح الألفية ، مات فى سنة ٧٦٩ هـ

(حسن المحاضر للسيوطى ج ١ : ٢٥٧)

(٣) مابين المعقوفتين بياض بالأصل بمقدار كلمة .

« جلال الدين » ثم لولده الآخر « علم الدين » ، ثم لأولاده الثلاثة ، وحفيد عمهم الشيخ « البدر أبى السعادات » ثم مات أحد الأولاد فاشترك « البدر » هو وأكبر إخوته فى حصته ، ثم مات الولد الثانى فاستقل أخوه بحصته ولله الأمر .

عبد الله بن شريك

من المائة الأولى

عبد الله بن شريك ، كذا أثبت شيخنا اسمه فى الفصل المعقود لمن ولى قضاء « مصر » ولم يباشر أو باشر بدون ولاية من قبل الخليفة أو أقيم للحكم فى الفترة بين قاضيين أو اختلف فيه ، ورقم فوقه ألف ولم يترجمه ، وقرأت بخطه بهامش : ياشيخ مصر للقطب الحلبى مانصه ، فإنه عبد الله بن شريك قاضى مصر فى المائة الأولى قلت : عبد الرحمن بن عبد الأعلى السكرى مذكور فى الأصل فيمن اسم أبيه محمد بن عبد الأعلى ومحمد نهاية . وقد ذكره بدونها المنذرى فى التكملة ، والذهبى فى تاريخ الإسلام ، والسبكى فى طبقات الشافعية ، وشيخنا فى بعض تعاليقه وآخرون .

عبد القادر الدميرى

القاهرى المالكى أبو الثناء ٨٨٣

عبد القادر بن أحمد بن محمد بن على الشيخ محيى الدين أبو الثناء ابن العلامة الشهاب الدميرى الأصل القاهرى المولد والدار ، المالكى الماضى أبوه ويعرف كأبيه به « ابن تُقىّ » وُلد فى جمادى الآخرة ، سنة ٨٣ بـ « القاهرة » ونشأ بها ، فحفظ القرآن ، وكُتُبَ ابن الحاجب فى الفروع والأصول والعربية واشتغل فى « الفقه » على الزينين : « عبَادَةً وطاهر » وابن القَسَمُ النُّويرُى(١) وأذن له ، ولازم « الـمَـحْـيَـوى »

---

(١) القسم النويرى : الضوء اللامع ج ١١ : ٩٤٠

الـكـافياجى »[1] فى الأصلين والعربية ، وغيرها من العلوم ، وكذا انتفع بـ « السيفى » الحنفى فيها ، وأجاز له — باستدعاء « النَّجم بن فهد » — خلق فى استدعائه المؤرخ سنة ست وثلاثين ، وناب فى القضاء عن « الولوى الشُّنْبَاطى » فمن بعده ، وأشـير إليه بالفضيلة والبراعة ومتانة البحث والتحقيق ، وكتب على الفتوى ، واسْـتَـقَـرّ فى تدريس المالـكية بـ « الشيخونية » بعد « الحسام بن حريز » ، وتقلل من ثَمّ من تعَـاطى الأحكام ، وكان قد استقر بعد موت والده فيما كان باسمه من التدريس ، والأعادات سواها ، شركة لأخيه — فيما أظن —

وحجَّ مرتين ، جاور فى ثانيتهما أشهرا ، وزَارَ « بَيْتَ المَقْـدس » وعكف بمـنزله على التّدريس والفَـتْوى إلى أن استدعاه السلطان والأشرف « قايتباى » فى يوم الخميس خامس رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة ، بعد صرف « البرهانى اللقانى » فى مُسْـتَهَـلِّـهِ — كما سلف . فولاه قضاء المالـكية ، وحَمِدَ الناسُ مُبَاشَرَتَه وتَأَنّـيه ، ومزِيدَ تواضعه وتودده مع كفاءته ووَجَاهتِـه فى المذهب ، ولـكن كَـرِه كثيرون منـه قيامَـه على المنكر على « ابن العربى » مع إنكار جَمْعٍ مِنْ مَذْهَـبه عليه ، بل وتـكفير بعضهم له ، سيَّما شيخه « النويرى » وإن لم يبلغ بحمد الله أملا . وكنت ممن كره ذلك منه مع محَبَّتى فيه ، وعذرْتُه لجرأة المتكلم ومقت كثيرين له . وغير ذلك من العلل ، وقد ناب فى تدريس «الفقه» بـ « الصالح » وبـ « البرقُوقية » بل كاد أن يستقل به . وللسلطان إليه التِفاتٌ وميْلٌ ، خصوصاً بعد تَعَرُّض الشافعى له فى نُوابه ، وانجِراره مع القائلين فى أول وَهْلة ، ومُخَالفَـته لعَادته — غالباً — كما شرحت القضية فى الحوادث .

---

(١) المحيوى الـكافياجى : (الـكافيجى) هو محمد بن سليمان بن سعـد بن مسعود ، محى الدين ، أستاذ الدنيا فى المعقولات ، ولد قبل سنة ٨٠٠ هـ تقريباً ، له تصانيف كثيرة مات سنة ٨٧٩ هـ

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٦٤ ط . مطبعة الموسوعات)

علي بن محمد الآدمي*

٧٦٨ هـ — ٨١٦ هـ

علي بن محمد بن أحمد ، أو أبي بكر القاضي صدر الدين أبو الحسن ابن أمين الدمشقي الحنفي ، عرف بابن الآدمي ، ولد في سنة ثمانٍ وستين وسبعمائة ، ووهم من قال سنة سبعين ، وأحضر في الثالثة سنة سبعين على « أبي حفص بن أميلة » قطعةً مجهولة الآخر من المائة التي انتقاها « العلائي » من شيخه « الفخر » وأسمع على « الصلاح بن أبي عمر » وظائفه ، وتفقه قليلا ، وقرأ تعليق المختصرات على مؤلفه ، وتلا بالسبع على « إسماعيل الكفتي » ، واشتغل بالأدب ، وقال الشّعر الجيد ، الحسن المليح الرائق ، وترسّل ، وكتب الخطّ الحسن ، وناب في الحكم ، ودخل « مصر » بعيد الثمانمائة ، وفي « الرسلية » بعد ذلك في سنة تسع ، ونزل بـ « المدرسة الصالحية » وولي كتابة السر بدمشق سنة أربع ، ونظر جيشها ، ثم قضاء الحنفية بها ، ثم دخل صحبة المؤيد « القاهرة » ، وهو فقير جداً ، بحيث احتاج إلى نزر يسير للنفقة اقترضه من بعض أصحابه ، وكان قد اختص به قبل أن يتسلطن ، بحيث دخل معه « حلب » في سنة إحدى عشرة ، وكان رسوله الى « الناصر » على البريد ، وقاسى محناً بسببه فراعى له ذلك ، وفوض إليه قضاء الحنفية بها ، في رابع عشر جمادى الأولى ، سنة خمس عشرة بعد صرف القاضي « ناصر الدين محمد بن العديم » ، ثم أضيف إليه حسبتها في حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة ، فكان أول من جمع بين القضاء والحسبة[1] ، ثم صرف عن الحسبة في العشرين من الشهر ،

---

* ابن الأدمي : له ترجمة في الضوء اللامع ج ٦ : ٨ ، وقد ورد فيها أنه ولد في سنة سبع أو ثمان وستين وسبعمائة بدمشق .

(١) الحسبة : هي مراقبة الموازين والمكاييل والسوق العامة (المحققان)

واستمر فى القضاء حتى مات بعلة الصرع القولنجى فى رمضان من السنة ، فأعيد « ابن العديم » ، وخلّف دنيا طائلة .

وسيأتى فى ترجمة « المحب بن الشحنة » أنه عوّضه عن تداريس كانت مع هذا بـ « دمشق » تدريس « الجمالية » وغيرها بـ « مصر » فتقايضا وقد ذكره القاضى « علاء الدين بن خطيب الناصرية » فى تاريخه ؛ وقال : كان إنساناً حسناً فاضلا أديباً ، حسن الأخلاق كريماً . ذا نظم مليح ، ونثرٍ جيّد ، وأورد مرثية فيه لـ « المجد فضل الله بن الفخر بن مكانس[1] » على روىّ الصّاد ، وذكره شيخنا فى القسم الآخر من مُعجمه فقال : سمعتُ من نظمه وطارحته ، وكانت بيننا مودة قديمة ، وعليه نزلت بـ « دمشق » لما دخلتها ، وكان مسرفاً على نفسه ، متجاهراً بما لا يليق بالفقهاء ، وقد أُصيب مراراً وامتُحن .

ولما مد الله [له][2] العطاء ، وأسبغ عليه النعماء ، لم يقابلها بالشكر ، — يرحمه الله — وذكر فى تاريخه شيئاً من مطارحته إياه فقال :

وكنت اقترحت عليه يعنى فى سنة سبع وتسعين على نمط قولى : [رجز]

نسيمكم ينعشنى ، والدّجى ... طال ، فمن لى بمجىء الصّباح
ويا صباح أوجُه فارقتكم ... فشِبْتُ همّا إذ فقدت الصباح

فعمل ذلك وأنشدنيه عنه جماعة ، ثم لقيته بعد ، فأنشدنيه لنفسه وهو : [رجز]

يا مشتهى بالصبر كن مُنجدى ... ولا تُطل رفضِى فإنّى عليلُ
أنتَ خليلى ، فبحقّ الهوى ... كُنْ لشجونى راحماً يا خليلُ

---

(١) ابن مكانس : هو مجد الدين بن فضل الله بن الوزير فخر الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن ابن عبد الرزاق القبطى ولد فى سنة ٧٦٩ هـ ، وتعانى الأدبيات ومهر ، مات بالطاعون سنة ٨٢٥ هـ

(حسن المحاضرة ج ١ : ٢٧٤)

(٢) ما بين المعقوفين ناقص بالأصل ويقتضيه السياق .

وقال شيخنا(١) فى موضع آخر كما قرأنه بخطه ، أنه لمّا وُلىَ كتابة السرّ بعد « الشريف علاء الدين » ، وكان « الصَّدْر » ماهِراً فى الأدب ، بخلاف « العلاء » ، كتبت إليه : [طويل]

تهَنّ « بصدْر الدّين » يامنصباً سَمَا   وقلْ لعلاء الدّين فلْيتَأدَّبا
له شرَفٌ عالٍ وبيتٌ ومنصِبٌ   ولكن رأينا « الصدر » للسر أنسبا(٢)

قلت : وكذا أنشد الأديب « شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقى المزين » فى ذلك أيضاً : [طويل]

وِلايةُ صدْر الدين للسرّ كاتباً   لها فى النفوس المطمئنّة مرْتع
فإن يضعوا الأشياء إذاً فى محلها   فلم يك(٣) غير السِّرّ للصدر موضع

وقد أورد « العلاء » فى تاريخ « حلب » من نظمه قوله : [رمل]

سبّح القُمرىُّ(٤) فى الروض وغرّدْ
فحسِبْنا أن فى الروضةِ مَعْبدْ
والندا فاض على زهرِ الرّبا
فسرت بين الندَامى نفحة الندْ
إنما الزهر ثغورٌ فُتّحَت
باسماتٌ بجميع المزْن تحمد
فاسقنى القهوة(٥) حتى أنثنى
مِثْلَ غُصْنِ البانِ لما يتأودْ(٦)
هيق العينين إذا ما شمته
مبتـل من اللحظ مهند

(١) المراد به ابن حجر .

(٢) فى الضوء اللامع (ج ٩ : ص ٩) ولكن رأينا السر للصدر أنسبا

(٣) فى الضوء اللامع (ج : ٩ ص ٩) فلايك

(٤) القمرى : طائر يشبه الحمام انظر (اللسان)

(٥) القهوة : اسم من أسماء الخمر

(٦) التأود : التثنى ، يقال تاود العود إذا تثنى (اللسان)

وحمـا فاه بلحـظ فاتن
فهو تركى على الثغـر محـدذ

وقوله : [رجز]

قد نمق العاذل يا منيتى كلامه بالزور عند الملام
ومادرى جهلاً بأنى فتى لم يرع سمعى عادلا فى كلام

وقوله :

يا لائمى فى عمر الصبى العـدى الأحـور
دعنى أعيش حججـاً ممتعـاً بعمـر

وقوله : [طويل]

وقد شبهوا غصن الخلاف بقدها
فأغضبها التشبيه غضبة محنق
فقالت على هذا ، ألست موافقاً
فناديت لا عاش الخلاف ولا بقى

ومن نظمه أيضاً :

إن الهوى أين يا محبوب قد علقا
بالروح والجسم فى سر وفى علن
فالروح تفديك بالممدود قد علقت
والجسم حوشيت بالمقصور فى كفن

على بن محمود السلمى الحموى الحنبلى ابن المغلى (*)

٧٧١ — ٨٢٨ هـ

على بن محمود بن أبى بكر القاضى علاء الدين أبو الحسن بن نور الدين ابن تقى الدين ، أو بدر الدين ، أبى الثناء بن أبى الجود السلمى بالفتح

---

* أنظر ترجمة « ابن المغلى » (فى الضوء اللامع (ج : ٦ ص ٣٤) وشذرات الذهب لابن العماد .

نسبة إلى « سَلَمِيَة[1] » ، وربما كتبت السَّلماني ، ثم الحَمَوى الحنبلي — عُرف بابن المغلى .

كان أبوه تاجراً من « العراق » وسكن « سَلَمْيَة » ، فعرُف بذلك نسبة إلى « المغل[2] » ، وولد له قبل هذا [ولدٌ][3] نشأ على طريقته ، ثم وُلد له هذا في سنة إحدى وسبعين بـ « حماه » فحفظ القرآن وله تسع سنين ، وكان غايةً في الذّكاء ، وسُرْعة الحفظ ، وجودَة الفهمْ ، فطلب العلم ، وتفقه ببلاده ثم بـ « دمشق » .

ومن شيوخه فيها الحافظ « زين الدين بن رجب » ولم يدخلها إلا بعد انقطاع الأسناد العالى بموت أصحاب « الفخر » فسمع من طبقة تليها ، ولكنّه لم يُمْعن . وسمع كما أثبته « الجمال بن موسى » ، في سنة اثنتين وثمانين على قاضي بلده « الشهاب المرداوى[4] » موالى الذهبي يخرجه لنفسه بسماعه منه .

وسمع مسند أحمد على بعض الشيوخ روايته .

حدث بـ « البخارى » عن « السِّراج البلقيني » سماعاً إلا اليسير ، فأجازه ، وعن « العزيز المُلَيْجى[5] » سماعاً من قوله : « في الأطعمة » « باب القديد » إلى آخر الكتاب في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

---

(١) سلمية : (بفتح أوله وسكون الميم) بليدة بناحية البرية من أعمال حماة ، وتنطق (سلميه) بكسر الميم وتشديد الياء .
انظر (هامش النجوم الزاهرة) ج ١٢ : ص ١٥)

(٢) المغل أو المغل : اللبن ترضعه المرأة ولدها وهى حامل . ومغل به مغلا ومغالة : وشى به عند السلطان ، أو عام (انظر القاموس المحيط)

(٣) مابين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق

(٤) المرداوى : نسبة لمردى — هكذا جاءت في (الضوء اللامع ج : ١١ ص ٢٢٦

(٥) المليجى : بالفتح نسبة لمليج من المنوفية
(الضوء اللامع ج : ١١ ص ٢٢٨)

ومن محافيظه كما كتب « المحرَّر » لابن « عبد الهادى [١] » . وفى فروع مذهبه أكثر الفروع لـ « ابن مفلح » وللحنفية « مجمع البحرين [وفى فروع الشافعية التميز للبارزى [٢]] وفى « الأصول » « مختصر ابن الحاجب » وفى « فى العربية » : لـ « التسهيل » « لابن مالك » . وفى « المعانى » و « البيان » : [تلخيص المفتاح وغير] [٣] الشروح والقصائد الطوال ، التى كان يكرر عليها ، حتى مات ، ويسردُها سرْداً ، مع استحضار كثير من العلوم ، خارجاً عن هذه الكُتب بحيث كان لا يُدانيه أحد منْ عصره فى كثرة ذلك . وإن كان يُوجد فيهم من هُو أصحّ ذهناً منه

وكان « المحبُّ البغدادى [٤] » ينقلُ عنه فى حواشيه من أبحاثه وغيرها . وأما « العزّ الكنانى [٥] » فكان يعظّم فهمه أيضاً . ويُنكرُ علىَ منْ لمْ يرفَعه فيه . لكنه يقول مع ذلك عن شيخه « المجد سالم » أنه أقْعَدَ فى « الفقه » منه «كل ذلك مع النظم والنثر والكتابة الحسنة . وكانَ يتأنى فى مباحثه ، ولا يغضب إلا نادراً مع مزيد احتمال بحيثُ يكْظم غيظه ، ولا يشْفى صدْرَه ، مع إكرام الطلبة وإرفادهم بماله، وعدم المكابرة ، لكن وَصفَهُ شَيْخُنَا بالزهْو الشّديد والبأو [٦] الزائد والإعجاب البالغ ، بحيث سمعه يقول للقاضى « جلال الدين البُلقينى » مرّة وقد قال له : أنتَ إمامُ العربيّة ، فقال : لا تخَصّص .

---

(١) العبارة فى الضوء اللامع « ومن محافيظه فى الحديث المحرر لابن عبد الهادى (انظر الترجمة (ج ٦ : ٣٤)

(٢) غير ظاهرة بالأصل ، وما أثبتناه عن الضوء اللامع انظر الترجمة .

(٣) كشط بالأصل ، وما أثبتناه عن الضوء اللامع

(٤) المحب البغدادى : هو أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر البغدادى ، ولد فى صفر سنة ٧٦٥ هـ ببغداد ، ورحل إلى دمشق ، ثم دخل القاهرة ، وناب فى القضاء عن ابن مفلح والمجد بن سالم ، ثم ولى قضاء الحنابلة بالقاهرة استقلالا . ومات فى سنة ٨٤٤ هـ (انظر حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ص ٢٢٩)

(٥) العز الكنانى : نرجح أن يكون هو عز الدين أبو البركات الكنانى العسقلانى

(٦) البأو : يقال بأى ، بأوا : فخر ، ونفسه : رفعها وفخر بها .
(القاموس المحيط)

وسمعه يقول للقاضى « شمس الدين بن الديرى » وقد قال عنه : هذا عالم بمذهب الحنفية فقال : « قل شيخ المذاهب » انتهى .

ووصفه بعضهم فيما قيل : بأنه يُحيطُ علماً بالمذاهب الأربعة ، فرد عليه وقال : قل بجميع المذاهب .

واتفق أنه بحث مع « النظام السيرامى »[1] بحضرة « المؤيد » فقال « العلاءُ » يا شيخ « نظام الدين » اسمع مَذْهبكَ ، وسرد المسألة من حفظه، فمشى معه فيها ، ولا زال ينقلها حتى دخل به إلى « علم المعقول » ، فتورَّط « العلاء » ، فحصل لـ « النظام » الاستظهار عليه ، وصاح فى الملأ : طاحَ الحفظ ، هذا مقام التحقيق ، فلم يَرُدَّ عليه .

ومن الغريب ما اتفق لـ « الشمس البرماوى » معه كما أسلفته فى ترجمة أحمد بن إبراهيم بن نصر الله » . وأول ما ولى قضاء بلده بعد التسعين وهو « ابن نيف وعشرين سنة ، ثم قضاء « حلب » فى سنة أربع وثمانمائة ، واستمر بها إلى أثناء سنة خمس ، ثم تركها ورجع إلى بلده لىء قضائها ، وعرف بالعلم والدين ، والتعفف والعدل فى قضائه مع التصدى للأشغال والإفتاء والإفادة ، والتحديث . حتى إنه قد كتب عنه قديماً « الجمال بن موسى »[2] واستجازَهُ بجمعٍ ممَّن أخذتُ عنهم ، فولاَّهُ « المؤيدُ » قضاء الحنابلة بـ « الديار المصرية » ، مُضافاً لقضاء بلده ، بعناية القاضى « ناصر الدين بن البارزى »[3] حيث نوَّه عنده بذكره ، وأشار عليه بولايته، وذلك فى ثانى عشر صفر سنة ثمان عشرة بعد صَرْف

---

(١) السيرامى : هو يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى النظام بن السيف الصيرامى ، بالصاد أو بالسين ، ثم القاهرى الحنفى — مع الخلاف فى إثبات محمد وحذفه — ولد قبل الثمانين وسبعمائة ، وكان قدومه القاهرة مع والده حين استدعى لمشيخة البرقوقية بعد موت العلاء السيرامى سنة ٧٩٠ هـ — ومات سنة ٨٣٣ هـ

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٦١) : ص ٦

(٢) الجمال بن موسى هو محمد بن موسى بن على بن عبد الصمد بن محمد عبد الله الجمال أبو البركات وأبو المحاسن ، المراكشى الأصل المكى الشافعى ، ويعرف بابن موسى . ولد سنة ٧٨٩ هـ بمكة . ومات سنة ٨٢٨ هـ الضوء اللامع

(٣) البارزى : نسبة لباب أبرز ببغداد ، وخفف لكثرة وروده

(الضوء اللامع ج ١١ : ص ١٨٨)

القاضى « مجد الدين سالم » . فتوجّه إلى « القاهرة » وكان يستنيب فى قضاء بلده .

وسافر بعد ذلك فى سنة عشرين صُحبة « المؤيد » إلى الرُّوم ، وعاد معه . ولم يزل على قدمائه ، وجلالته إلى أن ابتدأ فى التَّوعُّك إذ سقط من سُلم ، وذلك بعد أن كان عزم على الحج فى هيئة جميلة ، وتأنّق زائد فانقطع ، وفاسخ « الجمال » ، واستمر متمرضا ، ثم عرض له قولنج ، فتمادى به إلى أن أعقبه الصَّرع ، فمات من يوم الخميس العشرين من شهر صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

واستقرّ بعده فى قضاء « الديار المصرية » القاضى « محب الدين أحمد ابن نصر الله البغدادى » الماضى ، وكان شديد الميل إلى التجارة والزراعة ووُجُوه تحصيل الأموال ، كما قاله شيخُنا قال : ومع طول مُلازمته للاشتغال ، ومناظرة الأقران ، والتقدم فى العلوم ، لم يشتغل بالتصنيف وكنت أُحرضه على ذلك لما فيه من بقاء الذكر ، فلم يوفق لذلك .

قال : وكان ممن أعان القاضى « علم الدين » على ولايته للقضاء ، وصرف « الولى » لكونه كان يتمشيخ عليه « والبلقينى » يتلمذ له ، فأحبّ أنْ يكون رفيقه من يعترفُ له دون من يتعاظمُ عليه ، فأعانه بقلْبه وقالبه ؛ فانعكس الأمرُ ، وندم بعد أن تورّط وصار يُبالغُ فى نقيض ما كان منه .

ووقفتُ على فُتيا بخطه بالغ فيها فى الحطّ عليه ، ثم عوقب بأن أصيب بولده قبل إكمال الحول من عزل الولى / ثم أصيب بنفسه ، وكذا صنع الله بـ « ابن الكويك » ، فإنه كان الأصل الكبير فى ذلك ، فلم ينتفع بنفسه بعدُ إلا قليلا . واستمر مَوعوكا ستة أشهر إلى أن مات عقب الولى بشهر واحد ، ويجتمع الكل عند الله — رحمهم الله وإيّانا .

ومن أخذ عن « العلاء » من أئمة الشافعية فى « الأصول » و « العربية » وغيرهما ؛ « النور القمني » شيخ الحديث بـ « البرقوقيـة » ،

٩٥

و «البرهان الكركى» و «البرهان بن خضر». وكان يقرأ عليه فى رمضان وغيره، و «العلاء القلقشندى» و «الشمس النواجى» فى آخرين.

ومن نظمه وقد كتب له «العلاء بن خطيب الناصرية» حين كان قاضياً عندهم:

سيدى قاضى القُضاة ومنْ له ... فضائل جلّت أن يحيط بها وصف
تصدّق بفضلٍ منك حلماً ومِنّةً ... فلازالت الطلاب فى آثاركم تقفو

فأجابه: [طويل]

جمعتَ علوم الناس إذ كنتَ أوحدا ... فذا واحد كالألف بل دونه الألف
لك العلم المشور فى العلم والنهى ... وعن مثلكم يروى المكارم والعرف

ومنه - لما ختم البدرى ابن شيخنا القرآن، وصلى به للناس على العادة فى رمضان سنة ست وعشرين بـ «البيبرسيّة»، وحضر الأعيان - قوله الذى قرأته بخطه مع إهداء ثوبٍ بعلبكى لوالده: [طويل]

لتهن «أبا العباس» ذا النجلَ إذْ بدا
هلالا «شهاب الدين» بل جاء مُبْدرا

فحقّ له الإنشادُ فى عُظم شأنه
لشعر له معناه [لفظاو][1] مضمرا

«بلغنا السماءَ مجدُنا وجدودُنا
وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا»[2]

عساك تجيزُ العبد إذ صحّ وُدهُ
بحسنِ قبول النّزْرِ يا حافظ الورى

فكتب شيخنا كما قرأته من خطه أيضاً: [طويل]

نعم بلغ العبد السماء تعاليا ... بمدح «علاء الدين» أعلم من أرى
لقد فقت فى كلّ العلوم بلا مرا ... وفى البر للطلاب بالفضل والقِرَى

---

(١) ما بين المعقوفين بياض بالأصل، وما أثبتناه زيادة يقتضيها السياق.
(٢) البيت لـ «لبيد».

ورمت بإهـداء البطانة سترةً ... وهيهات يأبى الجود أنْ يتستَّرا
كسانى ولم أستكسه فحمدتُه ... إخالك يوليك الجميل لتَشكُرا

قال شيخنا فيما قرأته أيضاً بخطه واتفق أن وقع على لفظة « استكسه » علامة الإهمال على « السين » التى قبل الهاء فصارت كالضمة . فكتب إلىَّ جواباً عن ذلك ، فقال كما قرأه كاتبه من خط العلاء : [طويل] .

أجبت فلبَّاك القريضُ حقيقـة ... وعوَّضتَ عن نظمى الحَصَى منك جوهرا
وأدخلت فى التضمين بيت تنازع ... فهـا أنا أنحوه ولكن محرَّرا
حبَانى ولم أستدعِه فأشكرن لهُ ... أخٌ لى يُولينى الجميل مُعذِّرا
فإن قلم ألقاه سـبقاً فإنه ... عقيدتنـا أو لا لمعنى تخيرا

فكتب له شيخنا كما قرأته بخطه : [طويل]

أُخبركم أن الصَّواب مُحقَّقٌ ... لديكم وسبق الضبط من قلم جرى
رأى قدركم بالرفع أليقُ فارتضى ... مخالفةً للكسر هذا الذى أرى
حَويت علاء الدين والعلم والنُّهى ... فمهما رفعت الدهر فالضِّد كُسِّرا
دعوت فلبَّاك اعتذارى مُطابقاً ... بقولٍ ولو حلَّيت كنت مقصِّرا

وله مع شيخنا أيضاً مطارحةٌ بأبيات تائية ، ما وقفتُ عليها . لكن قد أشار إليها مع الإشارة لهذه / المطارحة شيخنا فى القسم الأخير من معجمه بقوله : وطارحنى بأبيات تائية ، وبأخرى رائية ، وأجبته فأجاب عن الجواب ، فأجبته انتهى .

٩٦

وقد سبق من نثره فى ترجمة الفاضل علم الدين البلقيني .

القاضى نور الدين*

على بن محمد بن عبد البصير السخاوى

ت سنة ٧٥٦ هـ

على بن نصير بن على السخاوى . هو فى الأصل[1] على بن عبد البصير . وفى السخاويين شخص آخر اسمه « على » كان رئيس الكتّاب على رأس هذا القرن ، ويُلقّب « عصفور » وهو على بن محمد بن عبد البصير السخاوى الأصل ، الدِّمشْقِىُّ المولد والدار ثم المصرى .

أحببتُ التنبيهَ عليه للفائدة . لمشابهتهما فى الاسم والنسبة ، وتوافق اسم جدِّ هذا مع والدِ ذاك . وقد رأيتُ ولده وكان قصَّصِيًّا بباب « الصالحية النَّجْمية » ويَنْسَخُ للناس بالأجْر — غفر الله له .

على بن يوسف بن مكى المصرى المالكى*

جلال الدميرى

ت سنة ٨٠٣

على بن يوسف بن مكى بن عبد الله القاضى نور الدين بن الجلال الدميرى ثم المصرى المالكى .

(*) السخاوى جاء فى حسن المحاضرة للسيوطى أنه نور الدين على بن محمد بن عبد البصير السخاوى أحد قضاة المالكية بمصر . توفى سنة ٧٥٦ هـ

(حسن المحاضرة للسيوطى ج : ص ٢ ١٣٣)

وذكر ابن حجر : أنه على بن عبد البصير بن على السخاوى نور الدين المالكى من المائة الثامنة ، كان فقيهاً عارفا بمذهبه ، حتى كان أهل عصره يعترفون له بالتقدم فى ذلك ، ويصفونه بأنه أحفظ أهل زمانه لمذهب مالك رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر

(القسم الثانى : ص ٤٠٠)

(١) المراد بالأصل : كتاب رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى أستاذ المؤلف

(*) ابن مكى : هو على بن يوسف بن مكى بن الجلال نور الدين الدميرى المكى ، ولى قضاء المالكية فى ثانى عشر المحرم سنة ثلاث وثمانمائة بعد عزل ابن خلدون .

رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر (القسم الثانى : ص ٤١١) .

كان جدُّه مكِّياً . ويُعرف بـ « ابن نصر » حلبياً . فقدم مصر وسكن « دميرة » فوُلد له بها يوسف . وهو الملقب بـ « جلال » فاشتغل بفقه المالكية ، ثم سكن « القاهرة » . وناب عن « البرهان الإخنائى »[1] ، وصار يعرف بـ « جلال الدميرى » فوُلِدَ له صاحب الترجمة ، ونشأ فاشتغل حتى برع فى مذهبه ، وصار يتعانى غرائب المنقولات . فاشتدت مُخالفتهُ لِذلك مع أهل مذهبه ، فاشتهر بهذا صيته مع المعرفة التامة بالأحكام وعدمِ معرفة شىء من العُلوم سوى « الفقه » . والوصف بانحراف المزاج . وناب فى القضاء مدة ، ثم وليه استقلالا . وذلك فى المحرم سنة ثلاث . بعد صرف « ابن خلدون »[2] لمنافرة وقعت بينهما . حملته على اقتراض مال بفائدة حتى بذله فى الولاية وعيبَ لذلك . ولم يُرزَق سعداً فى استقلاله ؛ لكونه مع قصر مدته ؛ حتى كانت دون نصف سنة .

عارض « الصدر المناوى » فى واقعةٍ فغضب منه ، وأفحش فى خطابه ، فتأثر هذا ، وما استطاع أن يجيبه ، فحصل له من ثَمَّ انكسار ، ثم سافر مع العسكر إلى قتال : « اللنك[3] » ، فمات قبل أنْ يصل ؛ وذلك فى جمادى الآخرة من الستة . ودُفِنَ بـ « اللَّجُون[4] » . وكان قد عُيِّنَ بعد موت « ناصر الدين بن التنَّسى » . ثم بطل واستقر « ابن خلدون » . فلم يلبث أن صُرِف به ،

---

(١) الإخنائى : بالكسر ، نسبة لإخنا ، بلدة قرب الاسكندرية .

(الضوء اللامع ج : ١١ ص ١٨٣)

(٢) ابن خلدون : هو قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمى ، ولد سنة ٧٣٣ هـ . وتوفى سنة ٨٠٨ هـ .

حسن المحاضرة (ج : ١ ص ٢١٨) .

(٣) اللنك : تيمور لنك ، وهو ملك التتار — وكلمة « لنك » أعجمية معناه الأعرج النجوم الزاهرة (ج : ١٢ ص ٣٦٦) .

(٤) اللجون : بلد بالأردن ، بوسطه قبة فوق صخرة ، يقال إنها كانت مسجداً لإبراهيم عليه السلام . (معجم البلدان) .

عمر بن أبى بكر محمد بن حريز*

سراج الدين

٨١٩ — ٨٩٢ هـ

عمر بن أبى بكر محمد بن حُـرَيـز . ويُـدْعىَ محرز بن أبى[1] القاسم بن عبد العزيز بن يوسف بن رافع بن جندى بن سلطان بن محمد بن أحمد بن حجُـون بن أحمد بن محمد بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر الزكى بن محمد المأمون بن على الحارض بن الحسين بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

القاضى سراج الدين أبو حفص ابن الشيخ « مجد الدين الحسينى » المغربى الأصل الطـّهْـطَـاوى المنفلوطى المصرى المالـكى الشهير بـ « ابن حُـريز » بضم المهملة . وآخره « زاى » وهو أخو القاضى « حسام الدين محمد الآتى » . و « الحسام » هو الذى أمْـلى علىّ هذا النسب ، بعد أن أثـبَـتَه ، ثم أوقفنى عليه صَـاحبُ الترجمة فى جزء فيه ترجمة جَـدّه الأعلى الشيخ « أبى القاسم » المذكور بالـكرامات والأحوال السنية .

[وكون الشيخ « عبد الرحيم القنَـائى[2] » ابن عم جده وتقدمه فى القراءات[3]] وكان / عريقا ؛ حتى كان مِـنْ جملة مَـنْ لقيه « السراج البلقينى » ، وأنه مات فى مُـسْـتُـهل سنة اثنتين وستين وسبعمائة عن نحو تسعين سنة . ٩٧

ودفن بزاويته التى أنشأها بـ « طهطا » . وقبره هناك ظاهر يزار ،

(*) ابن حريز : انظر ترجمته فى (الضوء اللامع ج : ٦ ص ٧٦) .

(١) فى الأصل : « القسم » .

(٢) عبد الرحيم القنائى : هو الإمام الشهيد عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائى ، الشريف ، الحسنى . أصله من سبتة ، وقدم من المغرب فأقام بمكة سبع سنين ، ثم قدم قنا فأقام بها سنين كثيرة إلى أن مات . . وكان — رحمه الله — أحد الزهاد المشهورين ، والعباد المذكورين ، مات سنة ٥٩٢ هـ .

حسن المحاضرة (ج : ١ ص ٢٤٥) .

(٣) ما بين المعقوفين غير مستقيم المعنى ، ونرجح أن هناك عبارة ساقطة .

أنجب « أبو القاسم » هذا عدّة أولاد ، كانت لهم جلالةٌ وهيبة ، وكلمة نافذة ؛ منهم « نور الدين أبو الحسن على الضرير المقرى » ، وجد والد صاحب الترجمة ، و « الزين أبو المعالى حُريز » الموصوف مِنْ بعض مَنْ لقِيَهُ فى سنة ثمان وسبعين بالشيخ الإمام المحدّث المقرىء .

وكان مولدُ صاحب الترجمة فى سنة تسع عشرة بـ « منفلوط » . ونشأ بها . فحفظ القرآنَ و « الرِّسالة » و « الملحَة » . وجوّدَ القرآن على « الشِّهاب الطهطاوى » وقرأ الفقهَ على الزَّينين « عبادة » و « طاهر » . و « الشهاب السَّخاوى » ، وعليه قرأ فى العربية والفرائض . ولازَمه ، وانتفع به ، وأخذ فى علم الكلام عن « أبى عبد الله البسكرى[1] المغربى » . وسمع الحديثَ على « النَّجم بن عبد الوارث » فمَنْ دونه .

وممن سمع عليه الشيخ « أحمد بن يونس المغربى » نزيل « مكة » . حين إثبات هذه الترجمة ، وأجاز له « العَلمَ البُلقينى » وناب عنه . وكذا عن غيره من الشافعية بعده . وعن « الوَلىِّ السُّنباطى[2] المالكى » .

وحجّ فى سنة أربع وستين . وتَعَانى إدارة الدّواليب والمعاصر ونحوها . كأخيه .

ولما استقر أخوه فى قضاء المالكية ، صار يكتبُ على الفتوى ، وعرف بالديانة والأمانة ، والتصلب فى أمر دينه ، ومزيد اليُبْس[3] ، وحسْنِ المعاملة ، وصدق اللهجة ، والوفاء بالعهد . وذكر باستحضار فروع المذهب ، فصار إلى رياسة وجلالةٍ . فلما مات أخوه استقر فى قضاء المالكية بعده فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ، وأعرضَ عن الوظائفِ التى كانت معه عن

---

(١) جاء فى (الضوء اللامع ج : ١١ ص ١٩) البكرى بفتح أوله .

(٢) الولى السنباطى : هو محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن إسحاق بن أحمد بن إسحاق ابن إبراهيم . الولى أبو البقاء بن الضياء بن الصدر بن النجم الأموى المحلى المولد، ثم السنباطى ، ثم القاهرى المالكى . ولد سنة ٧٨٧ هـ . ومات سنة ٨٦١ هـ
(الضوء اللامع ج : ٩ ص ١١٣)

(٣) هكذا وردت فى (الضوء اللامع ج : ٩ ص ٧٧) .

تدريس « الشيخونية » ، فاستقرّ فيها « المحيوى بن تقى الدين » ، وعنْ تدريس « جامع طولون » فاستقر فيه « النووى بن التّنسى » ، ثم رجع إليه بعد وفاته وقام بالمنصب قياماً حسناً مُتحرِّياً فيه جهْدَه ، وشكرت سيرتُه فيه وصمّم[1] فى قضايا وبرز فى مواطن جبن فيها[2] غيره .

كل ذلك مع اشتغال فكره بما التزمه من دُيون[3] أخيه ، وكثرة التعرض له بسببها من آل « الدوادار الكبير » . وكذا لثانى مرةً بعد أخرى . وآل الأمر فى بعضها إلى أنْ أمر السلطانُ بالترسيم عليه ، وأقام بطبقة الزمام بضعة عشر يوماً . وعُدّ ذلك فى النّوازِل . ثم اطْلِق ، وبعد ذلك انتهى إلى السلطان فى شىءٍ من تهان أشير إليه ما يقتضى تغيّر خاطره منه . فبادر يوم الاثنين سادس صفر سنة سبع وسبعين إلى التصريح بعزله . وتقرير الشيخ « برهان الدين اللّقّانى » . وجاء « الشرفى الأنصارى » مبشراً بذلك . وتألم « السراج » لهذا الأمر كثيراً . وظن أنه سبق سَعى من « البرهان » والظاهر خلافه .

٩٨ وكذلك تألم له أحبابه : هذا بعد أن / كان فى أول هذا الشهر وقت التهنئة ، بالغ فى المشى فيما رأى أنه الحق بما هو موافق لغرض السلطان فى قتل « شاه سوار » الذى شرحت خبره فى غير هذا المحل .

وجهر بذلك جهراً زائداً عن رفقته . وأنه لا يقبل توبته ، بل يضم إليه فى القتل جماعة . ولم يعجب السلطان — فيما قيل — الجهر بذلك ، بل كان يحبُّ إخفاءَ الأمر فيه ؛ والله يحسن العاقبة .

---

(١) هكذا وردت فى (الضوء اللامع ج : ٦ ص ٧٧) .

(٢) فى الأصل : « فيه » وما ذكرناه عن الضوء اللامع (ج : ٦ ص ٧٧) .

(٣) فى الضوء اللامع : « من يد أخيه » (ج : ٦ ص ٧٧) .

عمر بن عبد الوهاب بن خلف*

عمر بن بنت الأعز

٦٢٥ هـ — ٦٨٠ هـ

عمر بن عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر القاضى صدر الدين بن القاضى تاج الدين أبى القاسم بن أبى الثناء العَلامى بمهملة ثم لام خفيفة ، — وهى قبيلة — المصرى الشافعى ، ويعرف بـ « ابن بنت الأعز » نسبة لـ « الأعز بن شكر » وزير « الكامل بن أبى بكر بن أيوب » ، لكونه أباً لأم « التاج » والد هذا قد ذُكر أبوه وأخوه « عبد الرحمن » فى محلّيهما من الأصل . وأما هذا فما رأيته فيه .

ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة . وسمع من « الزكى المنذرى[1] » و « الرشيد العطار » . قال الذهبى : وما أحسبه حدّث ، ثم نقل عن « الدمياطى » أنه حدث عن « المنذرى » ، وولىَ قضاء الدّيار المصرية بعد « التقى محمد بن الحسين بن رزين[2] » ، فى سنة ست وسبعين . وعزل

(*) ابن بنت الأعز : صدر الدين ، عمر بن تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف ابن بدر العلامى . مات يوم عاشوراء سنة ثمانين وستمائة عن خمس وخمسين سنة .
(حسن المحاضرة ج : ١ ص ١٩٤) ط . الموسوعات .

(١) الزكى المنذرى : هو الحافظ الكبير الإمام ، شيخ الإسلام ، زكى الدين ، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المعرى ، الشافعى ، ولد بمصر سنة ٥٨١ هـ ، وتفقه وبرع فى علم الحديث ، وتخرج بالحافظ أبى الحسن بن المفضل ، وولى مشيخة الكاملية ، وانقطع بها عشرين سنة ، وكان عديم النظير فى معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه ، متبحراً فى معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله وغريبه ، بارعاً فى الفقه والعربية والقراءات . ومن مؤلفاته « الترغيب والترهيب » و « شرح التنبيه » وغير ذلك . مات فى سنة ٦٥٦ هـ
حسن المحاضرة (ج : ١ ص ١٦٦)

(٢) ابن رزين : هو تقى الدين ، أبو عبد الله محمد بن رزين العامرى ، كان إماماً بارعاً فى الفقه والتفسير ، مشاركا فى علوم كثيرة ، ولد بحماه فى شعبان سنة ٦٠٣ هـ ، وقرأ النحو على ابن يعيش . والفقه على ابن الصلاح ولازمه ، وانتقل إلى الديار المصرية فانتفع به الطلبة وولى قضاء الوجه البحرى بعد موت ابن بنت الأعز سنة ٦٦٥ هـ واستمر قاضياً حتى عزل فى رجب سنة ٦٧٨ هـ ، كما ولى تدريس الشافعى ، مات فى رجب سنة ٦٨٠ هـ .
(حسن المحاضرة ج : ١ ص ١٩٥ ، ج : ٢ ص ٣)

بـ « التقى » المذكور فى رمضان سنة تسع ، ويقال إنه عزل نفسه ، واقتصر على تدريس « الصالحية » ، ووصفه الذهبى بأنه كان فقيهاً عارفاً بالمذهب ، يدرس « العربية » ، وفيه دين وتعبد ، ولديه فضائل ، عظيم الهيبة وافر الجلالة ، عديم المزاج ، باراً بالفقهاء ، مؤثراً متصدقاً ، درس بأماكن . وكان يسلك طريقة والده فى التحرى والصّلابة . وكان أبوه يحترمه ويتبرك به ، وكذا قال « أبو حيان » : إنه كان رجلا مهيباً دَيِّناً ، فقيهاً نحوياً صالحاً كثير الصَّدقة والافتقَاد لفقراء الفقهاء الذين كانوا فى مدرسته . وأُخبرت أنه كان يتفقَّدُهم بالليل فيبرّهم بالمطعم والدراهم بنفسه ، لا يتكلُ فى ذلك على غلام ولا خادم . وما سمعنا بأحد من قضاةِ مصر كان أكثر هيبةً منه ، لا يمزح ، ولا يضحك ، ولا ينبسط .

قرأ النحو على الأستاذ « أبى بكر الأندلسى الخفاف » الذى كان علامة فيه . قيل إنه قرأ عليه « إيضاح » أبى علىّ وكتب من أجله عليه شرحاً . ومات فى يوم عاشوراء سنة ثمانين وستمائة .

عمر بن محمد بن أبى بكر سراج الدين الرازى

٧٤٥ هـ - ٨١٧ هـ

عمر بن محمد بن أبى بكر بن عبد القادر بن أبى بكر القاضى سراج الدين الرازى الحنفى .

ولد فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة بمصر . وتفقّه بأبيه و « وجيه الدين الرازى » ملك العلماء بـ « الهند » . ودَرَّس بعدّةِ أماكن : « الأشرفية » ، و « الغاشورِيّة » ، و « الغزنويّة » . وعَادَ وَأفَادَ وتعَاطَى الشَّهادَة وقتاً . ثم ناب فى الحكم ، وَجلَس لذلك بـ « الحسينية » ، ثم استَقَلّ به . لكن فى « مصر » خاصة من أجل أن « النّاصر » رَامَ أخذَ أماكِن موقُوفَةً وطَلَبَ من القاضى « شمس الدين محمد ابن الحريرى » استبدالها فامتنع . وصمّمَ على ذلك بعد سؤال « النّاصر » له بنفسه ، فشكاه « الناصر » لـ « كَريم الدين الكبير » ، وبلغ ذلك

« السراج » فاجتمع بـ « كريم الدين » ، وأعلن أنه إن فوضَ له « الناصر » الحكم استبدلها له . وأحضر له النقل / من مذهبهم ، فسُر بهذا ، وركب فى الحال ، فأعلم به « الناصر » فأجاب سؤاله ، وقرره فى قضاء « مصر » خاصة وذلك فى مستهل شهر رجب سنة سَبْع عَشرة . وأبقى « الحريرى » فى قضاء « القاهرة » . فنزل « السراج » إلى « مصر » وحكم بها استقلالا . وشقّ ذلك على « الحريرى » وصنفَ فى نفع الاستبدال جُزءاً تعقبه عليه بعدُ « علاء الدين التركمانى » ، ولم يلبث « السراج » أن تُوفى بعد مُضى اثنين وسبعين يوماً . وذلك فى ثالث عشر من شهر رمضان سنة سبع عشرة و [ثمانمائة][1] . فأعيد الحريرى إليها . وعُد ذلك كرَامَةً له .

99

قلت : وقَدْ ذكرَ ذلك « الشهابُ بنُ فضْل الله » فى « مسالك الأبصار » لكن بمغايرةٍ لما تقدّم فإنه قال فى ترْجمَةِ « القاضى شهاب الدين محمد بن عثمان الحريرى » ما نصه :

« وكانت عنْدهَ قُوة نَفْسٍ فى الأحْكام ، وإمْضائها ، مُرَاعياً للمَذْهب ، لا يُراعِى زَيْداً ولا عمراً واتفق أن الأمير الكبير « بَكْتَمُر الساقى » كان له اصطبل بأرض « بِرْكةِ الفيل[2] » والأرض لورَثَةِ « الظاهر بيبرس[3] » ، وقَفٌ عليهم ، فتعرّض إليهم ،

(١) جاء بالأصل أن وفاته كانت سنة سبع عشرة وسبعمائة ، ولا يتفق مع سنة ميلاده التى ذكرها المؤلف فى مبدأ الترجمة وما ذكرناه هو الصواب .

(٢) بركة الفيل : كانت هذه البركة فيما بين القاهرة ومصر القديمة ، وكان الماء يصل إلى هذه البركة من الموضع الذى كان يعرف آنئذ بالجسر الأعظم « وموضعه الآن ميدان السيدة زينب » كما كان يصل إليها من الخليج الكبير ، وقد ظلت هذه البركة باقية حتى ردمت وقد بدأ العمران فى منطقة هذه البركة منذ القرن السادس الهجرى .

(المقريزى ج ٣ : ص ٢٦٢) و (صبح الأعشى للقلقشندى ج ٣ : ص ٣٥٨)
والقاهرة وأخبارها للدكتورة سعاد ماهر : ٧٨

(٣) الظاهر بيبرس : هو السلطان ركن الدين ، أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى ، انتخب للسلطنة بعد قتل قطز ، إثر انتصارهما على التتار فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ . ويعتبر من أعظم سلاطين المماليك ، وقد أكثر المؤرخون فى مناقبه بسبب ما ابتدعه من النظم والقواعد التى دعمت أسس دولة المماليك ، وفى عهده أقيمت الخلافة العباسية بالقاهرة سنة ٦٥٩ هـ . ودأب على ترقية شئون بلاده ، فحفر الترع وبنى القصور ، وأصلح الحصون ، وأسس المعاهد . =

وقيل : إن الأرض زادت معهم ، فأرسل وكيل بيت المال ونوّاب الحكم العدول لقياسها . فلم تزد شيئاً . ثم أرسلوا مرة أخرى فقيل : إنها زادت قطعة . فقالوا : أعطونا أرض الاسطبل عوضاً عن هذه الزيادة ، فقيل : الأرض وقف ، لا يمكن التعويض ولكن يشهد علينا بقبض أجرة الأرض مهما أردتم من السنين فقيل للسلطان : إن مذهب أبي حنيفة يجوز فيه الاستبدال بالوقف فطلب منه ذلك ، فامتنع ، وقال : هذه رواية عن أبي يوسف ، وأنا لا أعمل بها . فولى السلطان بمصر خاصة « السراج » صهر « السروجي » حاكما . وبقى « الحريرى » بـ « القاهرة » ، وأجاب « السراج » إلى الحكم بالاستبدال واختاره ، وبقى على قضاء « مصر » مدة يسيرة ، ثم مات قبل أن يحكم بالاستبدال .

وأعيد « ابن الحريرى » إلى « مصر » فعظمت مكانته عند السلطان بهذه الواقعة . وخلع عليه ليلة عيد الفطر . وكان ذلك سنة سبع عشرة وسبعمائة ، انتهى وهى إلى الصحة أقرب .

= وبنى المساجد ، وعنى بتنظيم الجيش ، وإنشاء البحرية ، وتخفيف الضرائب ، كما أصلح الحرم النبوى وجدد عمارته بعد الحريق الذى أصابه ، وكانت له فتوحات كثيرة ، إذ وصل ملكه إلى حدود آسيا الصغرى ، وقضى على طائفة الحشيشيين فى شمال سوريا والعراق . وفى عهده أصبح القضاة أربعة لكل مذهب قاض ، وأمر فى أيامه بإراقة الخمور ، وإبطال المفسدات والخواطىء ، وكان له صدقات كثيرة ، ومن آثاره المعمارية الباقية حتى الآن « الجامع بميدان الظاهر » . وبقايا مدرسته بالنحاسين ، وقنطرة أبو النجا ، والمحراب القائم بالحائط الشمالى بجامع عمرو ، وقد كان فارساً شجاعاً مقداماً مات بدمشق سنة ٦٧٦ هـ . ودفن بالمكان الذى موضعه المكتبة الظاهرية بدمشق الآن :

(حسن المحاضرة ج : ٢ ص ٤٠ — ٤١ ، ٧٤ — ٨٠)

(والخطط التوفيقية ج : ١ ص ٢٧)

محمد بن الأمشاطى العين تابى*

٨١١ هـ — ٨٨٥ هـ

محمد بن أحمد بن حسن بن إسماعيل بن يعقوب بن إسماعيل صاحبنا القاضى شهاب الدين السُّكَّكاوى العَيْنتابى[1] القاهرى الحنفى .

عُرِفَ بـ « ابن الأمْشَاطى[2] » ، وُلِدَ — كما قرأته بخطه — فى سادس عشرى ذى الحجة أو القَعْدة سنة إحدى عَشْرةَ وثمانمائة مقابل « صِهْرِيج مَنْجَك » بـ « القاهرة » . ومات وَالِدُه وكان من أهل العلم — فيما بلغنى — سنة تسع عشرة بعد أن رافق شيخنا فى السّماع قبل القرن سنة سبع وتسعين وبعدها على بعض شيوخه فى « المستخرج » وغيره ، وأثبت اسمه فى « الطِّبَّاق » بالشيخ ، ونسَبه فى بعضها عجمياً وفى بعضها عينتابيا .

وقال فى غير موضع : إنه جمع ونشأ ولده صاحب الترجمة بـ « القاهرة » فى كنف جَدِّه أبى أُمِّه . وكانَ خَيِّرًا ، يَتَّجِرُ فى الأمْشاط فنُسِبَ صَاحِبُ التَّرجمة إليه . فَقَرَأَ القُرآن عند « البرديني » وغيره ، وَجَوَّدَ بَعْضَه على الشيخ / « حبَيْبِ العَجمى »[3] ، ١٠٠ وحفظ « التَّمَدُورى » وبعض « المجمع » وغيرهما .

---

* العنتابى : انظر ترجمته فى (الضوء اللامع ج : ٦ ص ٣٠١) .

(١) العنتابى : قال السخاوى . فى الضوء اللامع : هو نسبة لعين تاب ، وجاء رسم العنتابى فى النجوم الزاهرة « عينتاب » وجاء فى حاشية النجوم الزاهرة : أن « عينتاب » بلدة كبيرة بها قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية .

(هامش النجوم الزاهرة ج : ١٢ ص ١٧)

(٢) الأمشاطى : جاء فى الضوء اللامع : ويعرف بالأمشاطى نسبة لجده أبى أمه لكونه هو الذى تولى تربيته بعد وفاة أبيه (ج : ٦ ص ٣٠١) .

(٣) الشيخ حبيب العجمى : هو حبيب بن يوسف بن عبد الرحمن ، الزين ، العجمى ، الحنفى ، . . تصدى للاقراء فانتفع به خلق كثير . وأم بالأشرفية برسباى ، واستقر فى مشيخة القراء بالشيخونية وبالمؤيدية ، وممن تلا عليه بالسبع : الشمس بن عمران . وروى عنه خلق .

(الضوء اللامع ج : ٣ ص ٨٩)

وقرأ تصحيحاً على « السِّراج قارىء الهداية » ، بل حضر دروسه ودروس القاضى « الزين التَّفهْنى[1] » و « ابن الفَنَرى[2] » ، وتفقَّه به « الشمس الجندى[3] » و « عبد اللطيف الكِرْمانى[4] » و « ابن الدَّيرى » و « الأمين الأقصرائى » ، وأذنا له فى التَّدريس والإفتاء وعليهما قرأ فى « الأصول » ، وكذا على « الكَرْمانى » وعن ثانيهما و « ابن الجندى » أَخذَ « العربية » ، وكذا عن « الشُّمُنّى »[5] و « الراعى[6] » ، وانتفع بـ « ابن الدَّيرى » وناب عنه فى القضاء ، وكان كثير التَّبجيل له ، وحاولَ وسائطُ السُّوءِ تغييرَ خاطره عليه لكونه لا يَنجَر معهم فيما يخوضون فيه ، فأبى اللهُ إلاّ تقدِيمَهُ عَلَيْهم بحيث صار فى جماعة[7]

---

(١) التفهنى : بفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه ، ثم نون ، نسبة إلى قرية بالقرب من دمياط .

(الضوء اللامع ج : ١١ ص ١٩٤)

وجاء فى حسن المحاضرة : أنه قاضى القضاة ، زين الدين ، عبد الرحمن بن على بن عبدالرحمن ابن على بن هاشم . مات فى شوال سنة ٨٣٥ هـ . (حسن المحاضرة ج : ١ ص ٢٢٤) .

(٢) الفنرى : بفتحتين ، ثم راء مكسورة ؛ نسبة لصنعة الفنار

(الضوء اللامع ج : ١١ ص ٢١٨)

(٣) الشمس بن الجندى : هو محمد بن أبى بكر بن أيد غدى بن عبد الله ، الشمس ، ابن السيف الشمسى ، القاهرى الحنفى ، ويعرف بابن الجندى ... ولد تقريبا سنة ٧٦٥ هـ بالقاهرة . وتوفى سنة ٨٤٤ هـ .

(الضوء اللامع ج : ٧ ص ١٥٧)

(٤) الكرمانى : هو عبد اللطيف ، افتخار الدين ، الكرمانى ، الحنفى ، والكرمانى بكسر أوله أو فتحه نسبة لكرمان .

(الضوء اللامع ج : ٤ ص ٣٤٠ ، ج : ١١ ص ٣٢٣)

(٥) الشمنى : تقى الدين ، أبو العباس ، أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمى ، ولد بالأسكندرية سنة ٨٠١ هـ . ومات سنة ٨٧٢ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوط ج : ١ ص ٢٢٤)

(٦) الراعى : هو محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربى الأندلسى ، ثم القاهرى ، المالكى ؛ يعرف بالراعى . ولد بغرناطة من بلاد الأندلس فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة تقريباً ونشأ بها ، وأخذ الفقه وأصوله والعربية عن أبى جعفر أحمد بن إدريس ابن سعيد الأندلسى وغيره . ومات بسكنه بالصالحية فى ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة

(انظر الضوء اللامع ج ٩ : ص ٢٠٣)

(٧) العبارة فى الضوء اللامع من الترجمة نصها : (بحيث صار فى قضاء مذهبه)

مذهبه كالشامة، وكذا انتفع بملازمة «الأمين». وأخذ عن «ابن الهمام»، وكان أيضاً يجلُّه حتى إنه لما عين له تصوفاً بـ«المدرسة الأشرفية» وقرر «جوهر» فيه غيره غضب، وكان ذلك هو السبب فى خلع «الكمال» نفسه من الوظيفة واسترضوه بكل طريق فامتنع، وسمع الحديث على غير واحد من الشيوخ، بل أخبرنى أنه سمع على «الولى العراقى» فيما يغلب على ظنه، ولا أستبعد أن والده اعتنى به فأحضره بل وأسمعه أشياء، فقد رأيت له حضوراً فى الثالثة مع أبيه على «الشرف ابن الكُوَيك» لبعض الجزء الأول من «مسند أبى حنيفة» للحارثى بقاعة الشيخونية بقراءة «الكلوتاتى»، وضبطه ووصفه والده بالمقيم بصهريج «منجك».

وكذا سمع على «ابن الجزرى» أشياء وعلى «الشمس الشامى» فى ذيل مشيخة القلانسى وعلى «ابن المصرى»[1]: «السنن» لـ«ابن ماجه». وعلى «الزركشى»[2] «صحيح مسلم»، وعلى «الشهاب الواسطى»[3] فى بيت «ابن مفلح»[4] تلك الأجزاء التى كان يرويها. وعلى «عائشة العسقلانية»: «الغيلانيات»، وعلى «فاطمة

---

(١) ابن المصرى: هو عبد الرزاق بن محمد بن يوسف الزين، الخليل، الشافعى السمين ويعرف بابن المصرى. ولد فى سنة سبع أو ثمان وعشرين وثمانمائة بالخليل، واشتغل ولازم بالقاهرة إمام الكاملية. مات فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شعبان سنة ٨٩٠ هـ. ودفن بتربة أبيه من بلد الخليل.

(الضوء اللامع ج ٩ : ١٦٩)

(٢) الزركشى: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الزين أبو ذر بن الشمس ابن الجمال، بن الشمس، المصرى، الحنبلى، ويعرف بالزركشى — صنعة أبيه — ولد فى سابع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ فحفظ القرآن، والعمدة، والمحرر الفقهى، وتوفى سنة ٨٤٦ هـ.

(الضوء اللامع ج ٤ : ١٣٦).

(٣) الواسطى: انظر ترجمته فى (الضوء اللامع ج ٢ : ١٠٢).

(٤) ابن مفلح: انظر ابن مفلح فى (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٧٢).

الحنبلية[١] ، و « عبد الله »[٢] و « سارة »[٣] ابنى « عمر بن جماعة » ، و « ابن ناظر الصاحبة » ، و « ابن بردس »[٤] . و « ابن الطحان »[٥] ، و « المحبّ محمد بن يحيى بن محمد الحنبلي[٦] » و « التاج الشرابيشى » ، وشيخنا وبعض مسموعه عليه بقراءتى ، ومن ذلك فى أول سنة ٤٩ جزء الجلوى من حديث « أبى منصور البنديجى[٧] » ، وآخر ما سمع معنا عليه بقراءة غيرى « فضل عشر ذى الحجة » لابن أبى الدنيا ، وسمع أيضاً على

---

(١) فاطمة الحنبلية : هى فاطمة ، أم عمر ابنة الشرف موسى بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن جمعة بن أبى بكر بن محمد بن إسماعيل بن حسن الأنصارى الحلبى ، ويعرف والدها بابن الحنبلى . أجاز لها الشمس العسقلانى المقرى وآخرون ، وتزوجها الشهاب أحمد بن السفاح وولدت له عمر وغيره ، ماتت بحلب سنة ٨٤٢ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٢ : ١١٢) ط : القدسى .

(٢) ابن جماعة : هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن صخر الجمال ، بن السراج ، بن العز الكنانى ، الحموى الأصل ، القاهرى ، الشافعى ، أخو سارة ، ويعرف بابن جماعة . ولد بعد الستين وسبعمائة بالقاهرة . ومات فى سنة ٨٤٠ هـ .

(الضوء اللامع ج ٥ : ٣٨) .

(٣) سارة ابنة عمر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن على ابن جماعة بن صخر ، أم محمد ، ابنة السراج أبى حفص بن العز الكنانى الحموى ، ثم القاهرى ، الشافعى ، أخت عبد الله وتعرف بابنة « ابن جماعة » . ولدت تقريباً بعد الستين ، وأجاز لها جمع من أصحاب الفخر بن البخارى وغيره ، ماتت سنة ٨٥٥ هـ .

الضوء اللامع (ج ١٢ : ٥٢) .

(٤) ابن بردس : انظر (الضوء اللامع ج ١١ : ٣٣٧)

(٥) ابن الطحان : انظر (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٥٦) .

(٦) المحب الحنبلى : هو محمد بن يحيى بن على بن عبد الله بن أبى الفتح بن هاشم بن اسماعيل بن ابراهيم بن نصر الله بن أحمد ، المحب ، ابن الأمينى ، الكتانى العسقلانى ، القاهرى ، الحنبلى ، ولد تقريباً سنة ٧٧٣ هـ . بالقاهرة ونشأ بها لحفظ القرآن وغيره ، واشتغل قليلا ، وسمع من الجمال عبد الله الباجى والنجم بن رزين والحلاوى وغيرهم ، وأجاز له الصلاح بن أبى عمر وغيره : وحدث ، وتنزل فى كثير من الجهات ، وتكسب بالشهادة وعقود الأنكحة ، مرضيا فيها . . بل ناب فى القضاء عن العز البغدادى ، ثم أعرض عنه واقتصر على العقود مع الانجماع ، بمنزله . مات سنة ٨٥٠ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٧٥) ط : القدسى .

(٧) وردت فى الأصل هكذا « البند سحى » بدون نقط .

« ابن أبي التائب » والمحبّين عبد الله بن عبد اللطيف بن الإمام[1] والـقـمنى و « علي بن محمد بن يوسف بن القيم[2] . وأجاز له غير واحد . ترجمت له أكثرهم في مجلد . ودرس للحنفية « بالفخرية » برغبة « الأمين عبد الرحمن بن الدَّيرى » له عنه .

ويدرس بكلمش « الذى لم يعين له واقفه مكاناً بل جعل مرجع ذلك للناظر ، فعيّن أحد النظا ـ « دولات باى المؤيدية » له ، وبـ « الفيروزية » مع « مشيخة الصوفية » فيها .

رغب له عنها ، « قوام الدين » . وبـ « المنكوتمرية » و « الباسطيه » عقب وفاة « العز عبد السلام البغدادى » / . وبالمسجد المعروف بإنشاء « جقمق » بـ « خان الخليلى » عقب « الجمال عبد الله الأردبيلى[3] » . وبمدرسة « سودون من زادة » عقب وفاة « البرهان

101

---

(١) المحب بن الإمام : هو عبد الله بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن عبد الله بن عبد المحسن ، المحب ، أبو الطيب بن البهاء ، أبي البقاء ابن الشهاب أبي الشهاب أبي العباس السلمى المحلى الشافعى ، ويعرف بابن الإمام ، ولد في سنة ٧٨٨ هـ بالمحلة الكبرى (بمصر) ونشأ . ثم حج به وبأخيه أبوهما سنة ٨٠٥ هـ ، رجاور وحفظ بمكة بعض المحافيظ ، وعرضها على الجمال بن ظهيرة ، والشمس الخوارزمى ، وغيرهما ، ثم رجع إلى المحلة ، وكان يتردد إلى القاهرة ، ثم سكنها بعد سنة ٨٣٠ هـ . وزار القدس والخليل ، ودخل ، وكان ثقة مأمونا ، خيراً متواضعاً ، ناب في القضاء ببعض بلاد المحلة عن الجلال البلقينى لمن بعده ، وحدث ومات بالقاهرة سنة ٨٤٦ هـ .

(الضوء اللامع (ج ٥ : ٢٧ — ٢٨)

(٢) على بن القيم : هو على بن محمد بن يوسف بن محمد نور الدين ، القاهرى ، الشافعى ، نزيل المدرسة البقرية بالقرب من باب النصر — ويعرف بابن القيم ، وبابن شقير . ولد تقريبا ٧٧٥ هـ في جامع التركمانى في المقس بالقاهرة . وحفظ القرآن ، والمنهاج الفرعى ، وتلاهما على حلبة من العلماء واشتغل بالفقه على الأبناسى ، والبدر القويسنى ، وجماعة وبالنحو على الشمس الحريرى . وكتب الكثير بخطه الحسن ، وسمع على كثير من العلماء ، وحج مراراً وحدث ، وكان إنسانا حسنا خيرا ، حد صوفية الأشرفية برسباى ، وقيم جامع التركمانى . مات بالقاهرة سنة ٨٤٨ هـ .

(الضوء اللامع ج ٦ : ٢٨)

(٣) الجمال عبد الله الأردبيلى : هو الجمال الأردبيلى الحنفى ، أحد الفضلاء ، كان أحد القررين بالجانبكية ، والمعيدين بالصرغتمشية . بل ورغب له شيخها عن تدريس المسجد الذى جدده الظاهر جقمق بخان الخليلى ، ودرس مدة إلى أن مات سنة ٨٦٩ هـ ، وكان فاضلا خيرا

(الضوء اللامع ج ٥ : ٧٤)

الدِّيْرى » . وناب فى مشيخة التصوف بـ « الأشرَفيَّة » وتدريسها فى غيبة « ابن الشيخ أمين الدين » . وكذا فى تدريس « الصَّرْغَتْمُشيَّة » فى غيبة « الأمين » ، وهو من جملة المعيدين فيها .

وَحجَّ مراراً ، وجاور فى بعضها أشهراً ، وسافر « دمياط » و « غزة » وغيرها . وأقرأ الطلبة وحلَّق . بل أفتىَ بإلزام شيخه « الأمين » له بذلك . وربما كتب « الأمين » تحت خطه .

وعُرِف بالثِّقة والأمانة ، والدِّيانة والنصح ، وبَذْلِ الهمَّة ، والقيام مَع مَنْ يقصده ، وتأييد طلبة العلم فى الأماكن التى ربما يحصل لهم فيها امتهان ، والتواضع مع مَنْ يحبه ، وحمل الأذى والتقلل من الدنيا ، مع التَّعَففِ وشرف النَّفس ، والتَّصْميم فى الحق ، وعدم المُحَاباة ، وترَكَ قَبولَ الهَدية ، فاشتهر ذكره ، وقُبِلت شفاعَتُه وأوَامِرُهُ . خصوصاً عند كلِّ من يَترَدَّدُ إليه من الأمراء كبيرهم وصغيرهم حتى « جانى بك الدَّوَادَار » و « تمرْبُغا الظَّاهِرِىّ »[1] ومن قبلهما « يونس الدُّوَادار » وطائفة منهم : « يَشْبَكْ الدوَادَار »[2] . وَبَاشرَ العَقْد لغَيرِ واحد من الأعيان رغبة منهم فى دِيانته ، وثقته وأمانته مع حِرْص قاضى مذهبه على مباشرة بعضها وسعيه فى ذلك . ولا يجاب وما انفَكَّ مع هذه الأوْصافِ الجميلة عَنْ مُناوِىءٍ حَسَداً ، ولكنه لم يَزْدَدْ مع ذلك إلا عزّاً .

ولما مات شيخه القاضى « سعد الدين » تعَفَّفَ عن الدُّخول فى القَضَايا إلا فى النَّادِر ، ثم ترك أصلا . كلُّ ذلك مع العلم والفهم الجيد ، وحسن التصور ، والإتقان فيما يُبديه والمشاركة فى فنون ، والرغبة فى كثير من إخفاء أعماله الصَّالحة . وقد جوَّد « المنسوب »[3] على « الزين بن

---

(١) جانى بك الداودار وتمربغا الظاهرى . الضبط من النجوم الزاهرة (ج١٢ : ١٢٣)

(٢) يشبك الدوادار : هو يشبك الشعبانى الظاهرى برقوق ات سنة ٨١٠ هـ (الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٧٨) و(النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٧٥)

(٣) المنسوب : يقصد نوعاً من الخط ، ونص العبارة كما فى الضوء اللامع : « وقد جود الخط على الزين بن الصائغ » انظر الترجمة (فى الضوء اللامع ج ٦ : ٣٠٣)

الصائغ » . وكتب به كثيراً لنفسه وغيره من كتب العلم وغيرها . وانتَقَى وأفاد . وكذا كتب بخطِّه غيرَ ما رَبْعَة ومُصحَف ، ووقف بَعضها قصْداً للثَّواب . بل أهدى لكلٍّ من « الأشرَف قايتبَاى »[1] و « جانى بك الدَّوَادَار » و « يَشبَك الدَّوَادار » وغيرهم رَبعَة . وامتنع من قبول ما يثيبُونَه فى مُقابل ذلك ، وهو شيء كثير .

وكتب — فيما أخبرنى به — رُبْعَ القُرآن ، وضَبطهُ فى ليلة لاضطراره لذلك ، ليرْتَفق بثمنه فى مُلاقاةِ شيخه « ابن الجندى » حيث حج .

وبالجملة فهو حسنةٌ من حسنات الدَّهر . وقد صَحِبْتُهُ قديماً فما أعلَمُ منه إلاَّ الخير . وأشهَدُ من محبَّته فىَّ وإجلاله لى ما لا أقدر أن أصفَه ، وسمِع منِّى غالب « ارتياح الأكباد » من تصنيفى ، وكان يستخبرنى بلفظه قصداً للخير ، وكذا حضر المجالس التى أمليتها بـ « مكة » وعيِّن للقضاء غير مرة بإشارة « شيخه الأمين »[2] وغيره ، وهو لا يُذعن حَتى كانت كائنة « شقراء »[3] / ابنة الناصر فرج بن برقوق » ، وانحراف السلطان على القاضى الحنَفىِّ[4] بسبب قيام بَنيه[5] الصغير فى التعصب معها ، وغير ذلك حسبما شرحته فى غير هذا المحل .

١٠٢

صرّح بِعَزْل القاضى « مُحبّ الدين » المشار إليه ، وأخذ بيده ، فأقامه من مجلسه ، ثم وَلَّى صَاحبَ الترجمة إلزَاماً ، وذلك فى يوم الخميس

---

(١) الأشرف قايتباى : هو سلطان مصر الأشرف قايتباى المحمودى ، من المماليك الجراكسة . (وقد حكم مصر من سنة ٨٧٢ هـ = ١٤٦٨ م إلى سنة ٩٠١ هـ — ١٤٩٥ (انظر المختار من حسن المحاضرة : ٢٤٧)

(٢) الأمين : يقصد الأمين الأقصرائى .

(٣) شقراء : هى شقراء ابنة الناصر فرج بن برقوق ، وأم محمد بن جرباش ، زوجها أبوها لمملوكه جرباش .
(الضوء اللامع ج ١٢ : ٦٨

(٤) يقصد المؤلف : « القاضى محب الدين بن الشحنة . كما هو منصوص عليه .
(فى الضوء اللامع ج ٦ : ٣٠٣)

(٥) وردت فى الأصل « بنيه » وفى الضوء اللامع من الترجمة « ابنة » .

حادى عشر جمادى الأولى سَنة سبْعٍ وسَبْعين ، من غير سَبْق علمٍ له بذلك مع استدعاء السُّلطان له بين يديه أمس تاريخه ، وتكلَّم مَعَه فى الكائنة وغيرها ، وركبَ ومعه المالكى والحنبلى ، وهُما من ابتكر السُّلطان ولايتهما قبل هذا الوقت فى جمع من نُوّاب كلٍّ منهم ، حتى وَصل « الصالحية » على العادة وهى مَحَلُّ سَكنه ، وهَرَعَ النَّاسُ للسَّلام عليه ، واستَقرَّ به « الشريف جلال الدين الجرَوَانى »[1] نقيب شيخه فى النِّقابة ، ورام التَّخفيف من النُّوّابِ والاقتصار على مَن يكون منهم أقرب إلى العدل ، فجاء الدَّوَادَار الثانى ، وهو ممَّن كان يقرأ عليه عند السلطان بتوليته الجميع والتأكيد عليهم فى تحرِّى الصَّواب ، والرِّفق بالمسلمين ، ومن بلغه عنه شىء يُخالفُ ذَلكَ عزله ، فلم يجد بُدًّا من ذلك ، وولى الجميع ، وزاد فى التأكيد على جماعة منهم ، ثم باشر على على طريقته فى التَّصميم فى الحقّ ، وعدم عمل ما لا يَرتضيه ، لا سيما فى الاستبدالات مع كثرَةِ مجىء الرسائل إليه بسببها ، بل شافهه « الدَّوَادار الكبير » فيما اضطُرَّ لفعله من ذلك .

وكذا طلبه السلطان مع بعض الخدام . وشافهه فى بعض ما توسَّل به عنده فيه منها ، فأبدى لكل منهما ما يقتضى عدم براءة الذمة فى ذلك ، فإن سَدَّ الباب فيه أولى وأسلم فى الخلاص لتطرقهم إلى الاحتجاج بما يعمله منها ، مما يكون فيه المسوغ على ما يأباه مما لم يستجمع فيه الشروط .

وقد صنف « الحريرى » فى المنع من الاستبدالات كما مضى فى الترجمة التى قبلها . وبالغ القاضى فى الاستعفاء من ذلك خاصة ، فقيل له : فعيِّن لنا من يُنتدَب لذلك . فتوقف ، فلم يزالوا به حتى عيَّن

---

(١) الجروانى : بفتحات وآخره نون ؛ نسبة لقرية قريبة من تخدطوا « طنطا » بالغربية وهو محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الشريف جلال الدين بن الشهاب الحسن الجروانى ، بجيم ثم مهملة وواو مفتوحات . القاهرى ، الشافعى ، النقيب ، ويعرف بالشريف الجروانى « النقيب . ولد سنة ٧٩٥ هـ . ومات سنة ٨٨٢ هـ ودفن بحوش « البيبرسية » (الضوء اللامع ج ٧ : ٧٤ ، ج ١١ : ١٩٦)

« خير الدين الشَّنْشِي »(١) و « نور الدين الصُّوفي » ، وهما من أوْجَه الجماعة وأقدمهم ، ورُوسل كل منهما بذلك فامتنع . وتوقفا معاً عن الحكم مطلقاً لتوهمهما قصر مدته .

ولَمَّا لمْ تَحْصُل المُوَافَقَةُ منهما تكرَّر الكَلاَمُ معه في التَّعيين من السلطان وغيره ، لاسيّما يوم التهنئة بذي القعدة . ولزم القاضي تصحيحه حتى قال : ولو جُعل في عُنق حَبْلٌ أو نحو ذلك ما فعلت ، فدبّروا له حججا من جملتها مكتوب استبدال منسوب إليه فعله لم أزَلْ أسمع من القاضي من مدد متطاولة أنه مما زُورَ عليه ، وأنه لم يدخل في استبدال قط . وهو فيما أظن مخلص في تجنُّبه .

وكذلك أرجو عدم توصلهم لانثناء الملك عنه . فقد روينا عن « المأمون » ، أنه قال لرجل وقد ولاّه القضاء : إني قد وليتُك / حفْظ أماني ومراعاة حقوقي — وما أمرني به الله — تبارك وتعالى — أن أحفظ . ١٠٣

فانظر ما اخترتُك له فأدِّ حقَّ اللهِ فيه يعطف بقلبي عليك ، ولا تعصه فيما وليتك فيسلطني عليك . وشوهد هذا ، فإن السلطان قرره في مشيخة « البرقُوقية » ونظرها بعد « العضُدي الصِّيرَامي » . وحينئذ أعرض عن كثير من وظائفه الصغار لجماعة من الفضلاء والمستحقين مجّانا لارتقائه عن مباشرتها ، وكثر الدعاء له بسبب ذلك ، بل ورام السلطان — فيما بلغني — إعطاءه « الشَّيْخُونية » بعد « السَّيفي » ، فما وافق كما أنه لم يوافق على « المؤيدية » بعد « البرهان بن الديري » . وأشار بأن يكون « الأمين الأقصرائي » ، فما اتفق ، واجتهد المشارُ إليهما بعد عزلهما نفسهما في السعي للعود إلى النيابة على عادتهما ، فأجابهما ، ولكن كان بجلس ثانيهما تعين لغيره ، فلم يمكن عَوْده إليه . كل ذلك والكلام مستمر

---

(١) الشنشي : بفتحتين ثم معجمة ، أبو الخير محمد بن ناصر الدين محمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن موسى بن عبد الله الحنفي . ولد سنة ٨١٩ . وتوفي سنة ٨٧٣ هـ (الضوء مع اللامع ج ٨ : ٢٦٥ ، ١١ : ٢١٠)

مع القاضي فى الاستبدال . بحيث أظهر السلطان الانحراف ليرضى المعارضين عنده فيه ، ولزم من ذلك العمل لكن مع التحرى والاحتياط ، فإنه عين للنَّظَرِ فى أمرِها « الشَّنشي » المشار إليه لفطنته — فيما أخبرنى به بتوقفه عن العمل ، من أجل ما سبق من عزله نفسه بسبب الاستبدالات ، وذلك بعد حضور العلمى بن الجيعان[1] ، إلى القاضي وصياحه بأنْ ألاحظ بجهة الوقف الاستبدال لكون هذا المكان لا يتحصل منه شيء ، إذ أكثر الأوقات يكون معاراً مع من لا يستطيع تناول شيء منه .

هذا مع الاحتياج فى كل وقت لترميمه . وكذا حضر إليه « المقر الزينى ابن مزهر » ، و « الشرفى الأنصارى » و « البدر بن الكويز » معلم المعلمين وهو من أخصّ أصحاب القاضي فى آخرين وبالغ « الزينى » فى التوسل إليه فى تعيين القضية على المذكور ففعل ، فلم يكن بأسرع من عمل « الشنَشى » ما التمس منه ، وجُعِلَ مالُ البَدلَ فى حَاصِلٍ مَشْمُول[2] بختم القاضي ، ومع ذلك فقدر بعد يسير أنّ الذى وقع استبدالها من أجله زهد فى بقائها معه ، واسترجع ما كان أخذ فى البدل لشيء قام فى نفسه ، واحتيل فى مسوغ لعَوْدِ الأمر كما كان . « وكفى الله المؤمنين القتال » .

واستمر القاضي يعمل من ذلك ما لا ينهض لدفعه أو مايرى استحقاقه لذلك . لكن مع الحرص على حفظ المال المستبدل به إن لم يكن بعقار حتى يشترى به البدل . فإن كان بعقار فيكون فيه أتم غبطة . كما علمت بعض ذلك فى شيء يتعلق بـ « جامع العمرى » .

وبهذا الاعتبار قَلَّت رغبةُ المستبدلين من غير ذوى الجاه فيه لذلك .

---

(١) العلم بن الجيعان : هو شاكر بن عبد الغنى بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب ابن يعقوب علم الدين بن فخر الدين بن علم الدين المصرى الأصل ، القاهرى ، أحد الأعيان ، وأكبر أشقائه الخمسة ، أمهم ابنة مجد الدين كاتب المماليك فى الأيام الناصرية ، ويعرف « بابن الجيعان » . ولد سنة ٧٩٠ هـ ومات سنة ٨٨٢ هـ .

الضوء اللامع (ج ٣ : ٢٩١) .

(٢) نص عبارة المؤلف : « فى حاصل مشمول بختم القاضي » .

بل ربما يعرض بعضُ المتجوهين(١) عما يكون له غرض قويٌّ فى استبداله من أجل اشتطاطه عليه فى ثمن البدَل ، للاحتياط كما اتفق له « الحاجب الكبير » فى بيت سكنه المعروف « ببيوت الكبش(٢) » من « الصَّلِيبَة » وَ نت فى ذلك قلاقل مشروحة هى وغيرها مما أشرتُ إليه أو لم أشر إليه كواقعة القاتل فى امرأة معيَّنة أنها أخته . وتكرّرَ منهُ ذلك / ثم تزوجها وما فيها من نظم ونثر فى محلٍّ آخر . ١٠٤

ودندن مرةً بعد أخرى بالحنبلي رجاء مشاركته فى الاستبدال فما أمكن . وصارت بينهما وحشة بسبب ذلك لا أرضاها لواحد منهما . واهتمّ القاضى بترميم أوقاف « الحَرَمَين » ونحوهما . وأعْرَضَ عن أكثر معاليمه فى أنظارها ليصرف فى ذلك رجاءَ عمارتها لكونها قد تلاشت جداً سوى ما استهلك منها استبدالا . بل بيعاً وتصرفاً مِمَّا لم يَتحصل منه على طائل . والتزم التَّسْوِيةَ فى المستحقين ، وعَدَم التمّيز بينهم لجاهٍ وغَيْرِه .

وتعبَ بسبب كلِّ ما أشرتُ إليه ، وكثُر السّاخِطُ عليه بسببه مع صَرْفه من مَالِه لجماعةٍ رتّب لهم فى جهات لا يستحقونها شرعاً بحيث

---

(١) لعله يقصد بهذه الكلمة « المتجوهين » أى أصحاب الجاه كما يفيده السياق ، أو الذين يدعون الجاه والشرف . المحققان

(٢) جاء فى هامش النجوم الزاهرة : أن المقريزى ذكر فى (ج ٢ : ١٣٣) من الخطط ما يلى : « إن هذه المناظر أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى ، وهى عبارة عن قصور كانت تشرف من أعلى جبل يشكر على بركة قارون ، وبركة الفيل ، وعلى البساتين التى فى دير الخليج ، الغربى من المقس إلى فم الخليج ، والتى فى بره الشرقى من باب زويله إلى صليبة « جامع بن طولون » كما كانت تشرف على النيل وجزيرة الروضة ، وقلعة الروضة . فكانت من أجل متنزهات مصر ، وقد تأنق الملك الصالح فى بنائها ، وسماها « الكبش » فعرفت بذلك إلى اليوم . وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملكية إلى أن هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ٧٦٨ هـ فحكر الناس الكبش فى الجهة الغربية من « جامع بن طولون » والتى تشرف من بحريها على شارع مراسينا ، ومن غربيها على خط البغالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة .

هامش النجوم الزاهرة (ج ١٢ : ٨٢ ، ٨٣) .

يكلف فى هذا ، وكذا فى حمل « الحرمين » فيما يقال جملة . ومع ذلك فليسوا براضين — ورضا الله غاية القصد . وكذا كثر التسخط عليه بأسباب أخر يرجع الكثيرُ منها إلى مزيد التعصب ، وقُـوَّة النَّـفس ، وشدة التَّخيُّـل ، وقبوله لما يُلقى إليه مِنْ أوَّلِ مَرَّة غالباً . وتقريبه لمن غيرُهم أوْلَى بذلك المعنى . وقد يكون له تخلـص من ذلك كله ، لا سيما فى كثرة موافاته لأرباب المناصب ومن يلُوذُ بهم فى التّهانى والتّعازى ، وما أشبههما ، واهتمامه بذلك بحيث يزيد على كثير من رفقته ، ويهمله مع غيرهم .

وما عسى أن أقول وهو لا يزال يجتهد فى كونه ليس عنده من يوازينى فى المحبة . إلا أن يكون شيخه « الأقْـصَـرائى » . وأنه ليس تحت القبة الزرقاء — فيما يعلمه — مَنْ يعلم هذا الشأن غيرى . فجزاه الله خيراً .

وعلى كل حال فهو من تنفيسات الزمان ، والله يعلم المفسدَ من المصلح ، ولم يزل على حالهِ من المكابَدَة والمشاهَدة ، واليبس وغلبة النفس ، إلى أن تهدّم ، واستحكمت عليه أمراضٌ متنوعة طال تعلُّله بها ، وصار يكثر لأجلها من استعمال الحقن والأدوية حتى انتهكت قُـوتُـه ، وهو لا يعدم مع ذلك من خواصه من يبلغه صدقاً أو كذباً يتكدر به خاطره .

ولم يتخلف عن عيادته كبير أحد من الأمراء والمباشرين والفقهاء وغيرهم . وربما يعرض عليه التحول من بيته لأجل القضاء ومايلائمه وهو يأبى[1] / بل ١٠٦ سأله « الدَّوادار الكبير » فى شراء بيتٍ له ويُعْـطيه جاريةً حسناء ، وذلك إما على حَقيقته أو مُؤانَسَـةً مَعَـه فامتَـنع ، ثم تخلّص . وماتت زوجته بعد ، فاستخلف بدلها جاريةً تُركيَّـة صغيرة اشتراها وأكْـثَـرَ من كِسْـوَتها وتحليتها ، وحسم بذلك مادة من لعله عرض عليه نفسه ليتزوجهن . وفى غضون ذلك كانت حادثة « البُـقاعِى »[2] فى انتِـقادِ قولِ

(١) من هنا مكرر مع من سبقه ، ولذلك تركنا الزيادة المكرورة ، واعتبرنا الصحيفة منتهية عند هذا الحد .

(٢) البقاعى : بضم الموحدة ، ثم قاف نسبة إلى قرية من البقاع العزيزى من عمل الشام =

حجة الإسلام « الغزالى » : « أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان » .

وتردد إليه صاحبه ابن قريبه[1] بسببها . وزعم أن معول « البقاعى » فيها عليه إلى غير ذلك مما نقمه . فانتهض للدافعة برفق حتى سكنت المنازعة بعض سكون . وما التفت للخوض فى جانبه بما لم أكن أحب احياءه له وكذا ترامى عليه « التقى بن الأوجاق »[2] فيما استولى عليه بما انضح الأمر فيه لرفقته وغيرهم . بحيث صار القاضى يبالغ فى الثناء عليه ، وينجر معه فيما يلقيه إليه ، وانتفع التقى بذلك جداً .

وأكثر المشار إليهما من التردد إليه والجلوس بين يديه ، ومشى عليه أمرهما ، كما مشى عليه قبل أمر « السوهائى » و « الدميرى » اللذين انثنى بعد عنهما ، واتضح له شأنهما[3] ، وما عندى فى الحامل له على ذلك إلا التأويل الحسن — والكمال لله .

وقد دندن السلطان بذكره ، ونسبته للخرف والتعرض لبعض نوابه بالترسيم وغيره ، بل عزل بعضهم . وتطرق للتكلم معه فى عزله فقال : بمن ؟ وسيق كل ذلك للقاضى بزيادات وهو صابر إلى أن كان فى أثناء رمضان فعاوده المرض بأسر البول وغيره . فمكث أياماً ثم مات فى وقت السحر من ليلة الإثنين خامس عشرى الشهر المذكور من سنة خمس وثمانين وثمانمائة . بعد أن عتق بعض ما فى ملكه — وصلى عليه من الغد برحبة مصلى « باب النصر » بمشهد متوسط فيه جملة من

= وهو ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر برهان الدين ، أبى الحسن الخرباوى البقاعى . نزيل القاهرة ، ثم دمشق . ولد سنة ٨٠٩ هـ تقريبا ومات سنة ٨٨٥ هـ .
الضوء اللامع (ج ١ : ١٠١ ، ١١ : ١٩١)

(١) وردت العبارة فى الأصل هكذا : « وتردد إليه صاحبه ابن قريبه بسببها » —

(٢) الأوجاق : هو التقى عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن أحمد ، التقى أبو الفضل ، بن المحب القاهرى ، الشافعى ، ويعرف كأبيه « بابن الأوجاق » ولد سنة ٨٢٥ هـ
(الضوء اللامع ج ٤ : ١٨٨)

(٣) فى الأصل : « لهما »

الأمراء « كرأس نوبة النـواب »[1] و « أميراخور »[2] أول وثانى و « الزَّرْدَكاش »[3] و « تَغْـرِى بَرْدى الخازِنْدار »[4] وهو الذى فوض عليه فى غُسـله ، وحمل فى نعشه ، ووقف على دفنه . وتخلف عن الحضور الإمام « الكركى » و « الجوجرى » و « الزين زكـريا » و « ابن الشحنة » ونحوهم ، مما بعضهم عمدا بعد أنْ رام السلطان إحضاره لـ « سبيل المؤمنى » يصلى عليه ، فشفع بعض الأمراء فى الناس لتخفيف المشقـَّـة عنهم ، ودفِن على قارعة الطريق بين تربة « قـَجْـماس أميراخور كبير » و « الأَشرف إِينال » . ومشى مع جنازته جميعُ من أشرتُ إليه من الأمراء ، وأظهر خلقٌ السرور بوفاته ، وما أحسن قـَوْلَ البـدْر ابن الغـَرْس[5] : « وفاته ساءت كل عدْل » . أو نحو هذا .

وقول رفيقه الشافعى : إن ذَمَمْـنا منه خَصلة أو خصلتين حمدنا منه كثيراً .

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سَعْـيَـه فالقومُ أعداءٌ لـهُ وخُصـوم

واستقر بعده فى « البرْقوقيـّة » وتصدير « الباسِطِـية » معا الشيخ

---

(١) رأس نوبة النواب : كان رئيسا لعدد من الأمراء قرابة العشرين أميراً . وهم الذين كان إليهم التكلم عن المماليك السلطانية ، وإليهم مرجعهم فى المشورة والمحاكمة ، وهم السفراء بينهم وبين الملك فى مقاصدهم ، وأول من يدخل على الملك فى الخدمة .
حسن المحاضرة (ج ٢ : ٩٥) — والخطط التوفيقية لعلى مبارك

(٢) أمير آخور : وإليه كان أمر الخيول والاسطبل ، وهو لفظ فارسى معناه : « أمير المعلف » لأنه المتولى أمر الدواب ، وأهم أمورها العلف :
معيد النعم ومبيد النقم : ٣٧ ت محمد على النجار وآخرين — وانظر أيضاً الخطط التوفيقية لعلى مبارك ،

(٣) الزردكاش : هو الصانع المقيم بالسلاح خاناه ، وهى لفظة أعجمية معناها « صانع الزرد » .
النجوم الزاهرة (ج ١٢ : ٢١٧)
ط : دار الكتب

(٤) تغرى بردى الخازندار : هو تغرى بردى السيفى خازندار أمير سلاح الظاهرى . مات سنة ٨٧٧ هـ .
الضوء اللامع (ج ٣ : ٢٨)

(٥) ابن الغرس : انظر الضوء اللامع (ج ١٢ : ٢٦٣)

« ناصر الدين الإخميمى »،(١) أحد أئمة السلطان . وفى « السودونية من زاده » « الشمس بن المغربى »،(٢) بوصية منه فى ذلك لتغرى بردى الخازندارى الدوادارى لكون النظر لأستاذه .

وفى درس « بكلمش »،(٣) المعين له بـ « المؤيدية » أخوه . وفى تدريس « الفيروزية » مع إعادة « بالصرغتمشية » « نور الدين الصوفى »(٤) . وفى باقى وظائفه ومرتباته جماعة : « فالشريف شمس الدين المقسى » بـ « الفخرية » و « خان الخليلى » / و « ابن الشحنة »،(٥) الصغير فى « المنكوتمرية » ، واجتهد فى غيرها فما أفلح ، ولولا أن صهره ناظرها ما ترك له . وامتنع السلطان من تقرير أحد من المصريين فى القضاء ، بل رسم بإحضار قاضى الشام ، كان « شرف الدين موسى بن عيد » ، ولم يلبث أن حضر فولاه . وكان ما سيأتى فى ترجمته — رحمهما الله وإيانا .

١٠٥

---

(١) الإخميمى : بكسر الهمزة ، نسبة إلى إخميم ، وهى مدينة فى الصعيد بالجانب الشرقى وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد قاضى الحنفية .
الضوء اللامع (ج ١١ : ١٨٣)

(٢) ابن المغربى : هو يحيى بن على بن أحمد بن حسن شرف الدين ، سبط يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن على المغربى المالكى ، ويعرف « بالمغربى » .
الضوء اللامع (ج ١٠ : ٢٣)

(٣) بكلمش : هو بكلمش العلائى ، أحد الأمراء الكبار ، وكان من جماعة الظاهر برقوق . مات سنة ٨٠١ هـ
الضوء اللامع (ج ٣ : ١٧)

(٤) الصوفى : نسبة الصوفية الخانقاه ، وكذا المذهب الصوفية ، وهو على بن أحمد بن محمد نور الدين القاهرى الحنفى ، ويعرف بالصوفى . ولد تقريباً سنة تسع وعشرين وثمانمائة بالقاهرة ، ونشأ بها يتيما فحفظ القرآن والعمدة : إلخ
الضوء اللامع (ج ٥ : ١٨٩ ، ١١ : ٢١١)

(٥) من أول « وابن الشحنة » وأردف ص ١٠٥ من الأصل المخطوط كتكملة لهذه الترجمة ... وهى ترجمة محمد بن الأمشاطى العينتابى .

محمد بن أحمد بن عثمان بن مقدم بن عليم*

شمس الدين البساطى

٧٦٠ هـ — ٨٤٢

١٠٧ / محمد بن أحمد بن عثمان بن نَعيم بالفتح ثم الكسر ابن مُقدِّم بكسر الدّال المشدّدة . ووجدْته أيضاً بفتحها — ابن محمد بن حسن بن محمد بن عُليم بضمّ العين وآخره « ميم » . أخى « على بن عليم » المشهور ببلاد « المقدس » هكذا قرَأتُ هذا النَّسبَ بخطّ صاحبِ الترجمة . وكتبه مرةً أُخرى بدُون « محمد » قبل عُليم .

وقرأتهُ بخط ابن عمّ والده « العلم سليمان بن خالد بن نعيم » جعله : « حسن بن على » ولم يزدْ . وخالفه أخوه « الجمال يوسف بن خالد » حيث جعل بعد حسن — كما قرأته بخطه أيضاً — « غانم بن محمد » ، وكذا قرأته بخط شيخنا فى أماكن ، منها فى ترجمة « العلم سليمان المنقول عنه من الأصل . وزاد بآخره « عليًّا » ، ووافقهُ بعضُهم ، وزاد بعد « على » « عبد الرحمن ابن سراج بن فهد بن شعيث بن داود بن عبد الكريم بن عدىّ بن حاتم الطائى » . وهذا خلط .

وكذا ساق له غيره نسباً إلى « عمر بن الخطاب » . فيه خلط أيضاً ولذلك قرأت بخط صاحب الترجمة والنسبة إلى « داود الطائى » ثم إلى « حاتم » لا لحفظها ، ولكنها مكتوبة ، قلت : و « داود الطائى » اسم أبيه « نُصير » لا « عبد الكريم » . ولهذا قال شيخنا فى ترجمته من تاريخه وكان يكتب بخطه « الطائى » وظهر أنها نسبة لبعض قرى « بساط » .

القاضى شمس الدين أبو عبد الله البساطى[1] ثم القاهرى المالكى ، عالم

(*) البساطى : له ترجمة فى الضوء اللامع (ج ٧ : ٥ ، ١١ : ١٩٠) وانظر ترجمته أيضاً فى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ط القدسى .

(١) البساطى : نسبة إلى بساط ، بكسر أوله ، قرية من الغربية بالأعمال البحرية ، ويقال لها بساط قروض ، اسم رومى وسماها ياقوت فى المشترك « بسوط » بواو بدل الألف مع فتح أوله . (انظر الضوء اللامع ج ١١ : ١٩)

العصر ولد فى سنة ستين وسبعمائة[1] . قيل فى المحرم ، وقيل فى سلخ جمادى الأولى ، وقيل فى صفر وهو المعتمد بـ « بساط قروض » اسم رومى ، وهى قرية من قرى « الغربية » بالأعمال « البحرية » من أعمال « مصر » .

ونشأ صاحب الترجمة بـ « بساط » فحفظ القرآن و « الرسالة » لابن « أبى زيد » ثم ارتحل إلى « القاهرة » فى سنة ثمان وسبعين ؛ السنة التى مات فى آخرها « الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون » وعمره حينئذ ثمانية عشر عاماً . فعرض « الرسالة » على ابن عم أبيه القاضى « علم الدين / سليمان بن خالد بن نعيم » ، واشتغل بالعلم ، وأول من أخذ عنه من المشايخ كما قرأته بخطه ــ الشيخ العلامة المنفرد حقيقة « نور الدين الجلاوى » المغربى المالكى .

١٠٨

وكان يسكن « الجامع الجديد » بـ « مصر » ، ويأتى إلى « القاهرة » ثلاثة أيام لاشتغال الناس عليه فى « الفقه » على مذهب « مالك » وأصول الفقه و « النحو » .

وأُضِرَّ فى آخر عُمره ، فكان يملى على الطالب[2] الأشكال الحسابية والهندسية . فلازمه نحو عشرين سنة فى « الفقه » والعقليات وغيرها . وكان يذهب [إليه][3] إلى « مصر » ماشياً رفيقا لجمال السقايين فى الليل .

ولمّا مَرِضَ أشارَ عليه أنْ يقرأ فى المعقول على العلامة الفريد « العز محمد بن أبى بكر بن جماعة » الشافعى فلازمه فيما كان يقرئه من العلوم معقولها ومنقولها .

وكذا انتفع فى « الفقه » مع فنون كثيرة أكثرها « أصول الفقه »

(١) جاء فى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى : « أنه ولد فى سنة ٧٥٦ هـ .

(٢) هكذا فى الأصل « الطالب » والمقصود به « جنس الطلاب » .

(٣) مابين القوسين زيادة لا يقتضيها السياق ، والتصويب من الضوء اللامع .

لـ « ابن خلدون »(١) . وفى المعقولات بالشيخ « قنبر العجمى »(٢) . واشتدَّت مُلازمتُه له . وأَحبَّه الشيخُ حتى إنه خصه بالاجتماع عليه دون رفقائه لكونهم عطلوا الحضور للدرس عنده فى يوم قدوم « الظاهر برقوق » دونه فقال : هؤلاء قدموا رؤية بنى الدنيا على الآخرة . فو الله لا أقربهم أبداً . وأما أنت فلكونك لم تفعل لا أمنعك أو كما قال .

وأخذ أيضاً عن « العِزِّ الرَّازِى » . والشيخ « زاده الحنفيين(٣) . و « أُصول الفقه » مع « الفقه » و « العربية » عن « الشمس أبى عبد الله محمد بن يوسف الرَّكرَاكى »(٤) ، قرأ عليه « مختصرى ابن الحاجب » الفَرْعى والأصْلى وغالب « الحاجبية » . والعربية وحدها عن « الشّمس الغُمارِىّ » ، و « الفقه » أيضاً عن ابن عم أبيه العلم « سليمان » و « التّاج بهرام » ، و « الزين عُبَيْد الشكالسى »(٥) ، و « يعقُوب الرَّكراكى » . وقرأ « الفرائض » و « الحساب » على « الشهاب بن الهائم »(٦) ، والهندسة

---

(١) ابن خلدون : سبق التعريف به فى ص .

(٢) قنبر العجمى : هو قنبر بن عبد الله العجمى السيزوانى ، وبخط العينى بالراء بدل النون ، ثم القاهرى ، الأزهرى ، الشافعى ، وسمى بعضهم والده : « محمد بن عبد الله » . مات فى شعبان كما لشيخنا والمقريزى ، أو ثانى رجب كما للعينى سنة ٨٠١ هـ .

(الضوء اللامع ج ٦ : ٢٢٥)

(٣) زاده : هو زاده العجمى الخرزبانى ، الحنفى ، ويعرف بالشيخ زاده ، قدم من بلاده الى حلب سنة أربع وتسعين ، وهو شيخ ساكن يتكلم فى العلم بسكون ، ويتعانى حل المشكلات ، فنزل بجوار المحب بن الشحنة فشغل الناس ومات فى سنة ٨٠٨ هـ .

(الضوء اللامع ج ٣ : ٢٣٢)

(٤) الشمس أبو عبد الله محمد بن يوسف الركراكى : ذكر السيوطى أنه تاج الدين محمد ابن يوسف الركراكى فى فصل قضاة المالكية ، وقال عنه : أنه تولى القضاء بعد موت القاضى ابن خير سنة ٧٩١ هـ . وظل قاضيا إلى أن مات فى سنة ٧٩٣ هـ

(حسن المحاضرة ج ٢ : ١٣٣)

(٥) فى الضوء اللامع : « البشكالسى » . انظر الترجمة من نفس المرجع .

(٦) ابن الهائم : هو أحمد بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الهائم ابن خليفة ابن مظفرا الشهاب السلمى المنصورى ، الشافعى ، ثم الحنبلى ، ويعرف بابن « الهائم » و « بالمنصورى » أكثر . ولد فى سنة ثمانى وتسعين ، وبلفظه أنه قبيل القرن بيسير بالمنصورة ونشأ بها فحفظ القرآن ، ثم انتقل منها الى القاهرة . . إلخ ومات سنة ٨٨٧ هـ .

(الضوء اللامع ج ٢ : ١٠٠)

على « الجمال عبد الله المارْدَانى » ، والقراءات على الشيخ « نور الدين الدَّميرى » أخى « التَّاج بهْرام » أحد شيوخه فى آخرين .

ومِمَّن أخذ عنه الفنون الشيخ « أكمل الدين الحنفى » . وحكى عنه أنه سمعه يقول : قدمت ثالث ثلاثة من البلاد فوردنا « مردين » فأضافنا ملكها فاتفق أنه ضاع له فَصٌّ نفيس ، فأحضر يهودياً يعرف الرمل فسأله عنه ، فذَكَرَ لهُ أنه سَرَقَهُ ثلاثة خصيان ، فقبض على جميع الخصيان الذين عنده وقَرَّرَهُمْ فَظَهر أنه سرقه ثلاثة أنفس منهم .

قال : فَعَظُم اليهُودِىُّ فى نفسى ، فقَصَدْته إلى منزله ، ودفعت له ديناراً ، وقلت له أخبرنى عما يتفق لنا ، فنظر ثم قال : أحد الثلاثة يموت فى الطريق ، والآخر يلى ولاية حسنة لكن فى غير البلد الذى تقصدونه . والثالث يعظم قدْرُه فى البلد جداً . قال : فمات أحدنا قبل أن ندخل « مصر » وولى الثانى إمامة « مسجد الأقصر » ، وصرت أنا/ إلى ما صرْت إليه انتهى. ١٠٩

وسمع « البخارى » على ابن « أبى المجد » ، وكان يذكر أنه سمعه على « التَّقىّ البغدادى » فى سنة تسع وسبعين وهو مع « صحيح مسلم » على التَّقىّ الدُّجْوىّ (١) » و « الجمال بن الشَّرائحى » . و « الصَّدرِ الإبشيطى » بِفوْتٍ فيهما على الثانى فقط ، وبِفوْتٍ « فى البخارى » فقط على الأخير و « صحيح البخارى » فقط على « الغُمارِى » وابن « الكَشْك » (٢) . و « التَّقىّ بن حاتم » بِفَوْتٍ على الأخير وحْدَه . وبعض السنن « لأبى داود » على « الغُمارِىّ » . و « المطَرِّز » و « السنن » لابن « ماجه » بتمامه على « الشِّهابِ الجوْهرِى » ، « وثُمانيات » النَّجيب على « الجَمَال العَسْقَلانى » الحنبلى .

---

(١) الدجوى : نسبة لقرية بالقليوبية تسمى « دجوة » وهو التقى محمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن حيدرة بن محمد بن محمد بن موسى بن عبد الجليل بن ابراهيم بن محمد التقى أبو بكر الدجوى ، ثم القاهرى ، الشافعى . ولد سنة ٧٣٧ هـ ومات سنة ٨٠٩ هـ .

(الضوء اللامع ج ٩ : ٩١)

(٢) ابن الكشك : انظر .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٦٨)

وسمع أيضاً على « النجم بن رَزين » ، والبرهانين : « التَّنُوفى » و « الأبْنَاسى » ، و « ابن خَلدُون » ، و « ابن خير »[1] فى آخرين . واستفاد من حافظ وقته « الزَّيْنُ العراقى » ، ولم يُكثر ، بل كما قال شيخنا لم يطلب الحديث اصلا . ولا اشتغل به ، وإنما وقع له ذلك اتّفاقاً . وكان فى شبيبته نابغة فى الطلب .

قلت : ولم يزل يدأبُ فى العُلوم ويَجتَهِدُ فى المنطوقِ منها ، والمَفهوم مع تجرُّع ما كان فيه من الفاقة ، والتقلّل الزائد بحيث أخبر عن نفسه كما قاله « التَّقِىُّ المقريزى » : انه كان ينام على قَشّ القَصَب .

وقال غيره : انه حكى أنه وُلدَ له مولود ، ولم يكن عنده شىء . فتوجه ببعض كتبه ليبيعه فلقى فى توجهه بعض المعتقدين مِمَّن كان السلطان يعطيه « فلوساً » ، فلا يتناول منها شيئاً لنفسه بل يفرقها على من يراه .

قال : فعارضتُه رجاءَ أن يعطيَنى شيئاً فنادانى وقال : يا فلان إمّا العلم وإما الدنيا ، فحمدت الله وتوجهت لمقصدى .

وبِمُجرّد أن وصلت إلى الكتبيين إذا بقاصد بعض الرؤساء يطلبنى إليه ، فالتمست منه الانتظار قليلا لأبيعَ ذلك الكتاب ، فأبى فذهبت معه فكلمنى مخدومه فيما أرسل إلى بسببه[2] . وأردت الانصراف فدفع إلىّ قدراً له وقع ، فتعجبت فى نفسى وشكرت الله ورجعت ولم أبع الكتاب إلى أن تحرك له الحظ ، وأقبل عليه السعد فأثنى عليه البنان واللفظ ، فكان أول تدريس وليه تدريس الفقه بـ « الشيخونية » فى سنة خمس وثمانمائة عقب شيخه « التاج بهرام » ثم التدريس بـ « الصاحبية » .

---

(١) ابن خير : هو عبد الله بن محمد بن سليمان بن عطاء بن جميل بن فضل بن خير النيمانى ، الكمال بن النجم بن الزين الأنصارى الشقورى ، السكندرى ، المالكى ، ويعرف « بابن خير » لمعجمة مفتوحة ، ثم تحتانية ساكنة .

ولد سنة ٧٣٩ هـ . وقدم القاهرة فى سنة ٨١٩ هـ . وحدث فى الجامع الأزهر بالشفاء وغيره . مات سنة بضع وعشرين وثمانمائة .

(الضوء اللامع ج ٥ : ٦٣)

(٢) فى الأصل : « سببه »

وولاه « الجَمَالُ الأُسْتَادَار »(١) بدروس المالكية أيضاً بمدرسته أول ما فُتِحت فى سنة إحدى عشرة ، بعد أن كان يتوقع منه سوءاً ، لكونه أفتى بالمنع من قَتْلِ شَخْص كان غرضه فى قَتْلِه ، وأفتاهُ بذلك سائرُ أهْلِ مذْهَبِه وتوهم منه فى فُتْياهُ غَرَضاً . وصار القاضى فى قَلَق منه ، فلم يلبث أن جاء قاصده يطلبه . فرام الاختفاء ، فمنعته زوجته — وكانت من الصالحات — من ذلك ، فاستعان بالله وتوجّه ، فأكرمه وأحسن إليه بدراهم وغيرها ، زيادة على ذلك .

١١٠ فأظهر التعجب من صنيعه هذا ، واستخبره عن سببه / فذكر له أنه رأى فى المنام كأنه اقتُحم به فى نارٍ أو نحوها : فجاءه القاضى فأنقذه من ذلك .

ثم إنه أقدم وقتله ، وقد أشار صاحبُ الترجمة لهذه الحادثة فى « البرد » من « شرح المختصر » . فقال : ووقع فى القاهرة قضية إن لم تكن عين هذه الصورة فهى قريبة منها جداً . وهى أنه أُحضر شخص من « الفيوم » يعرف بابن « الركن » المتولى قضاء المالكية فى ذلك الوقت وهو القاضى « جمال الدين البِساطى » مضمون ذلك المحضر ، شهوده يعرفون فلاناً ، ويشهدون أنه نزل به أقوام فأحسن قِراهم . فقالوا له : كل ما فيك حسن غير أنك شديد الخلق أو معنى هذا ، فقال فى الجواب لهم : كل أحد يلحقه النقص حتى كذا . فأفتى المالكية بالقتل . وكبيرهم ذلك الوقت شخص يعرف بـ « جمال الدين الأَقْفَهسى »(٢) فقلت لهم :

---

(١) الجمال الأستادار : أو أستاذ الدار .. وهو من يتكلم فى اقطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم ؛ وهى كلمة فارسية الأصل مركبة من « استذ » أى « خذ » و« دار » أى أو صاحب ، ومعنى هذا المركب .. متولى الأخذ وقبض المال .

(أنظر معيد النعم ومبيد النقم . وكذلك صبح الأعشى ٥٩٠ : ٤٥٧)

(٢) الجمال الأقفهسى : هو عبد الله بن مقداد بن إسماعيل بن عبد الله الأقفهسى ، جمال الدين المالكى ، من المائة التاسعة . مات سنة ٨٢٣ هـ . وكان مولده فى سنة ٧٤٠ هـ . وكان يقال له « الأقفاصى » و « الأقفهسى » . نسبة إلى أقفهس بلد فى عمل البهنا .

(الضوء اللامع ج ٥ : ٧١ ، ١١ : ١٨٥)

(وأنظر أيضاً رفع الأصر لابن حجر القسم الثانى ص ٣٠٣)

لى فى هذه المسألة بحث ، أريد منكم أن تزيلوا عنى ما خطر ببالى منه : فقالوا : وما هو ؟ فقلت الاسم الموضوع بإزاء شيء ويتوقف حمول ذلك الشيء على أمور متفق على بعضها ، ومختلف فى البعض ، لا يقضى القاضى بما يترتب على ذلك الشخص حتى يستفسر الشاهد به عن الأسباب فطلبوا المثال ، فقلت :

لو شهد الشاهد بأن هذا الشخص مجروح أو عدل فيحتمل أنه اعتمد على سبب ، وليس ذلك سبباً عند القاضى . وما نحن فيه من هذه القضية كذلك فلم يرده أحد غير « الأقفهسى » ، قال لى : لا يوافقك أحد على هذا ، وكان فى « الفيوم » قاضى يُعرف بـ « عماد الدين » كثير المال ، وله ميل إلى قتل هذا ، فلما توقف المالكية عن القتل لأجل هذا البحث ، سعى قاصد هذا القاضى إلى استادار « الملك الناصر فرج » ، وكان له سطوة شديدة ، وهو ظهر هذا القاضى ، فقال له : إن شخصاً من المالكية يقال له فلان أوقف المالكية عن الفتوى فأراد سُوءًا فمنعه اللهُ ، ثم قال : مالنا وعقائد الفقهاء ، ثم أمر هو بقتله .

ثم وَلِىَ مَشيخةَ « التُربةِ النَاصِرِيّة[1] فرج بن الظاهر برقوق » بالصحراء بعد وفاة « الزين حاجى » فقيه الروحى فى شوال سنة ثمان عشرة بعناية « نائب[2] الغَيْبَة » الأمير « ططر » . وحينئذ استدرك القاضى « جلال الدين البلقينى » ما كان بدَرَ منه فى حق الشيخ بسبب فُتْياهُ التى

---

(١) التربة الناصرية : بنى هذه التربة الناصر فرج بن الظاهر برقوق من المماليك الجراكسة وقد استغرق بناؤها اثنتى عشرة سنة ، (من سنة ٨٠١ هـ إلى سنة ٨١٣ هـ) . وتمتاز هذه التربة بأن بناءها قصد منه أغراض شتى فإلى جانب كونها تربة إلا أنها خانقاه للصوفيه ، ومدرسة لتدريس المذاهب والعلوم الدينيه ، ومسجداً لأداء الصلاة ، ولهذه المقبرة (أو الخانقاه) — كما يطلق عليها — أربع واجهات ؛ تمثل الغربية منها أبدع مثال للتماثل المعمارى ، إذ يوجد فى كل جهة منها سبيل يعلوه كتاب ومئذنه ، وأما الشرقيةفينتهى كل طرف منها بقبة كبيرة من الحجر غشى سطحها بنقوش ، وإليه تعتبر ثانى خطوة فى زخرفة القباب من الخارج بهذا النوع الزخرف

فنون الأسلام — للدكتور زكى محمد حسن : ٧٧

(٢) نائب الغيبة : هو نائب السلطان أو نائب نائبه ، وله حرية التصرف فى الحكم . (النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٢٢٧)

خالفَهُ فيها ، واستدعى به فأظهر الرِّضا عنه ، وخلع عليه فرَّاجيّة صوفٍ من ملابيسه ، واسترضاه لما علم من عناية الأمير المشار إليه به .

ثم استقر فى قضاء المالكية فى يوم السبت خامس عشرى جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين بعد موت « الجمال عبد الله بن مقداد الأقفهسى » وذلك فى آخر الأيام « المؤيدية » ، وقدمه على قريبه الجمال يوسف رغبةً فيما ذكر له عنه من الفاقة والتعفف مع سعة العلم وكونه أفقه وأكثر معرفة بالفنون منه وإن كان « الجمال » أسنَّ وأدرَبَ بالأحكام وأثبتهم .

هذا بعد أن كان ناب قديماً عن قريبه المذكور حين كان قاضياً ، بل وناب أيضاً عن غيره كما قال شيخنا ؛ ثم ترك . وكانت لشيخنا فى ولايته اليد البيضاء — على ما بلغنى — مع قيام الأمير « ططر » أيضاً ، وكذا استقر فيما ن مع « الجمال » المذكور فى التدريس « بالبَرْقوقيّة » و « الفخريّة » و « القمحيّة »[1] ورغب عن « الشيخونية » حينئذ لـ « الشهاب بن تقى الدَّميرى » لكونه كان عيّن « للبَرْقوقية » فاختارها لقربها منه . وعوضه « الشيخونية » مع قربها من « الشهاب » وأعطاه « الصَّاحبيّة » أيضاً .

ولم يلبث أن مات « المؤيد »[2] واستقر ابنه « المظفر أحمد »[3] بعده ؛

---

(١) المدرسة القمحية : هى مدرسة المالكية ، كانت بمصر مدينة الفسطاط بناها السلطان صلاح الدين الأيوبى .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٥٦)

(٢) المؤيد شيخ : كان من أمراء الناصر فرج بن برقوق — نائب الشام — ثم خرج عليه وقاتله وحاصره وظفر به فى المحرم سنة ٨١٥ هـ . وتولى الخليفة المستعين بالله أبو النصر العباسى سلطانا مستقلا بالأمر ، ثم سأله شيخ أن يفوض إليه السلطنة على العادة فى شعبان من سنة ٨١٥ هـ فأصبح سلطانا ، ولقب « بالمؤيد » وكان من خيار المماليك ، وكان يحمل اجازة بصحيح البخارى من الشيخ سراج الدين البلقينى توفى سنة ٨٢٤ هـ

(حسن المحاضر ج ٢ : ٨٩ والخطط التوفيقية ج ١ : ٤٣)

(٣) المظفر أحمد بن المؤيد : خلف أباه على السلطنة فى مصر بعد موته سنة ٨٢٤ هـ وكان عمره إذا ذاك سنتان ، فجعل الأمير ططرمديراً لمملكته ، ولقب نظام الملك ، فلما كان سلخ شعبان من السنة نفسها خلع أحمد لصغر سنه ، وأقيم ططر سلطانا ، ولقب « بالملك الظاهر » وقد ظل ططر سلطاناً حتى توفى فى ذى الحجة من السنة نفسها .

(حسن المحاضرة ج ٢ : ٨٩ والخطط التوفيقية ج ١ : ٤٤)

ونظامه « ططر » . وسافر بالعساكر وصحبتهم الخليفةُ والقضاةُ على العادة . فكان القاضى منهم ، وذلك فى ربيع الآخر من السنة التى بعدها قبل استكمال صاحب الترجمة سنة .

وتسلطن « ططر » فى أثناء هذه السَّفْرَة فى شعبان « بدمشق » ، واستمر فى توجُّهه بالعساكر إلى « حلب » ، وعادوا إلى « القاهرة » ، فمات « ططر » قبل استكمال مائة يوم من سلطنته . كل ذلك والقاضى على ولايته ، بل أقام فيها نحو عشرين سنة إلى أن مات بحيث أنه حج فى سنة ثلاث ثلاث وثلاثين وجاور بـ « مكة » سنة أربع وهو على قضائه .

وكان خليفته فى النظر فى أمر النواب والتعيين عليهم وغير ذلك مما جرت العادة بتكلم القاضى الكبير فيه ومباشرته « الشهاب بن تقى » و « البدر ابن التَّنسى »[1] . وكذا كلٌّ منْ وَلديه — فيما أخبر به — والله أعلم .

وكان القاضى — فيما أخبرت — على قدم عظيم من العبادة ، وكثرة التلاوة ، وأقرأ كتباً ، وانتفع به جماعة .

وممن أخذ عنه القاضى « أبو السَّعادات بن ظَهيرَة » ، وامتدحه بقصيدة جيِّدَةٍ أوّلها : [كامل]

طِبْ أيها الحبرُ الإمامُ مُقاماً ... واغنم بمكة سيِّداً وإماما

وتهن يا قاضى القضاة بحضرة ... ملأت قلوبَ العاشقين غراما

أحيَيْتَ للعلم الشريف مآثراً ... وملكتَ مِنْه شكيمة وزِماما

بل لما قدم « أبو السعادات » « القاهرة » ، ونزل قريباً منه . وكان القاضى يصفه بأنه فقيه « الحجاز » . وكذا أخذ عنه « المُحْيَوِىّ عبد القادر » .

---

(١) التنسى : البدر ، محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عواض ابن نجا ، أبو الإخلاص . ولد بعد ثمانين وسبعمائة . ومات سنة ٨٥٣ هـ

(الضوء اللامع ج ٧ : ٩٠ ، ١١ : ٢٣٩)

وجاء فى النجوم الزاهرة : « التنسى » نسبة إلى « تنس » بفتحتين ، وهى مدينة على ساحل البحر المتوسط مما يلى مراكش على بعد ١٠٣ ميل غربى مدينة « الجزائر » ، وعدد سكانها يقرب من خمسة آلاف نسمة .

النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٩٠)

و « النووى بن أبي اليمن » المالكيان . وحضر عنده « الجلال المرشدى » وآخرون .

لكن كان « الأشرف » قبل ذلك فى رجب سنة إحدى وثلاثين هَمَّ بعزله وعيّن للقضاء أحدَ نوابه « الشهاب ابن تقى » المذكور . وأحضرت خلعته بسببَ ثمة « ابن عربى » حيث نازع « العلاء البخارى » فى تصريحه بذمه وتكفيره ، وتكفير من يقول بمقالته ، وبالإنكار على من يعتقد الوحدة المطلقة ، مع كون رفيقه شيخنا موافقاً لـ « العلاء » ، حتى صرح بأن من أظهر لنا كلاماً يقتضى الكفر لا نقرُّه عليه بقوله : إنما ينكر الناس ظاهرَ الألفاظ التى يقولها ، وإلا فليس فى كلامه ما يُنكر إذا حُمل لفظه على غير ظاهره بضرب من التأويل / وأنتم كما تعرفون الوحدة . ١١٢

فاستشاط « العلاء » غضباً ، وأقسم بالله إنَّ السلطان إن لم يعزله من القضاء ليخرجنّ من « مصر » . فوصل علم ذلك للسلطان ، فاستدعى بالقضاه عنده ، ودار بين شيخنا والقاضى فى ذلك بعض كلام . فتبرأ القاضى من مقالة « ابن عربى » ، وكفَّرَ منْ يعتقِدُها . فصوّبَ شيخنا قوله وأفتى السلطانَ حيث سأله ماذا يجب على القاضى وهل يستحق العزل ؟ بأنه لا يجب عليه شيء بعد اعترافه بهذا . وهذا القدر كاف من مثله . انتهى .

ويقال إنه جمع كتاباً سماه « فتح النبي[١] فى الرد على ابن سبعين[٢] » .

---

(١) فتح النبي — هكذا وردت بالأصل وبالرجوع إلى كشف الظنون لم نجده .

(٢) ابن سبعين : هو أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكى ، المرسى ، الأندلسى . ويلقب بقطب الدين .

ولد فى سنة ٦١٤ هـ . ودرس العربية والآداب بالأندلس ، ثم انتقل إلى سبته (بشمال أفريقية) وانتحل التصوف ، ثم رحل إلى المشرق ، وشاع ذكره وعظم صيته ، كان حسن الأخلاق ، صبوراً على الأذى ، آية فى الإيثار ، وقد تضاربت أقوال الناس فيه ، وبعدت عن الاعتدالَ ، فنهم المرهق المكفر ، ومنهم المعظم المقلد الوقر ، وكانت وفاته بمكة سنة ٦٦٩هـ وله كتاب « بدء العارف » قيل إنه ألفه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وكتاب « الدرج » وكتاب « سفر إدريس » وكتاب « الكد » وكتاب « الإحاطة » ورسائل كثيرة فى الأذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم .

نفح الطيب : المقرى (ج : ٧ ١٨٨ — ٢١٢) ط عيسى البابى الحلبي

و « ابن عربى »[1] لكن ما وقفت عليه . نعم استفيض على الألسنة مما لم أره أيضاً شرحه لـ « للتائية » المنسوبة لـ « بن الفارض » .

وقال لى ولده : إنه كان بعد فراغه [من تصنيفه][2] أعطاه لـ « الشهاب ابن قُرْدَاح »[3] الواعظ . وكان ممن يقرأ على القاضى فى « إقليدس » وكذا عارض « سودون بن[4] عبد الرحمن » مرة فى قضية فأضمرها فى نفسه ، ثم وقعت عنده كائنة « للقاضى » ناصر الدين بن المخلّطة[5] فيما دخل ، فأرسل بعض أعوانه وطلبه من صاحب الترجمة فبادر وعزل نفسه . وبلغ السلطان فأعاده وتكرّرَ عزْلهُ لِنفْسهِ ، فى غير هذه الواقعة وهو يعاد ، حتى قبيل موته وأعيد بعناية « على باى الخازندار » ، وبعد رجوع القاضى من

(١) محى الدين بن عربى : هو محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمى ، ولد بمرسية من الأندلس سنة ٥٦ هـ وقرأ القرآن باشبيلية على أبى بكر بن خلف بالسبع وبكتاب الكافى ، وسمع على غير واحد من علماء المشرق والمغرب ، وكان انتقاله الى اشبيلية سنة ٥٦٨ هـ وظل مقيما بها الى سنة ٥٩٨ هـ ثم ارتحل الى المشرق وأجازه جماعة من علمائه منهم الحافظ السلفى وابن‌عساكر وأبو الفرج بن الجوزى ، ودخل مصر ، وأقام بالحجاز ، ودخل بغداد والموصل وآسيا الصغرى . ومات بدمشق سنة ٦٣٨ هـ . ودفن بسفح جبل قاسيون ، (ومسجده ومدفنه بالصالحية الآن) كان يومأ إليه بالفضل والمعرفة ، والغالب عليه طرق أهل الحقيقة وله قدم فى الرياضة النفسية والمجاهدة ، وكلام على لسان أهل التصوف ، ومن تآليفه مجموع ضمنه منامات رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وما سمع منه ، وكتب فى علم القوم ، وفى أخبار مشايخ المغرب وزهادها ، وله كتاب « الفتوحات المكية » وله أشعار حسنة ، وكلام مليح .

نفح الطيب ج ٧ : ٩٢ — ١٥١)

ط . دار المأمون طبع عيسى الحلبى

(٢) مابين المعقوفين وارد بالهامش .

(٣) ابن قرداح : بضم ثم سكون : وهو احمد بن محمد بن على بن احمد بن عبدالرحمن : الواعظ .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٦٦)

(٤) سودون بن عبد الرحمن : هو سودون بن عبد الرحمن الظاهرى برقوق ، كان من خاصكيته ، ثم ترقى فى أيام ابنه الناصر حتى صار مقدماً ، ثم ولى نيابة غزه ، ثم أعيد إلى التقدمة فى أيام تدبير شيخ ، ثم ولاه أيام سلطنته طرابلس .

(٥) ابن المخلطة : ناصر الدين محمد بن محمد بن يحيى بن محمد ، بن العز بن المحيوى ، أبى زكريا السكندرى ، ثم القاهرى ، المالكى . ولد قريباً فى سنة ٧٩٠ هـ ومات فى سنة ٨٥٨ (الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٧)

بجادلته أقام سنةً ونصفاً ، وتحرّكَ « الأشرفُ » للسفر ، فسافر معه فى جملة القضاة على العادة ، وذلك فى رجب سنة ست وثلاثين . واكترى هو وشيخنا و « المحب » وقاضى الحنابلة مع جمال واحد(١) ، فكثر الاجتماع من أجل ذلك ، وانتشرت الفوائد ، وقد أشار شيخنا فى القسم الأخير من معجمه إلى هذا حيث قال : وسمعتُ من فوائده فى السفرة التى سافرناها مع الأشرف إلى « حلب » فإنا ترافقنا ، فعلقت عنه فى المذاكرة فوائد قلت : فمنها أنه حكى وهو بمنزلة « تل السلطان »(٢) من معاملة « حلب » . قال : قصدتُ زيارة الشيخ « محمد التُنَيسى » وهو بالنون المهملة مصغر . وكان ممن يعتقد بـ « دمياط » ويفزع إليه أهل « سنباط » وغيرها فى مهماتهم ، قال : فسمعته مرة يقول : ركبت مرة البحر ، فهاجت الريح ، وانفتحت المركب فخرجنا منها إلى الساحل ، وكان معى كتب منها ؛ « صحيح البخارى » فى مجلدين فاشتدَّ أسفى عليه دون غيره ، قال . فما لبثتْ أن قذفته الريح إلى الساحل فتناولته وجففته ، فلم ينطمس منه حرف واحد ، ولا فسدت منه ورقةٌ واحدة . وحكى فى هذه السفرة أيضاً ما معناه : أنه سأل بحضرة الظاهر ططار وهو حينئذ أميرٌ عن قول « يعقوب » — عليه السلام لأولاده / لما رجعوا من عند « يوسف » عليه السلام — وقالوا له : (إنّ ابنَكَ سَرَق وما شَهِدْنا إلا بما عَلِمْنا وَما كنّا لِلْغَيْبِ حافظين . واسْألِ القريةَ التى كُنّا فيها والعيرَ التى أقبلْنا فيها وإنّا لصادقون . قالَ بَلْ سوّلت لكم أنفسُكمْ أمراً فصَبْرٌ جميل (٣).

١١٣

---

(١) وردت العبارة فى الأصل هكذا : « مع جمال واحد »

(٢) تل السلطان : موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق ، وفيه خان ومنزل للقوافل ويعرف بالفنيدق « معجم البلدان » :

(٣) الآيات من سورة يوسف ، وهى الآيات رقم : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ — وقد ورد تعليقاً للمولى أبى السعود على كلمة « سولت » . وعبارته . بل سولت ، أى زينت ، وسهلت وهو اضراب لا عن صريح الكلام ، فإنهم صادقون فى ذلك ، بل عما يقتضيه من ادعاء البراءة مما نزلت به ، وأنه لم يصدر منهم ما يؤدى إلى ذلك من قول أو فعل ، كأنه قيل لم يكن الأمر كذلك ... بل زينت لكم أنفسكم أمراً من الأمور فأتيتموه ، يريد بذلك فتياهم بأخذ السارق بسرقته .

ما هو الذى سَوَّلت أنفسُهم لهم مع أنهم لم يكن فى القصة تصنع ولا تسبب فى أخذ أخيهم منهم ، بل جَهدُوا على أنْ يؤخذ بدله فلم يجابوا إلى ذلك ، قال : وكان فى المجلس جمع جمٌّ مِنَ الفضلاء فأكثروا الخبط ، فما تحصَّلتُ من جوابهم على شىء ، وانفض المجلس على ذلك ، قال فنمت تلك الليلة فرأيت قائلا يقول لى : هل تعرف جواب السؤال الذى سألته؟ فقلت : لا . فقال : إن « يعقوب » أشار إلى أنهم ما نصحوا فى قولهم : جزاؤه من وُجد فى رحله ، لأن شرعهم إنما كان من يسرق يُسترَق فى جناية السرقةِ ، ولا بُدَّ من تحقق السرقة ووُجدانُ المفقود فى رَحل الشخص لا تثبت عليه به السرقة ، فلو قالوا : جزاؤه إن سرق أن يُؤخذ مثلا لنصحوا ، قال شيخنا : فقلت له : بل الذى يظهر لى أن يعقوب - عليه السلام - لما عادوا إليه بدون أخيهم تذكر صَنيعَهم فى يوسف ، فأشار إلى ما صنعوا بيوسف بقوله : « بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُم أَمْراً » ، فإن قصتهم مع يوسف كانت مبدأ حزنه ، وهو الذى تفرَّعَ عنه جميع ما اتفق له ، ويؤيده قوله عقب كلامه : (وَقَالَ يَا أَسَفَىَ عَلَىَ يُوسُف)[1] وقوله قبل ذلك : (عَسَى اللهُ أن يَأْتِينِى بِهِمْ جَمِيعاً)[2] وقولهم له : (تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُف)[3] وقوله : (اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ أخيهِ)[4] فإن فى ذلك كله أنه لم يكن آيساً من حياة يوسف ، وأشار إلى أنه كان يظن أنه فى الجهة التى فيها إخوته والله أعلم .

ثم ظهر لى جواب آخر : وهو أنه متعلق التسويل فى هذه القصة غير متعلق التَّسويل فى قِصَّة يُوسف ، فالذى فى قصة « يوسف » أنهم زينت لهم أنفسهم أن يُبعدوه عن أبيه ففعلوا به ما صنعوا ، وأظهروا أن الذئب أكله ، والذى فى قصة أخيه ، تحتمل أن يكون المراد به الإشارة إلى علمهم بالقرينة وهى وجدان الصاع فى رحله ، فكأنه قال لهم جواباً لقولهم له :

(١) سورة يوسف الآية رقم ٨٤
(٢) سورة يوسف الآية رقم ٨٣
(٣) سورة يوسف الآية رقم ٨٠
(٤) سورة يوسف لآية رقم ٨٧

(إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ[1]) لا . لم يسرق (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) إنه سرق . لكون الصاع وُجد فى رحله . ولم يكن فى باطن الأمر كذلك . ولم يُرد أن أنفسهم زينت لهم إعدامَه كما فى قصة يوسف . والله أعلم .

ووصفه فى تاريخه بالمعرفة ، وبفنون « المعقول » و « العربية » و « المعانى » و « البيان » ، و « الأصلين » ، وأنه صَنَّف فيها تصانيف . هذا كله مع تعظيمه لشيخنا ، حتى انه امْتَدَحَهُ قديماً فى سنة ثمان وثمانمائة ، عَقب استِقرَاره فى تدريس « الحديث » بـ « الشَّيخُونِيَّة » . وكان هُوَ اسْتَقَرَّ قبله فى تدريس المالكية بها كما تقدم .

١١٤ واستُفِيضَ عنه أنه كان يَقُول : « ما رأينا أشدّ ذكاء منه ، / ولا أسرع إدراكا ، يتسلط بذلك على التكلم فى كل ما يروم ، ولو كان عارفاً بمصطلحات أرباب العلوم فى مسمياتهم ما كان كبير أحد يقاومه » .

ولقد كنت أشرع فى اسْتِشْكَالِ شىء أو إيراده فقبل أن يتم كلامى يتلقاه فيقرره على أحسن وجه ، ثم يعقبه بالجواب المزيل للبس ، وما كنت سائلا قط ، إلا وَصيرنى مَسئُولا .

بل حكى عنه ولده أنه كان يقول ما حاصله : إنه لا احتياج بحضورنا معه مجالس الحديث بالقلعة ، « إشارة إلى سفالته بذلك » . وأنه هو المعول عليه فيه .

وحكى لى الشيخ « نور الدين ابن أبى اليمن » المكى أحد تلامذتهما أنه سمع البساطى يقول : سألت شيخنا « لزين العراقى » عن حديث المُكاتب « قن ما بقى عليه درهم » مَنْ صححه ؟ . فقال : الآن لا أُدرك . قال : فلقيت « ابن حجر » وهو إذ ذاك ليس فى لحيته شعرة بيضاء فسألته عنه فقال فى الحال : صححه « ابن حبان » و « الحاكم » من حديث عبد الله بن عمرو » .

وكان القاضى إماماً علامة ، عارفاً بفنون المعقول ، والعربية ، والمعانى

---

(١) سورة يوسف الآية رقم ٨١

والبيان ، والأصلين . متواضعاً ليناً ، سريع الدمعة ، رقيق القلب ، محبا في الستر والصفح والاحتمال ، طارحاً للتكلف ، ربما صاد السمك .

اشتهر أمره ، وبعد صيته ، وصار شيخ الفنون بلا مدافع ، وقد تخرج به خلق طار اسمهم في حياته ، وتزاحم الأئمة من سائر المذاهب والطوائف في الأخذ عنه .

ومن مشاهير جماعته « البرهان الأبناسي » ، و « القاياتي » ، و « العلاء القلقشندي » ، و « الجلال المحلي »[1] وغيرهم من الشافعية . و « الكمال ابن الهمام » ، وسمعته يرجحه على « العز بن جماعة » ، و « التقي الشمني » ، و « الصبر بن العجمي » ، وغيرهم من الحنفية . و « الزين عبادة » ، و « طاهر » و « ابو القسم النويري » ، و « الشمس العيراقي » ، وآخرون من المالكية . و « أبو الفتح بن الباهي » وغيره من الحنابلة .

وحدث بـ « القاهرة » ، و « مكة » ، سمع منه الجلة ، واستدعى شيخنا الاجازة منه لولده ، ورافقه في القضاء . ومن قبله « البلقيني » ، و « الهروي » و « الولي العراقي » ، وابن البلقيني من الشافعية ، وابن « الديري » ، وولده و « التفهني » ، و « العيني » ، من الحنفية ، و « ابن المغلي » ، و « المحب البغدادي » ، و « العز القدسي » ، من الحنابلة .

وأدرك في أيام قضاته من الملوك بـ « المؤيد » ، وولده ، و « الظاهر ططر » وولده ، « الأشرف برسباي » وولده ، و « الظاهر جقمق » ، وأثنى عليه « العلاء بن خطيب الناصرية » فقال في ناسخ « حلب » اجتمعت

---

(١) الجلال المحلي : هو جلال الدين محمد بن احمد بن ابراهيم بن أحمد ، ولد بمصر سنة ٧٩١ هـ واشتغل وبرع في الفنون فقها وكلاما وأصولا ونحواً ومنطقاً وغيرها . كان غرة هذا العصر في سلوك طريق السلف على قدم من الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام ، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم ولا يأذن لهم بالدخول عليه ، وكان متقشفاً في ملبوسه ومركوبه ، ويتكسب بالتجارة ، وألف كتباً منها ، « شرح جمع الجوامع » في الأصول ، « وشرح بردة المديح » وشرح الشمسية في المنطق وأجل كتبه التي لم تكمل تفسير القرآن ، توفي سنة ٨٦٤ هـ .

حسن المحاضرة (ج ١ : ٢١٠)

به يعنى فى قدْمته عليها وصحبته ، وتكلمت معه فى العلوم ، وهو رجل فاضل عالم بالفقة ، والأصول والمعانى والبيان وغير ذلك ، وأهل « القاهرة » يثنون على علمه ، ويعترفون له بالعلم ، خصوصاً فى العلوم العقلية والمعانى و « البيان » . وحكى أنه كتب له مع ما سأله فيه / من حاله وشيوخه ما نصه : ١١٥

« أنه يُحكى أن بعض ملوك الهند أرسل حكيما إلى « الاسكندر » فجعله « الاسكندر » فى موضع ولم يجتمع به ، ثم أرسل « الاسكندر » إليه قدحاً من لبن ، فتأمله الحكيم ثم غرس فيه إبرةً وردَّه عليه ، فأخذها « الاسكندر » فضربها أُكرةً وردّها إليه ، فتأمل الحكيم ثم تحيل فيها إلى أن ضربها صفة مريكب ، وجعلها فى طاس ماء عائمة ، فأرسلها إليه ، فأزال « الاسكندر » الماء وجعل موضعه تراباً ، وأرسل بها إليه ، فلما رآها بكى وقال : ما على التراب جواب الحكيم ولا بليد — انتهى .

وكأنه أراد بهذه الحكاية اعترافه بحقارة نفسه تواضعاً حين سئل عن ماله .

وذكر « التقى المقريزى » فقال : قدم من الريف ، وطلب العلم ، وعرف بعلوم العجم من المنطق ونحوه ، إلى أنْ قال : ولم يخلف بعده فى المالكية مثله — فيما نعلم . ولم يتعرّض أحدٌ منهما لشيءٍ من تصانيفه . ومما عَلِمْتُه مِنها « المغْنى » فى « الفقه » لم يكمل . و « شفاء العليل على كلام الشيخ خليل » وهو شرح لمختصر الشيخ فى « الفقه » لم يَكْمُل أيضاً . بقى منه اليسير جداً ، فكمَّلهُ الشيخ « أبو القاسم النويرى » .

وله أيضاً « توضيحُ المعقول وتحريرُ المنقول » على « ابن الحاجب » فى « الفقه » أيضاً لم يَكْمُل . وعَمِلَ حاشيةً على كُلٍّ من « المُطوّل » لـ « السعد التفتازانى » و « شرح المطالع » لـ « القطب » . و « المواقف » لـ « العضد » . ونُكتاً على « الطَّوالع » لـ « البيضاوى » . ومقدّمة مُشْتَمِلَةً على مقاصِدِ الشّامِلِ فى الكلام . وأخرى فى « أصول الدين » وفى « العربية » .

وكتب على « مفردات ابن البيطار » ، وله « قصة الخضر » ، ورسالة في « المفاخرة بين الشام ومصر » بديعة فيما بلغني وتقريظ على « الرد الوافر » لـ « ابن ناصر الدين » حافظ الشام بسبب « التقى بن تيمية » ، هو عندي ، أجاد فيه ولمح بالحط على « العلاء البخاري » وغير ذلك مما لم يظهر ، المصنف في « ابن عربي » ، و « شرح التائية »[1] ، كما تقدم . ولم يثبت أمرهما عندي .

وله نظم ونثر من قسم المقبول . فمما علمته من نظمه سوى ما أشرت إليه فيما تقدم قوله عقب رجوعه من المجاورة بمكة : [طويل]

ولم أنسَ ذاك الأنسَ والقومُ هُجّعٌ
ونحنُ ضيوف والقِراءُ مُنوَّع

وعشاق ليلى بين باكٍ وصارخٍ
وآخرُ مسرورٌ بالوصالِ مُمتّع

وآخرُ في السِترِ الإلهي مُتيّمٌ
تغوصُ به الأمواج[2] حيناً وتُرفَعُ

وآخر قرّت حالُه فتميزت
معارفُه فيما يرومُ ويدفَعُ

وآخر أفنَى الكلّ عن كلِّ ذاته
فكل الذي في الكون مرأى ومسمَعُ

وآخر لا كونٌ لدَيه ولا لَه
رقيبٌ بفَنا حظٍ يُثنَى ويُجمَع

ومن نثره ما كتبه على « سيرة المؤيد » لـ « ابن ناهض » ، بعد أن سئل في التقريض : [كامل]

---

(١) العبارة في الضوء اللامع : « وشرح للتائية الفارضية » أنظر الترجمة (ج ٧ : ٧)

(٢) في الأصل « عينا » .

أيا شيخَ الشُّيوخِ ومَنْ تسَمَّى
بِبَسْطِ العلمِ فينا بالبُساطى
لَعلّكَ تَبْسُطُ الآمالَ منّا
بِتَقْريظ اللآلى بانبساط

فقال : الحمد لله الذى أطلَع للعلماء شمساً بعد أن غربت أو دت ، ١١٦
وأطمس للأعداء رَسْماً بعد أن نَفَد ما سَوّ‌ات وكادَت ، وصلواته على المخصوص بعموم الرسالة لمنعوت بجوامع الكَلِم ، ومجامع الانالة .

وبعد — فإنّ منشىء هذه السيرة المغلقة ، ومخترع هذه الصنائع المُنَمَّقَة ، قد أبانَ حتى بان أنه مع « سحبان » ، رضيعا ثدى البيان ، وأجاد حتى أفاد أنه مع « السَّعْد التفتازانى » ، صنوان فى المعانى . وكمل حتى خيل أن « الحريرى » باقٍ لم يَمُتْ . وأن قريحته البديعة لم تخمد ولم تفت وليس ذلك فى قدرة هذا الزمان المنكد . وإنما هو بمساعدة « سعد » صاحب « السيرة المؤيد » ، ومعاونة عناية حظه المحدد .

ولعمرى لو « أن أبا الطيب » عُمّر إلى زماننا ولم يشتغل لحظة بغير مدح سلطاننا . أو « أبا تمام » ، و « أبا العتاهية » ، والمعلقين من الأعلام الماضية لما أدُّوا شكر ما وجب على المسلم من شكره . ولما وصلوا إلى إدراك ما وصل إلى الأمة من نفعه . وليس ذلك يخاف فينسب قائله الى الزنا ، ولا بمشتبه فيكثر فيه الجدال والمراء . ولا يحيط بكنه ما وصل إليه غير علام الغيوب ، المحيط علمه بجزئيات الثوابت والسلوب[1] . فنسأله بعلمه المحيط وقدرته الباهرة أن يعامل سُلطانَنا « المؤيد » باللطف فى الدنيا والآخرة . وأن يُبْقيهُ للسلمين إماماً ولنعظيم الشّريعة المُحَمّدية زماماً وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

وكتبه « محمد بن أحمد بن عثمان البساطى المالكى » . وقد سئل آخر

---

(١) وردت فى الأصل هكذا : « السلوب » .

الناس ولم يُبق الكاتبون موضع كيس ولا جناس[1] انتهى .

وسيأتى له جواب عن سؤالين فى كلام « الكشاف » فى ترجمة « المحب أبى الوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشحنة » إن شاء الله تعالى .

ولم يزل البساطى — رحمه الله — على عُلوّ مكانه ، وارتفاع إيوانه ، وكان يعتريه القولنج فينقطع ، فيثور به وينقطع لأجله أياما . ثم يسكن عنه فيفيق . وثار به قُبَيْل وَفَاته بقليل ، ثم عُوفى ، وركب أول رمضان لحضر سماع الحديث وسلم على السلطان ، وسرّ الناس بعافيته . ثم فى ثالثة حضر مجلساً عقد بالصالحية ، وهو فى عافية تامة ، بحيث صام وسمع الدعاوى وكتب على الفتاوى وغيرها إلى يوم الخميس ، فثار عليه الوجع آخر النهار وأصابه صرع ، فغشى عليه ، ثم تحرك ، ثم مات ، وذلك فى ليلة الجمعة ثالث عشر شهر رمضان ، سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة « بالقاهرة » ، وصلى عليه « بباب النصر » تقدم شيخنا الناس ؛ ودفن بجانب شيخه العز بن جماعة فى تربة بنى جماعة وهى / بالقرب من « تربة سعيد السعداء » . ١١٧

وقال شيخنا حينئذ وهو جالس بين القبرين : أنا الآن بين بحرين ، وأوصى أن ألاّ يُعلم قبره بأحجار ، وأمطرت السماء مطراً خفيفاً فى حال مغتسله ، وتكاثر حالةَ الدفن وبعدها ، ولم يخلف بعده فى فنونه مثله ، واستقر فى القضاء بعده البدر بن التنسى ، وفى « القمحية » ولداه ، وفى مشيخة « تربة الناصرية » أصغرهما ، وفى « البرقوقية » ابن عمار ، بعد أن كتب بها للشيخ « عباده » ، وفى الفخرية « القرافى » ، رحمة الله عليهم .
ورثاه صاحبنا الشيخ[2] « شهاب الدين ابن أبى السعود المنوفى » بقوله :

مات قاضى القضاة يا عِلمُ فاهجع ... واطو بعده بساط النشاط
وابك شمساً أغارها القبر وافرش ... للثرى وجنتيكَ بعد البساطى

(١) وردت فى الأصل هكذا : « ولم يبق الكاتبون » .

(٢) فى الأصل : « الشيخ » .

القاضى جمال الدين*

محمد بن أحمد الأسدى الزبيرى السكندرى المالكى المعروف بابن التنسى

٧٧٧ تقريباً — ٨٤٤ ﻫ

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله ، القاضى جمال الدين أبو أحمد بن القاضى ناصر الدين ، أبى العباس القرشى الأسدى ، الزبيرى السكندرى الأصل ، المصرى المالكى .

عُرف بـ « بن التنسى » ، وهو أخو البدر محمد المذكور مع سياق تمام نسبه سواء وله ، واستقر فى قضاء المالكية يسيرا ، ورام الشيخ شمس الدين ابن عمار الامتناع من الاستنابة عنه .

القاضى بدر الدين*

محمد بن أحمد التَّنَسى المصرى المالكى

٧٨٠ تقريباً — ٨٥٣ ﻫ

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد عطاء الله بن عواض بن نجا بن أبى الثناء ، حمود بن نمار بن مؤنس بن حاتم بن بُوبلى بن جابر بن هشام بن عروة ابن الزبير بن العوام . القاضى بدر الدين أبو الإخلاص بن القاضى ناصر الدين أبى العباس المذكور فى الأصل ، القرشى الأسدى الزبيرى السكندرى الأصل ، المصرى المالكى ، عرف بابن التنسى .

(*) جمال الدين التنسى : جاء فى الضوء اللامع أنه « محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن عطاء الله بن عواض بن نجا بن أبى الثناء حمود بن نهار الشمس بن ناصر الدين أبى العباس القرشى الأسدى ، الزبيرى ، السكندرى ، ثم القاهرة المالكى ، والد الشهاب ، أحمد والنور ، ويعرف بابن التنسى . ولد سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، أو التى بعدها . ومات سنة ٨٤٤ هـ .

الضوء اللامع (ج ٧ : ٩٠) .

(*) بدر الدين التنسى : جاء فى الضوء اللامع أنه محمد البدر أبو الاخلاص أخو الذى قبله (أى القاضى جمال الدين) . ولد سنة ثمانين وسبعمائة تقريباً بالأسكندرية ، ومات سنة ٨٥٣ هـ .

الضوء اللامع (ج ٧ : ٩٠) .

هكذا أملى هذا النسب ، وتوقف فيه شيخنا ، وقال : فيه نظر ، فليس في ولد هشام المذكور عند اهل النسب من اسمه جابر . قال . وبُوبلى اسم بربرى — انتهى .

وهو أخو الذى قبله ، وذاك الأكبر . من بيت ذكر منهم غير واحد . ولد بعد سنة ثمانين وسبعمائة تقريباً « بالاسكندرية » وقرأ بها بعض القرآن ثم انتقل مع والده إلى « القاهرة » حين ولى قضاء الدّيار المصرية ، فأكمل بها حِفْظ القرآن ، وحَفِظ « التلقين » للقاضى « عبد الوهاب » ، و « الفقيه ابن مالك » ، وغيرهما . وعرض على جماعة ، واشتغل بالعلم . فأخذ الفقه عن « الجمال الأقفهسى » والشيخ « محمد بن مرزوق المغربى » ، و « الشمس البِسَاطى » ، وعنه أخذ « أصول الفقه » ، و « النحو » ، و « المنطق » ، وكذا أخذها مع « أصول الدين » ، و « المعانى » ، و « البيان » عن / « العِزّ بن جماعة » ، وأخذ أيضاً عن « المُحِبّ أبى الوليد ابن الشّحنة » ، وكتب ـ بلغز يأتى فى ترجمته ـ والحديث عن « الولى العراقى » وشيخنا ، واشتدت ملازمته له ، حتى قرأ عليه الصحيح .

وحكى لنا عنه حكاية ليست غريبة بالنسبة لِعُلُوّ مكانه حسبما أودعتها « الجواهر والدرر » ، وسمع قبل ذلك على الكمال بن خير « سند أسباب الرازى »[1] والأولين من « أمالى ابن السمعانى » ، وعلى الشرف ابن الكويك « صحيح مسلم » ، ومن لفظه « المسلسل » .

ورأيت بخط بعض الطلبة أنه سمع من لفظ « الزين العراقى » ، وكان يذكر أن « ابن عرفة » أجاز له وليس ببعيد .

وخرج له شيخنا « الزين أبو النعيم العقبى » جزءاً فيه روايته عن « التنوخى » ونحوه ، فكأنه وقف على إجازته منهم ، وباشر التوقيع فى الدولة المؤيدية ، عند « ناصر الدين بن البارزى » .

ونشأ فقيراً حتى إنه قيل : إن أوّل من كساه الصُّوف « الجمال ابن

---

(١) فى الضوء اللامع : « سداسيات الرازى » . انظر الترجمة

الدّماميني »(١) ، أعطاه جـدة بوجهين . فلما قدم « القاهرة » فصّلَ كل وجه عن الآخر بحيث صارا جدتين . وحج فى سنة ست وعشرين ، وناب فى القضاء فى سنة سبع عشرة عن الجمال الأقفـهسى ، فمن بعده .

وكان يتناوب هو وأخوه القاضى « شمس الدين » بمسجد « الفجل »(٢) والبغلة مشتركة بينهما . واستخلفه شيخه « البساطى » شريكا لـ « الشهاب ابن تقى » عند سفره إلى « مكة » ومجاورته بها ، ثم استقل بذلك بعد وفاة « البِساطى » المشار إليه ، وعرض ذلك على « الزين عبادة » فامتنع ، ولبس هذا فى يوم السبت خامس عشرى شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين ، وركب معه القضاة والمباشرون إلى « الصالحية » على العادة ، ورجع إلى بيته ، فسار سيرة حميدة وتَثَبّت فى الأحكام والشهود ، وقيّد عليهم تقاييد نافعة ، وأكد على جماعة بابه بالأيمان فى عدم الأخذ ببابه ، مع لحصه سرًّا عن ذلك ، وبذل جَهْدَه فى التّنقيب عنه مع أنه لم يسلم من الكلام فى ذلك ، وربما تأمّل فى الأحكام ، ومستندات الأخصام الأيام الكثيرة ، وكسد سوق المتلوثين فى أيامه ، وصاروا معه فى عناء وتعب وذل ، إسقاطاً وضرباً وسجناً ، واستمر على طريقته إلى أن مات ، غير أن السلطان تغيظ عليه فى

---

(٢) الدماميني : هو عبد الله بن محمد بن عبدالله بن أبى بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر ابن يحيي بن حسين بن محمد بن أحمد بن أبى بكر الجمال أبو محمد بن الشرف أو المعين ، أبى عبدالله ابن البهاء بن محمد بن التاج بن المعين ، القرشى ، المخزومى الدماميني الأصل ، السكندرى المالكى حفيد عم أبى البدر محمد بن أبى بكر بن عمر ، ويعرف بابن الدماميني من بيت قضاء ورياسة ، مات سنة ٨٤٥ هـ .

الضوء اللامع (ج ٥ : ٥٣)

(٢) مسجد الفجل : هذا المسجد بخط بين القصرين تجاه بيت البيسرى ، أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين ، أنشأه على ماهو عليه الآن الأمير بشتاك لـما أخذ قصر أمير سلاح ودار أقطوان الساقى وأحد عشر مسجداً وأربعة معابد ، كانت فى عمارة خلفاء الفاطمية وأدخلها فى عمارته التى تعرف اليوم بقصر بشتاك بدرب قرمز بالنحاسين ، ولم يترك . والعامة كانت تسميه مسجد الفجل ، وتزعم أن النيل الأعظم كان عر بهذا المكان ، وأن الفجل كان يغسل عوضم هذا المسجد فعرف بذلك . ويقول المقريزى أنه عرف بهذا الاسم من أجل أن الذى كان يقوم على خدمته كان يعرف بالفجل

المقريزى (ج ٢ ٤١٣)

شوال سنة خمسين بسبب مسجون أقام — فيما قيل — نحو ثلاث سنين فعزله ثم أعاده ، إذ توسل بجماعة حتى رضى السلطان عنه ، وألبسه خلعة الاستمرار ، بعد أن حط عليه ، وكذا تغيظ عليه قبيل يسير حيث لم ينجر معه لقتل ذاك « الكيماوى » الملقب « أسد الدين » ، والمنتسب إلى

١١٩ « الشرف » ، لكونه لم ير استحقاقه لذلك ، وولى/ شخصاً ممن عُرف بالجرأة والإقدام لكثرة مخالطته لمن اتّصَف بذلك ، فبادر لقتله بعد أن أثبت زندقته وإلحاده وكذبه . وظن أن ذلك نافعاً له أو للغرى فى الاستقرار فى المنصب ، فانعكس الأمر عليهما ، ولم يرفع الله لهما رأساً . وأهين المباشر لذلك جدا ، وتشتت على الآخر شمْلهُ ، وصار يُلْفظُ من صقع إلى صُقع طريداً وحيداً حتى مات كما بينتهُ فى ترجمتهما .

واستمر هذا مما يعدُّ فى مفاخر صاحب الترجمة ، وقد حدث بأشياء ، سمع منه غير واحد . وممن قرأ عليه ، الزين رضوان لأجل ولده(١) . و « التّقى القلقشندى » . و « البقاعى » ، وآخرون . وأفتى وولى تدريس « الجمالية » بعد موت « التقى القبابى » فى أيام قضائه . فكان يدرس فيها . وفى التداريس المضافة للقضاء . وهى « الصالحية » ، و « الناصرية » و « المنصورية » ، ودرس أيضاً لجماعة مذهبه فى « المدونة » وغيرها . وكذا ولى ببلده أشياء تلقاها عن سلفه وغيرهم .

ولِضخَامته وأمانتِه كان كثيرٌ من التجار يَتَجَوَّهون(٢) بالانتساب إليه فى متاجرهم ومُعاملاتهم ونحو ذلك . وهم لذلك معه لا اختيار لهم . وقد لا يكون لهم اسم فجرّ ذلك إلى فوات أشياء عليهم بعد موته — فيما قيل — وهو ممن أودع عندهم الولى السّفْطى . وأُخذتْ من تركته .

وقد قرأت عليه أشياء وقرض(٣) لى بعض تصانيفى وأنشدنى من نظمه

---

(١) العبارة فى الضوء اللامع : « لأجل ولدى »

(٢) سبق أن أشرنا إلى معنى الكلمة « يتجهون »

(٣) وقرض : سبق شرحها

ما ذكر أنه نظمه فى منامه أيام طاعون سنة سبع وأربعين . وأوصى أن يدفن معه فقال : [وافر]

إلهَ الحقِّ(١) قدْ عَظمت ذنوبى فسامحْ ما لعفوكَ من مُشاركْ
أغِثْ يا سيّدى عبداً فقيراً أناخ ببابك العالِى ودَارِك

وله فيما يُقرأ على قافيتيه مما ابتكره شيخنا كما تقدم فى ترجمة ابن الآدمى قوله : [رجز]

جفوت من أهواه لا عن قِلىً فظلّ يجفونى يرُوم الكفاح
ثم وفى لى زائراً بعده فطابَ نشرٌ من حبيب وفاح

وكتب إليه بعضهم : [كامل]

الحمد لله العَلىّ الوالى ذى العزّ والإكرام والإكمال
ثم الصلاة مع السلام على النَّبى خير الورى معْ صُحْبةٍ وآلِ
ماقولُ مَالكِ علمِ مذهبِ مالك بدْرِ القضاةِ مُحَمَّدِ الأفعالِ
فى ناظر وَلّى عمِيًّا جاهلاً دَرْسَ الحديثِ حديثِ أكرمِ تالِ
ثم ارتضى الغرُّ الغَبِى وأقرّ مَنْ يرضاهُ كلُّ مُصَوّبِ الأقوالِ
ثم ارتضى الغُمْرُ الغَبِى فردّه من بعْدِ عزلِ الأهلِ ذى الإفضال
هلْ كان تقرير الجهولِ محرّماً بَدْءاً على التّفصيل والإجمالِ ؟
وَهلِ التفحّص كان عنهُ واجباً قبلَ الولايةِ ياجميل الحالِ ؟
وأفاسقٌ هو من وظائف دينه عَزْلٌ بتقرير الجهولِ الخالِ
وبِمَا يؤَدّبُ ذا الجهولُ بفعله إنْ مدّهُ فى السعى والإعضالِ
لا سيما مع عزْلِ الأهْل ومنْعِه من غير جُرمٍ يُنافى شَرعَ ذى الاجمالِ
وَمَنِ المصَادِفُ صحةّ تقريرِه يا متحف الساعى جزيلِ نوالِ

---

(١) فى الضوء اللامع : « إله الخلق ».

شرّف بخطٍّ ما حَوَاهُ خاملٌ ... إلا انثنى بالعزِّ والإقبالِ

١٢٠ فكتب / [كامل]

إنَّ الولايَة لِلبيبِ المرتضىَ ... عِلماً وفضلاً مؤذناً بكمالِ

وهُوالحرىُّ بأن يُفيدحديثَ مَنْ ... شرُفتْ بنسبتِهِ جميعُ الآلِ

لا للجهولِ أخى الغباوة منْ غدَا ... صفراً من التقرير الأقوالِ

ومن المحرَّمِ أن يُقرِّرَ جاهِل ... فى مَنصبِ العلم الشريف العالى

لا سيّما علم الحديث فإنه ... قولُ الرسولِ السيّد المفضالِ

ولقَد تعدّى فى الولاية ناظرٌ ... رَضِيَ الجهول وخَصَّه بنوالِ

وهو الجديرُ بأن يقدّر غيرُه ... إن كان لا يُرجى صلاح الحال

وعلى الأئمّةِ زَجْرُ منْ ركب الهوى ... وجَفَا الصوّابَ بمؤلمٍ ونَكالِ

هَذا[1] جوابى عن سؤالك عالماً ... بالعجز والتقصير والإهمال

والله أسألُ أن يَمُنَّ برحمةٍ ... تشفِى من الأوْجاع والأوجالِ

وكان إماماً رئيساً عالما، فصيحا طلقاً، مفرط الذكاء، جيد التصور، شهما محباً فى إسداء المعروف للطلبة، كثير المداراة، تامّ العقل مهابا، لكن ما كنت أحمد معارضته لشيخنا، لا سيما فى تجديد الخطبة بـ «مدرسة ابن سويد[2]» مع كونه من جماعته وإكرام شيخنا له، حتى إنه بعد ذلك قدمه للصلاة على شيخنا «البرهان بن خضر»، ولكن قد رأيته حضر فى الجمعة التى ماتَ فيها شيخنا إلى قبره، وأكثر من البكاء والنحيب والتأسف على فقده، والتصريح بظهور النقص عليه من بعده، وهو كذلك. فإنه واجهه من لم يكن فى الاعتبار بذلك بحضرة السلطان بسبب ما أشرتُ إليه بما لم يحتمله. وتكدر عيشُه بسببه، حتى مات عن قرب، وذلك فى ليلة الاثنين ثالث عشر صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة.

---

(١) فى الأصل: «هذى».

(٢) مدرسة ابن سويد: انظر فهرس المدارس.

« ودُفن بـ « تربة المحب ، ناظر الجيش ، بالقرب من الشيخ « عبد الله المنوفى »[١] ، واستقر بعده فى القضاء القاضى « ولى الدّين السُّنباطى » وفى « الجمالية » قريبُـه « النويرى بن التَّـنسى » بعد منازعة طويلة من « القرافى » .

وقد ترجمه بعضُـهم فى حياته : بالإمام العالم ، الناثر الناظم . وإنه لم يزل يدأب فى الاشتغال ويعمل مطية عزمه وحزمه أى إعمال إلى أن اشتهر بالفضيلة ، واشتهر ذكره بالخلال الجليلة ، ونظم الشعر الرصين ، وأنشأ النثر المتين .

ولما عُرض عليه القضاء قبل مع عزّة نفس ، وإظهار أنه لا يريد ذلك ، ثم سار سيرة حسنة ؛ رفق موضع الرفق ، وعنّف موْضع العنف ، ولانَ جانبُـه فى غير الأحكام ، فانخفض به منْ فى عرضه كلام ، وارتفع الخيّرون الكرام ، وضمّ شتات المالكية ، وتكرم عليهم بالمال والوظائف ودرس لهم « المدوّنة » وغيرها — والله تعالى يعينه .

ولى الدين السفطى*

محمد بن أحمد بن حجاج القاهرى الشافعى

٧٩٦ — ٨٥٤ هـ

محمد بن أحمد بن يوسف بن حَجّاج القاضى ، ولى الدين[٢] السَّفْطى بسكون الفاء نسبة لـ « سَفْط الحِنّاء » من الشرقية . القاهرى الشافعى ، ابن عمة « الفخر الأسيوطى » .

---

(١) الشيخ عبد الله المنوفى : هو عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفى ، جمع بين العلم والعمل والصلاح ، تفقه على مذهب مالك واعتزل وانقطع بالمدرسة الصالحية مقتصراً على خويصة نفسه ، لا يكاد يخرج إلا إلى الصلاة ، وله كرامات ظاهرة ولد سنة ٦٨٦ هـ . ومات فى سنة ٧٤٩ هـ .

(حسن المحاضرة ج ١ : ٢٥١) .

* ولى الدين السفطى : انظر ترجمته .

(فى الضوء اللامع . ج ٧ : ١١٨)

(٢) العبارة فى الضوء اللامع وردت هكذا : « بن حجاج الولوى السفطى » .

ولد فى سنة ست وتسعين وسبعمائة . وقيل سنة تسعين ، وهو الأقرب بـ « القاهرة » . وحفظ « القرآن » ، و « والعمدة » ، و « التنبيه » ، و « ألفية ابن مالك » . و « منهاج الأصول » وغيرها — وعرضها على جماعة ولازم العز بن جماعة فى تلك الفنون . وبحث « الحاوى » عند « الهمام العجمى » شيخ « الجمالية » . وكذا أخذ عنه فى «الكشاف» وغيره . وتردد فى «النحو» لـ « أبى الفتح الباهى » الحنبلى ، رفيقاً لـ « ابن المخلطة » .

وفى العقليات : لـ « العز عبد السلام البغدادى » ، وكان يبر « العز » بطعام « الشيخونية » / . وربما حضر عند العلاء « البخارى » . ولما جىء إليه بالشاشات من « الهند » امتنع من إعطائه منها بعد أن سأله فى ذلك . وقرأ على شيخنا فى « البخارى » وسمع « صحيح مسلم » بكماله على « التقى الدجوى » . و « السعد محمد بن محمد بن محمد بن الحسن القمنى »(1) والمجلس الأول ، وبعض الآخر على « الجمال الحلاوى » . والأخير على « الحافظ الهيثمى » . و « الشهاب أبى العباس أحمد بن الناصح » وبعض السنن لـ « لأبى داود » على الحافظين : « الهيثمى » ، و « الدجوى » ، و « الحلاوى » . وعليه فقط الجزء الثامن من « الغيلانيات » وعلى شيخه « العز بن جماعة » بقراءة شيخنا من طرق « كفارة المجلس » من رواية جده القاضى « العز بن جماعة » المجلس السادس . والثلاثة بعده . وحدث بـ « البخارى » عن « الزين العراقى » سماعاً . و بـ « السقاء » عن « البرهان التنوخى » سماعاً . وعن « ابن الكويك » إجازة وبغير ذلك .

١٢١

وخرج له شيخنا « أبو النعيم المستملى » شيئاً ، وناب فى القضاء عن « الجلال البلقينى » . وربما ناب عن بعض الحنفية لصحبته « صدر الدين العجمى » ولم ينب بـ « القاهرة » لمن بعد « الجلال » بل قال حينئذ : والله ما ألى القضاء إلا استقلالا .

ووصفه شيخنا فى طبقة سماع مؤسفة سنة أربع عشرة بأنه أحد

---

(1) القمنى : سبق الحديث عنه .

الصوفية بـ «الشيخونية» . وعُرف بداخلة الكبار، والحرص على الادخار والاستكثار . وولى تدريسَ التفسير بـ «الجمالية» عوضاً عن «الشرف ابن التبانى» فى سنة سبع وعشرين . ثم «مشيخة الصوفية» بها عوضاً عن حفيد «الولى العراقى» فى سنة ثلاث وثلاثين .

وكانت له بـ «الظاهر جقمق» خصوصية، بحيث أنه كان وهو «أمير آخور» يجيئه إلى بيته، ويأكل عنده، فلما استقر فى السلطنة لازمه زيادة على ما كان يلازمه قبلها، وانقطع إليه، وولاه فى سنة اثنتين وأربعين وكالةُ بيت المال، عوضاً عن «شهاب الدين بن الشيخة» . ثم فى يوم الإثنين ثانى المحرم سنة ثلاث وأربعين نظر الكسوة عوضاً عن «الزين عبد الباسط»، وعظم اختصاصه بالظاهر جداً . فهرع الناس لبابه . ودخل فى قضايا فأنهاها حتى إن الظاهر كان يُصمم على منع الشىء ثم يسهله بسفارته ويلتزم فعلَ الشىء فينقضُه بشفاعته، وصارت له عندَ من دونه الكلمة النافذة والشفاعةُ المقبولة . فتزايدتْ ضخامته، وارتفعت مكانته، وانثالت عليه الدّنيا بسبب ذلك من كل جانب من القضاة والمباشرين والتُّرْك، وسائر أصناف الناس فأثرى، وكثرت أمواله، خصوصاً وهو غير متبسط فى معيشته ولا سمح البذل بالذى فى حوزته لجماعته ورعيته، وقصد بالانتماء لولائه والحلول بساحته وفنائه . حتى إن «مُحب الدّين بن الشحنة» الحنفى صاهرَهُ على ابنته وقرره السّلطان أيضاً فى نظر «البيمارستان المنصورى»[1] مضافاً لما تقدم عوضاً عن «المحب بن الأشقر»[2] فى يوم

(١) البيمارستان المنصورى : جاء فى هامش النجوم الزاهرة : تكلم المقريزى فى خططه (ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٦٠ من الجزء الثانى على البيمارستان المنصورى فقال : أنشأه الملك المنصور قلاوون، وكان بدء العمل فيه والشروع فى عمارته فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وانتهت فى شوال من تلك السنة .

(النجوم الزاهرة . ج ١٢ : ٧٩) .

(٢) ابن الأشقر : هو محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن نوح المحب بن الشرف الكرادى نسبة إلى كراد بفتح الراء الخفيفة قبيلة من التركمان . ووهم العينى فنسبه تركمانيا، الكركى، القاهرى، الحنفى : ولد فى سنة ٧٨٠ هـ بزاوية الروم . ومات فى يوم الثلاثاء سنة ٨٦٣ هـ .

(الضوء اللامع . ج ٨ : ١٤٤)

الخميس ثانى شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين ، فازداد وجاهةً وعزّاً .

واجتهد فى عماره وعمارة أوقافه ، والحث على تنمية مُستَأجراته وسائر/ جهاته حتى الأحكار وما يُنسَب إليه من الآثار مع التضييق على مباشريه والتحرى فى المريض المُنزَلِ فيه ، بحيث زاد على الحدّ ، وقلّ من المرضى فيه العدد . وتحامى الناس المجىء إليه بأنفسهم ، أو بمرضاهم ، فصار بذلك مكنوساً مَمسُوحاً ، ومنع الناس من المشى فيه إلاّ حُفاة ، وحجر فى كلّ ما أشرتُ إليه غاية التحجير ، فاجتمع فى الوقف بسبب هذا كله من الأموال ما يفوق الوصف ، وكذا اجتهد فى عمارة « الجمالية » وأوقافها وتحسين خيرها ، والزيادة فى معاليم صوفيتها ، ومُستأجراتها ، لكن مع التحجير عليهم فى الحضور ، وقفل الباب بحيث مَنْ تخلّف لا يمكن الفتح له ، فلما كان فى يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة خمسين ؛ حضر إليه نقيب الجيش يأمره عن السلطان بالتوجّه لمجلس الشرع مع « أبى الخير النحاس » ، لكونه أنهى إليه أن له عليه دعوى شرعية ، فامتثل وقال له : مَنْ تختار من القضاة ؟ قال : الشافعى . فمشى معه إليه وهو حينئذ جاره « القاياتى » ، فادّعى عليه أنه وضع يَدَهُ على ثُريا مكفته[1] فاعترف أنه استامها[2] منه ليشتريها لـ « الجمالية » ، وأنها معلقة فيها ، وأذن له فى أخذها ثم رجع إلى منزله ، فماج الناس وتحدثوا فيما بينهم أنّ السلطان منعه من الاجتماع به ، وكثرت القالات فى هذا المهيع[3] ، فلم يلبث أن جاءه قاصد آخر النهار ببطلان ما أشيع ، وأنه لا حرجَ عليه فى الوصول إليه متى شاء ، فبادر صبيحة الغد ، وصعد إليه فلما تلاقيا التزمه وأمر له « بكاملية سمور » فلبسها ، ونزل ومعه جميع المباشرين ، وتلقاه القضاة إلا الشافعى ، وبياض الناس من سائر أصناف المسلمين ، فكان يوماً مشهوداً .

(١) التكفيت : هو تطعيم المعدن بمادة أقيم ، كتطعيم النحاس بالذهب ، أو الفضة بالذهب فنون الاسلام للدكتور زكى محمد حسن

(٢) استامها : أى ساومه عليها .

(٣) المهيع : هو الطريق الواسع الواضح .
القاموس المحيط

ولم يلبث « القاياتى » أنْ مات ، فاستقرّ به السلطان فى تدريس « الصلاحية » المجاورة للشافعى والنظر عليها ، وذلك فى يوم الثلاثاء ، سادس صفر ، وكان السلطان يفرط فى الإصْغاءِ إليه والاعتماد عليه ، حتى ولاّهُ قَضاءَ الشافعية عوضاً عن « ابن البلقينى » ، وذلك فى يوم الخميس خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين بعد شغور المنصب أربعة أيام .

وتكلم فى الأوقاف الدوادار « دولات باى » فباشر القضاء بحُرمةَ ومهابة . وصولة زائدة وتَشدّدَ فى أمر النوّاب ، وحرص على ابتكار جماعَة من الفُضَلاء فى ذلك ، فوافق بعض وامتنع آخرون . واجتهد فى ضَبْطِ المودع الحكمى ، وعمارة أوقاف « الحرمين » ، والصَّدقات ونحوها ، وتنْميةِ ذلك بزيادة المستأجرات والمسقفات والأحكار على عادَته المشروحة ، وتحرى فى صرف أوقاف الصدقات إلاّ لمَنْ يعرفُ استحقاقَه . وارتدع به المباشرون والجباة ونحوهم ، كل هذا / بالعنف والشدّة والطيش المخرج عن حَيّزِ الاعتدال ، والملجىء إلى التصريح بما لا يناسب منصبه من الأقوال ، حتى فى الطرقات والركوب بدون شعار القضاة إلى غير ذلك مما أنزه قلمى عن إثباته هنا . نخافه الكبير والصغير والشريف والحقير ، ولم يستطع أحد مراجعته ، وتعدّى حتى تعرض لوالد أستاذنا بالترسيم وغيره ، قصداً لإبعاد أبيه عن المنصب ، لينفردَ به بعد أن كان مِنْ أعظم المنكرين على « القاياتى » صنيعه فيه . ١٢٣

وعمل شيخنا حينئذ جُزءاً « سَمّاه » ردع المجرم فى الذّب عن عرض المسلم » . وانتزَع من شيخنا تدريس « الصالحية » والنظر عليها ، فوليهما يوم الخميس رابع ذى القعدة من السنة .

وفى أيام قضائه رأى الشيخ « حسين الفتحى » ، كما سمعته من لفظة « الإمام الشافعى » رحمه الله فى المنام ومعه شيخنا وهما بالقرب من « الشيخونية » والشافعى يقول لشيخنا : اخرج بنا فلا أقيم ببلد يبال فيه على كتبى ، انتهى .

ولم يزل على ذلك حتى حاق فيه السُّم القاتل ، وذاقَ مرَارةَ حنظلهِ في المقاتل ، فكان أول مبادىء انحطاط قدره ، وارتباط المِحَنِ بجانب قدْره ، فى أول شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين ، فتمازح حينئذ « محمد المعلم » المعروف بالصغير مع القاضى « علاء الدين بن أقْبَرْسْ » وخاطب أحدهما الآخر بأقبح لفظ ، فانزعج السلطانُ من التصريح بهذا القبيح ، وكاد يسطو بقائله ، فقال : « يا خوندانا » ما قلت إلا ما يقوله قاضى القضاة الشافعى فى وسط مجلسه بين الناس ، بحضرة الملأ من أصنافِ الناس من غير كناية ، فأكذبه ، فحلف بالطلاق أنه صادق ، واستشهد بالحاضرين فشهدوا له ، فأسرّها فى نفسه ، ثم قدر الله أن « النحاس » المذكور أولا ظفر بكتاب وقْف البلد التى أفردها الملك « الصالح إسماعيل بن الناصر محمد ابن قلاوون » لكسوة « الكعبة » و « المقصورة النبوية » ، فوجد فيه أنَّ نظرها لمَنْ يكون وكيل بيت المال ، وكان هو قد استقر فى الوكَالة منذ ولى السفطى القضاء فى يوم الإثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى [وخمسين][1] فأعْلِمَ بذلك السُّلْطَان ، فوافقه على انتزاعه منه بالشرع ، فكرر استنجاز وَعْدِهِ إلى أنْ فاوضه السلطانُ فى ذلك ، بما عرف « السفطى » أنه لا يُفيده فيه إلا الإذعان ، فاشترط بأن يعوض عنه بوظيفة يعينهما ، فأجاب سؤاله ، وانفصل الحالُ على أنه يخلع عليهما فـ « النحاس » بالنظر ، وصاحب الترجمة بما يعينه ، فعين « الخشابية » فلم يتم الأمر فيها كما قدمته فى ترجمة القاضى علم الدين ، وتم للآخر مقصوده وذلك فى حادى عشرى الشهر المذكور ، مع تصميم السلطان على استمرار وعده « للسفطى » فعين بـ « القانبهية » فكانَ من أمرها أيضاً ما تقدم .

وبمجرد أن استقر النحاس بادَر فخرج عليه ما كان يتناوله لنفسه من البلد فى كل سنة بأمور يسميها « وفاء القرض » ، والشاد ، والجهر ، والمشرف فظهر أنه يزيد على نصف / خراجها ، مما به أقيمت البينة وثبتت . ١٢٤

واتصل بالسلطان فانقلب بـ « النحاس » الدست عليه ، وأصبح السفطى

---

(١) مابين المعقوفتين عبارة يقتضيها السياق ، وأكملت حسب ترتيب التواريخ .

مطلوباً بحساب عشر سنين ، وبارتجاع ما قبضه بغير استحقاق و « أبو الخير » لا يفتر عنه ، وكلما اجتمع بالسلطان ليلفته عما تجدد عليه يزاحمه ويهاجمه ، ويبطل أجوبته ، وشاع ذلك ففشا وكثرت الشكاوى منه ، وانطلقت الألسن فيه فأفاق من سكرته فلم يجد له نصيراً ، وأقام من يوم الخميس سادس عشرى يرجف كل حين بعزله ، ويشهر كل وقت من أموره ما لم يكن أحد يتجاسر على ذكره إلى أن عُزل فى أوائل شهر ربيع الآخر ، فاستقرَّ شيخنا فى القضاء « والشرف المناوى » فى « الصلاحية » المجاورة للشافعى تدريساً ونظراً . و « النحاس أبو الخير » فى نظر « البيمارستان » كل ذلك عوضاً عن صاحب الترجمة فى تواريخ من هذا الشهر ، ووضع السلطان يده على أكثر ما نماه من متحصل البيمارستان وغيره . ولم يستمر معه سوى « الجمالية » .

فلما كان فى يوم الاثنين خامس عشر ألبسه السلطان كاملية خضراء بسمور ، بعد أن وزن خمسة آلاف دينار كان قد ادَّعى عليه أنه تناولها من وقف الكسوة لمَّا كان ناظراً عليها ، ولازم الطلوع إلى السلطان على العادة ، فلما كان يوم الأربعاء الخامس من شهر رجب منها ، منع من ذلك ثم بعد أيام رسم بالتوجُّه به لباب قاضى الحنفية ليُدَّعىَ عليه بحقوق ، فتوجه وسمع تلك الدعاوى فاعترف بالبعض وحَلف على الباقى ؛ ثم نقل لباب المالكى ، وادعى عليه أيضاً بدَينٍ ، فصالح المدعى بثلثمائة دينار . ثم بعد أيام وذلك يوم السبت ثانى عشرينه عزل عن مشيخة « الجمالية » وتدريس التفسير بها .

ورسم بالمجىء به لباب الشافعى ، فتوجَّه من الغد ، وادَّعى عليه « الزين قاسم الكاشف » بأن الحمَّام الذى كان اشتراه الوالى منه بـ « باب الخَرْق »[1] كان حينئذ وقفاً وأنه أكرهه على تعاطى بيعه ، وخرج على البيان .

---

(١) باب الخرق : المنطقة المعروفة الآن بباب الخلق ، وكلمة « خرق » تطلق على الأرض البعيدة التى تخرقها الريح لاستوائها ، وقد حرفت كلمة « خرق » إلى كلمة « خلق » =

وتوجَّـه الولىُّ لينصرفَ ، فعارضه شخصٌ آخر ، وادَّعى عليه أنه غَصَبَ منه خشباً فأنكر ، فطلب تحليفَـه والتغليظَ عليه ، فلما كان يوم الاثنين رابع عشرى أُعيد لمشيخة الجمَالية والتفسير بها ، وحضر على عادته ، وبعد يومين حضر إليه نقيبُ الجيش يأمره عن السلطان بالتوجه معه لباب الشافعى لسماع بَيِّنَـةِ قاسم بالإكراه ، فتوجَّـه وسمعها ، وأجاب بأنَّ لهُ دافعاً وخرج ليُبْـديه ، فلما كان بعد العصر من يوم الأحد سلخ الشهر المذكور حضر إليه « جانبك السَّيفى يَشبَك »⁽¹⁾ مِنْ « أزدمر » وأعلمه ببروز المرسوم بالتوجُّـه به لحبس أولى الجرائم بـ « باب الفتوح » وهو المسمَّى بالمقشرة ، لكون القاضى الشافعى أرسَل يخبر بأنه امتنع من الحضور ببابه لما طلبه ، ليعزر فيما قامت به البيِّـنة . ثم أخذه وذهب به إليها ، فبات بها ليلة الاثنين ، وكانت حادثة شنيعة ، ظهر من شيخنا مع شدة أذاه له ولولده التألم بسببها ، بل صرح كما سمعته منه بذلك من أجل ما تلبس به من المنصب الشريف . ثم فى يوم الاثنين صبيحتها وهو مستهلّ شعبان أخرج منها وذهب ماشياً حسب المرسوم / لباب الشافعى ، ثم ركِبَ مِنْ ١٢٥ هناك وركب الشافعىّ فى إثره ، فاجتمعا بـ « الصالحيـة » ، وانتظر العلاء القلقشندى وغيره من الشافعية المنصوص على حضورهم ، فلم يجىء أحد منهم ، فرجع القاضى واستمر السفطى فى الترسيم عليه بـ « قبـة الصالحيةِ » يومه وتلك الليلة ، ثم رسم بإطلاقه من الغد إلى بيته ، واعتماد حكم الحنفى له بصحة شرائه ولم يمْضِ بعد ذلك إلا اليسير من الأيام حتى برز المرسوم لقاضى الحنابلة بطلبه وسماع الدعوى عليه بالحمَّامين والفرن والدكاكين

=وقد أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ٦٢٩ هـ قنطرة على الخليج فى هـذه المنطقة عرفت « بقنطرة باب الخرق » لتسهل العبور إلى الميدان الذى عرف فيما بعد بميدان باب الخلق القاهرة القديمة للدكتوره سعاد ماهر عن (الخطط التوفيقية . ج ٣ : ١٢٧ ، والمقريزى . ج ٣ : ٢٣٩ .

(١) جاء رسمها فى الأصل : « جانى بك » وفى الضوء اللامع لم أجد « جانبك السيفى يشبك » وإنما الموجود : « جانبك السيفى اقبردى » « ج ١١ : ٥٥ وجانبك النورى الصيفى » ج ١١ : ٥٦ » و جانبك اليشبكى الجكمى » ج ١١ : ٦١ » وجانبك اليشبكى بن حيدر » ج ١١ : ٦٢ » أما الذى معنا فهو ابن أزدمر كما جاء فى النص .

التى بـ « حارة زويلة » لظهور أنه من أوقاف « الطيبرسية » حسبما وُجد فى مكتوب وَقْفِها المتصل الثبوت .

وأدّى ذلك إلى الأمر بعوده ثانياً إلى المقشرة ، ثم شفع فيه وبطل ، فلما كان فى يوم السبت سابع عشريه ادعى عليه بمجلس الحنبلى عند أحد نواب المالكية الناصرى بن المخلطة بذلك . وخرج على البيان للناقل عن الوقفية ، وآل الأمرُ فى مستهل رمضان إلى أن صالح جهة الوقف بألف دينار بعد أن زعم أن السلطان منع ابن المخلطة من سماع الدعوى فى هذه الكائنة .

ثم فى رابع الشهر المذكور ألبسه السلطان « كاملية » بـ « سمور » بعد أن بذل أربعة آلاف دينار — فيما قيل — ولزم بيته إلى أثناء العشر الأخير من شهر ربيع الأول من السنة التى تليها . فتغيّظ السلطان عليه بسبب ما بلغه من ظهور ورقة فى تركة « البدر بن التنسى » تدل على أن تحت يده للمذكور ستة عشر ألف دينار وديعة بعد حلفه أنه لم يملك شيئاً .

ورُسم بحملها لجملت ، ورام مقابلته على الإيمان التى حلفها ، وتكلم مع القضاة أول الشهر الذى يليه فى ذلك ، وخاف على نفسه ، واجتهد فى السعى لإرضاء السلطان بكل طريق ، حتى سكن . ولم يلبث إلا أياما حتى نم « النورى بن البرقى » عليه أن له عنده عشرة آلاف دينار وديعة ، فأخذها السلطان أيضاً ، وشقّ على الولوى الأمر فيها أكثر من غيرها . لكونه كان هو المبتدىء بالإعلام بها مع وثوقه به ، لما يظهره من تدينه وعقله ، وصار « السفطى » لا يفصح بل يلوح ، ولم يَنكفّ السطان مع ذلك كله عن توبيخه ، والحط عليه ، وتوعّده حتى يأخذ روحه ، بحيث خار طباعه ، ومع ذلك فيقال إنه تزوج فى تلك الليالى بكراً ، وافتضها ، واستمر فى التهديد والتخويف إلى أن أظهر « قاسم الكاشف » فى أوائل شهر رمضان حكما لبعض نواب الريف ، يناقض حكم قاضى الحنفية ، فتألم القاضى الحنفى من ذلك ، وبادر لعزل نفسه ، وصمم على عدم العود ، لما رأى من غرض السلطان لحنفى « الولوى » على نفسه فاختنق ، إلى أن أعيد

القاضى بعد مضى أيام بالغ فى التمنع فيها ، وعقد مجلس بين يدى السلطان فى أول النصف/الثانى من الشهر ، وظهر السفطى حينئذ وحضر المجلس ، لكنه ١٢٦ لم يتحرر أمر ، واختفى السفطى من ثم أيضا فلم يُعلم محله .

وقُرر الولوىّ الأسيوطى[1] فى مشيخة الجمالية ، والتقى الحصنى[2] ، فى تدريس التفسير بها ، كلاهما عوضاً عنه ونودى بتهديد من أخفاه ووعد من أحضره بمائة دينار وأقام فى اختفائه نحو ثمانية أشهر ، ويقال إنه ... ن بعض الترب وصرح هو بخلافه وإنه كان ربما يشهد بعض الجماعات وأتى فى مدة اختفائه على محافيظه فى الصغر فاستظهر حفظها ، ولما بلغه نكبة « أبى الخير النحاس » ظهر وصعد إلى السلطان فأكرمه ، وعاد إلى وظيفة « الجمالية » ووعده السلطان بكل جميل ، وهرع الناس إليه فأحسن تلقيهم ، والتودد إليهم ، واستجلاب خواطرهم ، خصوصاً من يعرف انتسابه لشيخنا ، حتى إنه بالغ فى ذلك معى والتزمنى وكان هو قبل وفاة شيخنا حضر لعيادته بعد أن أرسل يستأذن فيها ، فلما جاء قصد باب المجلس المقابل للإيوان الذى به شيخنا ، لعلمه بأن أم أولاده فيه ، وحسر عن رأسه وصار يبكى وينتحب إلى غير ذلك مما يؤذن بالندم والرجوع والاستغفار ، ولم يلبث بعد وعد السلطان له أن مات ، وذلك فى يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة سنة أربع ، بعد أن مرض يوماً واحداً ، وصلى عليه من الغد فى الأزهر ودُفن عند أقربائه وأسلافه بتربة صارت معروفة به بين باب « البرقية »[3] وباب الوزير ، تجاه « تربة[4] قلمطاى » .

---

(١) الأسيوطى : نسبة لأسيوط بضم الهمزة مدينة بالصعيد .
(الضوء اللامع ج : ١١ : ٨٤) .

(٢) التقى الحصنى : نسبة لقرية من قرى حوران .
الضوء اللامع (ج ١١ : ١٩٨)

(٣) باب البرقية : هو أحد أبواب السور الشرقى الذى أقامه جوهر الصقلى للقاهرة حين أنشأها سنة ٣٥٨ هـ ، وقد أخذ هذا الباب اسمه من نسبة إلى جماعة من الجنود أتوا من برقة مع جيش جوهر فى حملته لفتح مصر ، ويبدو من خريطة الحملة الفرنسية أنه يقع الآن تحت تلال البرقية المقابلة لشارع الدراسة الآن .
(المقريزى ج ٢ : ٢٠٩ — ٢١٤) .
(النجوم الزاهرة ج٤ : ٣٨ — ٣٩)

(٤) قلطماي : هو الأمير سيف الدين قلطماي بن عبد الله العثماني الظاهري الدوادار =

وأرجو له الانتفاع بما صنع به لا سيما وقد كان مديماً للتلاوة ، حريصاً على التعبد ، والصيام والتهجد ، راغباً فى إحياء ليالى شهر رمضان بـ « الجامع الأزهر » بركعتين يقرأ فيهما القرآن كله فى كل ليلة ، مع التضرع إلى الله ، وكثرة البكاء ، والتعفف عن القاذورات ، والقروح ، لا ينبذ بشىء من ذلك ، محباً فى إغاثة الملهوف ، والميل لمساعدة الفقراء والطلبة بجاهه ، بحيث جرت على يده مبرات ، منها : تجهيز خمسة من العميان فى كل سنة لقضاء فريضة الحج بمائة دينار ، كل ذلك مع الفصاحة ، وطلاقة العبارة ، وقوة الحافظة ، حتى إنه لما استقر فى تدريس الشافعى صار يحفظ محل الدرس من « الحاوى » للماوردى ، ويؤديه أحسن تأدية ، وبقصد الانتفاع لذاته فزاحم الفُضَلاءُ فى حضور درسه ببيته وغيره ، وقرىء عنده فى « الكشاف » وقرأت عليه الجزء الثامن من « الغيلانيات » فى مجلسين ، ثانيهما يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة إحدى وخمسين ، وسر بذلك بل حدث بالكثير ، وكان الشيخ « جلال الدين الأمانة » — أيده الله تعالى — هو قارىء الحديث عنده ، ولذلك قرره فى القراءة بالقلعة بعد عزله للبُقاعى ، وقوله : يا إبراهيم ؛ أنت محتاج إلى من يُنعّمُك . واقتضى هذا الصنيع أن البقاعى رغم أنه مشهور . / فى سفط بابن خفير السماء ، وقال: كأنه ن ينظر إلى فوق لعيب فى عينيه . وبابن الطراق لأنه كان يسوم ما يؤكل ويأخذ منه كأنه يذوقه ، فيأكل ما أخذ ، ثم يظهر أنه غال ، فلايزال كذلك حتى يشبع ولا يشترى شيئاً ، ووصفه بالكذب ، وبكل قبيح ، وما أراد وجه الله بشىء من ذلك ، مع اختلاقه وكونه حراما لو صح ولهذا صار كلامه فى حيز العدم لمقاصده وعدم إخلاصه ، بحيث أنشدنى سبط صاحب الترجمة .

١٢٧

إن البُقاعِىّ البذّى بفحشه ولكذبه ومحاله وعقوقه
لو قال إنّ الشمس تظهر فى السما وقفَتْ ذَوو الألبابِ عن تصديقه

= الكبير . توفى بالديار المصرية فى ليلة السبت ١٢ جمادى الأولى سنة ٨٠٠ هـ .
(النجوم الزاهرة ج ١٢ : ١٣٦٣) . ط . دار الكتب .

تاج الدين*

محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن ، السلمى المناوى الشافعى

مات ٧٦٥ هـ

محمد بن إسحاق بن ابراهيم بن عبد الرحمن ، القاضى تاج الدين السلمى المناوى الشافعى ، أغفله شيخنا مع كونه حكى فى الأصل فى ترجمة « العز عبد العزيز بن البدر محمد بن جماعة » ؛ أنه لما عزم على الحجّ فى شهر رجب سنة أربع وخمسين . استأذن على السلطان بعد فَرَاغه من صَلاةِ الجمعة وأعلمه بأنه عزم على الحجّ والمجاورة ، وساعده « شيخون » حتى أذن له السلطان ، لكنه قال له : فعيّن لنا مَنْ يصلح للمنصب . فأشار إلى صاحب الترجمة ، وأطراه ، ووصفه بالخير ، والقيام بأمور المنْصِب ، فأعفاهُ السُلطان ، وقرّرَ تاج الدين مع أنه لم يكن حاضراً معه فى هذا المجلس ، وفارق المجلس .

فلما حضر التاج عند العز ، عرّفه أن السلطان ولاّه ، فأظهر التمنُّعَ فألزمه بالقبول فقبل ، واشتهر ذلك ، فبادر رفقاؤه بقية القضاة إلى الاجتماع بشيخون ، وسؤالهم فى عدم ترْكِ العلم ، لما يترتب على ذلك من الأساس ، وآل الأمر إلى استقرار « عز الدين » على حاله ، واستنابة التاج عنه فى غيبته إلى أن يجىء ، وكذا حكاه فى ترجمته من « الدرر » فقال : واستقل — يعنى التاج — بالقضاء يوماً واحداً ، بسؤالِ « ابن جماعة » بعد استعفائه ، فأعفى وَوُلِّى هذا ، ثم قام جماعة من الدولة ، حتى أعيد عز الدين وصار تاج الدين إلى حاله الأول ونحوه ، فولى الولى العراقى فى ذيله ، واستقل بقضاء القضاة بالديار المصرية مدة لطيفة ، انتهى .

---

* المناوى : هو محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن تاج الدين المناوى ، الشافعى ، تولى قضاء العسكر ، وتدريس فقه الشافعى . وهو ابن أخ القاضى ضياء الدين محمد ابن إبراهيم المناوى . مات سنة ٧٦٥ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ١٩٩) .

وكان التاج ، محمود الخصال ، مشكور السيرة ، مهاباً صارماً ، لكنه قليل البضاعة فى العلوم مع صرامته فى القضايا ، والعمل بالحق ، والنصرة للعدل ، والدربة بالأحكام ، والاعتناء بالمستحقين من أهل العلم وغيرهم .

ولما مات عمه الضياء محمد بن ابراهيم استقرَّ بعناية « العز بن جماعة » فى تدريس « الشافعى » فنازعه فيه « الشمس[1] بن اللبان » حتى انتزعه منه ، وكذا درس « بالمشهد الحسينى » وَوَلى قضاءَ « العسكر » ، ووكالة الخاص ، وألقى إليه العز بن جماعة فى غالب أيامه مقاليد الأمور كلها ، حتى فى الأقاليم ، بحيث لم يكن للعز سوى الاسم ، ولما / مات تاج الدين اختل الأمر على عز الدين ، وطلب الإعفاء ، وكانت وفاته فى سادس شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة بالقاهرة . ١٢٨

وقد سمع الحديث على « الحجار » ، و « ست الوزراء »[2] وغيرهما ، وتفَقَّه وبرَع وأعادَ ودرس ، وحكم وحدّث ، سمع منه الفضلاء ، وممن [سمع][3] منه الولى العراقى ، وأثنى عليه « الأسنوى »[4] فى طبقاته ، وكذا قال الولى العراقى : كان من قضاةِ العدل ، صارماً مصححاً فى الحق عارفاً بالأحكام ذا حرمة وافرة ووقار ، وقيام فى الحق واعتناءٍ بأهلِ العلم والمستحقين .

---

(١) الشمس بن اللبان : هو شمس الدين ، محمد بن أحمد الدمشقى ، ثم المصرى ، كان عارفاً بالفقه والأصلين والعربية ، أديباً شاعراً ، ولد بدمشق ، ثم قدم الديار المصرية ، ولى تدريس الشافعى واختصر « الروضة » ، ورتب « الأم » . مات سنة ٧٤٩ هـ (حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٠٠) .

(٢) ست الوزراء : هى ابنة الشرف موسى بن مخاطة سبطة العلمى شاكر بن الجعان ، وزوج حفيده الشرفى يحيى بن الجيعان وأم أولاده ، كانت مفرطة السمنه ، عزيزة عند أهلها وأقاربها . وهى ممن حجت وزارت ، وتوسل بهـا فى مآرب . وماتت فى ذى الحجة سنة ٨٩٨ هـ .

(الضوء اللامع (ج ١١ : ٥٩ ، ١٣٣) .

(٣) فى الأصل : « سوى » . والسياق يقتضى : « سمع منه » .

(٤) الاسنوى : ورد فى الضوء اللامع تحت : « الأسنائى » بفتح الهمزة ، نسبة إلى إسنا من الصعيد ، ويقال له الاسنوى أيضاً .

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٤) .

القاضى حسام الدين

محمد بن أبى بكر بن حريز المالكى ، المعروف بابن التنسى

٨٠٤ — ٨٧٣ هـ

محمد بن أبى بكر بن محمد بن حُرَيْز — وباقى نسبه مضى فى أخيه عمر — القاضى حسام الدين أبو عبد الله الحسينى المغربى الأصل الطهطاوى[١] المنفلوطى المصرى المالكى ، عرف بابن حُريز[٢] ، ولد فى العشر الأخير من شهر رمضان سنة أربع وثمانمائة « بمنفلوط » . وانتقل منها وهو صغير مع أبيه إلى « القاهرة » ، فقرأ القرآن بها على الشريف « جمال الدين ابن الإمام الحسينى »[٣] ، وتلاهُ بِرِواية « أبى عمرو » من طريق الدورى على « الجمال يوسف المنفلوطى »[٤] أحد تلامذة جدّه الأعلى « أبى القسم » المذكور بالإمامة فى القراءات وغيرها ، كما سَلف فى أخيه « عمر » ، ثم على « الشهاب بن البابا »[٥] ، و « الشهاب الهيثمى »[٦] ، وتلاه بعد ذلك وهو كبير فى مجاورته بمكة بالسّبع إفراداً[٧] وجمعاً ، على الشيخ « محمد

---

(١) الطهطاوى : فى الأصل ورد : « الطمطاى » وما أثبتناه من الضوء اللامع . انظر الترجمة فى الضوء اللامع .

(٢) حريز : بضم المهملة ، ثم راء مفتوحة ، وآخره زاى . والضبط من الضوء اللامع : انظر الترجمة هناك . (ج : ٧ : ١٥٠) .

(٣) فى الضوء اللامع من الترجمة : « الحسنى » .

(٤) المنفلوطى : هو يوسف الجمال المنفلوطى ، أخذ القراءات عن الشريف أبى القسم ابن حريز ، تلا عليه لأبى عمرو من طريق الدورى خاصة لحسام بن حريز .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٣٣٩) :

(٥) ابن البابا : هو أحمد بن البابا ، تميز فى القراءات .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٢٥٤) .

(٦) الهيثمى : انظر . (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٣٣) .

(٧) فى الأصل : « فرداً » .

الكيلانى » أحد أصحاب « الشمس بن الجزرى » ، ابتدأ عليه فى عاشر المحرم سنة ثمان وأربعين ، وختم فى رابع ذى الحجة منها ، وحفظ قبل ذلك « العمدة » و « الشاطبية » و « الرسالة » و « الألفية » وعرضها على « الجمال الأقفهسى » و « البدر الدماميني » ، و « الشمس البساطى » ، وابن عمه القاضى « جمال الدين » ، و « الشمس بن عمار » ، و « الولى العراقى » ، و « العز بن جماعة » ، و « الجلال البُلقينى » ، و « الشمس » و « المجد » البرماويين ، وشيخنا ، و « التّلوانى » وآخرين .

وتفقّه بـ « الزين عبادة » ، قرأ عليه « الرسالة » مرّتين ، وصل فى الثانية إلى الوصايا ، وربع العبادات فقط من « ابن الحاجب » ، و « الرسالة » فقط على « الشمس الغمارى المغربى » نزيل الصَّرْغتمشية ، وكذا أخذ عن « الشمس البساطى » وغيرهم .

وسمع على « الولى العراقى » بعض « الصحيح » ، وعلى « الزين بن عياش » بـ « مكة » و « صحيح مسلم » ، و « السنن لأبى داود » وعلى « البدر حسين الأهدل »[١] بقراءته « الشفاء » ، وبقراءة القاضى « فتح الدين بن سويد » « الموطأ » على « الشرف أبى الفتح المراغى » بقراءة « ابن سويد » أيضا « الشفاء » ، كل ذلك فى مجاورته الماضى بعينها .

وكان حجّ قبل ذلك فى سنة اثنتين وعشرين ، وولى قضاء « منفلوط » عن شيخنا فمَنْ بعده ، وأورد شيخنا فى حوادث سنة اثنتين وأربعين : أن القاضى « بهاء الدين الإخناى » ، حكم بحضرة مُسْتنيبه بقتل بَخشباى الأرمنى[٢] حدًّا لكونه لعن أجداد صاحب الترجمة ، بعد أن قال له : أنا شريف وجدّى الحسن « ابن فاطمة » ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . واتصل ذلك بقاضى / « الإسكندرية » فأعذر ، ثم ضربت عنقه . ١٢٩

---

(١) الأهدل : هو حسين بن صديق بن حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن على بن أبى بكر بن الشيخ الكبير على الأهدل البدر أبو محمد حفيد شيخنا البدر الحسينى اليمانى ، الشافعى ، ويعرف بابن الأهدل . ولد سنة ٨٥٠ هـ . الضوء اللامع (ج ٣ : ١٤٤)

(٢) فى الضوء اللامع : « بخشباى الأشرف » .

ولازَمَ القاضى « حسام الدين » المطالعة فى كتب « الفقه » و « التفسير » و « الحديث » و « التاريخ » و « الأدب » ، حتى صار يستحضرُ جملة مستكثرة من ذلك كله ، ويُذاكر بها مذاكرة جيِّدة ، مع سُرعة الإدراك والفصاحة ، والبشاشة ، والحياء ، والشهامة ، والبذل لسائليه وغيرهم ، والقيام مع من يقصده فى مُهماته ، واقتناء الكتب النفيسة ، والتبسُّط فى أنواع المآكل ونحوها ، والقيام بما يصلح معيشته ، من زَرْع الغلال والقصب ، وطبخ السكر وغير ذلك .

وحمد الناسُ معاملته فى صِدْق اللهجة ، والسماح وحُسْن الوفاء ، حتى رغب ذَوُو الأموال فى معاملاته . وممن كان يتردَّدَ إليه من مشايخنا لمزيد إحسانه وإكرامه : السيد النسابة ، وربما سمع « الحسام » عليه بعض « النسائى الكبير » بل استكتبه ليسمعه بتمامه فما تيسر ، و « الزين البوتيجى » . وكان يحكى من كرامات بعض سلفه « الحسام » شيئاً كثيراً ولم يزل دأبه ما حكيناه إلى أن مات القاضى « ولى الدين السنباطى » فى ليلة الجمعة تاسع شهر رجب ، سنة إحدى وستين ، والتمس مَنْ يصلح للاستقرار بعده فى قضاء المالكية . وتطاول لذلك غير واحد ، فاقتضى رأى « الجمالى » ناظر الخاص استقراره به فيه لما علمه من رئاسته وشهامته ، وأرسل كلا من القاضى الشافعى « ابن البلقينى » والقاضى الحنفى « ابن الدَّيرى » فى الثناء عليه عند السلطان ، واستحقاقه له ففعلا ، واستقرَّ فى يوم الأحد ثانى عشر الشهر المذكور .

وركب فى أُبهةٍ وخفر ، وفرح الناس به لاسيما رفقته من بقية المذاهب لما وقر عندهم من حشمته ومحاسنه الجمة ، وحينئذ باشره بعفة ونزاهة ، وشهامة مفرطة . وقيام بأعباء جماعةِ مذهبه ، والإنعام عليهم بأنواع من الإكرام ، فَاجتَمع شملهم بوجوده ، وبلغ كلهم فيما يؤمله غاية مقصوده ، ومنعهم من تعاطى الأخذ على الأحكام ، وأكّد على من لم يثق به منهم فى ذلك التأكيد التام ، حتى بالأيمان ونحوها .

ولزم الاختصاص به من أعيانهم « البدر ابن المخلِّطة » وقرأ عنده فى

« المدارك » لـ « القاضى عياض » ، وفى « الجواهر لابن شاس » وغيرهما ، واستناب فى بعض الأوقات فى تداريسه أعيان المذهب ، قَصْدَ البِرّ بهم ، ففى المنصُوريّة » الشيخ « يحيى العلمى » ، وفى « الناصرية » « نور الدين السنهورى » وفى « الصالحية » الشيخ « نور الدين الوراق »[1] ، وتزاحم عليه الفضلاء من سائر أرباب المذاهب ، وممن تردَّد إليه « الشهاب بن صالح » — أحد نوادر أئمة الأدب .

وسمعتُ حينئذ قاضى المذهب الحنبلى ، وناهيك بذلك مِنْ مثله يقول : إن الشجاعى لاينهض أن يُغرب عليه فى فنه إشارةً إلى [مَلاءة الحسام][2] وتقدمه فى جودة محاضرته ، وكذا كان « الشهاب ابن أسد » — شيخ القرّاء فى وقته — ممن تردد إليه / .

١٣٠

وقد صحبته قبل استقراره فى المنصب ، وساعدنى فى بعض القضايا ، وكان يُجلّنى ، وسمع مِنْ لفظى بعض تصانيفى ، بحضرة الإمام « الزين البُوتيجى » ، وتفضّل هو بسؤالى فى الإذن له بالإجازة ، وكتب القاضى خطه بما يشهد لهذا ، ولما استقر التمس منى إسناده ، بالبخارى ، ونحوه ، فخرجت له جزءاً فيه أسانيد كثير من الكتب الحديثية والعلمية فسُرّ بذلك ، ورغب إلىَّ فى تبييض ما علم أنى جمعته من طبقات المالكية ، والمرور عليه عنده ، فعاق عنه بعض الشواغل ، وكذا رغب فى قراءة « الجامع للترمذى » عنده فى رمضان ففعلت ، وحرص على المداومة على ذلك ، فثقلت علىّ الحركة بسبب ذلك ، خصوصا فى شهر الصوم ، فبادر صاحبنا « الشمس بن الفالاتى » لذلك ، وانتهز الفرصة ، فلم يزَلْ يقرأ عنده حتى مات ، واقتصر بآخره عليه ، بعد أن كان يقرأ عنده الثلاثة فأكثر ، ويُنعم على القراء بالخِلعَ والجوائز . وغير ذلك فى الضحايا وغيرها ، بل ويصرف على جميع مَنْ يحضر عنده يوم الختم دراهم متفاوتة على قَدْرِ منازلهم .

ولما مات يحيى العجيسى استقر فى تدريس « الشيخونية » ، ثم لما مات

---

(١) الوراق : انظر الضوء اللامع (ج ٥ : ٢١٠) .

(٢) فى الأصل : « ملآنة » والعبارة التى أثبتناها من الضوء اللامع . انظر الترجمة :

ولده استقر فى تدريس « جامع طولون » ، وباشر التدريس فيهما ، وكذا درس « بالمؤيدية » نيابة عن ولد صاحبه البدر بن المخلّطة ، بعد وفاة والده، وفى سلخ المحرم سنة ثلاث وستين لبس خلعة الاستمرار بسبب [؟] (١)

ولم يزل على جلالته ، وعلوّ مكانته ، فى جميع ما أشرت إليه حتى حصل بينه وبين « العلاء بن الأهناسىّ » (٢) الوزير ما يقتضى الاستيحاش ، فقام فى مُعاونة « الشّرف يحي بن صَنيعَه (٣) — أحد الكتاب . حتى استقرّ عوضه فى الوزارة فى ربيع الآخر سنة ست وستين ، بعد أن رسم بالقبض على « ابن الإهناسى » وهو بالوَجه القبلى فى الصعيد ، ولزم من ذلك قيامه معه خوفا من حصول خلل يعودُ اللوم عليه بسببه ، حتى يقال إنه تكلف فى تلك الحادثة نحو ثلاثين ألف دينار ، فتزايدت ديونه بسبب ذلك ، وطمع فيه أربابُ الدّولة ، وأدى ذلك إلى انحطاط جَانبه ، وهو مع ذلك لا يَنفكّ عن التجمل جهده ، وإظهار الجلد والصبر لمن يجىء عنده، إلى أن كاد الأمر أن يتفاقم ، فلطف الله به ، ومات فى ليلة الاثنين مستهل سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، بمنزله « بمصر » وصلى عليه من الغد بـ « جامع عمرو » ، فقدم للصّلاة عليه أخوه « السراج عمر الماضى » ، ودفن بتربة جدّه من قبَلِ أُمِّه الشيخ « محمد الهلالى العُريان » ، بجوار « تربة الشيخ أبى العباس الجرار » ، من القرافة الكبرى عند أولاده .

واستقر أخوه فى المنصب بعده ، ولم يتعرض لوظيفة « الشيخونية » و « جامع طولون » كما سلف ، وقد قَتَل بسيف الشّرع جماعة من المفسدين

---

(١) بياض بالأصل بمقدار كلمة .

(٢) الأهناسى : بفتح الهمزة وسكون الهاء ، وآخره مهملة ، بلدة بصعيد مصر ... والعلاء على بن الشمس محمد بن أبى بكر بن محمد بن حسين . مات سنة ٨٦٨ هـ
الضوء اللامع (ج ١١ : ١٨٦)
» » (ج ٥ : ٢٩٦)

(٣) ابن صنيعة : بفتح ثم كسر ، الشرف يحي بن الوزير — وهو يحي الشرف ، القبطى ، القاهرى ، ويعرف بابن صنيعة . ممن خدم بالكتابة ، ثم ترقى بسفارة الحسام ابن حريز للوزارة عوضاً عن العلاء بن الأهناسى . مات سنة ٨٨٢ هـ .
الضوء اللامع (ج ١٠ : ٢٦٨)
» » (ج ١١ : ٢٥٥)

منهم حمزة بن غيث بن نضير ، — أحد مشايخ العُرْبان — أبوه « بالغربية » و « منصور بن صَفى الأستادار » ، وما خلا عن عتب فى بعضهم جَرْيًا على عادة الناس فى اختلاف أغراضهم ، وكان مُتقحماً على قتل ابن بكير القبطى ، فكفّه عنه بعض الحنابلة — العز الكنانى — كما سلف فى ترجمته .

١٣١

ورفعت إليه شخصاً ممن يتجاهر بتعظيم « ابن عربى » ، وتقبيح مَنْ يقبحه ، فبادر إلى الأمر بالانتقام منه ، فما وَسِعَهُ إلا إقامة البينة بما يقتضى الجنون ، فأودعه « البيمارستان » ، ثم أُطلق بعد موته — رحمه الله وإيانا .

محمد بن عبد الرحمن البلقينى*

٧٨٧ هـ — ٨٥٥ هـ

محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير ، القاضى تاج الدين أبو سلمة ، ابن قاضى القضاة جلال الدين أبى الفضل ، ابن شيخ الإسلام السراج أبى حفص الكنانى البُلقينى القاهرى ، الشافعى ، ابن أخى القاضى علم الدين الماضى . والد البدر أبى السعادات الآتى :

ولد فى نصف ذى القعدة سنة سبع وثمانين وسبعمائة « بالقاهرة » ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن و « العمدة » ، و « المنهاج » ، و « الألفية النحوية » وعرض « العمدة » على جدّه [و][1] الزين العراقىّ وغيرهما ، وسمع على والده وجده « والجمال بن الشرائحى » ، وغيرهم ، وأجازت له « عائشة ابنة ابن عبد الهادى[2] وخلق ، باستدعاء شيخنا « أبى النعيم » ، وقرأ فى « الفقه » على والده ، وفى « النحو » على « الشَّطَنُوفى »[3] أخذ عنه

(*) البلقينى : انظر ترجمته فى الضوء اللامع (ج ٧ : ٢٩٤)

(١) ما بين المعقوفين من الضوء اللامع ، وهى زيادة يقتضيها السياق .

(٢) عائشة ابنة ابن عبد الهادى : هى ابنة محمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام ، أم محمد القرشى العمرى ، المقدسى ، ولدت سنة ٧٢٣ هـ وماتت سنة ٨١٦ هـ

الضوء اللامع (ج ١٢ : ٨١)

(٣) الشطنوفى : بفتحتين ، ثم نون . والضبط من الضوء اللامع (ج ١١ : ٢١٠)

غالب « شرح الألفية لابن عقيل » ، ووصفه بخطه بهامشه فى « البلاغ »
« بالشيخ الإمام العلاّمة » ، وقال : إنها قراءةُ بحثٍ وتحقيق ، وأملَى
عليه شرحاً له على الأصل ، انتهى فيه إلى أثناء[1] الإضافة ، وناب عن أبيه
فى القضاء واستخلفه فيه حين توجّـه صحبة المؤيد ، بمقتضى مرسوم شريف
كتب عليه بالامتثال بقية القضاة .

ورغب له فى ولايته الثانية ، بعد وفاة جدّه ، عن قضاء العسكر ،
بل كان هو القائم بِحَمْلِ أعباء المنصب فى غالب ولاياته . وحُمدت سيرته
فى ذلك كله ، خصوصاً فى خلافته لأبيه ، وصارت كتبُ مَنْ تخلّف عن
العسكر من الأعيان بالثَّنَاءِ عليه ، ولأجله أدخلته فى هذا « الذيل » .
وكذا رأيتُ شيخنا وغيره وصفه فى إجازة ولده العلاء بقاضى القضاة .
وبلغنى أنه ناب عنه فى الخطابة بـ « جامع القلعة » أيضا على ماتحرر ، نعم
خطب بجامع الحوش بها جزما ، ورغب له والده أيضا عن تدريس
« مدرسة الجاى[2] بسويقة العزى » وعن التدريس « بالآثار[3] » .

واشترك بعد موته مع أخيه فى تدريس التفسير « بالجامع الطولونى » ،

---

(١) ما بين المعقوفتين من الضوء اللامع ، وهى زيادة يقتضيها السياق .

(٢) مدرسة الجاى :

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل ، كان موضعها مقبرة . وتعرف بسويقة العزى ، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين الجاى بن عبد الله اليوسفى سنة ٧٦٨ هـ ورتب بها درساً للفقهاء الشافعية ، ودرساً للفقهاء الحنفية ، وخزانة كتب ويعرف الآن « بجامع الجائى » .

الخطط للمقريزى (ج ٢ : ٣٩٩)

« التوفيقية (ج ٣ : ١٠٥)

(٣) الآثار (رباط الآثار) . يقصد المؤلف « رباط الآثار » بالقرب من بركة الجيش الذى عمر الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا ، وفيه قطعة خشب وحديد وأشياء أخرى من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان الصاحب المذكور قد اشتراها بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى ابراهيم أهل ينبع الذين ذكروا أنهم لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وحملها إلى هذا الرباط ، وهى به إلى اليوم (أى زمن السيوطى) . وقد مات مؤسس هذا الرباط الصاحب تاج الدين سنة ٧٠٧ هـ .

حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٦٤

والخطط التوفيقية ج ٦ : ٥٢

ونظر « وقف السَّيْفى » و « الطقجى » ، واستقل هو بالنظر فى وقفى « يَنْلبك الخازندارى » و « أتابك العزّى وغير ذلك .

ولما مات والده عُرض عليه قضاء الشافعية وشافهه « الأشرف » بذلك فأبى ، بل انقطع حينئذ عن التهنئة بالشهر ، خوفا من إلزامه بذلك . وكان يقول : ينبغى ألا يتكلم فى القضاء إلاّ مَنْ يكون معه مايطلب منه عند الاستقرار ، ومثله فى حاصله / لدفع من لعله يساعيه ومثله يديره فى يده ، أما غير ذلك فلا . ١٣٢

وَحجّ مرارا ، وجاور فى الرَّجبيَّة ، ودخل الشام وحلب مع والده ، ولم يتيسر له زيارة « بيت المقدس » ، وكان يتمنَاها ، وكذا كان يودُّ دخولَ « دمياط » وكان إنسانا دَيِّناً ، صَادق اللَّهْجة ، حَسَن المعَامَلَة ، ذا دُرْبَة تَامَّة لمنصب القضاء ، بحيث كان شيخنا فَمَنْ دونه مِمَّن يَعْتَمدونه ، بل حكَّم شيخنا بينه وبين « القاياتى » بما قطع التنازع بينهما بسببه ، والتمس منه « السَّفْطى » — وكان قد تزوج إحدى بناته وقتاً — التوجُّه للمناوآت ليسجلها وُثُوقاً بحسن تصرّفه ، وَجوْدَة رأيه ، هذا كله مع انجماعه عن بنى الدنيا جملة ، وملازمته لبيته لاينفكّ عنه لنزهة ولا غيرها . أثنى عليه ولده فقال . كان فقيه النفس ، حسن التصور سريع الإدراك ، كاشفا عن كثير مما يعرض لى فى دروسى أيام الطلب من إشكال ونحوه بأول نظر ، انتهى .

وقد عرضت عليه محفوظاتى ، وسمعت عليه « جزء ابن شاهد الجيش » فى يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى سنة تسع وأربعين بإجازته ، إن لم يكن سماعا من جده ، ولم يزل على طريقته حتى مات فى ليلة السبت سابع عشرى شهر رمضان سنة خمس وخمسين وثمانمائة بعد أن تعلّل مدة ، ودفن بالزاوية المعروفة بزوجته بالقرب من « باب القوس » ، وخلّف مالا جماً ، وأنجب أولاداً كان الله لهم ، وهو الذى عناه شيخنا بقوله الذى أنشدناه غير مرة :

مات جلال الدين قالوا ابنه يخلُفُه فى الحكم أو الأخ الكاشح
فقلت « تاج الدين » لا لائق لمنصب الحكم ولا صالح[1]

محمد بن عبيد الله الكريزى المصرى

مات ٢٦٠ هـ

محمد بن عبيد الله بن عبد العظيم ، أبو عبد الله القرشى الكريزى — بضم الكاف مصغر — البصرى الفقيه ، عم والد « إبراهيم بن محمد بن عبد الله » ابن عبيد الله » المذكور فى الأصل ، لم أره فى الأصل وقد وصفه « ابن حبان » حسب ذكره فى الطبقة الرابعة من ثقاته بما قوله : كان قاضياً على « ديار مصر » . وكذا قال « ابن نقطة » فى « تكملة الإكمال » : قاضى مصر » ، و« المزى » فى تهذيبه : القاضى بمصر ، و« الذهبى » فى « تاريخ مصر » : قاضى الديار المصرية ، قلت : لكن ما تحرر لى وقت ولايته نعم هو إمام ثقة ، روى عن « أبى عاصم النبيل » و « على بن المدينى » « وابراهيم ابن زياد سبلان » ، وجماعة

روى عنه « عبد الله ابن الإمام أحمد » و « النسائى » وقال : « لا بأس به » ، وآخرون ، قال « أبو على الحرانى » مات « بالرقة » سنة ستين ومائتين قال شيخنا : وفيها أرخه « أبو عروبة » وغيره انتهى ، زاد « ابن نقطة » فى آخر / ذى القعدة منها . وكذا أرخه « ابن حبان » فى ذى القعدة لكن من سنة خمسين والأول أكثر . ١٣٣

محمد بن عثمان الكرادى ، الحنفى

٧٨٠ هـ — ٨٦٣ هـ

محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن نوح ، القاضى محب الدين ابن الشيخ شرف الدين الكرادى الأصل — نسبة

---

(١) ورد البيت فى الضوء اللامع هكذا :
مات جلال الدين قالوا ابنه يخلفه أو فالأخ الكاشح
(*) محمد بن عثمان الكرادى الحنفى — انظر ترجمته فى الضوء اللامع (ج ٨ : ١٤٣)

لـ « كراد » بفتح الراء الخفيفة ، قبيلة من التركان — القرمى القاهرى الحنفى ، عرف بـ « ابن الأشقر » ، والأشقر لقب لوالده ، ونسبه « البدر بن العينى » تركمانيا ، والصواب ما تقدم .

وكان — أعنى والده — قد اشتغل ببلاده ثم قدم « القاهرة » فى دولة « الأشرف شعبان » فصحب « الظاهر برقوق » ، لسابق معرفة من بلاده معه ، فلما تأمر استنق به أمامه ، وتقدم فى سلطنته ، وولاه قضاء العسكر ، وتدريس الحديث بـ « المنصورية » ثم « مشيخة الخانقاه البيبرسيه » .

وكان حسن الهيئة[١] ، عالى الهمة ، مشاركاً فى الفضائل ، جيد المحاضرة ، مات فى غزه فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ، عن نحو من خمسين سنة ، بعد أن ترك أولاداً ، أنجبهم صاحب الترجمة .

وكان مولده على ما نقل عن شيخنا فى سنة ثمانين وسبعمائة . وقيل قبلها بالقاهرة « بزاوية أرغون الأقرم بالصوة[٢] » ويقال إن أمه كانت بَكْرِيَّه ، ونشأ بها فى كنف أبويه ، وسئل أبوه فى مرض موته أن يوصى بأولاده أحداً فقال :

[ينبغى لكل أحد ألا يكل أحداً من أعقابه وأنساله إلا إلى الله تعالى وهو خير الوارثين[٣]] والله لا أكلهم إلا إلى الله ، لأنى ماعاملت أحداً فى ولده إلا بخير ، والجزاء من جنس العمل . وقدر دخول «يشبك الناصرى[٤]

---

(١) ما ذكرناه هو ما جاء فى الأصل . ويصح أن تكون : « مات فى غرة شهر ربيع الآخر ... الخ » ... ويصح أن تكون : « مات فى غزة فى شهر ربيع .. الخ) ولم نعثر على مرجع حتى الآن .

(٢) الصوة : جاء فى النجوم الزاهرة (ج ١٢ : ١٦٣ س ٥) أن الصوة بالقرب من باب الوزير ... وجاء فى ص ١٨٦ من نفس المرجع : أن الصوة اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة فى الجهة الشمالية من قلعة القاهرة فيما بين القلعة وجامع الرفاعى — نقلا عن خطط المقريزى (ج ٢ : ٢١٣)

(٣) ما بين المعقوفين وارد بالهامش ، وهو كالتعليق .

(٤) يشبك الناصرى : هو يشبك الناصرى فرج . . خدم الأمراء بعد استاذه مدة ، ثم رده الظاهر « ططر » لبيت السلطان ، وعمله خاصكياً ، ثم أنعم عليه الظاهر جقمق بإمرة عشرة ثم صيره من رؤوس النوب ، ثم عمله المنصور من أمراء الطبلخاناه ، ثم صيره الأشرف اينال « رأس نوبة ثانى » حتى مات فى صفر سنة ٨٥٩ هـ .

الكبير » عليه حينئذ فأوصاه بهم ، فكانوا فى كفالته ، وكان يتفرس فى هذا من بينهم النجابة ، فلم تخب فراسته ، وحفظ القرآن وغيره ، واشتغل يسيراً ، وسمع على الزين العراقى ، كما سمعته من شيخنا كثيراً [كا][1] الصحيحين وكان هو يحكى — فيما بلغنى — أن سماعه لهما بمجلس « يشبك الكبير » ، وأن الشيخ لم يكن يجلس إلا على طهارة مكان ، إذا أحدث قطع القراءة إلى أن يتوضأ ، ثم يجيء فلا يسمح بالمشى على بسط الأمير ، بل يمشى على منديله إلى أن يصل مكانه .

وقرأت بخط صاحب الترجمة على بعض الاستدعاءات : سمعت بعض « صحيح البخارى » على الزين العراقى « بقراءة « الشهاب الأشمونى » فى سنة ثلاث وثمانمائة ، فالله أعلم .

وأجاز له بآخرة «الشمس ابن الجزرى» ، وذلك فى استدعاء لابن شيخنا مؤرخ سنة ثلاث وعشرين ، وخلق كثيرون فى استدعاء صاحبنا النجم ابن فهد[2] مؤرخ برجب سنة ست وثلاثين .

لا أطيل سردَ أحدٍ منهم ، ولا أشك أن له أشياء ، لكن ماوقفت على ذلك ، وقد كان شيخنا رام منى تخريج شيء له فما أمكن .

وأول ماتأهـل استقر به « يَشْبكَ » المذكور عنده فيما قيل إماما ، ورفع من جانبه إلى الغاية حتى كان لا يَرُدُّ له كَلاَماً ، فصار يقصد فى القضايا عنده ، فاشتهر ذكره ، ثم / جهزه إلى « مكة » و « اليمن » عقب موت الخواجا برهان الدين المحلى[3] التاجر الكبير عن « الناصر فرج » فى سنة

١٣٤

= الضبط من النجوم الزاهرة (ج ١٢ : ٧٥) — وما بين المعقوفين زيادة لا يقتضيها السياق .

(١) ما بين المعقوفتين وارد بالأصل ؟

(٢) ابن فهد : هو النجم الكبير محمد بن أبى الخير محمد بن محمد بن عبد الله .

الضوء اللامع ج ١١ : ٢٦٥

(٣) الخواجا برهان الدين المحلى : هو ابراهيم بن خليل بن ابراهيم بن موسى بن موسى برهان الدين المحلى الأصل ، السلمونى ، ثم القاهرى ، الشافعى . ولد سنة ٨٢٩ هـ .

الضوء اللامع (ج ١ : ٤٩ ، ١٢ : ٢٢٥) =

ست وثمانمائة ، نضبط موجوده ، وأحضر ولده معه ، فأقبلت عليه السعادة وتزوج ابنة الخواجا المذكور[1] ، فتزايدت وجاهته ، وناب فى القضاء عن قُضاةِ مذهبه : « ابن العديم » فمن بعده .

واتفق — فيما قيل — أنه كان مرة راكباً ومعه أخوته وهم غاية فى الجمال ، فعبث ببعضهم بعض المماليك ، فدافعه « المحب » عنه مرةً بعد أخرى ، وأدى ذلك إلى أن تلاطشا فذهبت عين ذلك المملوك ، فوقف به إخوته للسلطان ، فرسم بعقد ، مجلس وكاد قاضى الحنفية أن يقضى بالقصاص فعارضه « البلقينى » ، وبذل عنه « يشبك » المذكور ستمائة ناصرى .

وصار إخوة المملوك يتوقعون الفتك بى ، أخذاً لثأر أخيهم ، بزعمهم إلى أن رأوا منى قوة القلب والجأش والفروسية ، وخشوا من غائلة ذلك ، فكفوا .

ومن وثوق « يشبك » المذكور به ، أنه تسرّى فى وقت بجارية بديعة الجمال ، والتمس منه أن تكون عنده فى بيته فامتنع ، مراعاة لزوجته ، وأشار ببيت قريب منه ففعل ، فلم تلبث الزوجة أن علمت وجاءت بيته فلم ترها ، ففحصت حتى علمت بمحلها ، وآل الأمر إلى أن أخرجها الأمير من حوزته ، وسأل « المحب » بتزويجها فلم يوافق على ذلك ، فزوجها لشخص من مماليكه ، فبعد يسير قال الأميرُ « للمحب » : والله ما صار عندى أبغض من هذا المملوك ، وعرفت حسن عقلك فى امتناعك من قبول تزويجها .

ولما اشتهر فى دربته وتودته رغب له ابن أوحد — واسمه « شمس الدين محمد » خلافاً لما وقع فى تاريخ شيخنا فى موضعين حين مرافعة الصوفية فيه عن « مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس » ، الذى كان ابن أوحد تلقاها عن « الشمس القليوبى » بحكم وفاته بعد كونه كان خادماً فيها ، وكانت رغبة « ابن أوحد »

= والخواجا كلمة فارسية بمعنى السيد ، والتاجر ، والمعلم ، والحكيم ، والشيخ ، والفاضل والمالك ، والحاكم .

معجم الألفاظ الفارسية لمحمد موسى هنداوى : ١٣٨ .

(١) العبارة فى الضوء اللامع : « وتزوج أخته » ؛ أى أخت الخواجا .

لـ « المحب » فى شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة ، لمعرفة « ابن أوحد » كما قال شيخنا لمحبة الناس للنزول له . لحسن سياسته ، فأمضى له « يَلْبُغَا النّاصرى »[1] نائب غيبة[2] « النــاصر فرج » المتوفى سنة سبع عشرة النزول ، واستقرت قدم « المحب » فى « سرياقوس » ، وباشرها برياسة وحشمة ، وتودد وعقل ، وبَرَزَ بعد استقراره بيسير فى السنة [للقاء][3] المستعين بالله لكونه زوْج ابنةِ أُخرى لـ « البرهان المحلى » المذكور ، فتلقى بالإكرام والتّعظيم ، فتزايدت وجاهته ، وعلت مكانته وأضيف إليه فى الأيام الناصرية نظرُ « جامع عمرو »[4] ، واستمر معه إلى أن سافر « مع[5] الحج » مرّة ، فأُخرج عنه لكونه أُنْهِىَ إلى السلطان أنّه أخذَ مالَ الجامع فحج به ، فلما جاء وبلغه ذلك ، توجّه إلى الناظر المستقرِ عوَضَه ، وقال : بلغنى أنه أنهى كيت وكيت ، وأُحبُّ إرسال قاصِد معى للخلوتى « بالشيخونية » ليتسلم مال الجامع ، فقد أوْدَعْتُه بها قبل سَفَرِى ففعل ، وظهر بذلك كذب الإنهاء . ووصل علمه إلى السلطان فاستحسن / ذلك ووعده بتعويضه ١٣٥

---

(١) يلبغا الناصرى : هو يلبغا الناصرى ؛ نسبة لجالبه الظاهر برقوق الأتابك أصله من أعيان خاصكية أستاذه ، ثم قدمه الناصر ولده . ثم ولاه الحجوبية الكبرى ، ثم أصبح أمير مجلس فى عهد المؤيد ، ونقله إلى الأتابكية . مات سنة ٨١٧ هـ
(الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٩١) .

(٢) نائب غيبة : هو نائب السلطان ، أو نائب نائبه ، وله حرية التصرف فى الحكم .
(النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٢٢٧) عن صبح الأعشى للقلقشندى (ج ٤ : ١٧)

(٣) ورد فى الأصل : « بغطاء والتصويب من الضوءاللامع .

(٤) جامع عمرو : هو الجامع العتيق المشهور « بتاج الجوامع » بناه عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ . وقيل إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة ، وكانت مساحته عند بدء بنائه خمسين ذراعاً طولا فى عرض ثلاثين ، وأول من زاد فيه مسلمة بن مخلد سنة ٥٣ هـ . وبنى فيه أربع صوامع للاذان ، ثم زاد فيه عبد العزيز بن مروان سنة ٧٩ هـ . ثم قرة بن شريك سنة ٩٤ هـ . ثم توالت على مساحته الزيادة ، وعلى مبانيه عناية الولاة والسلاطين . إذ أعيد بناء الجامع فى القرن الثالث عشر الهجرى . والجامع منذ أنشأته ظل مكانا لحلقات الدرس والوعظ والإرشاد ، فبلغت حلقات الدرس فيه فى القرن الثامن الهجرى واحداً وأربعين حلقة :
(حسن المحاضره للسيوطى ج ٢ : ١٤٩ . والخطط للمقريزى)
« ج ٢ : ٢٥٦ » وجامع عمرو لمحمود أحمد باشا

(٥) فى الضوء اللامع : « للحج »

ثم استقرّ فى الأيّام « المؤيدية » فى نظر « دار الضّرب » بدون خلعة ، فأقام نحواً من سنة . وابتهج السلطان بما ضُرِبَ فى أيّامه ، وحجّ فى ايّامه أيضاً . وزارَ « بيت المقدس » ودخل « الشام » .

واتفق أن « المؤيّد » وهو « نظام » قال له مرةً : ما فعل صهرك ؟ — يعنى الخليفة — ثم كرَّرَ ذلك مرة أُخرى ، فقالَ له : أخت زوجته طالق ثلاثاً ، فانزعج « المؤيد » من ذلك وقال له : لأى شىء فعلت هذا ؟ فقال : للبعد عن هذه النسبة ، فلست أُحب الانتساب لمن تكون غير مائل إليه . أوكما قال : فعُدَّ ذلك من وفور عقله .

وتزوّج فى سنة ثمانى عشرة بعد ابنة « المحلّى » فرحة البكر إحدى بنات شيخنا . واستولدها ولداً مات صغيراً فى حياتهما ، وماتت الزوجة فى عصمته فى ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين بعد أن حجّتْ هى وأُختها الكبرى أم « الجمالى » السبط . وكانت حاملا به فى العام الذى قبله مع زوجها ووالدهما ، لكنهما أعنى الوالد والزوج لم يظهرا من « القاهرة » إلا بعد الركب بعشرة أيام وهما على الرّواحل ، فأدركا الركب بالقرب من « الحوراء »[1].

وكان — فيما بلغنى — أنه يحكى أن شيخنا كادَ يُقْتَلُ فى هذه السّفْرة غلطاً ، وذلك أنه كان يبعض المنازل وهو مُلثّم جالساً يكتب فجاء بدَوِىٌّ من خلفه فرفع السّيْفَ على رأسه ، وشيخُنا لا يشعر ، فبادَرْتُ وقبضْتُ على يده . وإذا به كان يتوهّمه التاجر « نور الدين الطنبذىّ »[2] قال : ومن ثمّ ألزمتُه ألا يُغطى وجْهَه .

---

(١) الحوراء : ؟

حورة : قرية بين الرقة وطرابلس

حورى : قرية عن دجيل

حوران : كورة بدمشق ، وماء بنجد ، وعين ببادية السماوة

القاموس المحيط

(٢) الطنبذى : نورا الدين على — ابن التاجر الشهير .

وهو على بن محمد ، النور ، بن الجلال الطنبذى المصرى ، انتهت إليه رئاسة التجار بالديار المصرية ، مات سنة ٨٣٦ هـ .

(الضوء اللامع ج ٦ : ٣٠)

ولما وصل إلى « الحوراء » ترافقا مع الركب من ثَمّ ، ورجعت الزوجة وهى متوعكة فماتت فتزوج بعدها أختها « رابعة » التى مات عنها « الشهاب ابن مكنون » فى ذى الحجة سنة ثلاثين ، فماتت عنده أيضاً سنة اثنتين وثلاثين ، وعُمل صداق كلٍّ منهما فى أُرجوزة . فكان مما يتعلق بالزوج فى الأولى .

وقد أراد الله جَمْعَ الشمل بين أُولى العلم وأهل الفضل ، فنذر الشيخ الإمام العالم العامل الكفء[1] المثيل ، الحاكم ، خليفة الحكم العزيز ، الحنفى ، فقه بطيب نشره ، وعرف شيخ الشيوخ « خانقاه الناصر » وهو « بسرياقوس » « خير ناصر » شيخ شيوخ عُربها والعجم ، ومن غدا مُرتفعاً كالعَلَم ، وهو محب الدين والعبادة ، وصاحب العُكاز والسَّجادة ، رأس المعالى ولسان الجلساء ، وعين أعيان الرؤساء شيخ الطريقة ، رأيه سَديد ، وكمْ وكمْ فينالة مريد .

هو اسمه « محمد » وفعله مثل ذلك . أصله علوّه بين الورى لا يختفى عن أحد ، لأنه ابن الشرف ، والده الشيخ العظيم الشأن . وصدر أقصى مجلس السلطان — « أى شرف الدين » اسمه « عثمان » وهو « أبو عمرو » — وله شأن يسبقُ الجود ، ولا يستنكر من سبقه فهو الجواد الأشقر ، أسعده الله وحيا سلفه رحمة منه وأبقى خلفه .

١٢٦ وفى الثانية قوله : / من رغبة الأنجب فيما أنه النخبة ، الرئيس عالى الهمة ربيب مهد السعد والسعادة ، والأصلِ والحشمةِ والسيادةِ ، صدر الصدور الكاملين الرؤساء ، وعين أعيان الكرام الجلساء ، القدوة المحقق الإمام العالم العامل الهمام ، شيخ الشيوخ السادة الصوفية ، السالكين الطرق المرضية بـ « خانقاه الناصر » سلطان . هى بـ « سرياقوس » ، دير الأمان ، « نائب حكم » ؛ الحنفى المذهب ، الصادق اللهجة ثم اللقب ، هو محبُ الدين ذو العقل السديد ، فكم له من قاصد ومن مريد . تسعى إليه الأمراء

(١) فى الأصل : « الكنوء »

والكبراء . للأغنياء ملجأ والفقراء . وباطنه بالخير ذاك مذكور ، وحبه النزيل غير منكور . مقدّمة الأخيار والعبّاد . وصاحب العُكاز والسجاد شيخ شيوخ العجم والأعارب ، محمد المحمود فى المآرب نعم الفتى . لباسه الفتوة ، وطبعه النخوة والمروءة . بحظوة عند الملوك وافرة ، وطلعة مشرقة زاهرة . ابن الإمام الشيخ ، نجل الصلحاء ، العارف الزكى فيما رُجح لدى السلطان مهابٌ محترمٌ معظم ، مُتصفٌ بذِى الهمم ، شرف دين الله « عثمان » اسمه ، معروفة عادته ورسمه ، السابق الجواد ما فيه مراء ، لأجل هذا لقبوه « الأشقرة » . أحبه الله وبالسعد حَبَاء ، ومن كلا الخيرين أعطاه مُناه .

وكان فى غيبته فى الحج وذلك فى سادس ذى الحجة سنة سبع وعشرين قام جماعة من صوفية « الخانقاه » وفيهم صَيرَفيُّها ويُسمى إبراهيم فاشتكوا عليه بعناية الناظر حينئذ وهو « تمراز الأعور » وكادت أن تخرج الوظيفة عنه . وعرضت على معظم المشايخ فما وافقوا ، غير أن « البدر العينى » حسّن أخذها لواحد ، يقال له : ابن الفافا ، ومع ذلك فما تمّ له أمر لكون ناظر الجيش الزينى عبد الباسط انتصر للمحب واستمهل السلطان فى إخراجها عنه حتى يرجع قائلا له : هو الآن « بالمسجد الحرام » يطوف ويقرأ ، ويدعو لمولانا السلطان فما يجازى بهذا . فسكن الأمر واتفق مجيئه قبل الحاج فصعد إلى السلطان وبين له كذب إنهائهم فيه ، فأُلبس خلعة ، ورجع على حاله هذا كله بعد أن كان « الشرف التبانى » عقب استقرار « المحب » فى المشيخة تكلم فى أهليته .

وبلغ « المحب » ذلك فحمله على الاستدعاء لمحقق العصر « الشمس البساطى » وذلك قبل دخوله فى القضاء الأكبر . وصار يأخذ عنه العلوم تارة بقراءة الجلالى المنّوى ، وتارة بقراءة غيره . وأحسن لكل من القراء والشيخ . وكذا استدعى بعد بـ « الشمس الشُّروانى »(١) فأسكنه عنده ، وصار يقرأ عليه فى

---

(١) الشروانى : نسبة لمدينة بناها أنو شروان محود باد ، فحذفوا أنو تخفيفاً . الشمس محمد بن مرهم الدين ، وقد سبقت الاشارة
الضوء اللامع ج ١١ : ٢٠٩

العقائد وغيرها . بل ربما قرأ عليه فى فقه مذهبه . ولم يزل القاضى « محب الدين » يترقى حتى استقر فى / كتابة السرّ بـ «الديار المصرية» فى يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين بعد صرف «الكمال ابن البارزى»[1] .

١٢٧

فلزم من ذلك أن استقر أكبر أولاده وهو الشهاب أحمد « فى مشيخة الخانقاه » عوضاً عن أبيه . واستمر إلى أن استعفى « المحب » يبذل مال عن كتابة السرّ . وتكرر استعفاؤه ، مرة بعد أخرى . وراسله السلطان يستخبره سراً إن كان الملجىء له لذلك مزاحمة ناظر الجيش ، وكونه على كتفك ، فأجاب بما حاصله : أنّ جميع ما هو فيه من فضل ناظر الجيش ، ولكن إنما الغرض الانجماع مع الشمول بنظر السلطان ؛ فانحرف .

واستدعى بـ « صلاح الدين محمد بن البدر حسن بن نصر الله » فأمره بتدوير عمامته وأقره فى الوظيفة بمال كثير وذلك فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة سنة أربعين واستمر ابنه فى المشيخة . ثم بعد أيام من استعفائه ، استدعى به السلطان فعاتبه ثم قرَرهُ فى نَظَر « الخانقاه السرياقوسية » عوَضاً عن « اقبغا[2] التركمانى » ، وكذا جعله ناظر جامعة هناك ؛ ولبس كاملية .

وكان السلطان صرّح لناظر الجيش حين عتبه على موافقته على عزله بأن السبب فى ذلك كونه يعرف كل فقيه ووَجيه ، فلا أتمكن من أجل وقوفه لغرض فيمن يرفع إلىّ منهم[3] إلا بعدم قَبُول شَفَاعته وهو عيب . فالعادة جارية بعدم ردّ شَفَاعَةِ أمير المؤمنين وأتابك العساكر وكاتب السرّ خصوصاً هذا ، أو نحو هذه المقالة فسكت ؛

---

(١) البارزى — سبق التعريف به

(٢) أقبغا التركمانى : هو أقبغا من مامش التركمانى الناصرى ، فرج ، ولاه الأشرف قايتباى إمرة عشرة ، ثم نظر الخانقاه بسرياقوس ، وولاه إمرة الحاج فى آخر سنى سلطنته . واستقر فى نيابة الكرك سنة ٨٤٣ هـ . فلم تطل مدته ، وقبض عليه لتعاطيه الخمر ، وسجن بقلعتها ، ثم أطلق . مات فى ذى القعدة سنة ٨٤٣ هـ .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٦٥)

(٣) وردت العبارة فى الأصل هكذا : « لغرض فيمن يرفع الى منهم

وكان « المحب » كما فهم غرض السلطان فى ذلك استعفى، ثم فى يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الثانى سنة اثنتين وأربعين استقر فى نظر « البيمارستان » بعد وفاة « النور بن مفلح » وكان ينوب عن المحب فيه أخوه « البدر حسين » ، حتى مات فى سنة سبع وأربعين .

ثم فى أول دولة « الظاهر » فى سنة اثنتين وأربعين استقر فى نظر الجيش عوضاً عن « الزين عبد الباسط » فباشر ذلك إلى أن حجّ فى موسم سنة ست وأربعين فانفصل وهو غائب فى يوم الاثنين سلخ ذى القعدة منها بالقاضى « بهاء الدين بن حجى » وكان قدم من « الشام » ببذلِ مالٍ كبير مضافاً لما كان معه من نظر جيش « الشام » ، ثم أعيد إليها بعد صرف « البهاء » . وذلك فى يوم الأربعاء ثانى عشرى شوال سنة سبع .

ثم صرف عن البيمارستان فى أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين بـ « الولولى الصفتى » ، وكاد يُخرَج نظر الجيش أيضاً ، ثم بطل وألبس خِلْعَة الاستمرار ، وذلك فى يوم الخميس خامس شهر ربيع المذكور . فركب معه الجماعة على العادة ، وأظهر الناسُ السرورَ به ، ثم صرف عن « الخانقاه » مَشْيخة ونظراً بالشيخ « على الخراسانى » وذلك فى [ ](1)

واشتُكى وهو ناظر الجيش بسبب تركة كان وصيّاً فيها ، فرَسم بإحضاره لباب الشافعى وهو حينئذ « الشرف المناوى » / فجىء به ، وأقام فى الترسيم ، وأفحش فى مخاطبته التى لا تليق بوجاهة بعض الوُكلاَء . ونقم الخيرون والعقلاء . كل هذا ولم يزل فى وظيفة الجيش إلى أن مات « الكمال بن البارزى » . فاستقر فيها « الجمالى » ناظر الخاص عوضاً عنه . وأعيدَ هذا إلى كِتَابَةِ السّرِ عوضاً عن « الكمال » بحكم وفاته — كل ذلك فى صفر سنة ست وخمسين — فأقام فى كتابة السّرِ نحو ستّة أشهر وانفصل عنها بالقاضى « محب الدّين بن الشّحْنة » فى يوم الاثنين ثالث ذى القعدة سنة سبع وخمسين ، ثم أعيد إليها بعد استكمال ثمانية أشهر

١٣٨

(١) مابين المعقوفين بياض بالأصل بمقدار كلمتين .

وأيام ، وذلك فى رجب سنة ثمان عِوَضاً عن المذكور . وكذا أُعيدَ إلى نَظَر « الخانقاه » وابنه « الشهابى » لمشيختها كلاهُما بعد صَرْف « الخُراسانى » المذكور . وذلك فى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول سنة سبع وخمسين .

ولم يلبث أن انفَصل عن نظر « الخانقاه » بـ « تمراز الأشرف[1] برسباى الدّوادار » الثانى بعد نزاعٍ بينه وبين « الخراسانى » المذكور ، وذلك فى يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر من السنة . ثم أُعيد إليها فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة منها بعد عَزْل « تمرازْ المذكور واستمر يباشرها . وعُزل عن كتابة السّر أيضاً بابن « الشِّحنة » المذكور وذلك فى يوم السبت ثانى عشر جمادى الأول سنة ثلاث وستين . وكان هو استشعر بتلفّت السلطان لما بذل له فيها واستحيائه من صاحب الترجمة فَشَافَهه مُسْتَغْنِياً مع إضمار الكراهة ، فصادف غرض السلطان ، ولزم « المحب » منزله بطالا على نظر « الخانقاه » فقط ، ولم يلبث أنْ مات أعظم أولاده عنده محّبة وأحسنهم عقلا وتؤدة ؛ « إبراهيم » . وذلك فى ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة ، فتأسف عليه كثيراً ، وما احتمل ذلك ؛ بل مات عن قرب قبل استكمال شهر ، وذلك فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر رجب سنة ثلاث وستين وثمانمائة ودفن من الغد بتربته بالصحراء عوضه الله الجنة .

وكان إنْسَاناً حسناً دَيِّناً ، رئيساً مُعَظّماً فى الدُّول ، مع السّكون والتَّعَقل ، والحشمة والوَقار . موصوفاً بالإمْسَاكِ مع الثَّرْوَة ، وقد أثنى عليه شيخُنَا فى ترجمة والده من « الدرر »[2] بقوله : « كان حسن المعرفة بالأمور ، خبيراً بِمِعْشَرَةِ أهل الدولة

---

(١) تمراز الأشرف برسباى الدوادار : هو تمراز الإينالى الأشرف برسباى ، ويعرف بالزردكاش ، تأمر عشرين ، ثم استقر دواداراً ثانياً فى أيام الأشراف لينال . (الضوء اللامع ج ٣ : ٣٦ . ط . القدس)

(٢) المراد بالدرر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى شيخ المؤلف

وغيرهم ، قوىّ الرّأى ، مَسْعُودَ الحرَكات ،[1] إنتهى .

ولوصفه له بهذه الأوصاف استخلفه فى قضاء « الديار المصرية » فى سنة ست وثلاثين حين توّجه مع « الأشرف » إلى آمد[2] .. بعد استئذان السلطان فى ذلك ، فنظر فى الأمورِ بسياسةٍ وحسنِ تدبير . وحمدَ الناسُ هذا الصنيع بعد أن كان تطاول عنق غيره للخلافة وكذا أسند إليه شيخنا « المشارفة » فيما أوصى بتفرقته من الثلث بعد موته ، فقال : وأن يباشر تفرقة ذلك ممن بيديه أخى فى الله تعالى القاضى محب الدين ناظر / ١٣٩ الجيوش المنصورة . رزقه الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة مع ولدى « محمد » ، / قال : وأن يخرج من الثلث مائة دينار يفرقها القاضى « محب الدين » المشار إليه أعلاه على من يختار من معارفه بحسب ما يقتضيه رأيه فى ذلك .

قلت : وقد اجتمعت به مراراً ، واستحضرناه يوم ختم « الصحيح »[3] بـ « الظاهرية القديمة » وأخبرنى جملة من حضر بسماعه له . على « الزين العراقى » كما سلف . فسمعه عليه الجماعة ، وألبس القاضى جندة ، ووقع ذلك موقعاً عظيما . هذا مع كون القاضى « كمال الدين بن البارزى » كان ممن أحضر وهو الموصوف بالكرم والبذل لكنه أهمل هذا المعنى ، فبادر « المحب » افعله وحمدنا له ذلك .

واتفق له مثله بمجلس ختم الحديث بـ « جامع الأزهر » عند « الشرف المناوى » ، فألبس القارىء وهو « الفخر عثمان المقسى[4] » ، ولم يفعل « الكمال » وغيره ممن حضر ذلك فى أشياء كانت تقع موقعاً :

---

(١) هكذا وردت بالأصل .. ووردت فى الضوء اللامع : « مسعود الحركات »

(٢) آمد أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها ، يحيط بها دجلة كالهلال . وبها عيون قريبة يتناول ماؤها باليد . معجم البلدان

(٣) المراد بالصحيح : صحيح البخارى ، كما جاء فى الضوء اللامع

(٤) المقسى : هو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان بن موسى بن عمران بن موسى الفخر أبو عمرو بن الجمال الحسينى بلداً ، نسبة لمنية أبى الحسين من الشرقيه ، ثم القاهرى ، المقسى ، الشافعى ، ويعرف « بالمقسى » . ولد سنة ٨١٨ هـ . وتوفى سنة ٨٧٧ هـ . الضوء اللامع (ج ٥ : ١٣١)

ومن ذلك أنني حضرت إليه لاستكتابه فى شيء عند توجهى لبعض الأسفار ، فكتب بالمراد . ثم التفت لبعض الموقعين ممن بين يديه ، وقال له : اكتب مرسوماً للشيخ باحترامه وإجلاله ، ورتاقيه واغتنام الأخذ عنه والمبادرة إلى ذلك واستمر فى هذا المهيع . والله لم أسأله فى شيء من ذلك ، فعددته من رئاسته . وحشمته وقرأ عليه قبل هذا بمدة البقاعى « الصحيح » أو غالبه بمنزله ، قصدا لنائله وبره . وصار يروم منه المشى فى مخاصماته ويلح على عاداته بحيث أنه تكلم معه فى بعضها وهما فى جنازة فما احتمل المجب هذا ، وقال له : يا أخى ، أما تفتر وترجع إن هذا لعجيب !

القاضى شمس الدين*

محمد بن على القاياتى القاهرى الشافعى

٧٨٥ تقريباً — ٨٥٠ هـ

محمد بن على بن محمد بن يعقوب بن محمد القاضى شمس الدين أبو عبد الله ابن الشيخ « نور الدين القاياتى » القاهرى الشافعى مُحَقِّق الْعَصْر وابن أخت القاضى « فخر الدين القاياتى » .

وُلِدَ فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة تقريبا ، بـ « القايات » من أعمال « البهنسية » (١) . وقرأ بها بعضَ القرآن ، ثم نَقَلَهُ والدُه إلى « القاهرة » وجعله تحت نظر عَمِّه الشيخ « ناصر الدين محمد » فأكمل عنده حفظَ « القرآن » . وحفظ « المنهاج » و « ابن الحاجب الأصلى » و « ألفية » ابن مالك » وكذا « التسهيل » — فيما قيل — وعرض على جماعة وحضر دروس « السِّرَاج البُلقينى » كثيراً . ودروس « البرهانْ الأبْنَاسى و « السراج بن الْمُلَقِّن » ، وأخذ « الفِقْه » و « الفَرَائضَ » عن عَمِّه

---

* القاياتى : له ترجمة فى حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٠٨ — وله ترجمة أيضا فى . (الضوء اللامع ج ٨ : ٢١٢) .

(١) جاء فى الضوء اللامع : القاياتى نسبة للقاياتى من أعمال البهنساوية انظر : (الضوء اللامع ج ١١ : ٢١٩) .

المشار إليه . وكان العمُ ماهراً فى « الفرائض » . « والفرائض » وحدها عن « الشمس الغَمْرَاوى »[1] و « التقىّ بن العز الحنبلى » . وكان مُتقدّماً فيها ، و « الشهاب العاملى » . و « الفقه » أيضاً عن « الشمس القليوبى » . و « البدر الطُّنُبُذى » و « النور الآدَمِىّ » وعنهما أخذ « أصولَ الفقه » وعن أولهما أخذ « النحو » . وأخذ « النحو » أيضاً عن « الشمس الشَّطَنُوف » ، ويقال إن جُلَّ انتفاعه فيها كان به . وكذا أخذ « الأصول » عن جماعة منهم « قَنْبَر العَجَمِىّ »[2] وأثنَى عَلَىَّ عِلْمِه ، لاسيما فى « التَّصرف » . وعن « القطب الأبرقوهى » المتوفى فى سنة تسع عشرة وعنهما وعن غيرهما أخذ « المنطق » / وعن « الجمال الماردانى » فى « إقليدس » ونحوه . ولازم « الهمام الخوارزمى »[3] « شيخ » الجمالية » فى الأصلين[4] و « النحو » و « الصرف » وكان « الهمام » فائقاً فيه ، وسمع عليه غالبَ ما قرأه من « الكشاف » — وانتهى فى قراءته إلى أثناء سورة الأحزاب —

١٤٠

وهو الذى ألزمه بحفظ « التسهيل » وكذا أكثر من ملازمة كلٍّ من إمام الأئمة ومفخر أهل العصر « العز بن جماعة » فى العلوم الذى كان يقرئها واشْتَدّتْ عنايَتُه بالتردّد إليه ، والاعتماد عليه ، حتى كان جلّ انتفاعه به ، ومحقق العصر « الشمس السنباطى » و « العلاء البخارى » حين قدومه « القاهرة » فسمع منه « المنطق » و « الجدل » و « الأصلين » و « المعانى » و « البيان » و « البديع » وغيرها من المعقولات والمنقولات . ولم يفارقه حتى سافر ، وتقدم به كثيراً لدقّةِ نظره ، وحدة فكره الذى لم يكن صاحب

---

(١) الشمس الغراق : نسبة لغرافة بمعجمة مفتوحة ، ثم راء مهملة مشددة بعدها قاف ، قرية من القرى البحرية من الشرقية .

(أنظر الضوء اللامع ج ١١ : ٢١٦) .

(٢) قنبر العجمى : هو قنبر بن عبد الله العجمى الشيروانى ، القاهرى ، الأزهرى الشافعى . مات سنة ٨٠١ هـ .

(الضوء اللامع ج ٦ : ٢٢٥) .

(٣) وردت العبارة فى الضوء اللامع من الترجمة : « الهمام العجمى » .

(٤) فى الأصلين : سبق الكلام على أن الأصلين المراد بهما أصول الدين وأصول الفقه .

الترجمة يقدم عليه فيها غيره . بل قال : إنه كان إذا أفكر فى محل خال لا يلحقه « القطب » ولا « التفتازانى » ولا غيرهما .

وجود القرآن على بعض القراء ، وسمع « الحديث » اتفاقاً على غير واحد ، فعلى شيخه « العز بن جماعة » « الأربعين التُسَاعِيَّات » التى خرجها « أُبو جَعْفر بن الكُويك » لجده القاضى « عز الدين بن جماعة » بحضوره لها على جدّه ، وعلى « الجمال عبد الله بن العلاء الحَنْبلى » المجلس الآخير من « السِّيرَة النَّبوية » لابن هشام . ومواضع من « صحيح البخارى » وعلى « الشهاب الوَاسطِى » « جزء البطاقة » ونسخة « إبراهيم بن سعد » وعليه وعلى « الوَلى العِرَاقى » بعض « جزء الأنصارى » وذلك من قوله : « من صَلَّى الصُّبْحَ فهو فى ذِمَّة الله » إلى آخر الجزء . وشاركه فى مسموعه على « الوَاسِطِى » و « الولى » ولده أبو الفتح ، وعلى « الولى العراقى » وغيره أشياء منها ، « الجامع » للترمذى خلا من أول « الميعاد » و الثانى إلى قوله فيه « ما جاء فى تعجيل الفطر » . ومن أول العاشر إلى قوله فيه « ما جاء فى تحذير فتنة النساء » . والحادى عشر بكماله مع شيخنا « أبى النعيم المستملى » ، ولازمه كثيراً ، وأخذ عنه فى « شرح الألفية » لوالده ووصفه بالشيخ الفاضل ، وكذا أخذ فى الشرح المذكور عن شيخنا وتردد إليه فى دروسه الفقهية وغيرها . وسمع عليه كثيراً من كتب الحديث فى رمضان وغيره ، بل ذكر صاحب الترجمة أنه سمع « صحيح البخارى » على « السِّراج البُلْقينى » ، وأنه سمع على أهل تلك الطبقة كـ « الزَّين العِرَاقى » « السِّراج بْنِ المُلَقّن » . ثم على « التَّقى الدُّجوى » و « البَدْر الطّنبذى » ، وغيرهم . وتلقن الذكر من الشيخ « إبراهيم الأدْكاوى » وغيره . ودخل « دمياط » رفيقاً لـ « البرْهَان الأبْنَاسى » و « الوَنائى » لأجل شيخهم « العلاء البخارى » ، حتى رجعوا به . ولم يزل يدأب فى الفنون حتى / تقدم فى كلها . وصار المعول عليه فى جُلّها . كل ذلك مع مزيد ١٤١ الفاقة والتقلل بحيث صار لذلك يتكسب بالشهادة فى « جامع الصالح » .

وربما كان جدى لأمى هو و « النُور الإشْليمى[١] » يستصحبانه فيها حين كان ساكنا فى « بركة جناق[٢] » بالقرب منهما .

ومن العجيب ما رأيته بخط « ابن أبى عُذيبة » أنه حصل لـكلٍّ من صاحب الترجمة والشيخ « ولى الدين الفَيْشى »[٣] فى تركة « ابن مخلوف الزَّيات » فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ألف دينار . قال : وهذا أمرٌ لم يحصل مثله لشاهد فى هذا الزَّمن ، نعم ؛ قال « القاضى عز الدين بن جماعة » ندَبْتُ لِضَبْطِ تَرِكَة « ابن زَنْبُور »[٤] عشرين شاهداً فحصل لـكل واحد منهم ألف دينار . قال : ثم رأيت ولده يسأل رجلا نصف درهم صدقة ، انتهى .

ويقال : استغنى بعد هذه الشهادة عنها . وكذا تكسَّب بالزراعة أيضاً وارتقى فتنزل طالباً بـ « المؤيدية » ثم استَقَرَّ فى تدريس « الحديث »

---

(١) النور الإشليمى : بكسر الهمزة ، نسبه لأشليم من الغربية ، وهو على بن محمد بن عبد الوارث بن محمد بن عبد العظيم النور ابن الجمال بن الزين القرشى التيمى البكرى الشافعى عم النجم عبد الرحمن بن عبد الوارث . ولد سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ومات فى سنة ٨٠٦ هـ .

(انظر الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٥ ، ٥ : ٢١٧) .

(٢) بركة جناق : كان يتوصل إليها من شارع الصوابى بحى الحسينية الآن ، وكان بعضها باق إلى زمن على باشا مبارك صاحب الخطط التوفيقية ، وقد ذكر فى كتابه وصفا لبقايا هذه البركة بقوله : « وهى بركة لطيفة تدور حولها البيوت والقواطين ، ويسرى إليها ماء النيل من سرداب بينها وبين الخليج الكبير وقد ذكرها المقريزى فى خططه ، وسماها ببركة « جناق » فقال : هذه البركة خارج باب الفتوح بالقرب من منظرة « باب الفتوح » وكان ماحولها بساتين

ولم يكن خارج باب الفتوح شىء من هذه الأبنية ، وإنما كان هناك بساتين ، فكانت هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وبستان « ابن صيرم » فلما حكر بستان بن صيرم وعمر فى مكانة الدور وغيرها وعمر الناس خارج باب الفتوح عمر ماحول هذه البركة بالدور ، وسكنها الناس ، وهى الآن عامرة ، وتعرف ببركة جناق .

الخطط التوفيقية ج ٣ : ١٩

(٣) الفيشى : نسبة إلى فيشا المنارة بالقرب من طنطدا (طنطا) ج ١١ : ٢١٨ من الضوء اللامع

(٤) ابن زنبور : الضبط من الضوء اللامع ج ١١ : ٢٤٩

بـ « البَرْقوقِيّة » عوضاً عن « النُّور القِمَنّى »[1] فى المحرم سنة ثلاثين بحكم وفاته . وتوقف فى قبوله أولا فألزمه شيخه « العلاء النجارى » بذلك . ثم فى تدريس « الفقه » بـ « الأشرفية المستجدة » من واقفها أول ما فتحت فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين بعناية « المقر الزينى عبد الباسط » لكونه كان سأله فى تَرْكِ معارضة « المُحِبُّ القِمَنّى »[2] بعد موت والده فى الشريفية ووعده بالعِوَضِ فوَفىَّ له به ، ونوّه بذكرهِ عندَ وَاقِفِها حدّاً . وأضعف معلومه وخبزه بالنسبة لباقى المدرسين .

ومما وُصفَ به عند « الأشرف » : الورع والزهد ، مع العلم ، فقال : أما العلم فصحيح ، أما الزهد فكيف يكون مع كونى رأيتُه لا بِساً ثوبين مِنْ صُوف ثم فى « مشيخة الصَّلاحية » سعيد السعداء برغبــةٍ من الشِّهابِ بْنِ المحمرة »[3] له عنها لما توجه على «مشيخة الصلاحية» فى « بيت المقدس » سنة ثمان وثلاثين ، يقال بمائة دينار .

وتدريس « الفقه » بـ « مدرسة ابن غراب » فى ذى القعدة سنة أربعين عوضاً عن « الشرف السبكى » بحكم وفاته . ثم لما استقر « الظاهر جَقْمقَ » فى المحـكة كان كثيرَ الالتفات إليه لتقدُّم معرفته إياه مِنْ مجلس شيخه « العَلاء البخارى » . واستقر فى بابه فى ثلاثة أرباع الخطابة « بجامع الأزهر » بعد وفاة « ابن يحي » . وكان « ابن حسان » ينوب عنه فيها . وانتزع فى أيام قضائه باقى الوظيفة وهو الربع ممن كان بيده وهو « تاج الدين » إمام

---

(١) النور القمنى : هو على بن عبد الرحمن بن على .

(٢) المحب القمنى : هو محمد بن عمر بن عرفات .

(٣) ابن المحمرة : هو أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن نصر بن عيسى بن عيسى بن عثمان الشهاب أبو العباس الأموى العثمانى ، القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بابن « المحمرة » .. وهى أمه .. نسبت إلى التحمير من الحمرة ، وبابن السمسار ، لكون أبيه وعمه كانا من سماسرة الغلال بساحل بولاق ، وبابن الصلاح لكونه لقب أبيه أو جده وبابن البحلاق . وكان يأنف منها إلا من الثالث ، ولكنه الأول اشتهر . ولد فى ليلة خامس عشر صفر سنة ٧٦٧ هـ . وقيل سنة ٧٦٩ هـ . والأول أصح . ومات فى ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة ٨٤٠ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٢ : ١٨٦)

« جامع الصالح » . وكان استقرارُه فى القضاء لما كانت حادثة « المدرسة الفخرية » بـ « سويقة الصاحب » وسقوط منارتها ، وأدّى ذلك إلى تغيُّظه من شيخنا من غير أن يكونَ له فى المدرسة المذكورةِ وِلايةٌ ولا نِيابَة أو لا عُلْقَة ، كما أوضحته فى محلٍّ آخر .

وعزله فى يوم الإثنين حادى عشر المحرم سنة تسع وأربعين ، فإنه طلب صاحِبَ التَرجمة لِيُوليَهُ ، فأظهر الامتناع ، واجتمع حينئذ بمفْخَرِ الوَقْتِ « الأمينَ الأقْصُرائى »[1] مُستشيراً له فى ذلك ، ومُبْدِياً كَرَاهِيَتَهُ فوَافقه عليه ، وأنه هو الخَيْر فى الدارين . قال : ويتمّ لك ذلك — إن شاء الله — بعدم الموافقة على الاجتماع بالسلطان والتصميم على عدم القبول ، وتفارقا على ذلك ، فحسَّن له « المقر الكمالى ابن البارزى » القبول ، فوافقه وصعد معه من وقته ؛ فاجتمع بالسلطان فعظمه وعرض عليه القضاء ، فأجاب باشتراط أمورٍ له ، أجابه إليها ، والتمس منه أن يلبس الخلعة والتشريف على العادة . فامتنع وتقلد وذلك يوم الخميس رابع عشر الشهر المذكور ورجع وهو راكب بغلة لـ « المقر الكمالى » بثيابه البيض وطيلسانه ، فدخل « الصالحية » وصاحبَتْه جماعةُ المباشرين « والدوادار الكبير » والثانى على العادة . ولم يسمع الدَّعْوَى التى جرت العادةُ بها . كل ذلك تورّعاً ، ثم توجه إلى منزله ، وهو مُصرِّحٌ بإكراهه على القبول . فاسْتَدْعى بمُباشِرى المودع والأوقاف ، وهرع الناس للسّلام عليه وعلى شيخنا ، بل سلّم كلٌّ واحد منهما على الآخر بمنزله . وأنشدَ شيخُنا إذْ ذَاك ما رآه — فيما يغلب على ظنى — بمرآة الزمان حيث قال : عزل « أبو عمر بن عبد الواحد » عن قضاء « البصرة » وقُلّد « أبو الحسن بن أبى الشّوارب »[2] فقال « العصفرى الشاهد : [منسرح]

عنْدى حديثٌ ظريفٌ   بِمِثْــــله يُتغَــنّى

---

(١) الاقصرائى : سبق التعريف به .

(٢) جاء فى الضوء اللامع مانصه : « ابن أبى الشوارب » مفسد شهير توفى فى رابع المحرم سنة ثمانين بعد أن ضربه السلطان ضربا مبرحا .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٥٣)

مِنْ قاضيَيْن يُعزَّى   هذا وهذا يُهَنَّا
فذَا يقولُ اكْرَهونا   وذَا يقولُ استرَحْنا
ويكذبان ونَهْزَأ   بمن يُصَدِّقُ مِنَّا

وكان كافَّةُ النَّاس إلا مَنْ شذَّ توهم أنهما من إنشائه مع أنهما فى كتاب متداول بأيدى جمع من الفضلاء وهو « معيد النعم ومبيد النِّقم » لـ « التَّاج السُّبكى » ، لكن شَطْرُ ثانيهما :

ويكذبانِ جميعاً   ومَنْ يصدّق منّا

وبلغ ذلك صاحب الترجمة ، فتأثر وضمّه لما عنده قبلُ ، حيث سَطا عليه « العلاءُ القَلقشَنْدِى » بمجاسه فلم ينصره ، وباشر بعفَّةٍ ونزاهة ، وتثبَّتَ فى أمر النّواب جدًّا ، بحيث لم يأذن منهم إلا لعددٍ قليل . واقتَصرَ فى بابه منهم على ثلاثة بالنوبة وهم : « العِزُّ بنُ عبد السَّلام » و « المحْيَوِىُّ الطوخى » ، و « الوَلوِىُّ الأسيُوطى » ، وعز على بلديه « كمال الدين » كونه لم يجعل له معهم « نوبة » . وتألمَ / من ذلك كثيراً ، لا سيما وقد كان أثبت إجارة فاسدة وسجن المستأجر بأجرة تجمدت عليه ، وعلم القاضى بذلك ، فعين « الطوخى » لنقضها ، ففعل ، وأطلق المستأجر وهجره الحاكم الأول بسبب ذلك مدّة . واستقر فى النقابة بـ « الشرف محي البكرى » ، وعتب عليه الخيار فى كونه هو الرسول فى مشافهة شيخنا بإرسال ولده إلى القاضى مع قرب عهده بالقراءة عليه ، واختصاص والده بصحبته ، وقام بعمارة الأوقاف والنظر فى مصالحها ، وانفق لأهل المدارس الشهرية كـ « النَّاصرية » و « الصالحية » و « الجامع الطولونى » شهراً بشهر غير مميز لِلحقير منَ الجليل ، بل ساوَى بينهم فى ذلك ، وتعفَّفَ عن أخْذِ معاليم الأنظار ، لكن نقمَ عليه الأخيارُ إصْغاءَهُ لبعض الحسدَة ، وميْلهُ معهم فى جانب شيخنا ، حتى أمرَ بالترسيم على وَلدِه بسبب عمل حساب « جامع طولون » وغيره .

١٤٣

وحضر إليه شيخُنا بسببه [مرة](١) من بعد أخرى ، ففعل معه فى إحدى المرتين ما يليق به ، وبعد مفارقتها عتبه منْ لم ينصحه على صنيعه(٢) فكان ذلك سبباً لتقصيره ، فى المرة الثانية .

والتمس منه شيخنا المباهلة(٣) بأنه ليس فى جهته شيء ، بل له فى الجامع المذكور جملة ، فقال : « والله ما شككْتُ فى إخباركم وَوَرَعكم » ونحو ذلك . وامتنع من المباهلة ، ولم يلبث أن مات رفيقُه الشيخ « شمس الدين الوَنائى » فقرّره « الظاهر » فى وظيفتيه : تدريس « الفقه » « بالمدرسة المجاورة للشافعى » والنظر عليها التى كان « الونائى » تلقّاها عن شيخنا و « بالخانقاه » « الشيخونية » التى كان « الوَنائى » استقر فيها عند استقراء « ابن المحمرة » ببذْل .

وبلغنى — أنه قيلَ لصاحبِ الترجمة على سبيل المغالطة « جزاك الله خيراً ، الذى حفظت على ولد صاحبك ما كان باسمه ، فقال : بل جزانى الله خيراً الذى كففت والِدَ صاحبي عن أكل ما لا يجوز له تعاطيه » يشير إلى عدم الأهلية واستمر ينْجرّ مع منْ عُرف حاله فى التعرض لشيخنا والسعى فى نكايته ، والفحص عن زلات ولده ، ولم يَرْع حقّه عليه ، ولا سابق فضله الجزيل لديه ، مع مراعاته مَنْ هو دونه بكثير من أهل الدولة ، والناس ينكرون صنيعه ، خصوصاً وقد انتزع منه وظيفة « الخانقاه البيبرسية »(٤)

---

(١) مابين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٢) وبعد مفارقتهما عتبة من لم ينصحه على صنيعه » هكذا وردت العبارة فى الأصل .

(٣) المباهلة : الملاعنة . لسان العرب .

(٤) الخانقاه البيبرسية : جاء فى هامش النجوم الزاهرة « أن هـذه الخانقاه لا تزال موجودة الأن بشارع الجمالية بالقاهرة باسم جامع بيبرس أو البيبرسية ، أو خانقاه بيبرس ، وجهتها غربية ، وفوقها مئذنة أثرية على شكل مآذن العصر الأيوبى ، يعلوها خوذه مضلعة كانت مكسوة بالقاشانى . ويمتد بأعلى الوجهة طراز عريض يدور مع تجويف الباب العمومى ، مكتوب فيه بخط مملوكى كبير اسم السلطان بيبرس وألقابه وتاريخ إنشاء الخانقاه . ويوجد على يسار الداخل من الباب العمومى قبة شاهقة بها قبر منشئها . ويحيط بصحن الجامع إيوانان بسقف معقود ، وبأحدهما المحراب وعدة قاعات يعلوها دوران من الغرف كانت مخصصة . أما الرباط فقد زال . ومكانه اليوم الوكالة التى أنشأها سليمان أغان السلحدار فى سنة ١٢٢٣ هـ .

(النجوم الزاهرة ج ١٢ : ١٢٠)

مشيخة ونظراً ، بعد عرض ذلك عليه من السلطان ، وإشارة « المقر السكمالى » عليه بعدم الموافقة فلم يَصْغَ لمقاله كما أصغى له أولا . وصعد من فوره ذلك فى حادى عشرى جمادى الأولى من السنة فاستقر فيها ، وفى « الصالحية النجمية » ، ورجع فَحَضَرَ « الخَانقاه » وصُحْبَتُه « الوَلوىُّ البُلقينى » وهو أعظم المعاندين لشيخنا فحسّن له حينئذ قبل تمام استقراره النداءَ لصوفيتها بالزيادة ، فامتنع ، لعدم علمه بالوقف أصلا وخصما ، فألزمه به ، والتزم هو / بالوفاء من ماله ولو ببيع قاعته ١٤٤ وكُتُبه إن لم توف :

ونقل شيخنا حينئذ عياله منها ، بل حول مجلس إملائه أيضاً منها ، وصيره بالسكمالية دار الحديث ، وتنغص عيش شيخنا بسببه . فإنه صار كل قليل يشكوه من غير تحقق ، وسأله الأمين الأقصرائى عن حجته فى انتزاع «البيبرسية» فقال . السلطان ولانيها ؛ ولذا كنت لا ترى ذاماً له فيما فعله معه إلا وجدت مادحاً بما فعله فى المدارس فلم يحصل الاتفاق على كلمة واحدة — والكمال لله .

ولم يكن هذا كله بمانع لشيخنا عن الثناء عليه ، فى تاريخه بعد موته بل قال : إنه باشر بنزاهة وعفة ، ولم يأذن لأحد من النواب إلا لعدد قليل وتثبت فى الأحكام جداً . وفى جميع أموره .

وبلغنى أنه قال : أعرف أنه يغرى(١) فى الأمور الكثيرة فبالجهد أن يتحرك لبعضها وكذا كتب على سؤال منظوم ، قال سائله إنه سأل صاحب الترجمة عنه أيام قضائه ، فلم يجب عنه بعد أن أقام عند[ه](٢) نحو خمسين يوماً لعجزه عن النظم ما نصه بعد قوله إن العلم الشرعى الفقه والتفسير الحديث .

[كامل]

وسوى الثلاثة آلة المنتهى	فيها اللسان من المقول يهذب
وفضيلة المنظوم إن تك فضلة	تحمد ، وإلا فهو مالا يعجب

انتهى .

---

(١) هكذا وردت فى الأصل « يغرى » .

(٢) مابين المعقوفين عبارة ساقطة من الأصل .

على أنه بلغنى — أن صاحب الترجمة سئل عن لغز منظوم ، وكان بين يديه بعض فضلاء جماعته . فاستعان به فى نظم الجواب . فالله أعلم .

وندم القاياتى — فيما بلغنى — على قبول الولاية وما جرت إليه ، لاسيما حين إعراض ذويه عن مصالحه وضروراته ، لاستيعاب أوقاتهم فى تصرفاتهم ، حتى إنه دعا على نفسه بالموت فى الوِتر[1] ، فاستجاب الله دعوته فلما كان يوم السبت تاسع عشر المحرم سنة خمسين أصابته حمى صفراوية . ولم يكن قبل ذلك يتداوى ، فحمله أولاده فى هذه المرضة على التداوى والحقنة ، فخبطوا فى أمره ، فحطت قوته . ولم يزل مرضه يتزايد عليه حتى مات بكرة يوم الاثنين ثامن عشرى المحرم المذكور فعظم الأسف عليه ، وأمر السلطان بالمجىء بجنازته إلى « سبيل المؤمنى » فحمل تابوته من جوار « الجامع الأزهر » إلى المكان المذكور وهو تحت « القلعة » بـ « الرُّمَيْلَة » . وصلى عليه الخليفة بإذن السلطان وبحضرته ، هو وخلق من القضاة والعلماء والأعيان وغيرهم . ثم رجعوا به من جهة الصحراء ، حتى دفن فى تربة الخانقاه « الصلاحية » سعيد السعداء .

واستقر شيخنا فى المنصب بعده « والولوى السفطى » فى تدريس الشافعى « والعلاء القلقشندى » فى « الشيخونية » و « دولات باى » فى نظر « البيبرسية » « وتاج الدين » فيما كان انتزعه منه من خطابة « الأزهر » ، وابنه الأكبر أبو الفتح فى « سعيد السعداء » ، بل كان رغب له عنها فى حياته ، وباشرها إلى أن أخرجت عنه بعدُ « للكرمانى » وابنه الأصغر « أحمد » فى البيبرسية ، وهما معاً فى « الأشرفية » و « البرقوقية» و « الغرابية» ولم يجتمع لأحد من الفقهاء فى هذه الأزمان ما اجتمع له حتى قال « المحب ابن القطان » فيما كتبته عنه : نال رياسة على فترة هجوماً ، وحاز السيادة على غرة عموماً ، ورقى مناصب لم تكن له على خاطر ، والكل بعناية الموجد الفاطر .

١٤٥

[متقارب]

إذا تم أمر بدا نقصــــه   توقع زوالا إذا قيـــل تم

---

(١) فى الوتر : المراد صلاة الوتر .

قال وقد ظهر فى وسط الدولة « الأشرفية » من علماء الشافعية ثلاثة نوابغ . وكانوا أعجوبة عند المناظرة ، الأبناسى ، « والونائى » . وهذا[1] وكلهم شافعية ماتوا على التدريج ، قال وقد قلت [كامل] :

وثلاثة كانو بمصـــر أمة   فى غاية الإتقان والإثبات
ظهروا بدوراً فى سعود سعادة   ثم اختفوا متتابعى الأوقات
برهان أبناس فتى حجّاجه   وأخو وناى ؟ ومزدهى قايات

ورثاه غير واحد ، منهم البقاعى بقصيدة على جارى عادته . ركيكة ، وأولها [كامل] :

اعمل وإن أوذيت بالإحسان   وازهد فصفوا لعيش أقرب فان
أعيي الفلاسفة الذين تقدموا   ريب المنون ونازل الحدثان

ومخلصها [كامل] :

يا د'عى البين المروع لم تدع   قلباً بفتكك يهتدى لبيـان
بركت على «القاياتى» منك مصيبة   تركت ضياء الشمس فى أكفان

وكان — رحمه الله — إماماً علامة ، غاية فى التحقيق ، وجودة الفكر والتوفيق مزيحاً للمشكلات بعلى عباراته ، ومريحا من التعب بواضح أشاراته وفكره الثاقب غاية فى الاستقامة ، ونظره الصائب لورام أعوجاجاً لم يبلغه ميزان العلم مرامه ، بعد صيته ، وشاع ذكره ، وخشى فوته ، وصار شيخ الفنون بلا مدافعة ، ومن به تقر العيون بعد النظر والمطالعة ، لا يمترى فى تحقيقه وصحة فكره ممتر ، ولا يتوقف فى ذلك إلا حاسد أو مفتر .

ولقد بلغنى عن شيخنا « ابن خصر » ؟ وناهيك بتقدمه وخيره أنّـه قال « لم أثق فى الفقه بغيره » ، وتصدّى لِلإقراء زماناً ، فانتـفع به خلْق ، وتزَاحمَ النّاسُ عليه من سائر أرباب الفنون والطوائف ، وانتشرت تلامذته ، وأمّـا فتاويه فلِيتَـحرّيه فيها قُـلـّب ، وكان لا يقرىء / إلا من

---

(١) إشارة إلى القاياتى صاحب الترجمة بدليل ماجاء فى الأبيات الثلاثة الآتية :

الكراس ، وسلك فى تقريره مسالك المحققين فى تصانيفهم ، ولذلك لا يتمكن السامع أن يصفه ولا ينهض بأداء معناه إلا مع تمام التمييز والمعرفة ومن نسب إليه ممن لم يَتَأمّل شيئاً فى الكلام فقد جازت وتقوّل ، وحدث باليسير ، وقرأ عليه « الشهاب الهيتى » (١) عدة من كتب الحديث ، وكذا قرأ عليه « الشرفُ بنُ الجيعان » (٢) ، « صحيح مسلم » ، وصاحبنا « القلقشندى » بعض الأجزاء ، وأما أنا فحضرتُ عنده يسيراً « بالجامع الأزهر » وغيره ، وأجاز لى كل ذلك ، مع الدين المتين ، والصلاح المبين ، والعقل الوافر ، والتواضع الباهر . والتقشف فى الملبس والمطعم والمركب ، والمبالغة التامة فى سلوك الأدب ، والسكون والحلم والاحتمال ، وسلوك الجد فى الأفعال والأقوال ، وربما روّح نفسه بلعب الشطرنج مع العوال ، لكونه فيه من الفحول الأبطال ، وعدم التحاشى عن تعاطى حوائجه فى غالب أوقاته ماشياً ، وكونه لم يزل مُطرق الرأس دائماً ، والورع الزائد حتى انه امتنع من شراء بيت لعياله وأولاده ، معللا ذلك بأن « القاهرة » تقلبت أملاكها وقفاً ، وأوقافها ملكا غير مرة ، فالاحتياط والإعراض عن ذلك .

ومن الغريب ما حكاه عن شيخه « الولى العراقى » أنه قال : الأوقاف التى استبدلت فى أيام القاضى « جلال الدين البلقينى » سبعمائة . ويَستأنسَ لذلك بعمارة « المؤيد » لجامعه ، و « جمال الدين » الأستادار — لما يفوق (٣) الوصف — ومن كان ينهض لمخالفة هذين ؟ .

---

(١) الهيتى : بكسر ، وعلى الألسنة الفتح ، ثم سكون ، وفوقانية — وهو الشهاب أحمد ابن على بن إبراهيم بن مكنون ، ثم القاهرى ، الأزهرى ، الشافعى . ولد بهيت ، وهى من أعمال المنوفية . مات سنة ٨٥٣ هـ .

(الضوء اللامع ج ٢ : ٦ ، ١١ : ٢٣٢)

(٢) ابن الجيعان : هو يحى بن شاكر بن عبد الغنى بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب ابن يعقوب الشرف أبو زكريا بن العلم بن الفخر بن العلم ، الدمياطى الأصل ، القاهرى ، الشافعى — ويعرف بابن الجيعان . ولد بالقاهرة سنة ٨١٤ هـ . ومات فى ٨٨٥ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٢٦ ، ١١ : ٢٤١)

(٣) وردت فى الأصل هكذا : « لما يفوق » .

وكذا مِنْ ورعه أنه لم يَكن يَشترى بَعلبكياً[١] بعد [قصارية][٢] بل يشترى له وهو خام للتمكن من تقليبه ، ثم يقصر بعد ذلك .

والتحرى فى الطَّهارة حتى إنه ربما يصل إلى الوَسْواس لا سيما فى ترديد النية ، لكنه بعد الاستقرار فى القضاء لم يكن يرددها حين يُصلى بالسلطان ، لكونه يجتمع فكره حينها — فيما أظن — وهذا شبيه بما اتفق له فى الامتناع مِنْ لبس الخلعة أولا ، ثم صار يلبسها فى الأعياد وشبهها حفظاً لشعار المنصب .

وكذا كان يعيد الجمعة حيث تكون نوبة « تاج الدين » إمام « جامع الصالح » ، على أن « العز السنباطى » أخبرنى أنه رأى صاحب الترجمة هو و « التاج » المذكور بعد موتهما و « تاج الدين » يخاطب « القاياتى » بقوله : « أأنْتَ تعلَمْ أنى أُصلِّى بغير وُضوء ؟ » ، و « القاياتى » مُطرق الرأس لا يجيبه . بل سَمعْتُ أنه كان دائماً يعيد الجمعة ظهراً .

والحرص على الصِّيام والقيام ، والتقنع باليسير من الأكل ، وارتفاقه فى معيشته زمناً بتجارة أحد جماعته « الزين يس » فى نحو أربعمائة دينار :

والرغبة فى الإطعام . ومحاسنه جَمَّة ، ولو لم يدخل فى هذا الباب لكان كله إجماع ، وليتَه إذا دخل لم يصنع لما أُلجىء إليه من النزاع . حتى عُدَّ ذلك من الحوادث والخطوب التى ضعفَت من أجلها الأبدان والقلوب .

وقد أخبرنى الشيخ « عز الدين السنباطى » بما فى إثباته عبرة لمن لم ١٤٧ يلحق / غبار صاحب الترجمة : أنه رأى « الجمال عبد الله بن سليمان السبكى » بعد موته ، فسأله عن الشيخ « شمس الدين البُوصيرى » فقال : فى أعلى الجنة . ثم سأله عن الشيخ « يوسف الصفى » فقال كذلك . ثم عن الشيخ

---

(١) وردت فى الأصل هكذا : « بعلبكيا » . ويفهم من سياق الكلام أنه « ثوب بعلبكى » .

(٢) مابين المعقوفين كلمة لم تتبين قراءتها .

« علي بن لؤلؤ » تلميذ « النور الأدَمي » فقال كذلك ، ثم عن « القَايَاتي » و « الونَائي » ، فحرّك رأسه ولم يجب فيهما بشيء :

قال « العز » أيضاً : وأخبرني « البهاء بن الواعظ » أنه رأى « القاياتي » نفسه في المنام وهو متضعف فقال له : ما هذا الحال ؟ ، فقال : بَا شَرنَا سَنَةً فكلما عملنا حسابها انخرم علينا .

قال « العز » أيضاً : وأخبرني البهاء بن الواعظ أنه رأى القاياتي نفسه في المنام وهو متضعف فقال له : ما هذا الحال ؟ . ولقد قال لي « القاياتي » : إنه لومتُّ قبل دخولي في القضاء لم يكن لي من الأخصام عَشرةَ أنفس ، فكيف حالي الآن وأنا أُسالُ من « اسوان » إلى البحر المالح !. ثم كَشَفَ عن ذِرَاعِه وقد تغيَّر .

ولما رآه « الكمال بن الهُمام » ، وهو على المغتسل رفع صَوْته بقوله : « قد خار الله لك » . وذكره شيخنا « البَدْر العيني » في تاريخه فقال : كان من أهل العلم والدين والفقه ، وكانت أحكامه كلها صحيحة لأنه تولى وهو مسئول ، ولم يدخل تحت اللعنة ، لكونه لم يبذل شيئاً .

وكان متقشّفاً متواضعاً ، عنده كرم ، وبسط للطلبة ، وكان في أول أمره فقيراً ، شاهداً في جملة الشهود ، رحمه الله تعالى . انتهى .

وسُئل « الكمال بن الُهمام » عن التفضيل بينه وبين « الزين التَّفَهني » في الأصول فقال : التَّفَهْني كان عالماً بأصول مذهبه ، وأما هذا فبالأصول كلها ، أو كما قال . قال : ولقد كنا نستشكل[1] الشيء في حال المطلب فإذا

---

(١) الأشكال : الشكل ، الشبه والمثل ، وبكسر ، وما يوافقك ويصلح لك ، تقول : هذا من هواي ومن شكلي ، واحد الأشكال للامور المختلفة المشكلة ، وصورة الشيء المحسوسة والمتوهمة والجمع : أشكال وشكول ، والشاكلة : الشكل والناحية والنية والطريقة والمذهب ، وأشكل الأمر : التبس ، وأمور أشكال ملتبسه .

والأشكلة : اللبس والحاجة .

والأشكال : حلي من لؤلؤ أو فضة يشبه بعضه بعضا يقرط به النساء . الواحد شكل . والمشاكلة : الموافقة ، كالتشاكل . (انظر القاموس المحيط)

اجتمعنا وكان الاجتماع « بالجمالية » لكون كلٌّ منّا له خلوة فيها تذاكرنا ذلك المكان فيزيح أشكاله بإشارته .

وسمعت « الكمال » إمام « الكاملية » يقول : رأيت « الجلالَ المحلى » بحضرته كالمستفيد ، لكونه يصغى لما يقوله ، ويتلقاه بالقبول من غير منازعة ، بخلاف « المحلى » مع « الونائى » ، فإن الونائى كان معه كهو مع صاحب الترجمة . ويؤيد هذا أنه بلغنى عن « الونائى » أنه كان يقول عن « الشيخين » « القاياتى » و « المحلى » : هما عالما العصر . فيقال له : و « ابن حجر » ! . فيذكر ما حاصله أنه لم يُردْ إدخاله فى هذا العموم .

ولهذا ما كان « الونائى » يجلس عند « العلاء النجارى » وشيخنا وغيرهما من العلماء إلا دونه ، لكن كان يجلس فوقه بمجلس السلطان ، وكأنه لكونه أشكل وأفصح .

وقد كتب على « المنهاج للنووى » قطعاً متفرقة كثر اعتناؤه فيها بدفع كلام الأسنوى .

وعمل ذيلا ونكتا على « المهمات » . وقرأ عليه الجم الغفير . وكان لا يتوقف فى إقراء كثير من المبتدئين لكتب المشكلات ، حتى كان « الشهاب ابن المجدى » يعتذر عنه فى ذلك ، بأنه يقصد نفع نفسه بالإدمان والتمرين ونحو ذلك .

١٤٨ ومن أخذ عنه من أعيان المذهب / « البرهان بن خضر »[(١)] و « الشهاب ابن حسان »[(٢)] و « الشمس بن ساره »[(٣)] و « الكمال الأسيوطى[(٤)] » ،

---

(١) ابن خضر : هو ابراهيم بن خضر ـ بكسر الخاء ، وسكون الضاد المعجمتين ـ ابن أحمد بن عثمان بن كريم الدين جامع بن محمد بن جامع بن محمد بن فواره بن فضالة بن عكاشة ابن يحي بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن أبى الطيب بن هبة الله بن أبى إسحاق محمد ابن ميكائيل بن عمرو بن عثمان بن عفان ، برهان الدين أبو إسحاق بن الزين العثمانى الصعيدى القصورى ، نسبة لقرية من أعمالها تسمى القصور بضم القاف والمهملة ، القاهرى المولد .

(٢) ابن حسان : انظر (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٤٣)

(٣) ابن سارة : انظر (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٥٠)

(٤) الأسيوطى : ـ بضم الهمزة نسبة لأسيوط مدينة بالصعيد ـ خليل بن نصر =

و « السراج الورورى » (١) ، و « النورى » إمام « الأزهر » وآخرون من أهل هذه الطبقة ، وكذا من دونهم ممن صار الآن يذكر .

ومن الحنفية الشيخان « السيفى » و « الزينى قاسم طاهر » . ومن الحنابلة « الجمال بن هشام » .

وقرض « مسألة الساكت » لـ « البرهان السوبينى (٢) » ، وشرح « منهاج البيضاوى » « للكمال » إمام « الكاملية » ، وصورة ما كتب له :

الحمد لله الذى سهل لخلص عباده بالصدق والصفا القيام بواجب الاتباع على طريق الاقتفاء لأوصاف أفضل الخلائق بأحسن الخلائق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وآله أهل البيان والوفاء ، وعلى الأئمة المهديين الذين حصل ببيان بيانهم من كل سقم الشفاء ، وعلى من قام بنصرته بالسيوف القاطعة والبراهين الساطعة ، فحصل بهم الاكتفاء ، وسلم وشرف وكرم وبعد ، فقد تشرفت بالنظر فى هذا الكتاب ، فاطلعت على بعض ما أدرج فى مطاوبه من اللطائف على طريق السداد والصواب ، فشاهدت من حسن وضعه دقة نظر مؤلفه ، ومن لطف ترصيفه ذكاوة مصنفه ، وعلمت أن الله سبحانه بلطفه الحليم ، وفضله العظيم ، وفقه لنكات لطيفة المسالك ، وزيادات ظريفة المدارك ، ولا غرو من المسك

ابن الخضر بن الهمام الكمال أبو المناقب بن ناصر الدين بن سابق الدين الفارسى الخضيرى السيوطى الشافعى (والد جلال الدين السيوطى صاحب كتاب حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة) ولد سنة ٨٠٤ هـ بسيوط ومات سنة ٨٥٥ هـ

(الضوء اللامع ج ١١ : ٧٣)

(١) الوروى : عمر بن عيسى بن أبى بكر بن عيسى السراج الوروى ، ثم القاهرى ، الأزهرى ، الشافعى . ولد قبيل القرن تقريباً ، مات سنة ٨٦١ هـ .

(الضوء اللامع ج ٦ : ١١٢)

(٢) البرهان السوبينى : بضم أوله ، ثم واو ساكنة وموحدة مكسورة ثم تحتانية ونون ، نسبة لسوبين من قرى حماة — وهو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الدهان ، الحموى الأصل ، السوبينى ، الطرابلسى ، الشافعى ، ويعرف بالسوبينى . ولد قبيل القرن بسوبين ، قرية من قرى حماه . . ولد قبيل القرن تقريباً ، مات سنة ٨٥٨ هـ .

(الضوء اللامع ج ١ : ١٠٠ ، ج ١١ : ٢٠٨)

أن يفوح ، ومن البدر أن يلوح . وكيف ومؤلفه ممن خصه الله تعالى بأنواع الفضائل . وأنعم عليه بلطائف الفواضل ، وجمع له بين علم المشروع والمعقول ، فكشف له دقائقَ الفروع والأصول ، ومنحه اليد الطولى فى مدارك العُلى ، وأنظارا دقيقة فى مسالك الُهدى . وقد أجزتُ له — أحسن الله تعالى إليه — أن يقرىء كتب هذاالفن كـ « شرح أصول ابن الحاجب » تغمده الله برحمته وبغفرانه للعلامة القاضى عضد الملة والدين وما عليه من شروح وغير ذلك من كتبِ هذه الصناعة ، وكتب الفقه مختصرها ومطولها لمن أراد ذلك فى أىّ وقت أراد ، لعلمى بأهليته لذلك وتأهُّله ، وقد أجزت له أيضاً أن يبسط قلمه بالإفتاء والتصنيف سالكا فى ذلك المسلك المعتبر ، فإنه جدير بذلك وحقيق طالباً منه ألاّ يخلينى فى أوقات خلوته ، ونفائس جلوته من الدعاء — حشرنا الله تعالى وإياه فى زمرة المتقين فهو نعم المولى ونعم النصير .

وبخط صاحبنا « الشهاب بن محمد بن صالح الاشليمى » ما نصه : نادرة وهى أنى سألتُ شيخى قاضى القضاة شيخ الإسلام ، علامة العلماء الأعلام أبا عبد الله محمد شمس الدين القايانى الشافعى ، نوّر الله ضريحه ، وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه ، عن تبرم الشيخ شرف الدين بن الفارض بزيارة الخيال فى قوله :

لم أخلُ من حَسدٍ عَليْكَ فلا تُضِع
سَهَرى بتشْييع الخيالِ المرْجفِ

149

واسأل نجومَ الليل هل زارَ الكرى
جفنى وكيف يزور مَنْ لم يعرِف

والحال أن زيارة الخيال عند العشاق كحقيقة الوصال واضطرابه حيث قال هذا وقال :

أدر ذكر من أهوى ولو بملام	فإن أحاديث الحبيب مرامى
ليشهد سمعى من أحب وإن نأى	بطيف ملام لا بطيف منام

فأخذ الجواب من السؤال وقال : يكفى أنها كحقيقة الوصال ،

واختلاف الحالات بحسب اختلاف المقامات على أنه القائل :

ولم أحك فى حُبِّيك حالى تبرماً　　　بها لاضطراب بل التنفيس كربتى

انتهى . فانظر كيف طابق السؤال الجواب ، حتى فى لفظتى التبرم والاضطراب ، إن هذا الشىء عجاب هذا آخر كلام « الشهاب بن صالح » رحمه الله تعالى .

ابن عمار

٧٦٨ هـ — ٨٤٤ هـ

محمد بن عمار بن محمد بن أحمد ، الشيخ شمس الدين أبو ياسر ، ولقَّبه بعض شيوخنا ناصر الدين أبو عبد الله ابن الشيخ زين الدين ، أبى ياسر ، أو أبى شاكر ، القاهرى المصرى ، المالكى ، عرف بابن عمار .

ولد آذان العصر من يوم السبت العشرين من جمادى الثانية سنة ثمان وستين وسبعمائة كما قرأته بخطه «بقناطر السباع[1]» من خط «جامع طولون» ونشأ هناك فى كنف والده .

وكان حسبما قرأته بخط « البلقينى » وغيره شيخاً صالحاً عابداً ناسكا ، ووصفه بالملاّف بـ « قناطر السباع » ، وربما كان يجيئه وهو راجع من «الخشابية» هو وولده الجلال والبرهان الأبناسى ، ومن شاء الله ممن يكون معهم . ويأكلون عنده .

---

* ابن عمار : له ترجمة فى . (الضوء اللامع ج ٨ : ٢٣٢)

(١) قناطر السباع : أنشأها الظاهر بيبرس البندقدارى على الخليج وكان موضعها مايعرف الآن بميدان السيدة زينب ، وقد عرفت بهذا الإسم نسبة إلى نقش السباع الموجود عليها ، وهذا النقش هو (رنك) = شارة الظاهر بيبرس ، عرفت بعد ذلك باسم قنطرة السيدة زينب ، وكانت تتكون من قنطرتين أحداهما كانت توصل بين شارع الكومى وشارع السد ، والثانية كانت توصل بين الكومى وشارع مراسينا . وفى سنة ١٨٩٨ م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج واختفت هذه القناطر تحت ميدان السيدة زينب .

القاهرة القديمة وأحياؤها للدكتورة سعاد ماهر : ٦٢ نقلا عن المقريزى ج ٣ : ٢٣٨

الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ٢ : ١٣٥

فرباه والده أحسن تربية ، وحفظ القرآن و «العمدة» و «الشاطبية» و «ألفية العراقى» و «الرسالة لابن أبى زيد» و «ألفية ابن مالك» و «المختصر الأصلى لابن الحاجب» وغيرها ، وعرض على جماعة منهم ممن صرح له بالإجازة ، كالتقى عبد الرحمن بن أحمد بن على البغدادى الواسطى ، و «وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق» و «الصدر المناوى» ، «والضياء بن سعد الله العفيفى» الشافعى ، و «نصر الله بن أحمد الحنبلى» ، و «السراج البلقينى» وولده البدر ، و «الإبناسى» و «الغمارى» وإمام «الصرغتمشية» ، والنور الدميرى أخو «بهرام» ، والنور الحكرى المقرىء[1] ، وعليه تلا «لأبى عمرو» ختمتين ، الأولى من طريق السوسى ، والثانية من طريق الدورى انتهى فيها إلى الحزب من سورة يس ، وآخرون ، وعلى كل من الآخرين والغمارى عرض «الشاطبية» بتمامها ؛ وكذا قراءة القرآن «والعمدة» بتمامها على «أولى عبد الله الجبرتى» صاحب الزاوية الشهيرة بالقرافة ، وبها دفن والد صاحب الترجمة .

وأخذ علوم الحديث عن جماعة منهم : «الزينى العراقى» قرأ عليه «نكتة على بن الصلاح» بتمامه ، دراية بحضرة رفيقه «الحافظ الهيثمى» . ومنهم السراج بن الملقن قرأ عليه «التقريب والتيسير للنووى» ، وقطعة من شرحه على العمدة» . «والبلقينى» قرأ عليه قطعة من ألفية ابن مالك ، ومن شرحها «ابن المصنف» ، ومواطن من شرح التسهيل «للمصنف» ، والشافية التصريفية لـ «ابن الحاجب» ، وسمع عليه أماكن من «المغنى» لوالده ، ومن أوائل «شرح الألفية» لوالده أيضاً ، ومن «التسهيل» وغيرها ، ولازمه فى ذلك مدة ، وكذا لازم «الغمارى» حتى أخذ عنه أيضاً عدة من العلوم اللسانية «نحواً» و «لغة» وغيرهما ، فقرأ عليه ألفية ابن مالك وشرحها لابن المصنف» ، وسمع عليه أرجوزة ابن مالك

---

(١) النور الحكرى : نسبة للحكر — وهو على بن خليل بن على بن أحمد بن عبدالله ابن محمد بن نور الدين أبو الحسن ، القاهرى ، الحكرى ، الحنبلى ، ويعرف بالحكرى . ولد سنة ٧٢٩ هـ بالحكر خارج القاهرة . ومات فى سنة ٨٠٦ هـ .
(الضوء اللامع ج ٥ : ٢١٦ ، ١١ : ١٩٨)

الكبرى المسماة «بالكافية» ، وطائفة من « التسهيل » له ، له ؛ من « المفصل الزمخشرى » ، وقرأ عليه فى اللغة « الفصيح لثعلب » ، وسمع عليه فيها نظم « كفاية المتحفظ لابن مالك » ، وقرأ عليه فى العروض « مختصر البدر لابن مالك » ، وسمع عليه فيه العروض نظم « ابن الحاجب » وفى غيرها بقراءة غيره « الحماسة لأبى تمام » وقطعة من الكشاف « للزمخشرى » ، ومن شرح له على « ابن الحاجب » لا أدرى الأصلى وهو الأقرب أو الفرعى .

ولازم « العز بن جماعة » فى كثير من الفنون التى كانت تقرأ عليه ، وقرأ هو عليه جُلَّ « مختصر ابن الحاجب » الأصلى ، وذلك من مبادىء اللغة الى آخره ، مع قِطَعٍ مِنْ كلٍّ من « التلخيص » واختصاره له « والمطول » وغيرها ، وكذا أخذ « أصول الفقه » عن « ابن خلدون » ، سمع عليه « المختصر » أيضاً وغيره من المختصرات فى الفن ثم لقى « أبا عبد الله ابن عَرَفة[1] » بـ « الاسكندرية » فى قفوله من الحجّ سنة ثلاث وتسعين ، فقرأ عليه قطعة صالحة من مؤلفه فى « الفقه » الملقب « بالمختصر » وكذا أخذ « الفقه » أيضاً عن « بَهْرَام » و « الزين عبيد البشكالينى » و « ابن خلدون » و « ناصر الدين بن التَّنَسِىّ » وجماعة .

وصحب غيرُ واحد من الصوفية منهم الشيخ « محمد المُغَيْربى » خادم « اليافعى »[2] ، وانتفع فى السلوك وغيره « بأبى عبد الله محمد الدكَّالى » القادم من المغرب فى سنة ثلاث وتسعين وطلب الحديث بنفسه فقرأ وسمع أشياءً يطولُ إيرادها ، ومن شيوخه فى ذلك : « الصلاح الزفتاوى »

---

(١) ابن عرفه : هو محمد بن محمد بن محمدعرفة ، أبو عبد الله الورغمى (بفتح الواو وسكون الراء وفتح المعجمة وتشديد الميم) نسبة لورغمة قرية من أفريقيا . التونسى المالكى ، ويعرف بابن عرفة . ولد سنة ٧١٦ هـ — وتوفى سنة ٨٠٣ هـ بتونس .

(الضوء اللامع ج ٩ : ٢٤٠)

(٢) اليافعى : هو عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان بن فلاح ، التاج أبو محمد بن الولى الشهير بالعفيف ، أبى محمد اليافعى ، اليمنى ، ثم المكى الشافعى . ولد سنة ٧٥٠ هـ بمكة ومات سنة ٨٠٥ هـ

(الضوء اللامع ج ٥ : ١٠٢)

و « التنوخى » و « المطرّز » و « ابن الشيخة » و « البهاء عبد الله الدمامينى »
ومما قرأ عليه « الموطأ » ، و « ابن أبى المجد » وخلق . ورافق شيخنا فى كثير
من ذلك لا سيما فى رحلته إلى « الاسكندرية » فإنه كان يستوفى معه ما يحمله
هناك ، وأجاز له جماعة بعدّة استدعاءات .

ولمّا مات والده قريباً من سنة تسعين ؛ وكان هو العالم بأموره ،
قاسى أثر موته فاقةً تجرّعها محبة فى العلم ، ولم يلبث أن استقر فى وظيفة
الشهادة « بالخانقاه الحسنية » بـ « الاسكندرية » / بعد ثبوت عدالته إذ ذاك ١٥١
على قاضى المالكية حينئذ بـ « مصر » وانجرّ الكلامُ بينه وبين القاضى إلى
بعض مسائل العربية بحيث ظهر له تقدمه .

وأقام بـ « اسكندرية » قديماً الاشتغال مدة ، ثم رجع إلى « القاهرة »
فى سنة تسع وتسعين ، ولم يزل يترقى حتى أذن له معظم شيوخه فى الإقراء
والإفتاء ، منهم : « ابن عرفة » فإنه أذن له فى إقراء « الفقه » وغيره من
العلوم ، وكذا أذن له « ابن الملقن » فى إقراء « التقريب والتيسير » وإفادته
وتدريسه مع جميع ما حصّله من العلوم ، ووصفه « بالشيخ الإمام الفاضل ،
عمدة الأفاضل ، جامع أشتاتِ الفضائل » ، وكذا وصفه شيخنا فى ثبته
السكندرى « بالشيخ الإمام العلامه ، الفقيه الفاضل الفهامة ، المفيد المحدث »
وكتب له « العز بن جماعة » إجازة طنانة .

وتنزل فى الجهات ، واستقر معيداً بـ « جامع طولون » ، ثم ولّى
تدريسَ المالكية « بالمسلمية » بـ « مصر » فى ربيع الأول سنة ثلاث وثمانمائة ،
عوضاً عن القاضى « شمس الدين ابن مَكين » بعناية « سعد الدين ابراهيم
ابن غراب »[١] ناظر الخاص والجيش معاً ، ونُوزِعَ بأنّ شرط الواقف

---

(١) سعد الدين بن غراب : « ناظر الخاص والجيش » — هو ابراهيم بن عبد الرزاق
ابن غراب سعد الدين بن علم الدين بن شمس الدين ، السكندرى الأصل ، المصرى القبطى ،
ويعرف «بابن غراب» . أصله من أبناء الكتبة الأقباط بالاسكندرية فاتصل بجدة الجمال محمود
الأستادار واختص به ، ورقاه ، وولاه نظر الخاص قبل استكماله عشرين عاماً سنة ٧٩٨ هـ .
وتزايدت وجاهته عند الظاهر برقوق ومن بعده ابنه الناصر فرج فى نظر الجيش مضافا للخاص
وغيره ، ولازال فى ارتفاع وانخفاض ، مرة يقبض عليه ، ومرة يفرج عنه حتى رقاه الناصر إلى =

فى أنّ المدرس فى حدود الأربعين ، فأثبت ما يدل على أنه زاد عليها ، ويخدش فى ذلك تعيين مولده كما تقدم ، ولكن انقطع النزاع ، وتمّ الأمر ، وعمل حينئذ إجلاساً بحضرة قاضى المالكية إذ ذاك — « نور الدين ابن الجلال » ، وقاضى « مصر » ، « الفخر القاياتى » الشافعى ، وجمع من الفضلاء فى المذهبين .

ثم استقر أيضاً فى تدريس « الفقه » بقبة « الصالح اسماعيل » تجاه « المنصورية » داخل « البيمارستان[1] المنصورى » فى جمادى الثانى سنة ثمان وثمانمائة عوضاً عن شيخه ابن خلدون ، وعمل فيه إجلاساً أيضاً حضره « الجلال البلقينى » ، و « الكمال ابن العديم » قاضى الحنفية وغيرهما ، ثم استقر أيضاً فى تدريس « البرقوقية » قُبَيل موته بعد وفاة « البِساطى » وقدّم فيها على غيره لقربها من محل سكنه ، فإنه كان قد استوطن « الناصرية » من عام سبع وتسعين مع كونه سكن فى « مصر القديمة » بجوار « جامع عمرو » مُدّةً ، وبـ « القرافة » فى زاوية شيخه عبد الله الجبرتى[2] أخرى ، وولى « مشيخة التصوف » هناك ، وأقام به دهراً ثم خرج عنه ، وعزّ عليه استقرار القاضى « جمال الدين البِساطى » فى تدريس « الناصرية » محل

= أن أصبح أمير مشورة وأنعم عليه بتقدمة ألف مات سنة ٨٠٨ هـ . ولما يبلغ الثلاثين من عمره .

الضوء اللامع (ج ١ : ٦٥)

(١) البيمارستان المنصورى : بيمارستان كلمة فارسية مركبة من مقطعين « بيمار » بمعنى مريض . و « ستان » بمعنى « محل » ، وتعرف الآن بالمستشفى ، ويقال لها بالتركية خستة خانه .

وقد أنشأ هذا البيمارستان والمدرسة المنصورية والقبة (وتعرف الآن بمجموعة قلاوون بشارع المعز لدين الله الفاطمى بحى النحاسين بالقاهرة) الملك المنصور قلاوون سلطان مصر من المماليك البحرية سنة ٦٨٣ — ٦٨٤ هـ . وقد كان هذا المستشفى كما ذكر المؤرخون مستشفى ومدرسة للطب خصص لمعالجة جميع الأمراض ودراستها .

انظر الألفاظ الفارسية المعربة لادى شير (وحسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ١٦٠) القاهرة القديمة وأحياؤها للدكتورة (سعاد ماهر : ٤٦) عن المقريزى .

(٢) الشيخ عبدالله الجبرتى : الزيلعى ، أحد العلماء المعتقدين . مات فى المحرم سنة ٧٨٠هـ وقبره مشهور بالقرافة .

حسن المحاضرة (١ ج : ٢٥١) .

سكنه ، وكان هو و « الشهاب » المغراوى[1] و يحي العجيسى كلمة واحدة فى منعه ، بحيث ضج « الجمال » ثم خضع ، وأذعن وخادعهم فأعرضوا عنه ، وناب فى القضاء عن شيخه « ابن خلدون » فى أخريات شعبان سنة سبع وثمانمائة بعد أن ألح عليه فى القبول أياماً ، وكذا ناب عن غيره ، بل استخلفه القاضى « شمس الدين محمد بن على بن معبد المدنى » المالكى[2] فى قضاء المالكية بمرسوم حين / سفره فى بعض الأوقات ولذلك أدخلته هنا . ١٥٢

وحجّ حجة الإسلام[3] فى موسم سنة خمس وثمانمائة ، وكانت وقفة الجمع وسمع وهو واقف بعرفة قائلا لم ير شخصه بصوتٍ رفيع يقول : لا إله إلا الله ، مات البلقينى . وكان الأمر كذلك ؛ فإنه لقى شيخنا بمنى ، وكان ممن حجّ أيضــــاً ، فحقق له ذلك ، وشرب ماء زمزم بنية الفهم ، والانتفاع بالعلم ، وبلوغه فيه درجة مَنْ يُؤخذ عنه ، ويرحل إليه بسببه ، وأن يوضع له القبول ويلطف به ، ويرزق عقباً صالحاً ، ويموت على الإسلام ويثبت عند المسألة ، قال : فرزقنى الله النفعَ بالعلم ، واللحاق برتبة من يؤخذ عنه ، ويرحل إليه فى رأيه ، ووضع لى القبول فى الأرض ، ولطفَ بى . قال : وأنا أرجو باقيها .

وكذا زار بيت المقدس ، وابتدأ فى التصنيف قديماً فى حياة كثير من شيوخه ، واستمر حتى مات ، فكان مما علمته من تصانيفه ؛ « غاية الإلهام

---

(١) المغراوى : بفتح ثم معجمة ساكنة — وهو أحمد بن محمد بن عبد الله الشهاب المغرواى المالكى . كان عالمـا بالفقه وأصوله والنحو وأخذ عنه الجلال البلقينى . وكان يعارض ابن خلدون فى أحكامه ويفتى عليه ويناظره .

الضوء اللامع (ج ٢ : ٣٨ ، ١١ : ٢٢٧) .

(٢) شمس الدين محمد بن على بن معبد المدنى المالكى .

وهو محمد بن على بن معبد بن عبد الله الشمس ، المقسى ، المدنى ثم القاهرى المـالكى ، ويعرف بالمدنى ، ولد سنة ٧٥٩ هـ . وأذن بالمدينة النبوية ، ثم قطن القاهرة ، واشتغل قليلا وأخذ عن الجمال بن خير وغيره ، ولى تدريس الحديث بالشيخونية ، ثم ولى قضاء المالكية ، ثم صرف أيام المؤيد ، ثم أعيد ، وكان مشهوراً بالعفة فى أحكامه ، ولم يكن على مذهبه بالماهر مات وهو قاضى سنة ٨١٩ هـ .

الضوء اللامع (ج ٨ : ٢٢٠) ط القدس

(٣) وردت العبارة فى الأصل : «وحج حجة للاصلام» . والتصويب من الضوء اللامع .

فى شرح عمدة الأحكام » وهو فى ثلاثة مجلدات ، قرىء عليه « باسكندرية »
و « جامع عمرو » وغيرهما ، ووقف عليه غيرُ واحد من شيوخه ، وكذا
عمل على العمدة أيضاً كتاباً لطيف الحجم فى شرح غريبها ، سماه « الأحكام
فى شرح عمدة الأحكام » ، وله « التيسير والتقريب » اختصار « الترغيب
والترهيب للمنذرى » و « الفتح الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف » لكنه
لم يكمل ، و « العيون الثجاجة فى منتخب ابن ماجة » ، وشرحه سماه :
« الديباجة لتوضيح منتخب ابن ماجة » وعلق على « مختصر السنن لأبى داود »
شرحا سماه . « المواهب والمنن فى التعريف والإعلام بفوائد السنن » ، بل له
على البخارى أسئلة سماها « فتح البارى » كتسمية شيخنا ، و « مفتاح السعيدية
فى شرح الألفية الحديثية للزين العراقى » لخصه من شرح المؤلف بزيادات
يسيرة ، و « السعادة والبُشرى فى التعريف بمولد المصطفى والمعراج والإسراء »
و « منتهى المرام فى تلخيص مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » للحافظ
أبى الشناء ، و « زوال المانع فى شرح جمع الجوامع » و « غذاء الأرواح فى
كشف القناع عن عروش الأفراح » للبهاء السبكى لم يكمل ، و « المستغاث
بالرسول فى شرح مقدمة ابن الحاجب المنطقية لمختصره فى الأصول » ،
و « جَلاَّب الموائد فى شرح تسهيل الفوائد » فى ثمانية مجلدات ، و « الكافى
المغنى فى شرح المغنى » لابن هشام فى أربعة مجلدات » ، بيض منه نحو الثلث
الأول فازيد ، واختصر « توضيح ابن هشام وسماه « تنقيح التوضيح
وشرحه » ، وكذ شرح « الملحة » ، وله « الدرة الرّوحانية فى شرح الميدانية
فى التصريف » لأبى الفضل / الميدانى ، وقد وقف عليه شيخه « الغُمارى » ١٣
فى سنة خمس وتسعين وقرضه له تقريضاً[1] بليغاً ، و « القطائف الشهية فيما
وقع لابن عبد السلام من اللطائف الفقهية والنحوية » ، و « شرح مختصر
ابن الحاجب الفرعى » على سبيل الاختصار ، كتب منه إلى أثناء النكاح
وقطعة من آخره ، و « اللباب فى أعداد الحساب » ، و « النصرة على الدوام
فى المنع من مقالات العوام » فى ثلاثة مجلدات ، شرح فيها مقدمة له فى ذلك ؛

(١) وقرضه : سبق شرح هذه الكلمة
(٢) ابن العديم : جاء في الضوء اللامع من الترجمة : ويعرف أيضاً بابن أبي جرادو .

و « بغية المصابين فى تعداد الطواعين » ، و « تطهير الشريعة فى قتل ابن صنيعة » ، و « الفتح الناصح فى إجلاس الصالح » تكلم فيه على قوله تعالى . (إنَّ وَلِيِّىَ اللهُ الذى نَزَّلَ الكتابَ وهو يتولى الصالحين)(١) فى مجلد أدرج فيه فنوناً كثيرة ، وعيوناً من مهمات غَزيرة ، و « اللطف المبرور فى نفثة مصدور » ، و « العناية الإلهية فى الخطط الدينية » ، إلى غير ذلك من المجامع المنثورة ، والفتاوى المحررة المشهورة .

وقد درس وأعاد ، وأفتى وحدث وأفاد ، وانتفع بالأفاضل خصوصاً فى إقامته « بمصر » . وممن كان يراجعه ويسأله عن النوازل جدّى أبو أمى ، ومعه توجهت إليه لعَرْض بعض المحفوظات ، وهو الذى افتتح قراءة الأحاديث التى لخصها « ابن أبى جمرة » من « صحيح البخارى » عند ضريحه أول السنة .

واقتفى أثره فى ذلك بعده « الشمس القَرافى » ، وفسر القرآن بمقبرة « أشهب » و « ابن القسم » من القرافة الصغرى » فى كل يوم سبت من نحو عشرين سنة . وكان يحضر عنده الجمع الوافر . وكان — رحمه الله — إماما عالماً علامة فى « الفقه » ، و « أصوله » و « العربية » و « التصريف » ، متقدماً فيهما ، مشاركا فى كثير من الفنون ممتع المحاضرة والفوائد ، حسن الاعتقاد فى الصالحين ، أمّارا بالمعروف ؛ كثير الابتهال ، قَلَّ أنْ يوجد آخر عمره فى مجموعة مثله ، ولولا مزيد حدته التى أدت إلى ماسيأتى لأخذ عنه الجمُّ الغفير ، ذكر شيخنا فى « تاريخه » باختصار ، وقال : إنه كان حَسَنَ المحاضرة ، صاحب فنون ، محبًّا فى الصالحين حسن المعْتَقَد ، قال : وكان قد عرض له عرق جذام ، واشتد قرب وفاته ، انتهى .

ورأيت بخطه فى بعض تعاليقه ؛ وأظن أنه من نظمه : [وافر]

روبت عن ابن عمار حديثاً فَتَذْكُرْه بذاك على لسانى
فإن لم يفهم العرَبِىُّ يوماً فحدِّثه إذاً بالتُّرْكُمَانى

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٩٦

وقوله :

يارَبّ يا غفار يا بارى تدارك بِرُحماك ابن عمار (١)

مات فى يوم السبت رابع عشر ذى الحجة سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وصلى عليه « بباب النصر » ، ودفن بـ « حوش الحنابلة » تجاه تربة « كوكاى (٢) » ، وأنجب ولده « الشرف أبا سهل عماراً ، سبط « الجمال عبد الله » الحنبلى ، ولم يشذّ عنه من وظائفه سوى البرقوقية » ، فإنه استقر فى تدريسها « أبو الجود » .

وحاول « الشرف » بعد موته ثم بعد موت « العراقى » أخذها فما أمكن ، رحمهم الله وإيانا .

القاضى ناصر الدين*

محمد بن عمر بن العديم العقيلى الحلبى الحنفى المعروف بابن العديم

٧٦٢ — ٨١٩ هـ

١٥٤ محمد بن عمر بن إبراهيم / بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد ابن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيي بن زهير بن هرون ، أخى عبيد الله جد بنى أبى جرادة ، بن موسى بن عيسى ، الناقل من « البصرة » سنة إحدى وخمسين ومائة فى طاعون الجارف ، بن عبد الله بن محمد بن أبى جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن صعصعة بن معونة ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن إلياس ابن نصر بن نزار بن معدّ بن عدنان .

القاضى ناصر الدين أبو غانم بن القاضى كمال الدين أبى القاسم المذكور فى الأصل ابن الجمال ، أبى اسحاق العقيلى — بالضم — الحلبى ، الحنفى .

---

(١) فى الأصل : « دارك » .

(٢) تربه كوكاى : سبق التعريف بـ

عرف بـ « ابن العديم[1] » من بيت كبير معروف بالفضل والرئاسة والوجاهة والتقدم والقضاء .

ولد فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة بـ « حلب » وحفظ بها فى صغره كتباً ، واشتغل على مشايخها ، وأسمع على مسندها أبى حفص عمر بن أيد غمش [2] وغيره .

قدم « القاهرة » مع أبيه وهو شابٌ ، فشغله فى عدة فنون على غير واحد من المشايخ منهم « السراج قارىء الهداية » ، وقرأ هو بنفسه على « الزين العراقى » قليلا من منظومته ، وكان يتوقد ذكاء ، مع هوج ومحبة فى المزاح والفكاهة ، وقد رغب له أبوه قبل وفاته عن تدريس المنصورية ، ثم « الشيخونية » ، وباشرهما فى حياته وأوصاه ألا يترك المنصب بعده ، ولو ذهب فيه جميع ماخلّفه ،فقبل الوصية ،وبذل على المنصب حتى استقر فيه ، وهو يومئذ ابن تسع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وذلك فى ثالث المحرم سنة اثنتى عشرة ، بعد صرف الأمين بن الطرابلسى وإعطائه الشيخونية » ، واستمر إلى أن سافر مع « الناصر » سنة مقتله . فاتصل بـ « المؤيد » زمن حصار « الناصر » فى « دمشق » ، فغضب منه « الناصر » فعزله ، وقرّر القاضى « محب الدين أبو الوليد ابن الشحنة » الحلبى فى القضاء ، لكنه لم يباشر بل ولم يرسل إلى « مصر » نائباً ، وذلك فى سنة خمس عشرة . فلما قتل « الناصر » وكان هو الحاكم بقتله أعيد ، واستمر إلى أن صُرف فى رابع عشر جمادى الأولى من السنة بالصدر « على بن محمد بن محمد الأدمى » بعد دخول « المؤيد » « القاهرة » وقبل سلطنته ، فسعى حينئذ ببَذْلِ مالٍ فى عود تدريس « الشيخونية » إليه وصدق عن « الأمين الطرابلسى » ووقع ذلك فى رجب منها ، وسافر إلى الحج منها ، فاستخلف فى التدريس

(١) ابن العديم : له ترجمة فى الضوء اللامع للمؤلف ج : ٨ : ٢٣٥ .

(٢) عمر بن أيد غمش : هو عمر بن يد غمش النصيبى ، الحلبى ، ويعرف بالكبير ; ولد سنة ٧١٦ هـ بحلب ومات سنة ٨٠١ هـ بحلب .

الضوء اللامع (ج ٦ : ٧٤)

شيخه « قارىء الهداية » ، وفى المشيخة « الشهاب بن سفرى »[١] فوثب عليهما « الشرف التبانى[٢] ، وانتزعها منهما فى ذى الحجة منها .

ولما رجع من الحج أُعيد بعد أزيد من سبعة أشهر وذلك فى رمضان سنة ست عشرة إلى القضاء/[٣] بعد موت ابن الأدمى ، وسار فى كلا الولايتين سيرة غير مرضية فإنه كان يراشى أهل الدولة ونحوهم ، بأوقاف الحنفية فيؤجرها لمن لا يخطر له منهم على بال بأبخس أجْرة ليتوصل بذلك إلى مقاصده حتى كادت تخرب ، ولو دام قليلا لخربت كلها مع كثرة وقيعته فى العلماء ، وقلة مُبالاته بأمر الدين ، وكثرة التظاهر بالمعاصى ، ولا سيما الرّبا ، بل كان سيء المعاملة جداً أحمق أهوج ، متهوراً ، سيئة من سيئات الدهر ، وقد امتحن فى « الأيام الناصرية » وهو إذ ذاك قاضى الحنفية على يد الوزير « سعد الدين البشيرى » ، وصودر .

١٥٥

ولما وقع الطاعون فى سنة تسع عشرة ذُعر منه ذُعراً شديداً ، وصار دأبه أن يستوصف ما يدفعه ، ويستكثر من ذلك أدوية وأدعية ورقى ، ثم تمارض حتى لا يشاهد ميتاً ، ولا يدعى إلى جنازة لشدة خوفه من الموت ، فقدّر الله تعالى أنه سلم من الطاعون ، وابتلى بالقُولنج الصفراوى فاشتد خطبه به ، ومات فى ليلة الثلاثاء[٤] تاسع شهر ربيع الآخر منها ، وترك المنصب شاغراً نحو الشهرين حتى استدعى بالشيخ « شمس الدين بن الديرى » من « بيت المقدس » ، واستقر فى جمادى الآخرة ، وقد ذكره « العلاء ابن

---

(١) ابن سفرى : هو محمد بن محمد بن أحمد بن سفرى العزازى ، نزل حلب ، شمس الدين الحنفى نشأ ببلده ، وقدم حلب فاشتغل على ابن الأقرب ، وصاهره ، وسكن بانقوسا ، وكان يدرس ويفتى . ومات سنة ٨١٩ هـ .

الدرر الكامنة (ج ٤ : ١٦٠)

والضوء اللامع (ج ١١ : ٥١)

(٢) التبانى : نسبة للتبانه ، خارج القاهرة .

الضوء اللامع (ج ١١ : ١٩٤)

(٣) جاء فى المخطوطة : أن ص ١٥٥ بياض ، وأن الترجمة ناقصة ، والصواب أنها كاملة وبقيتها تقع فى ص ١٥٧ .

(٤) جاء فى الضوء اللامع من الترجمة أنه مات فى ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر .

خطيب الناصرية » ، وكان كريماً على الدولة ، وباشر القضاء بحرمة ، وكانت فيه خصال غير مرضية ، إلا أنه كان ذا مروءة وعصبية ، ونحوه قول غيره فى أبيه ، قال : ومات عن نحو ثلاثين سنة . قلت : بل لم يكمل ثمانية وعشرين ألحق الله به من هو على نمطه وطريقته خصوصاً شباب أهل مذهبه ، وذوى جرأته ممن لم يرتق افضيلته ومرتبته آمين . آمين . آمين .

أبو الجود المغربى*

٨٣٠ ﻫ

١٥٦ / محمد بن عمر بن مسعود ، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ؛ ويكنى قديماً — أبا الجود الغزّى ثم القاهرى الحنفى عرف بـ « ابن المغربى » ولد — فيما بلغنى — فى شوال سنة ثلاثين وثمانمائة بـ « غزة » . وكان أبوه يتقلد لمالك . فنشأ هذا وتحنّف . وحفظ « القدورى » ومنظومة « ابن وهبان » وغيرهما . وكان زوج أخته « الشمس محمد بن محمد بن دِمرْدَاش الخطيب الُحصرى » حنفياً ، فأخذ عنه « الفقه » و « العربية » و « الفرائض » و « الحساب » . وهو ممّن أخذهما عن « العماد بن شرف » بل زعم هو أنه أخذ بقراءته قطعة من شرْح « نزهة ابن الهائم » فى « الحساب » عن « ابن شرف » ، فى سنة ثلاث وأربعين ، وأخذ « الفقه » و « العربية » أيضاً مع « الأصول » عن العلامة شيخ المذهب ببلدة « ناصر الدين محمد بن يوسف مملوك الإياسى » ولازمه فى « قراءة الصحيحين » و « الموطأ » و « الشفاء » وغيرها ، وبه انتفع ولعله هو الذى حنّفه ، ولم ينفكّ عنه حتى مات .

وعن قاضى بلده « الشمس محمد بن محمد بن عمر » « الفقه » « والأصول » أيضاً ، وكتب له التوقيع وتخرج به فيه ، وبرع فى ذلك ، وتكسب به ، وعن « الزين قاسم الرملى » ثم « الحلبى » أحد أصحاب « ابن رسلان » العروض

(*) ابن المغربى : جاء فى الضوء اللامع أنه : « محمد الشمس أبو عبد الله ، وقديما — « أبو الجود » الغزى ، ثم القاهرى ، ابن المغربى . ولد فى شوال سنة ثلاثين وثمانمائة بغزة ، وكان أبوه مالكيا ، فنشأ ابنه متحنفاً .

الضوء اللامع (ج ٨ : ٢٦٤) .

واستقر فى «مشيخة البرديكية» ببلده ، وارتحل إلى «القاهرة» مراراً وأخذ بها عن الزين قاسم بن قطلوبغا[1] ولازمه فى «الفقه» و«الأصول» وغيرهما ، وحضر موته وعن «الأمين الأقصرائى» ، ولزمه بآخرته ، وقطن «القاهرة» ولازم القاضى «شمس الدين الأمشاطى[2]» فى دروسه وغيرها ، فلما ولى القضاء نوه به ، ونزله فى «صوفية البرقوقية» ، ورتب له غير ذلك ، وصار يحيل فى الفتاوى عليه ، ودرس بـ «الأزهر» وغيره .

والتمس القاضى من الأمير «تعزى بردى الخازندار» أن يقرره بعد موته فى تدريس «السودونية» لحاجته وفقره وتأهله ، فعورض فى ذلك ، وكان هو الغالب ، واستقر به أمير خور قجماس[3] فى تدريس الحنفية بمدرسته التى استجدها خارج «باب زويلة» البياطره وأسكنه بها ، ولما مات «ابن عبيد» كما سيأتى رسم فيما قيل بإحضار «الشريف» سبط «البرهان الباعونى» واسمه «علاء الدين على» ابن نقيب الأشراف بـ «الشام»

---

(١) الزين قاسم بن قطلو بغا (قاسم الحنفى) هو قاسم بن قطلو بغا ، الزين ، وربما لقب «الشرف أبو العدل السودانى» نسبة لمعتق أبيه سودون الشيخونى نائب السلطنة ، الجمالى ، الحنفى . ويعرف «بقاسم الحنفى» . ولد سنة ٨٠٢ هـ بالقاهرة . برع فى كثير من الفنون كالفقه والعربية والحديث وغير ذلك من فروع العلم ، وكتب مصنفات عديدة فى شرح «درر البحار» للقونوى فى اختلاف المذاهب الأربعة ، وشرح مخمسة الديرينى فى العربية ، وجامعة الأصول فى الفرائض ، وورقات أمام الحرميين ، وميزان النظر فى المنطق لابن سينا ، وكتب تعليقه على موطأ محمد بن الحسن ، وأخرى على آثاره ، واختصر تلخيص المفتاح ، وله حواش على حواشى التفتازانى على تصريف العزى ، وعلى الأندلسية فى العروض ، وكتب غريب أحاديث شرح أبى الحسن الأقطع على القدورى ، وخرج أحاديث الاختيار شرح المختار ، ورتب مسند أبى حنيفة للحارثى على الأبواب .

مات فى سنة ٨٧٩ هـ بالقاهرة .

الضوء اللامع (ج ٦ : ١٨٤ — ١٩٠)

(٢) الأمشاطى : بفتح الهمزة نسبة لبيع الأمشاط .

الضوء اللامع (ج ١١ : ١٨٥)

(٣) قجماس أمير آخور : هو قجماس الإسحاسى ، الظاهرة ، جقمق نائب الشام ، نشأ فى خدمة أستاذه ، وجود الخط فى طبقته ، ثم عمله الظاهر خشقدم خازندار كبس ، ثم أمره بلبان عشرة ، ثم نقل فى النيابة لأمره آخور ، وتحول الى الديار المصرية ، وسكن بيت تمر الحاجب بالقصر تجاه الكاملية ... ألخ بنى مدرسة بالقرب من خوخة أية غمش للجمعة والجماعات . مات فى سنة ٨٩٢ هـ .

الضوء اللامع (ج ٦ : ٢١٣)

السيد « محمد بن على » أخبره « الشهاب أحمد » نقيب الأشراف وأبوه « محمد » هو سبط « ابن الجزرى » لولاية القضاء فما تم . وحينئذ ذكره « الخازندار » المشار إليه — فيما أظن — عند السلطان أو غـــيره للسلطان بالأوصاف المتقدمة ، فأرسل إليه بقجة قماش تليق به ، ثم قرره فى القضاء ، وذلك فى يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة ست وثمانين ، وركب معه الشافعى والحنبلى و « المقر الزينى » وابنه وناظر الجيش و « العلاء بن الصابونى[1] » ، وما أظن نفســه كانت تحدثه بذلك ، بل رأيته كتب لبعض قضاة مكة ممن أرسل إليه يهنئه بالولاية ما نصه :

« هذا أمر لم يكن فى الظن ، ولا خطر على قلب بشر » . ثم سمعت ذلك منه . لتواضعه وانطراح نفسه علىّ ، على أنه فى حال إقامته بـ « الأزهر » كان يحضر فى « العربية » عند « الزين عبد الرحمن السَّنْتاوى »[2] ، مع فضيلته فيما ذكر فيها ، بل كثير الاستحضار لفروع مذهبه مع ذكره هو ووالده ، بل وساير أهل بيته بالخير ، وسكن بعد ذلك « الصالحية » وانفصل عن تدريس « القجماسية[3] » لصاحبنا « السيد الشمس المفتى » نفع الله به .

وقد كتب بخطه جملةً ، وحج بعد الخمسين ، وزار بيت المقدس ، غير مرة . ودخل الشام وحلب وغيرهما — أظنه فى التجارة ، ولا أستبعد أخذه بهذه الأماكن عن بعض علمائها ، ولكن ما كلمته فى شىء من هذا .

---

(١) العلاء بن الصابونى : هو على بن أحمد بن محمد بن سليمان بن أبى بكر القاضى علاء الدين ويلقب فى بلده بنور الدين بن الخواجا شهاب الدين البكرى الدمشقى ، ثم القاهرى ، الشافعى ، ويعرف « بابن الصابونى » . جاور بمكة سنة ٨٤١ هـ ، وقدم القاهرة على الظاهر حشقدم لاختصاصه به وبأبيه .

الضوء اللامع (ج ٥ : ١٨٤)

(٢) الزين عبد الرحمن السنتاوى :

هو عبد الرحمن بن محمد بن حجى بن فضل ، الزين ، السنتاوى ، ثم القاهرى ، الأزهرى الشافعى ، ويعرف بالسنتاوى . ولد سنة ٨٢٧ هـ وحفظ القرآن ببلبيس . ومات فى سنة ٨٩٦ هـ .

الضوء اللامع (ج ٤ : ١٢٧)

(٣) القجماسية : مدرسة بناها قجماس الاسحاقى السابق ، المترجم له . . وانظر فهرس المدارس من هذا الكتاب .

ولا عرفت ما أثبته هنا إلا من جماعة من خيارِ بَلَدِه . مع أنه قد تردد إلى واجتمعت به وبأخيه مراراً — والله تعالى يسدده .

وقد رفعت له قصةٌ بطلب « ابن الكركى » فى دعوى حين تغير السلطان منه فأمر بإحضاره . وَرِيمَ من بعض أصحابه ، فقال : قد صرَّح أصحابُنا بأن الامتناعَ من الحضور كفر أو كما قال .

ولما سكن « الصالحية » نقم عليه أهلها وغيرهم عدم حرصه على شهود الجماعة ، بل قام عليه بعضُ أهل مذهبه من النواب وغيرهم وكتبوا فى حقه /. ١٥٧

محمد بن أبى بكر السدرشى*

القاهرى الحنبلى المعروف بالسعدى

٨٣٦ — ٩٠٠ هـ

محمد بن محمد بن أبى بكر بن خالد(١) بن ابراهيم — صاحبنا — القاضى بدر الدين السِّدْرشى الأصل القاهرى المولد والدار ، الحنبلى . عُرف بـ « السَّعدى » نسبة قديمة لوالده .

ولد(٢) فى شوّال سنة ست وثلاثين وثمانمائه بـ « القاهرة » . ومات والده وهو ابنُ ثلاث سنين . فنشأ فى كفالة أُمِّه وأُمها . وهى أُخت الشيخ إمام الدين الحنبلى والشيخ « نور الدين على الشافعى » ، والقاضى « زين الدين عبد القادر الحنبلى » ، أربعتهم بنو الشيخ « المقرى زين الدين أبى بكر البكرى البلبيسى » . وجدّةُ أُمهم لأمّها هى أُخت « السراج البلقينى » أو خالته .

وحفِظَ « القرآن » و « الوجيز » و « ألفية النحو » و « التَّلخيص » ومعظم « جمع الجوامع » — فيما أخبرنى — وجوّد القرآن على بعض القراء

(*) السدرشى : له ترجمة فى الضوء اللامع (ج ٩ : ٥٨) . وتبدأ ترجمته فى المخطوطة التى معنا من السطر الخامس عشر من ص ١٥٧ .

(١) العبارة فى الضوء اللامع : « ابن خلد البدر » انظر الترجمة هناك .

(٢) فى الضوء اللامع : « ولد فى ثالث شوال »

وأقبل على الاشتغال ، وكنت ممن رغّبَـهُ فيه . فأخذ « النحو » عن جماعة منهم : « الشهاب الأبُدّى » ، أخذ عنه الحدود وغيرها ، و « أبو عبد الله الراعى » . وقرأ عليه مصنّفه فى « القواعد » وشرحه الكبير « الأجرُومية » ، و « أبو القَسَم النُّوَيْرى » ، قرأ عليه جميع « ألفية ابن مالك » . والكثير من شرحه بمختصره لها . و « التقى الشُّمـنى » أخذ عنه « المغنى » وحاشيته التى له عليه / وغير ذلك . وكذا أخذ « النحو » و « الصرف » عن « العز عبد السلام البغدادى » بل قرأ عليه جُزْءاً من تصانيفه ، والبعض من « النحو » وغيره عن « أبى الفضل المغربى » . ولازم « التّقى الحِصْنى » فى « المعانى » و « البيان » و « الأصليين » و « المنطق » وغيره .

١٥٨

وحضر عند « الشمس الشروانى » دروســاً فى « المختصر » وغيره . وأخذ عن « الكمال بن الهمام » ما قُرِىء عليه قبيل موته من مصنفـه « التحرير فى أصول الفقه » وقرأ على « المحيوى الكافياجى » مصنفه فى كلمه التوحيد » وغيره من تصانيفه ، وعلى الشيخ « أبى النُجُـود البَـنْـبى » « بمجموع الكلائى »[1] . وكتب عنه شرحه عليه . وكذا أخذ فى « الفرائض » أيضاً عن « الزين البُـوتيجى » . وفى « الحساب » عن « السيد نور الدين على تلميذ ابن المجْـدى » . واليسير عن « الشِّهاب السِّجينى »[2] . وفى « الميقات » عن « نور الدين النَّقّـاش » . وفى « الأدب » عن « الشهاب ابن صالح » وحضر عن شيخنا من دروس الحديث وغيرها . وكتب عنه من أماليه ، وسمع عليه أشياء من تصانيفه وغيرها . وحصل بعضها مع أشياء من

---

(١) مجموع الكلائى : هذا اسم لكتاب يطلق عليه « المجموع فى علم الفرائض » للشيخ أبى عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الكلائى الفرضى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٧ هـ . وقد رتبه الإمام الشيخ بدر الدين محمد بن محمد بن محمد بن سبط المردين المتوفى سنة ٨٠٩ هـ . شرحه الشيخ الإمام عبد الله بن بهاء الدين محمد بن عبد الله الشنشورى الشافعى ، المتوفى سنة ٩٩٩ هـ شرحا حسنا جامعا فى مجلد وسماه « فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب » .
انظر كشف الظنون لحاجى خليفة .

(٢) السجينى : جاء بهامش الضوء اللامع : « السجينى » بكسر السين ، جيم مخففة ، مجاورة لمحلة أبى الهيثم من الغربية .

انظر الضوء اللامع (ج ١١ : ٢٠٦) .

تصانيف غيره بخطه المنسوب الذى جود فيه على « البرهان الفرنوى[١] ».
وكتب اليسير على « أبى الفتح الحجازى » بل كتب قبامها على « الزين بن
الصائغ » يوماً واحداً . وكذا سمع روايةً على « الشريف البدر النسابة »
و « العلاء القلقشندى » ، وعبد الكافى بن الذهبى » و « الزين شعبان
العسقلانى » وخال أمه « النور البلبيسى » . و « العلم البلقينى » ، و « الأمين
الأقصرائى » ، و « ابن الرزاز » . و « القطب الجوجرى . و « الشهابين
العقبى » و « ابن يعقوب » . والأبودرى » . و « ابن النفاقورى » .
وإمام « الصرغتمشية » ، و « سارة ابنة ابن جماعة » وخلق .

وكمل له مسند إمامه بقراءته وقراءة غيره . و « صحيح البخارى » الذى
كان بـ « الظاهرية القديمة » . و « السنن » لأبى داود . و « السنن الكبرى »
للنسائى . وغير ذلك من الكتب الكبار والأجزاء ، كما هى مثبتة عنده
بخطى . وقرأ بنفسه دلائل النبوة « للبيهقى » . و « صحيح » مسلم وغيرهما .

وأجاز له غيرُ واحد باستدعائى ، وسمع بـ « مكة » حيث وصل إليها لقضاء
فرضه على « الزين الأميوطى والتقى بن فهد » وغيرهما ، وأخذ
فى شرح « ألفية العراقى » سماعاً وقراءة عن « الشرف المناوى » ، و « الفقه »
بكماله عن « نور بن الرزاز » ، واليسير منه عن « الجمال بن هشام » ، والكثير
منه ومن غيره عن شيخ المذهب القاضى « عز الدين الكنانى العسقلانى »
وأكثر من التردد إليه قبل القضاء ، وقصر نفسه على صحبته فراعى
ذلك له حين استقراره للقضاء ، وتزايد ميلُه إليه ، وإقباله بكليته عليه
لما تفرس فيه من النجابة ، واقتفاء الطرق المقتضية للإصابة ، وعند بُدو
براعته وسمو بلاغته ، استنابهُ فى القضاء ، واعتنى بتسليكه فى واسع الفضاء
ورباه أحسن تربية ، ومشاه حتى صعد به أعلى الأودية ، وأعانه هو بنفسه
فتحقق عنده ما كان يتوهمه بحدسه ، وصدقه فى المجالس ، وقدمه للقراءة
بين يديه فى المجامع والمدارس ، ولم ينفك عن / تعاطى الحقير من أمرى ١٥٩

(١) الفرنوى : هو محمد بن محمد بن سليمان بن عبد السلام البدر الفرنوى الأزهرى ، المالكى ، ولد سنة ٨٦٣ هـ تقريباً بـ « وفرنوه » من البحيرة .

العز والجليل ، وعدم التباطؤ فيما يرسم به حتى كان أعظم وزير وخليل له ، وخصّه بمستودَع سرِّه ؛ وحضّه على الأسباب المرجوة لعلوّ قدره ، فتزايد رواجُه ، وسرورُه وابتهاجُه ، وتدرّب فى الشروط ، ومالها من الرسم المضبوط بمن يردُ عليه من أعيان الموثّقين ، وتمرن فى الأحكام التى اختص من مهماتها بالتعيين ، واشتهر بمزيد الذكر ، وخبر الناس بنقد الفكر فميّزَ المتحرى من الجرىء والظنين من البرىء وأفتى ودرس وبَرَزَ على أقرانه ، ورأسَ بعد إذنِ شيخه له فى ذلك بلفظه ونَظْمه إجابةً لسؤاله المنظوم حسبما قدمت كلا منهما عند إثبات اسمه ، وكذا أذنَ له فى الإقراء بعض من سميناه أوّلا . . وتبين بكل ما أبديته صحة ما أشرتُ إليه حيث كتبت له فى حياة شيخه بعد جوابى عن حديث أُشكل لفظُه ومعناه ، حتى قال شيخ المذهب « المحب البغدادى » : وناهيك به جلالة ، حتى فى الحديث أنه سأل عنه أعيان المحدثين فى « القاهرة » فلم يَعرفُوا لَفْظَهُ ولا معناه بقولى : ولما كَمُلَ لى ما رُمْتُهُ وسَهُلَ علىّ المعنى الذى قصدْتُه ، عددته من المتفضّل بالسؤال عنه منحة ، وأضفته لسابق ماله من الأفضال الشاهدة للوداد بمزيد الصحة ، وقلت نشراً لمحاسنه وقهراً لمُنَاوِئه ، ومُبايَنَةُ هذا البدر لعمرى فى سماء العلو أبهى من الدُّرّ ، وفى صفاء بهجته الزائدة فى النمو أنفع للنفوس الزكية من البر ؛ قد ضم لما اشتمل عليه من العلم وكريم الأصل مزيد التودد والتواضع ، وتمْ له بحسن سيرته ورأيه السديد أنْ صار المقدّم فى المشاهد والمجامع ، وصار فى حسنات شيخنا وشيخه بل شيخ المذهب معدوداً ، بالنداء من غاية المدى فى المهمات مقصوداً ، وظهر به صحةُ فراسةِ أستاذى ناصر السنة ، فقد ضبط عن لفظه الغاية فى النفاسة والضِنّة قوله الذى بلغنى عنه فيه بالتعيين : صغار قوم كبار قوم آخرين . وكان ذلك فى ابتداء طلبه وترعرُعه وإقباله على فَهْمِ العلم ، ومنزعه إلى آخر الكلام .

وأول انشأ تنزل فى صوفية « البرقوقية » ، برغبة خال أمِّه إمام الدين ثم بعد ذلك بمدة فى صوفية « الأشرفية الجديدة » ؛ عقب وفاة القاضى « نور الدين بن قطب الشيشينى » ، وقبله رغب له « الشهاب بن صالح » عن

تدريس الحديث بمسجدى « رشيد وقطز » من نواحى « الصليبة » ؛ وعمل أجلاساً بذلك ؛ بحضرة شيخه وغيره ، وكذا استقر فى تدريس الفقه « بالقراسنقرية » و « المنكوتمرية » مع مباشرتها .

وفى الإفتاء / بدار العدل عقب « المحب بن جُنَاق[1] وكان ممن يصبر على أذاه ؛ ويتحمل إعراضه وجفاه ؛ فأراه الله مَصرعه ؛ وحمد صنيعه معه ومشرعه ؛ ومن صبر ظفر . ١٦٠

وبعد وفاة شيخه « العز » استقرّ فى تدريس « الشيخونية » ، وعمل اجلاساً بحضرة جماعة من الأعيان منهم : ، « التقى الحصنى» ، و « الشمس الأمشاطى » ، « المدنى بن[2] تقى » ، « والبدرى بن القطان[3] » ، « والبرهانى الكركى » [4] الإمام ، وطائفة كنت منهم ، وكان مجلساً أنساً ، وكان

---

(١) ابن جناق : بضم تخفيف آخره قاف .

وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن حسن بن محمد ، المحب ، أبو الفضل ، الموصلى ثم الدمشقى الأصلى ، القاهرى ، الحنبلى ، ويعرف « بابن جناق » . ولد سنة ٨٣٢هـ . ومات سنة ٨٧٢ هـ .

الضوء اللامع (ج ٧ : ٧٢)

(٢) ابن تقى :

هو محمد بن تقى المدنى ، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن الشيخ محمد بن روزبة ، وبنوه عبدالسلام ، وأبوبكر ، والشمس محمد ، وهو أكبرهم ، وبنوه الشهاب أحمد ، ثم الشمس محمد قلقبول .

الضوء اللامع (ج ١١ : ٢٣٨) .

(٣) ابن القطان :

هو محمد بن محمد بن عبيد أبو سعد بن القطان ، لقى ابن رسلان فأخذ عنه ، وسمع من ابن حجر . مات قبل سنة ٨٧٠ هـ .

الضوء اللامع (ج ٩ : ١٣٦).

(٤) البرهان الكركى :

هو ابرهيم بن موسى بن بلال بن عمران بن مسعود بن دمج — بتحريك المهملة والميم وآخره جيم — البرهان العدمانى الكركى ، ثم القاهرى ، الشافعى ويعرف « بالكركى » .

ولد فى سنة خمس أو ست وسبعين سبعمائة بمدينة كرك الشوبك ومات سنة ٨٥٣ هـ

الضوء اللامع (ج ١ : ١٧٥) :

أمره عقب شيخه أن يتمّ فى قضاء الحنابلة ، وأثنى عليه غَـيْرُ واحد منهم ؛ « الأمين الإقطوى » و « الـكافياجى » ، فعورض مع اتفاقهم على تمييزه عن بقية الحنابلة « بـ القاهرة » خصوصاً وقد كان ألزم نَفْسَـه قُبيل وفاة شيخه بمدة عدمَ التعاطى على الأحكام . واستمر على ذلك مع شدة لوم شيخه له فيما ألزمه ، حتى إنه كان فـرْداً بينهم بهذه الخصلة ، وحينئذ رسم بإشارة المقر الزينى بإحضار قاضى الشام « البرهان بن مفلح » بعد ثناء « المحبّ » الحنفى عليه ، ومعارضة « الأمينى » له بقوله له : « ولد » . وفى هذا التلميح كفاية عن التصريح ، وتمادى حضور ابن مفلح فتعطل على الناس كثير من القضايا ، لاسيما الخلع لمسيس الحاجة إلى حنبلى فى ذلك . فلما كانت كائنة المدرسة السيفية ، [1] القريبة من بيد العواميد ونزول السلطان بسبب النظر فى أمرِها ، حيث ادّعى أنّ من جملتهاقطعة اغتصبها تَغْـرِى بَرْدِى[2] المحمودى حسبما شرحته فى غير هذا المحل .

وحكم القاضى « نور الدين البلبيسى » بمقتضى ما قامت عنده به البينةُ فيها ، احتيج لتنفيذ حنبلى لحكمه على العادة ، فأمر « المقر الزينى » قاضى الشافعية بتعيينه على صاحب الترجمة لينفذه وينظر فى غيره من القضايا إلى أنْ يحضر البرهان ؛ ويكون هو القاضى ففعل ، وذلك فى يوم الثلاثاء عاشر

---

(١) المدرسة السيفية :

قال المقريزى : هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين والملحيين ، وموضعها من جملة دار الديباج .

وذكر ابن عبد الظاهر أنها بنيت فى وزارة صفى الدين بن عبد الله بن على بن شاكر (أى فى العهد الأيوبى) . وتعرف الآن بجامع الحطاب .

النجوم الزاهرة (ج ٦ : ١٦ ، الخطط التوفيقية ج ٦ : ٨) .

(٢) تغرى بردى المحمودى :

هو تغرى بردى المحمودى الناصرى ، تنقل فى الخدم إلى أن تقدم ، وقرر « رأس نوبة النوب » ، ثم حبس بعد أن كان رأس الذين غزوا الإفرنج بقبرس ، ثم أفرج عنه وقرر أميراً بدمشق بل أتابكها . ومات فى قتال « قرايلوك » فى ذى القعدة سنة ٨٣٦ هـ ومعنى تغرى بردى بلغة التتار « الله أعطى » .

انظر الضوء اللامع (ج ٣ : ٢٩)

وشذرات الذهب لابن العماد (ج ٧ : ١٠٩)

شعبان ، ثم تزاحمت الأشغال التى كانت محبوسة فى طول هذه المدة ، ولزم طريقته فى التعفّف عن التعاطى ، ولو مدّ يدَه — أعاذه الله من ذلك فى هذه الأيام — لحاز شيئاً كثيراً .

كل ذلك والأخبار تَـرِدُ عن « البرهان » بأنحاء مختلفة إلى أنْ توالَتِ الكُتُبُ المعتمِدةُ وغيرها بضعفه الزائد ، ووصل عِلْمُ ذلك للسلطان فأمر بالاستدعاء به على حين غَفْلة عقب ختم « البخارى » ، وذلك فى عصر يوم الأحد ثانى عشر شهر رمضان ، بعد مضى أربعة أشهر وزيادة على نصف شهر ، من وقت وفاة شيخنا؛ رؤى فيها لصاحب الترجمة من المقامات المشعرة بالاستقرار جُمْلة . فقرره فى القضاء بحضرة القضاة الثلاثة ، ولبس الشريف وركب معه القضاةُ الثلاثة وكثير من النواب إلى الصالحية ، فجلسوا بإيوان الحنابلة منها ، وعلم على بعض القصص على العادة ، وركب هو والشافعى / والحنفى ، وتخلف المالكىّ بها لصلاة العصر ، ورام الحنفى من الشافعى المفارقة من الناصرية محلّ سكنه فامتنع ، واستشعر البدر أن الحنفى قد يفارق من مفرق الطريقين بالقُرْب من القصر ، ويتوجّه من هناك لبيته فبادر بالحلف عليه فأجاب ، واستمرّ هو والشافعى وابن الحنفى الصغير إلى أنْ وصل لبيته فى رأس سويقة اللبن ففارقه الشافعى ودخل هو إلى إلى منزله .

١٦٠

وأظهر غالبُ الناس غايةَ السرور . ولكن لما كانت ولايته خلافاً لغرض الحنفى لكون ميله الأعظم إنما كان فى البرهان ؛ وإلاّ فالخطيب الشمس بن أبى عمر فعل ما أشرتُ إليه ، خصوصاً وقد كان الشافعى عيّن فى زمن الفترة على البدر إجازة تتعلّقُ به ، فرام استيفاء الشروط فيها ، فعزّ ذلك عليه ، وسأله مديحاً قبل بأسبوع فى عملها فتوقف والأعمالُ بالنيات ، ويأبىَ الله إلا ما أراد .

ولا زال يسترسل وبُنيّه معه حتى كانت كائنة « شِقرا »[1] التى شرحتها

---

(١) شقراء الناصر فرج بن برقوق ، وأم محمد بن جرباش ، زوجها أبوها لمملوكه جرباش . الضوء اللامع (ج ١١ : ٦٨)

فى الحوادث ، فتعصّب الابنُ المشار إليه بجهتها بدون دُربة ولا تأن ، وأحب التقوّى بخطوط المفتين من المذاهب .

وكان ممن حضر إليه ورام أَخْذَ خطه صاحب الترجمة فامتنع ، لعدم موافقة ما عنده لغرضه ، لكنه التزم بالسكوت وعدم المعارضة ، فما قنع الولد بذلك ، بل أخذ خط أحد نواب « البدر » وهو « الشهاب الشَّيْشِينى »[1] بما يوافق غرضه ، وأرسل به إليه مع بعض نواب الحنفية : شبه المبكت بذلك .

وشرع هو وأبوه وأتباعهما فى إشادَةِ ذكر مُفْتِيهم وإطرائه ، وطاش معهم ، فما احتمل البَدْرُ هذا ، ودَسَّ من استفتى له الجماعة ، فكان ممن وافقه على فُتْياه : « البدرى أبو السَّعادات البُلقينى » و « التَّقِىُّ الحصنى » لكن لفظا ، و « المحيوى الطوخى » كذلك ، و « الجلال البكرى » و « البدرى بن القطان » ، و « البرهان العجلونى »[2] و « الجمال الكورانى » و « الزينى عبد الرحيم الأَبْنَاسِى » ، و « البرهان بن أبى شريف » ، و « الزين المنهلى » و « الشرفى عبد الحق السُّنْباطى » وغيرهم من الشافعية . و « الشمس الأمشاطى » و « البدرى بن الغرس »[3] من الحنفية . و « البرهانى اللقانى » قاضى المالكية الآن ، و « الشهاب أحمد الحسنى الأرميونى » و « الزينى داود الأزهرى » من المالكية ، و « الجمالى يوسف بن المحب البغدادى » و « العلاء البغدادى » الدمشقى من الحنابلة .

---

(١) الشيشينى بمعجمتين مكسورتين تلى كل واحدة تحتانية وآخره نون نسبة لقرية من المحلة بالغربية .

الضوء اللامع (ج ١١ : ٢١٠)

(٢) العجلونى : نسبة لعجلون من عمل الشام .

الضوء اللامع (ج ١١ : ٢١٤)

(٣) ابن الغرس :

محمد بن محمد بن خليل بن على بن خليل البدر أبو اليسر القاهرى الحنفى ، ويعرف بابن « الغرس » وهو لقب جده خليل الأدنى . ولد سنة ٨٣٣ هـ بظاهر القاهرة . ومات سنة ٨٩٤ هـ .

الضوء اللامع (ج ٩ : ٢٢٠)

وعقد بسبب ذلك عدةَ مجالس عند السلطان وغيره كان آخرها / يوم ١٦٢
الخميس حادى عشر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين بين يدى السلطان
بالحوش بعد أن وصلت إليه الأمورُ مفصَّلة ، فبادر بعد كلام كثير ،
وتوبيخ للقائم بأعباء هذا الأمر ، وقرر « الشمس الأمشاطى » فى قضاء
الحنفية بعد إقامته « المحيى » من مجلسه ، وتصريحه بعزله إلى غير ذلك
مما لا أحبُّ إثباته هنا .

وكان فى هذا إظهارُ كرامة « العز الحنبلى » حيث تعُدّى إليه فضلا
عن صاحب الترجمة ، نظما ونثراً بما أستحيي من الله أن أخوضَ فيه ، وزيد
فى هذا المهيع لغالب المفتين فى هذا الجانب بل تعدّى لأصحابهم ، وعذلت
الولد عن ذلك فما انثنى ولا ارعوى ، بل كان من كلامه : أنا أعرف أنّ
ثلاثة أرباع الناس يكرهوننى . فقلت له : فلا تسْعَ فى الربع الآخر .
إلى أنْ حصل الانتقام والجزاء من جنس العمل .

وبالله لو لم يخوضوا فيما دَبّروه لتمّ الأمر ولَوَفَى « البدر » بما التزمه
من السكوت وعدم المعارضة . ومع ذلك فقد شقّ ما وقع للمحيي على
كثيرين ، لكن صار يخفض عنهم أو عن أكثرهم العلم بجبروتيته ،
وأوصاف الولد وانجراره معه فى كل ما يروم . وقوله ما الذى فعله بالنسبة
لعبد الله ابن قاضى الشافعية الجلال القزوينى ولابن قاضى الحنابلة التقىّ أحمد
ابن عمر بن عبد الله بن عوض ولابن بن العديم ولابن فلان وفلان . وأكثر
من إنشاد قول القائل : [وافر]

إذا اعتادَ الفتَى خوْضَ المَنايَا فَلاَ عَارٌ إذا خاضَ الوَحُولا

[ ](١) وبالجملة فصاحبُ الترجمة إنسانٌ خير جيِّد الفهم ، بديع

(١) جاء فى هامش الأصل ما يلى : وكذا ممن ابتلى فى القضاء بولده محمد بن أبى القسم
ابن جميل التونسى ، قاضى اسكندرية ، وابن دقيق العيد وشيخنا ، مع تنزههما وكذا
البدر محمد بن أبى البقاء محمد بن عبد البر السبكى بولده جلال الدين ، والخوف من ذلك
حكى أبو الوليد بن الفرضى فى تاريخ علماء الأندلس له : « أن محمد بن عبد السلام الخشنى »
خطب للقضاء فأبى وقال : لى ولد وأنا أحبه لى ولد وأنا أحبه فأعى »

الإدراك ، مشارك فى فنون ، عارف بالأحكام ، مع مزيد العقل والتودد والمداراة والأدب ، والتواضع والسكون ، والعفة والدين وعدم التبسط فى معيشته ، واقتفائه غالباً لشيخه فى طريقته ، ومزيد الصبر والاحتمال ، وسديد رأيه فى غالب الأحوال ، وما أعلم الآن مَنْ اجتمع بمجموع هذه الأوصاف فيه من أهل مذهبه سواه ، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء ، والثناء عليه فى حسن سيرته ، وجودة تدبيره ، وسياسته مستفيض .

واعتنى بعمارة الأوقاف والنظر فى مصالحها وهو فى زيادة من الخير ، والله تعالى يحفظه من كل آفة ، ويديم مددَه وإسعافه ، ويذهب التشاجن بينه وبين الحنفى . ويرهب بصولتهما العدو الظاهر والمختفى .

ولا زال الحنفى يسترسلُ فى إعمال فكره ، حتى دبَّر مع بعض جماعة المملكة ما أوغر منه خاطر السلطان مما هو برىء منه ، فصرّح بعزله حين نسبته لما فيه نوع معارضة له . وأمر بنفيه إلى الصعيد ، وتألم لذلك كثيراً ، وآل الأمرُ إلى عوده بعد يومين ، وألبس خلعة الاستمرار فى جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ، وأظهر السرورَ الجمهور ، وزاد بعد فى المسايسه والمؤانسة والموافقة ، وترك المخالفة ، حتى كان السكوت من أوصافه اللازمة النعوت ، ومات بعد ذلك الجمال يوسف بن المحب بن نصر الله فاستقر فى تدريس « المنصورية والبرقوقية » بعده .

ومن فوائده : منتصراً بـ « أبى حيان » حيث قال : إن « ابن عطية » قال فى قوله تعالى « وأنهاراً » هو منصوب بفعل مضمر تقديره « وجعل » أو « خلق أنهاراً » وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على خصوص « ألقى » ولو كانت « ألقى » بمعنى « خلق » لم يحتج إلى هذا الإضمار . وتعقبه أبو حيان فى بحره بقوله : وأى إجماع فى هذا ؟ . وقد حكى هو عن المتأولين أن « ألقى بمعنى خلق وجعل فرد عليه الولى العراقى بقوله : لم يحك الإجماع على أن « ألقى » ليست بمعنى « خلق » و « جعل » حتى يعترض عليه بأن حكى هذا عن المتأولين ، وإنما حكى الإجماع على إضمار فعل عامل فى قوله « وأنهاراً » فلا اعتراض عليه .

فانتصر صاحب الترجمة لأبى حيان بقوله : بل اعتراض حيان باق ؛ فإنه لو كان « ألق » بمعنى «خلق» وهو ينافى نقله عن المتأولين ، أنه بمعنى « خلق » و « جعل » فاتجه الاعتراض .

وكذا من فوائده ، ما قرأته بخطه قال : وقع السؤال عن المناديل النخ[1] ونحوها مما هو منسوج بالقصب الأصفر والأبيض والحرير ، هل يصح بيعها بالذهب أم لا ؟ فأجبت عن ذلك بجواب مختصر نصه : يصح ذلك ، والله أعلم .

ووقف على ذلك بعض من لم يطلع على تصريح علمائنا به فاستنكره ، وظن أنه من باب مسألة مد عجوة ، وأن ذلك لا يجوز ، ووصل إلى استنكاره ، فأردت أن أبين بطلان شبهته ، وأذكر ما استندت إليه من كلام أئمتنا قصد البيان الحق فى المسئله ، فأقول وبالله الصواب : « ان هذا المنكر بنى شبهته على مقدمتين باطلتين ، استنتج منهما حكما غير صحيح ، فالمقدمة الأولى ؛ أن المسئول عنه مركب من ذهب وغيره ، والمقدمة الثانية ؛ ان كل ما كان مركباً من ذهب وغيره لا يجوز بيعه بذهب أنتج له ذلك أن المسئول عنه لا يجوز بيعه بذهب وهذا غير صحيح . أما بطلان الأولى وهى الصغرى فإن المسئول عنه ليس بمركب من ذهب وغيره ، لأنه إنما هو مركب من فضة وحرير ، غاية ذلك أن الفضة فيها ما هو مموه ، ومنها ماليس مموه وعلى تقدير تسليم أنه مركب من ذهب وغيره فكلية الثانية وهى الكبرى باطلة أيضاً ، وبيانه أنه ليس كلما كان مركباً من ذهب وغيره لا يجوز بيعه بذهب ، بل منه ما لا يجوز كمسئله مد عجوة التى نشأ له الغلط منها . ومنها ما هو جائز كالثياب المذهبة ونحوها ، التى ليس القصد منها تحصيل الذهب ، وإنما القصد منها الجمال ، وما نحن فيه من هذا الباب . فإن قلت : من أين لك التقييد بأن

---

(١) المناديل النخ ونحوها مما هو منسوج بالقصب النخ : بساط طويل ، والجمع أنخاخ . والنخ والنخاخة : الخ .

النخة : الرقيق .

(القاموس المحيط — والمنجد)

تقصد تحصيل الذهب أولا تقصد ؟ وهل وجدت هذا التفصيل فى كلام أحد ممن يرجع إليه ؟ قلت نعم ؛ صرح علماؤنا بذلك فى كتبهم ، ونصوا على الحكم بالجواز فى خصوص الصورة المسئول عنها قال فى « المستوعب » : إذا اشترى ثوباً مذهباً أو دارا مذهبة بذهب لا بأس به ، الا أن يكون قصده الذهب الذى فى المبيع ليحرق الثوب ويكشط حيطان الدار . وقال فى « الرعاية » : ويجوز بيع ثوب طرازه ذهب بذهب ، وبيع دار فى سقفها ذهب أو فضه بذهب أو بمثلهما ، حتى مع الجهل بقدر الذهبين ، وقيل يحرم كما لو قصد الذهب بإحراق الثوب ، وكشط السقف والحائط . وقال فى «التلخيص» فأما المغشوش من النقود ففى جواز المعاملة به روايتان ، وعلى الجواز لضرورة الاصطلاح أو إلزام السلطان وهو الصحيح . قال أصحابنا لا تباع بجنسها ، من الثياب ونحوها انتهى فقوله بخلاف المذهب من الثياب ونحوها أى فيجوز بيعها هكذا يجب أن يفهم هذا الكلام . وقال فى « القواعد الرجبية » فى مسئله مد عجوة بعد ذكر مسائل متعدده : هذا كله إذا كان الربوى مقصوداً بالعقد ، فإن كان غير مقصود بالإصالة ، وإنما هو تابع لغيره . فهذا ثلاثة أنواع أحدها مالا يقصد عادة ، ولا يباع مفرداً كتزويق الدار ونحوه فلا يمنع من البيع بجنسه بالاتفاق . انتهى »

محمد بن محمد بن عتيق أبو القاسم

ابن علم الدين المصرى ، المالكى

٦٢٨ — ٧٢٠ هـ

محمد بن محمد بن الحسين بن عتيق بن الحسين بن عتيق بن الحسن بن عبيد الله بن رشيق ، هكذا ساق القطب الحلبى نسبة فى تاريخه ، القاضى زين الدين

✻ ابن عتيق : زين الدين أبو القاسم محمد بن العلم محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيد المالكى . ولى قضاء الإسكندرية اثنتى عشرة سنة وذكر لقضاء دمشق ، وروى عن ابن الجيزى ، وله نظم وفضائل ، مات فى المحرم سنة ٧٢٥ هـ عن اثنتين وسبعين سنة .

حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢١٦

والدرر الكامنة ج ٤ : ١٧٤

أبو القسم(١) بن علم الدين أبى الحسن بن أبى على بن أبى الفضائل المصرى المالكى الفقيه .

ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة بمصر ، وسمع من ابن بنت الجميزى ، « وصحيح مسلم من الرضى بن البرهان ، وولى قضاء « الاسكندرية » بعد موت قاضيها شرف القضاة ابن عبد الله بن ابراهيم بن سعد(٢) بن القائد الهلالى ابن الربعى ، وذلك فى ربيع الأول سنة ست وتسعين ، فأقام مدة ثم صرف بعد اثنتى عشرة سنة ، لكونه كما قال الكمال جعفر الأدفوى : نقلت عنه أحكام أخطأ فيها ، وعينه البدر بن جماعة لقضاء دمشق فلم يتفق .

ولما صرف « الناصر الزين على بن مخلوف » عن قضاء المالكية وأمر الشافعى باستنابة « ابن جماعة » وذلك بعد السبعمائة فى الحكم على مذهب « مالك » حتى أعيد «ابن مخلوف» وكان شيخاً وقوراً ، ديناً فقيهاً معمراً ، فاضلا عارفاً بالأحكام ، درس وأفتى وحدث .

وممن أخذ عنه : « التقى السبكى » ، و « القطب الحلبى » وقال فى ترجمته « ناب بمصر والقاهرة عن الحكام المالكية والشافعية ، ودرس وأفتى فى مدرستى والده فى حياته وبعد وفاته ، وولى قضاء « الاسكندرية » ، وقرأت عليه بها جمع الأربعين التى خرجها « الرشيد العطار » « ابن بنت الجميزى » بسماعه من المخرجة له ، وكنت سمعت عليه « بمصر » أيضاً وهو من بيت علم وحديث وأصالة وجلالة ، وساق من نظمه مما رواه عنه إجازة قوله [طويل] :

أجزت لهم أبقاهم الله كلما | رويت عن الأشياخ فى سالف الدهر
وما سمعت أذناى فى كل عالم | وما جاد من نظمى وما راق من نثرى
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم | برىء من التصحيف عار من النكر
وبالله توفيقى عليه توكلى | له الحمد فى الحالين فى العسر واليسر

(١) جاء فى حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢١٦ وكذا فى الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى فى ج ٤ : ١٧٤ « أبو القاسم » .

(٢) فى الدرر الكامنة : « ابن سعيد » انظر الترجمة (ج ٤ : ١٧٥)

وقال « الكمال الأدفوى » : « إنه كان ينظم نظما نازلا ، وله مع « النشو[١] » قصة طويلة ، وكان النشو حط عليه حتى عزله الناصر ، مات بمصر فى ليلة الجمعة الحادى عشر من المحرم سنة عشرين[٢] وسبعمائة ، ودفن من الغد بالقرافة ، رحمه « الله تعالى » .

قلت : وقد أشار شيخنا إلى استنابة ابن جماعة له فى ترجمة ابن مخلوف لكنه لم يسمه ، وإنما أدخلته هنا لكونها كانت بإذن السلطان ، لا سيما وقد رأيت بعضهم ذكره فى كراسة فى القضاة .

محمد بن محمد بن عبد الرحمن *

الكنانى البلقينى ، الشافعى

٨٢١ — ٨٩٠

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير ، وباقى نسبه مضى فى ترجمة عم والده صالح بن عمر القاضى تاج الدين أبى سلمة بن القاضى جلال الدين أبى الفضل بن شيخ مشايخ الإسلام السراج أبى حفص الكنانى البُلقينى الأصل ، القاهرى المولد والدار ، الشافعى ، الماضى أبوه فى محله .

---

(١) النشو : هى كذلك فى الأصل المخطوطة ، وكذلك فى الدرر الكامنة فى ترجمة « ابن عتيق » . انظر (ج ٤ : ١٧٥) — ولعل « النشو » هذا هو أحمد بن حسن ابن على بن عبد الله الشهاب النشوى ، القاهرى الحنفى ، اشتغل وتميز بالكتابة ، وشارك فى الجملة مع لطف وحسن عشرة . وقد أملى السخاوى كتاب « الشفاء »

الضوء اللامع (ج ١ : ٢٧٦)

(٢) جاء فى حسن المحاضرة للسيوطى من الترجمة (ج ١ : ٢١٦) أن موته كان سنة ٧٢٥ هـ . والأصح هو المذكور هنا ، إذ أن ذلك موافق لما فى الترجمة المذكورة بالدرر الكامنة (ج ٤ : ١٧٤) .

* ابن رسلان :

هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير البدر أبو السعادات ابن التاج أبى بن سلمة بن الجلال أبى الفضل بن السراج أبى حفص الكنانى البلقينى الأصل ، القاهرى ، الشافعى . ولد سنة ٨٢١ هـ أو سنة ٨١٩ . ومات فى سنة ٨٩٠ .

الضوء اللامع (ج ٩ : ٩٥)

وله ترجمة قصيرة أيضاً فى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ : ٢٦٠)

ولد فى رابع عشر ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة بالقاعة المجاورة لمدرسة جد أبيه من القاهرة، ثم توقف فى السنة، واستظهر أنها كانت تسع عشرة، فالله أعلم.

وكان والده قد توجه للحج فيها وصحبته ولده الآخر القاضى علاء الدين، فرأى فى المنام وهو «بمنى» على ما أخبرنى به: أن زوجة والده وضعت ذكراً فأخبر والده برؤياه، فتفاءل بها، وضبط ذلك فكانت الرؤية ليلة مولده، فعُدّ ذلك من الغرائب، ولما ولد دخل جده لتهنئة والده فتفل فى فيه وحنكه، ودعا وشمله بلحظه، ثم تكررت رؤيته له.

ونشأ فى كفالةِ أبويه، واستصحباه معهما وهو طفل حين حجَّا فى سنة خمس وعشرين فختناه هناك، بعد أن طاف به الشيخ الإمام «السراج عمر ابن محمد بن عثمان الحسبانى»(١) أسبوعاً، ورجع معهما فحفظ القرآن، وَصَلى به للناس التراويح على العادة قبل الثلاثين، واحتفل مشايخ الإسلام إذ ذاك فمَنْ دونهم بشهود الختم وغيره عنده، وكذا حفظ «العمدة»، وقرأ «المنهاج» و «الألفية» ونصف «مختصر ابن الحاجب الأصلى»، وعرض على جماعة فكان مِمّن عرض عليه عم والده القاضى علم الدين، قرأ عليه من أول «المنهاج» إلى آخر «النفقات» فى مجالس آخرها سلخ ذى القعدة سنة أربع وثلاثين / وحجّ لقضاء الفرض فى السنةِ التى بعدها مع والده، ١٦٣ وكانت والدته سافرت قبلهما فى العام الماضى فرجع معهما أيضاً.

وشمّر حينئذ عن ساعد الجد فى الاشتغال، وأعمل فكرة المضىّ فى ذلك أى إعمال، حتى أخذ عن شيوخ عصره، وكمّل نفسه بذلك مع علو نسبه وفخره، فكان ممن أخذ عنه «الفقه» عم والده، فلازمه أتم ملازمة، وقرأ عليه «التدريب» وجملة من «الحاوى» وغيره، زوجه إحدى بناته، وأخذ طرفاً من الفقه أيضاً عن البدر بن الأمانة، وفى

---

(١) الحسبانى:

هو عمر بن محمد بن عثمان السراج الحسبانى، مذكور بالجلالة، وصفه أبو السعادات البلقينى: «الشيخ الإمام». وأن المترجم طاف به أسبوعاً سنة ٨٢٥ هـ:
الضوء اللامع ج: ٦: ١١٩

الابتداء عن الزين البُوتيجى ، واشتدت ملازمتُه فيه لكل من « القاياتى » و « الونائى » .

ومما حضره عنده ما أقرأه من « تقسيم الروضة » والشهاب المحلى خطيب جامع « ابن ميالة » ، و « الشَّرَف السُّبكى » فى عدة تقاسيم كان أحد القراء فى بعضها ، بل قرأ عليه « الحاوى » بتمامه ، و « العلاء القلقشندى وكان قارئاً عنده فى التقسيم أيضا .

و « أصول الفقه » عن جماعة ، فقرأ على « الشمس البِساطى » فى « المختصر » مجلساً واحداً ، وعلى القاياتى جملةً منه ، وعلى « الشرف السبكى » بعض « منهاج البيضاوى » ، على « الجلال المحلى » غالب شرحه على « جمع الجوامع » ، وأشار إلى استغنائه بتمام أهليته عن قراءة بقيته ، و « المحيوى الكافياجى » أخذ عنه غالب « العضد »[1] وكذا عن « الشمس الشروانى » مع غالب الحاشية والعِبْرى .

وعنه أخذ غالب « شرح المواقف » . وكذا أخذ فى علم الكلام عن الكافياجى أيضاً ، والفرائض والحساب عن الشهاب بن المجدى ، قرأ عليه « الفصول » وسمع غيرها ، وعن الزين البوتيجى ، وأبى الجود واشتدت عنايته بملازمته إياه حتى كان ربما يجتمع عليه فى اليوم الواحد أربعة أوقات ، والشهاب السيرجى[2] قرأ عليه منظومته المسماة بالمربعة ، والشمس الحجازى أخذ عنه « النزهة » ، والعربية عن الشهاب الحناوى و أبى عبد الله الراعى ، وأول ما فتح عليه فيها على يديه كا بلغنى ، ومما قرأه عليه تصنيفه المسمى « المستقل بالمفهومية فى حل ألفاظ الجرومية » ، ومن أول تصنيفه « فتوح المدارك إلى إعراب ألفية ابن مالك » إلى شرح قوله فى باب الابتداء : كذا استوجب التصديرا .

وعن ابن قديد قرأ عليه غالب « التوضيح » ، وقطعة صالحة من « ابن المصنف » ، وأثنى الشيخ حسبما نقله عنه « الشمس ابن خير » على

---

(١) يقصد كتاب « المواقف » لعضد الدين الإيجى .

(٢) السيرجى : هو الشهاب أحمد بن يوسف بن محمد .
الضوء اللامع (ج : ١١ : ٢٠٨)

صفاء ذهنه ، وكذا أخذ فى « التوضيح » عن « أبى القسم النويرى » ، وسمع على « الزين عبادة » بقراءة « النور الورّاق » . « الحاجبية » إلى مبحث التنوين ، وامتنع الشيخ من ختمها تفاؤلا على قاعدة أبناء العجم ، وعلى « القاياتى » بقراءة « الزين طاهر » فى « المغنى » وعلى العَجيسى بقراءته بعضاً من « الألفية » ، وأخذ فى نَحْـوِ العجم « شرح اللبّ » عن « الشروانى » ، و « التصريف » عن « العز عبد السلام البغدادى » ، قرأ عليه « شرح تصريف / العزى »[1] للتفتازانى ، وكذا قرأ عليه فى « المعانى » و « البيان » غالب « التلخيص » ، وفى « المنطق » غالب شرح « الشمسية » وجميعه على « الشروانى » .

١٦٤

وعن « أبى القسم » فى « شرح ايساغوجى » ، والمتن عن الكافياجى ، وعنه أيضاً أخذ المعانى وأخذ العروض ، والقوافى عن الشَّمْس النَّوَاجى ، ومما قرأه عليه « الخزرجية » ، وعروض « ابن القَطّاع » ، والتصوف عن « أبى الفتح الفُوّى » — قرأ عليه رسالة له ، وتلقن الذكر منه على العادة ، وكذا تلقنه من « أبى عبد الله الغَمرى » وألبسه طاقيته ، و « الزين مدين الأشمونى » و « أبى حفص عمر النَّبتيتى »[2] وغيرهم .

والقراءات عن فقيهه « الشهاب ابن أسد » ، تلا عليه لـ « أبى عمرو » و « نافع » و « ابن كثير » ، وعلوم « الحديث » عن شيخنا ، قرأ عليه فى « شرح النخبة » وسمع عليه غير ذلك دراية ورواية ، وكذا سمع على جماعة من المسندين كا « لزين الزركشى » — « سمع عليه » غالب صحيح مسلم بقراءة « الجمال بن هشام » بالشيخونية ، و « البدر حسين

---

(١) العزى : نسبة لمنية العز بناحية قاقوس من الشرقية — وهو على بن محمد على .
الضوء اللامع ج ١١ : ٢١٥

(٢) عمر النبتيتى :
هو عمر بن على بن غنيم بن على السراج ، أبو حفص بن أبى الحسن الدمشقى الأصل ، الخانكى المولد ، المشتولى المنشأ ، الشافعى . ويعرف « بالنبتيتى » (بنون مفتوحة ، بعدها موحده ، ثم مثناتين فوقانيتين ، بينهما ياء) قرية بالقرب من خانقاه سرياقوس . ولد تقريبا بعد الثمانين وسبعمائة ومات سنة ٨٦٧ هـ .
الضوء اللامع ج ٦ : ١٠٨

البوصيرى ، سمع عليه مجلسا من « سنن الدارقطنى » بقراءة « أبى القسم النويرى » و « عائشة الكنانيه » أم قاضى المذهب « العز الحنبلى » بقراءة ولدها شيئاً ، و « ابن بَرْدَس » و « ابن ناظر الصاحبة » بقراءة « البتَاعى » ، وعلى أربعين شيخا من العلماء والمسندين الختْم من « صحيح البخارى » بقراءة « ابن الغلاقى » ، ولم يُعْين فى ذلك ، وأجاز له « التقى المقريزى »[1] وغير واحد ، وكذا أجاز له فى جملة بنى أولاد جده فى استدعاء مُؤَرَّخ برجب سنة ست وثلاثين خلق ، فمنهم : من « القاهرة » : الشهاب الواسطى « وناصر الدين النفَاقُوسى » و« التَّاج الشَّرَبِيْشى » و« الشرف يونس الواحى » ، و « والجمال عبد الله بن جماعة » وأخته « سارة »[2] ، و « فاطمة » ابنة « خليل » الحنبلية[3] :

ومن « مصر » : تجار « المُسَلَّمية » ، ومن « دمنهور » قاضيها ابن الفقيه الشهاب الأذرعى » ، ومن « مكة » « البرهان الزمزمى[4] و« البدر حسين بن العليف[5] وزينب ابنة اليافعى[6] ومن « المدينة » النبوية ،

---

(١) المقريزى : هو التقى أحمد بن على بن عبد القادر المورخ — والمقريزى نسبة لحارة المقارزة ببعلبك . وهو بفتح أوله .
الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٧

(٢) سبقت الإشارة إليها .

(٣) فاطمة ابنة خليل الحنبلية . وهى فاطمة ابنة خليل بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله ابن أحمد أم الحسن ابنة الصلاح الكنانى المقدسى العسقلانى القاهرى الحنبلى . زوج الشهاب غازى الحنبلى ، وابنة أخى القاضى ناصر الدين نصر الله . ولدت قبل الخمسين وسبعمائة تقريباً وماتت سنة ٨٣٨ هـ
الضوء اللامع (ج ١٢ : ٩١)

(٤) الزمزمى : بفتح المعجمتين ، نسبة لبئر زمزم ، لكونه كأبيه . كان يلى أمرها مع سقاية العباس نيابة عن أمير المؤمنين العباس — وهو إبراهيم بن على بن محمد بن داود ابن شمس بن رستم بن عبد الله البرهان أبو إسحاق الشنبـارى ، ثم المالكى ، الشافعى ولد فى جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ ومات سنة ٨٦٤ هـ .
الضوء اللامع ج (١١: ٢٠٥ ، ١٠ : ٨٦)

(٥) ابن العليف : بضم تصغير علف ، وهو حسين بن محمد بن حسن بن عيسى بن محمد ابن أحمد بن مسلم بن العليف بن نيس . ولد سنة ٧٩٤ هـ بمكة ، ونشأ بها فحفظ القرآن الكريم وتوفى سنة ٨٥٦ هـ
الضوء اللامع (ج ١١ : ٢٦١ ، ٣ : ١٠٦)

(٦) زينب ابنة اليافعى :

بعض مسنديها ، ومن بيت « المقدس » : « الزين أبو هريرة عبد الرحمن القبانى » و « الشمس بن المصرى » ، ومن بلد « الخليل »[1] : « أبو عبد الله التدمرى » ، ومن « دمشق » ، حافظها « الشمس بن ناصر الدين » و « عائشة ابنة ابن الشراعى »[2] ، ومن « صالحيتها »[3] : « محمد بن ابراهيم ابن عمر المرداوى[4] » ، ومن « المزة » : « عبد الوهاب بن الحافظ بن كثير » ، ومن « حلب » : حافظتها « البرهان الحلبى » و « العلاء بن خطيب الناصرية » والشهاب أحمد بن إبراهيم بن العديم ، ومن « بعلبك » : على بن

=هى زينب ابنة عبدالله بن سعد بن على بن سليمان بن فلاح أم المساكين ابنة الولى العفيف أبى محمد اليافعى اليمنى ثم المكى ، الشافعى . ولدت سنة ٧٦٨ هـ بالمدينة النبوية . وأجاز لها وأميلة والصلاح بن أبى عمر وابن السوقى وابن النجم وابن الهبل وغيرهم مات سنة ٨٤٦ هـ بمكة .

الضوء اللامع (ج ١٢ : ٤٣)

(١) الخليل : اسم موضع ، وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق يقرب بيت المقدس . ياقوت (ج ٨ : ٣٨٣ — ٣٨٨)

(٢) عائشة ابنة ابن الشرائحى :

هى عائشة ابنة الصارم ابراهيم بن خليل بن عبد الله بن محمود بن يوسف بن تمام ، أم عبد الله الزبيدية من بنى السموءل السنجارية الأصل البعلية ، ثم الدمشقية ، وتعرف بابنة الشرائحى .

ولدت فى حدود سنة ٧٦٠ هـ بدمشق وسمعت الكثير من الكتب على أساتذة عصرها بدمشق وبعلبك والقاهرة كابن أميلة والصلاح ابن أبى عمر ويوسف بن الصيرفى . وأجاز لها الخلاطى وابن الجوخى وغيرهم . وحدثت بالكثير ، وسمع منها الأئمة كابن حجر وابن ناصر الدين وخلق . وكانت صالحة فقيرة ماتت بالبيمارستان النورى بدمشق سنة ٨٤٢ هـ . ودفنت بمقبرة باب « توما » .

الضوء اللامع (ج ١٢ : ٧٣) .

(٣) صالحية دمشق : هى بسفح قاسيون الغربى بجوار المدرسة العزيزية . أنشأها الملك المعظم عيسى بن العالم ، ودرس بها جلة من العلماء منهم ؛ شمس الدين بن عطاء الأذرعى وغيره

النجوم الزاهرة (ج ١٢ : ٢١٣) .

ط . دار الكتب :

(٤) المرداوى :

هو محمد بن إبراهيم بن عمر بن يوسف بن على المرداوى البرزى الصالحى . سمع من الصلاح ابن أبى عمر وغيره ، وحدث وسمع منه الفضلاء كابن فهد ، وكان خيراً مقيما ببرزه بظاهر دمشق ومات بها سنة ٨٤١ .

الضوء اللامع (ج ٦ : ٢٧٣) .

يوسف بن إسماعيل بن غشم » ، ومن « حماه » : « التقى أبو بكر بن حجة » ، ومن « حمص » : عبد الرحمن بن محمد بن زهرة » ، وفى « الرملة » : « الشهاب ابن رسلان » ، ومن « طرابلس »(١) : « الشهاب أحمد بن على بن أزدمر » وغيرهم من هذه الأماكن ومن غيرها ممن لا نطيل بتعدادهم .

ولم يزل مشتغلا فى العلوم ، مستبعداً فى المنطوق منها والمفهوم ، مع قيام والده عنه بجميع احتياجه ، وسلوكه الطريق الموصّل لاستقامته دون / ١٦٥ اعوجاجه ، بحيث لم تعرف له صَبْوَة ، ولا عُدَّت عليه نقيصة ولا هفْوة حتى أُشير إليه بالتقدم والاستحقاق للاقتباس منه والتفهم ، وشهد له بذلك الأكابر ، وأثنت عليه بالألسن والمحابر ، فكتب له عمُّ والده إجازةً استفتحها بمقدمة بيّن فيها طريقة العلماء ثم قال : « وكان ممن أحبَّ سُلوك طريقهم ، واجتهد ليعيد من فريقهم من اشتغل بفروع المذهب ، ونبغَ فى ذلك وهو إن شاء الله عنه لا يذهب ، حصل به الابتهاج فى فقه « المنهاج » ، وسمع من النصوص ما ظهر له فيه العموم والخصوص ، وبحث فأجاد ، وكم لازم حتى أفاد ، وهو الشيخ الإمام العالم ، المفنن الأصيل ، العريق النبيه النبيل ، الوجيه الأثيل ، « بدر الدين أبو السعادات » أدام الله سَعْده ، وأسعد جده ، وأبقى أباه ورحم جده ، ورحم جدّ أبيه ، وبلغه من الخير ما يرتجيه ، عَمّ الله تعالى هذا البيت المبارَك بفضله وإحْسانه ، وجعل كلاّ من الندية عين زمانه ، فلازَمنى قديماً وجديداً ، واشتغل علىّ وأظهر ذهناً حديداً ، فلاحت عليه المنافع للناس ، وزَالَ عنه بملازَمة العلم الإلباس ، وقرأ علىّ « التدريب » تصنيف والدى بكماله ، وجملة صالحة من « الحاوى » وسمع باقيه قراءة تحقيق وتحرير ، وتدقيق وتقرير ، حتى فاق على أقرانه من أبناء زمانه ، ولازم دروسى العامة والخاصة ، وبرع وصار من الخلاصة .

---

(١) طرابلس : أو أطرابلس الشام .

بلد كانت على طرف خارج فى البحر ، فتحها المسلمون سنة ١٨٦ هـ وخربوها ، وعمروا على مقربة منها على بعد ، مدينة باسمها .

معجم البلدان .

ولما رأيت منه البراعة فى فنون متعددة من «أصول الفقه» و «الفقه» و «الفرائض» وغيرها ؛ بما يظهر من مباحثهِ على الطريقة الجدلية ، والمسالكِ المرْضية ؛ والأساليب الفقهية ؛ والمعانى الحديثية . ولقد اختبرته بمسائلَ مُشكلة ، وأبحاث مُعضلة ، فأجادَ فى الجواب ، والمرجو من الله تعالى أن يوفقنى وإياه للصواب ، فعند ذلك استخرت الله سبحانه وتعالى الذى ما خاب مستخيره ، واستجرت بحرم كرمه الذى ما ندم مستجيره ، وأجزته بالتدريس والفتوى على مذهب الإمام الشافعى إمام الأئمة رضى الله عنه وأرضاه ، وجعَلَ قصورَ الجنة مُنْقلبه ومثواه ، سالكا فى ذلك كله التقوى ، فيما يرشد إلى الصواب فى الفتوى ، ويستمسك بالسبب الأقوى ، ووصيته بالإقبال على طاعة ربه ، يسَّر الله لنا وله سبيل حُبّه ، وعليه بملازمة الاشتغال والأشغال ، والنظر فى كتب العلم وسدادِ الأعمال .

وليكن ليّن القول لمن سأله ، وليسْلك من الطرق ما يصلح به عمله . وأخبرته أننى قرَأت الفقه تصحيحاً وتنقيحاً ، وتحقيقاً وتدقيقاً ؛ على والدى شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين ، جعل الله روحه الشريفة فى عليين ، ونفعنى به وسائر المسلمين » .

ثم ساق سنده به وبالصحيحين قال : «وأجزت له أن يروى باقى الكتب الستة ، وجميع ما يجوز لى وعنى روايته ، بشرط المعتبر عند أهل الأثر » : وتاريخ الإجازة يوم الخميس ثالث شهر ربيع الأول سنة أربعين .

وكتب له « الشرف السبكى » إجازة قال فيها بعد الخطبة ، ومدح علم الفتوى ما نصه : « وممن غاص فى عُبابه وميّز القشر من لُبابه / فآخى فى ١٦٦ أتم نصابه فى عنفوان شبابه ، وصار نور حدَقةِ فضلاء عصْره ، ونوْر حديقة نبلاء مِصرهِ ، وسما اسمه : المفيد المحقق الكامل جمال الفضلاء ، زين العلماء ، نجل مشايخ الإسلام ، وسليل قضاة قضاة الأنام ، محمد بدر الدين أبو السعادات ، ألبسه الله من الفضائل حُللا فاخرة ، وجمع له أسباب الخير فى الدنيا والآخرة ، ولما اشتمل على هذه الفضائل والمناقب اشتمال السماء على الكواكب ، ولازم الدروس سنين عديدة ، ومدة مديدة ، فى

تحقيق العلوم الشرعية بأصولها وفروعها ، ومعقولها ومنقولها ، استخرت الله تعالى وأذنت له فى الافتاء بمذهب الإمام المجتهد الشافعى رضى الله عنه ، تابعاً فى ذلك نصوصه المقررة ، والطريقة المحددة ، وما ترجح من نصوص الأصحاب ، العلماء الأنجاب ، وما تحققه معه النظائر ، واتضحت فيه الأسباب ، ووصيته بتقوى الله وطاعته ومراقبته فى سره وعلانيته ، وبملازمة العلم والعمل به ، فذلك هو السبب فى حصول مطلبه ، ومن وصيتى له ، أن يتأنى فى الجواب ، وأن يتأنى فى تفصيل ما أجمل له من الخطاب ، فبذلك يكمد الحُسَّاد ، فمن تأنى أصاب أو كاد ، والله ينفعه وينفع به ، ويسهل عليه فى الدنيا والآخرة سبيل سببه .

وأجزت له أن يروى عنى جميع ما تجوز روايته مما سمعته أو قرأته أو أجيز لى روايته ، وصدّرت له أجازاتى بذلك فى خامس عشر رمضان سنة أربعين » .

وكان كتب له قبل ذلك فى عاشر شعبان منها إجازة أخرى قال فيها : « وممن اعتنى فى طلب العلم ودأب فى تحصيله ، واجتهد فى فهم جُمَلِه وتفصيله ؛ الشيخ الإمام الفاضل الهُمام ، العالم العامل الكامل ، ذو الفهم الرائق والذهن ، نجل مشايخ الإسلام ، وسليل قضاة قضاة الأنام ، محمد بدر الدين ، سيف المناظرين ، درّاك الحقائق فى المفاكرة ، عَرّاك المحافل فى المناظرة ، الذى إذا قال لم يبق لقائل معه مقال ، وإذا بحث لم يكن لمناظر معه مجال ، أبو السعادات بلّغه الله نهاية الآمال ، وجعله من العلماء العارفين ذوى الأحوال . ورزقه فى الأمور أن يتأنَّى لينال غاية ما يتمنَّى ، ممن بحث فى كتب المذاهب من مبسوط ومختصر ، حتى ظهر له التحقيق المعتبر . فله فى حل « الحاوى الصغير » ما يفوق به على كثير ممن هو فى أهل زمانه كبير(١) ، التعليقة عليه عُلقت بذهنه الصحيح ، ولسانه الفصيح ، قد لازم درسى مدة مديدة من الزمان ، وبرهة جيدة من الأوان ، وقرأ علىّ « الحاوى

---

(١) العبارة فى الضوء اللامع : « كبير بحيث علقت التعليقة عليه بذهنه الصحيح » . (ج : ٩ : ٩٧) .

الصغير ، فى الفقه على مذهب إمام الأئمة الشافعى رضى الله عنه / وأرضاه ١٦٧ قراءة بحث وتدقيق ، ولخص عن مشكلاته وتدقيق ، فكشف مخدرات أبكار معانيه من وراء رتق الأستار ، ورشف رُضاب مصونات مغانيه ، واطلع على الأسرار فرقِى بذلك من حضيض الاستفادة ، إلى أوج الإفادة ، وكم نظر فى « الروضة » ونقل منها ، وعليها قيّد وعلى مَعالى فوائدها شيّد ، وبحث وأجاد ، واستفاد وأفاد ، استخرت الله الذى ما خاب مستخيره ، واستجرتُ بحرم كرمه الذى ما ندم مستجيره ، وأذِنْتُ له وفّقَه الله ورَفَعَ قدرَهُ ، وأصْلَح له فى الدنيا والآخرة أمره ، أن يدرس « الفقه » على مذهب الإمام المجتهد الشافعى رضى الله عنه وأرضاه ، من نصوصه وتفريعات أصحابه ، من المختصرات والمبسوطات من كُتُب المتقدمين والمتأخرين ، وأن يُفيدَ ذلك للطالبين ، وأن يوضحه للقاصدين .

ووصيتُه بتقوى الله وطاعته ، ومراقبته فى سره وعلانيته ، فانتظم المشارُ إليه فى سِلك المدّرسين الانتظام المُعْتَبر ، وإنّا لَنَرْجُو فوق ذلك المظهر . ومن وصيتى له ملازمة الاشتغال والنظر ، والمرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الطلاب ، وأن يسهل عليه للعلوم الأسباب » .

وكتب له « الشهاب السيرجى » قبل ذلك على منظومته ، إنه قرأها قراءةً حسَنَةً ، استفاد فيها وأفاد ، وظهر له أنه بلغ بها المراد ، قال : « وقد أجزت له إقراءها بفهمه الفائض ، وإقراء ما يشاء من كتب الفرائض ، لما ظهر لى من أهليته لذلك ، سَلَكَ الله به أحْسَنَ المسالِك ، وذلك لثمان عشرة خلَتْ من شوّال سنة سبع وثلاثين .

وكتب له « المحيوى الكافياجى » بعد ذلك بيسير عقب قراءته عليه بعض كتب « المنطق » : « وقد أجزت له بأن يقرره لكل من يستفيد كائناً من كان ، على وجه التحقيق والتدقيق بعناية رب العالمين ، ورافع درجات العالمين ، فى أوائل ذى القعدة منها » ، ووصفه فى أول الإجازة بالولد الأعز الفاضل ، زين أهْل العلمْ الكامل ، وقاد الذهن ، بديع العصر ، « بدر الدين » أوحد المشتغلين بركة الفضلاء المحصّلين ، « أبو السعادات » .

وكتب « أبو عبد الله الراعى » بعد ذلك ما نص . « قرأ علىّ ولدى الأحب إلى ، والأعز بكل اعتبار على ، الشاب الطالب ، المحصل النّجيب الفاضل ، المحدق اللّبيب الفهم ، الأديب الأريب ، نجل المشايخ الإسلامية ودَرّة أبناء قضاة قضاة الملة المحمدية ، أبو السّعادات « محمد بدر الدين » فريد المشتغلين فى زمانه ، وتحفة الطالبين المحصلين فى عصره وأوانه ، ذو الأمجد ، وصاحب الحسَب الأقعد ، ابن سيدنا » — إلى أن قال : « جميع كتاب « الجرومية فى النحو » وشرحى عليها / المسمى « بالمستقل بالمفهومية ١٦٨ فى حل ألفاظ الجرومية » وسمع أيضاً علىّ من أول شرحى المسمى « فتوح المدارك إلى إعراب « ألفية » ابن مالك » إلى شرح قوله فى باب الابتداء . « كذا إذا استوجب التصديرا » ، قراءة تصوير واستفادة وتفهيم وسماع بحث وإفادة تعليم ، وظهر لى منه نجابة وحصول استفادة ، وذكاءٌ زائدٌ فى بحثه وإفادة . أكّدتُ لهُ الشّهَادَة بالإجازة ، وأوجبتُ له ولأبيه لاعتنائهما بالعلم وأهله عند الله الحسنى وزيادة ؛ فأجزت له — أقر الله به عين أبيه وجميع أحبائه والأهلين وجعلنا وإياهم من العلماء العاملين بفضله ورحمته آمين — أن يروى عنى جميعَ ذلك بكماله ، وغيره مما يبلغه أننى صنفته أو نظمته أو حملته ، بإجازة أو سماع أو مناولةَ أوغير ذلك .

وأذنت له — أبقاه الله — فى تصْوير ذلك لمن طلب منه تصويره للإفادة ، مرجحا فى ذلك كله ، مرجوا مباركا إن شاء الله تعالى ، وكان ذلك فى رجب سنة تسع وثلاثين » .

وكتب له مؤرخ الوقت التقى المقريزى : « أجزت لسيدنا وابن ساداتنا وأئمتنا وقادتنا ، نادرة العصر ، والنخبة التى قلّ أن يأتى بمثلها الدهر ، زين الزمان وتاجه ، وعين الأوان وسراجه ، مطلع العلوم لنا نجوما وأهلّة ، ومرسل الفوائد والفرائض علينا غيوما مستَهلة » « بدر الدين أبى السعادات محمد » ، أدام الله للكافّة وارف ظله ، ولا سلبهم عوارف فضائله وفضله ، وحفظ ذاته بصِوان السعادة ، وقرن كل عَزْمة له بمختار الإرادة ، ورحم سلفه الأئمة الأعلام ، وبوّأهم بَحْبوحَة دار السّلام » .

وكتب له شيخنا رحمه الله ، أنه فاقَ أقـرانه نظراً وفهماً ، وشأى[1] أشياعه معرفة وعلماً ، وارتقى فى حسن التصور إلى المقام الأسمى ، وفاق فى حسن الُخلق والَخلق حتى استحق المزيد من الحسنى ، فهو البدر المشرق فى ناديه ؛ ومفخر أهل بيته حين يقصده المستفيد ويناديه ، ومحيى سَنن سَلفه فى العلوم الشّرعيّة بشهادة سنان اللسان والعلم ، وحامل لواءالفنون الآلية بحيث ضاء ذِهنُه كنارٍ على علم ، وصار أحق بقول من قال « ومن يشابه أَبَهُ[2] وجدّه فما ظلم » ، أسعد الله جده ، وتغمد بالرّحمة جَدّ أبيه وجدّه ، وأقـرّبه عين أبيه ، وأبقاهُما وتنزيههما عن كلّ سُوء وقاهما ، ثم أذن له فى أن يجيز عنه لمن يرى أن يجيزه من قريب وغريب .

وكان شيخنا « البرهان بن خضر » يرجّحهُ — كما سمعته منه — على جميع أهل بيته إذ ذاك ، وكذا بلغنى عن كل من مشايخنا « الونائى » و « العلاء القلقشندى » و « الجلال المحلى » بل أرسل له مرة فى واقعة خالف فيها عمّ والده ، يأمره بالنظر فيها ليكون متأهباً لها فى عقد المجلس وأعلى من هذا كله أن والده رغب له عما كان باسمه من نصف تدريس التفسير / بـ « جامع ابن طولون » فعمل فيه حينئذ أجلاساً ، حضر عنده فيه قاضى المالكية « الشمس البساطى » ، وقاضى الحنابلة « المحب بن نصر الله البغدادى » ، وشيخ الحنفية « سعد الدين بن الدّيرى » وغيرهم من الأكابر ، تكلم فيه على قوله تعالى (رَبِّ أوْزِعْنِى أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ التى أنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأنْ أعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ[3] . . .) الآية وقال المحب إذ ذاك : « قليل من الفهم خير من كثير من الحفظ » .

١٦٩

---

(١) شأى أشياعه : معناه سبقهم (اللسان) .

(٢) أبه : لغة فى الأب ، قال الشاعر :

بأبه اقتدى عدى فى الكرم — ومن يشابه ابه فما ظلم

(اللسان)

(٣) سورة النمل آية رقم ١٩ .

وسأل المدرس سؤالا فانتدب « الشمس العراقى » للجواب عنه بما نازعه فيه المدرس ، ووافقه الحنفى إذ قال : « فحينئذ سؤالُ الشيخ باق » وكذا رغب له والده حينئذ عما كان باسمه أيضاً من نصف التصدير فى الحديث « بالأشرفية القديمة » ، ثم استقل بكل منهما بعد موت عمه « الزين أبى العدل قاسم » ، وناب عن عمّ والده فى القضاء فى سنة إحدى وأربعين « بالصالحية » ، وكذا « بأبيار » « وجزيرة بنى نصر » ، وطننداوغيرها ، عوضاً عن « الولوى السّفطى » ، و بـ « بلبيس » وعملها عوضاً عن الشيخ « على الخراسانى » المحتسب ، و « بفُوّه » و « مرصفا » و سَنيت وعملها وبغير ذلك .

ثم وَلِىَ قضاءَ العسكر ، ونظر « أتابك العِزّى » ، وتدريس « الحسامية بأطفيح » والنظر عليها ، كل ذلك بعد وفاة أبيه ، وكذا النظر على وقف « السيفى » بعد أبيه وعمه ، والتدريس فى « الفقه » بـ « المنصورية » برغبة « المحب القِمنى » له عنه فى سنة ثمان وخمسين قبيل موته بأزيد من مائتى دينار ، والنظر على « الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء » فى يوم الخميس ثامن عشر ذى القعدة سنة أربع وستين عوضاً عن « المقر الزينى بن مزهر » ، ببذل نحو من خمسمائة دينار ، فأقام إلى العشر الأوسط من شوال من السنة التى تليها ، وانفصل عنها « الدوادار الثانى جانبك الظَرّيف »[1] ، ولم يَلِ نظرها فقيه بعده ، وكان عزله منها بتدبير من بعضهم حيث استعمل جماعة من صُوفِيتَها بل وغيرهم فى الاستشلاء عليه ، إذ رسم ألا يُعطى الخبز إلا بيد الصوفى ليتحقق الناظر بذلك ما أُنهى عنده من كون كاتب العنبة يتوفر له شىء كثير مما لا يعود نفعه لجهة الوقف ، وحضر ليفرّق بحضوره فما تمكن من شدة الغوغاء ، وبالغُوا بما لا يليق بمقامهم ، فضلا عنه بل أغرب من هذا أنه وصل إلىّ خُبز بعض الأيّام وهو جيد ، واتفق

---

(١) جانبك الظريف : هو جانبك ابن أمير برسباى ، ويعرف بالظريف . مات فى قلعة صفد سنة ٨٧٠ هـ .

الضوء اللامع (ج ٣ : ٥٣) .

دخوله فى آخر ذاك اليـوم لـ « المحب » كاتب السر ، وكنت حينئذ عنده اتفاقاً ، وعلم جماعة من أشرت إليهم بذلك ، فدخلوا بأثره ، ومعهم رغيف لا يشبه الخبز الذى جىء به إلى أول النهـار ، لشدة تغير رائحته ولونه ومزيد يبسه .

فألقوهُ بين يَدَىْ صاحب المجلس ، وبالـغُـوا فى التَـشكى بحضرته ، فأشار بإْصلاحه ، وتحـيّر الناظر فى أمر هذا الرّغيف ، ورام منى الإخبار بما ظهر لى من قرائن الأحوال ، فأمسـكت لعظم ما رأيته / فى المبالغة فى التعصب . ١٧٠

ولم يزل أمرهم معه فى ازدياد ، بحيث دَخلـوا معه إلى الأمير قانم التاجر[١] وبالغوا فى التـظلـم إلى أن عُزل ، وفى أثناء مدة ولايته هذه كانت كائنتهُ فى وقـف السِّيـفى التى كان المشـار إليه أيضاً ممن لا يُذكر أولا وثانياً ؛ هو السّـبَـب فى تدبير الأمر فيها ، وذلك ؛ أنه قرر عندهم والد صاحب الترجمة أنه كان سعى عليه أيام ضعفه فى وظيفة « الخشابية » فتغير خاطره ، وبادر لانتزاع النظر منه متمسكا بأن شرطه للقاضى الشافعى بل وتعدّى لغيره من وظائفه ، وزاد لكل نفر من القراء بالوقف المذكور عشرين .

وابتكر التقرير فى المرتبات بجماعة من الفضلاء ؛ « كالجمال الكـوْرانى »[٢]

---

(١) قانم التاجر :

هو قانم من صفر خجا الجركسى المؤيد شيخ . ويعرف « بالتاجر » . اشتراه المؤيد فى سلطنته فأعتقه وصيره من المماليك السلطانية ، ثم صار خاصكيا أيام ابنه . تدرج فى الوظائف الكبيرة مع عدة سلاطين ، وعظم وشاع ذكره . وأنشأ مدرسة بالقرب من جامع طولون ، وتربة بالصحراء خارج القاهرة . مات فجأة سنة ٨٧١ هـ . ودفن بتربته .

الضوء اللامع (ج ٦ : ٢٠٠) .

(٢) السكورانى : بفتح ثم سكون .

وهو الجمال عبد الله بن محمد بن خضر بن ابراهيم شيخ سعيد السعداء .

الضوء اللامع (ج ١١ : ٢٢٤) .

و « ابن الفالانى »[1] و « ابن عرب »[2] و « ابن قاسم »[3]، وسئلت حينئذ فى تقرير قدر زائد على الذى لى فيه فلم أوافق ، لعلمى أنه لا يتم ، وأنه ليس القصد به إلا زيادة الاستشلاء عليه ، وما أمكن صاحب الترجمة المدافعة ولا الموافقة ، فاختفى أياماً ثم سافر إلى « خانقاه سرياقوس » لتلقى المقام الأتابكى الشهابى أحمد — ولد السلطان — حين رجوعه من السرحة ، فاجتمع به هناك ، وأنهى أمره معه ، ودخل « القاهرة » فأخذ له خط والده بالاستقرار ، وإبطال ما سبق .

وباشر وظيفته ، ولم يوافق على الصرف لأحد من المذكورين ، متمسكا بضيق الوقف ، ورضى القراء بدون الزيادة ، ولم يمض إلا يسيراً واسترجعه عم والده أيضاً بتقرير خاص من السلطان أيضاً ، فعاونه « الأتابك » أيضاً حتى فوض نظره لحفيد أخيه صاحب الترجمة ، فبادر حينئذ واستحكم الحنفى بصحة التفويض ، وأفتى بأن مذهبه انقطاع ولاية المفوِّض ولو كانت شرط الواقف .

ولما عزل عم والده واستقر فى القضاء « الشرف المناوى » رام مناكدته فى الوقف المذكور أيضاً ، فابتكر تقرير جماعة غير المذكورين أولا فى المرتين ثم أشهد على نفسه بتفويض النظر فيه للأمير تمربغا « راس نوبة النوب » ، وأرسل إليه بذلك مع « النورى البُلْبَيْسى » أحد نواب الشافعية ، فقال له واحد : « لو فوض إلىَّ قضاء الشافعية ما قبلته » ، وأقره بيد صاحب الترجمة ، وساعده على دفع المرتبين لعدم اتساعه ، وأخبره صاحب الترجمة الوقف بقدر زائد على ما كان مع مَنْ قبله ، وفضّ ذلك على القراء ، فكان ما خص كل واحد منهم نظير ما كان زيد لهم مما قيل : إن الوقف إذ ذاك لا يحتمله ، واستمرت الزيادة حتى الآن .

ولم يزل صاحب الترجمة فى المكابدة والمناهدة إلى أن توفى عم والده ،

---

(١) ابن الفالانى : سبق التعريف فى ص

(٢) ابن عرب : انظر الضوء اللامع (ج ١١ : ٢٦٠) .

(٣) ابن قاسم : انظر الضوء اللامع (ج ١١ : ٢٦٥) .

فسعى أن يكون نائباً عن أولاده فى « الخشابية » وغيرها ، لعدم تأهل أحد منهم بالاستغلال لمباشرة ذلك بنفسه ، وأُجيب لذلك ثم / عورض ، فكان ذلك[1] حاملا له على بذل ألف وخمسمائة دينار غيرها تكلفة ، وهو نحو الثلث من ذلك ، حتى استقر فى الربع من جميعها وهى : « الخشـــابية » و « الشريفية » و « القانبيهية » و « البرقوقية » ، ميعاداً وتفسيراً ، والإفتاء « بالحسَنيّة » ، والمرتبات والأنظار وغير ذلك ، فى خامس عشر شهر رجب سنة ثمان وستين بعد حروب وخطوب ، كان المدبر فى إثارتهـا من اتهمته فيما تقدم ، حتى أنه رام التفريق بينه وبين زوجته ليصح منام الرجل الصالح الذى سأل الله أن يريه إبليس فى منامه ليحذره فأراه إياه فى صورة هذا المبهم ، ومع اهتمامه بالحيله فى التفريق فيما نهض ، وبادر صاحب الترجمة فاسترضاها هى وجماعة من حاشيتها ومن يلوذ بها ، بل واسترضى من عيّـنت أسماءهم ممن رُتّب لهم ، بل ولأجلها ترك معلومه فى « الجوالى » لإخوتهـا بنى عم والده .

وباشر الوظائف المعينة ، واجتهد فى دفع « الصلاح المكينى » عن الوصول لقضاء الشافعية بكل طريق ، وصار الشرف المناوى يتخيل من ذلك ، لظنه أنه إنمـا يروم جرّ القضاء إليه ، ويتوهم سعيه فى عزله ، وكلما قيل له أنه ليس الغرض إلا معارضة المشار إليه ؛ لا يقبل ، وربمـا حصل الضرر لصاحب الترجمة من قِبـله ، لكونه لم يكن يؤهل المكينى لهذه المرتبة فصار صاحب الترجمة بهذا الاعتبار بين عدوّين بلا عداء ، إلى أنه قضى أمر الصلاح بليل ، فلما استقر لم يحتمل كل منهما ذلك ، ودبّر الأمر فى عزله كما أشرت إليه هناك بعد أن رام المكينى أيضاً التّشبّـه بمن قبله فى تقرير جماعة بوقف السيفى أيضاً ، ولم يلتفت صاحب الترجمة لذلك ، وعيّن فى أوائل ولايته لاستقراره عوضه ، وتم الأمر وجاء « القاصد » بذلك ، فوجده غائباً ببلد « الخشابية » ، فتوجه لإحضاره فما جاء حتى انتقض الأمر .

فلما كان فى يوم السبت حادى عشر المحرم سنة إحدى وسبعين ؛ استقر

---

(١) فى الأصل مكرر .

عوض المذكور فى قضاء الشافعية يبذل نحو سبعة آلاف دينار استدان أكثرها ، وركب فى هيئة جميلة ، وأبهة حسنة ، وباشر ببابه جمع جلتهم من جهة « الشرف المناوى » ، وبعضهم من جهة « المنفصل » وفى غيرهما ، فبقى كل واحد يدبّر فى إيصال الأمر لمخدومه ، ويظهر مالا يليق بمقام صاحب الترجمة ، وسَعة علومه ، وعاونهم بنفسه لشدة صفاء خاطره ، وسَدّه — بعدم المداراة — الطريق عن المعين له وناصره ، ومع ذلك فإنه مال لاستيفاء معاليمه وغيرها من المال خوفاً من فُجاءَة الانفصال ، وانقطاع هذا الاتصال ، فكثرت القالات ، وظهرت المقالات التى لم أثبت شيئا منها ، خصوصاً وقد كنت مدة الولاية غائباً عنها ، مع إحاطتى والله فى الجملة أنه لم يصل للفساد الذى كان قبله ، لكن التدبير نصف العيش ، والتروّى فى الأمر أنفع من البادرة والطيش ، وعلى كل فاختصار المقال ؛ أن الناس كما قيل : أعداء لرب الفضيلة ، غير ناظر الكثير منهم فيما يكون لخلاصه وسيلة » ، والله تعالى يقابل المفترين ، ويصلح عمل المفسدين / .

على أنه لم يخالف أحد فى الثناء على أول ولايته ، بل امتلأت الأعين من مهابته وجلالته ، وصرح بقية قضاة المذاهب بالسرور بمرافقته ، وانشراح الصدور بصاحبته ، وبالغ كل منهم فى الاعتراف بعلومه وكفاءته ، وزاد اغتباط السلطان به وتنويهه بارتباط القضاء بجانبه ، وأنه لا يعدل عنه لغيره لما رأى من وضاءته ونوره ، وفصاحته وطلق عبارته ، وتمام أهليته من معظم جهاته ، وأوصافه المتنوعة التى لم يرها فى أحد فى أهل مملكته مجتمعة .

فلم تزل السعادة به من خواصه حتى امتلأ صدره من شدة ما ألصق به فى انتقاصه ، إلى أن كان يوم الخميس ثانى جمادى الأولى من السنة فصرّح بعزله ، والتزم بعدم إعادته ، بل وكذا الموجودين ممن كان قاضياً من قبله ، وكأنه لما فهمه من تعصّب السعاة واختلاف غَرضهم فأحب عدم الميل معهم فى منتَهضهم ، والتمس قاضياً بغير رِشوة ، وأظهر مقاهرة نفسه بتركها لتلك الشهوة ، فعُين لذلك خطيب مكة أبو الفضل النويرى — فيما

قيل — وكذا الشيخ « كمال الدين » إمام « الكاملية » ، وحضر إليه « الأمينى الاقصرائى » وفى خدمته « النررى الأبنامى » نائب كاتب السر وغيرهما ، يسألونه فى الطلوع من غد إلى السلطان فلم يَسَعْه إلا الإجابة وبات [ليلتئذ] مكروبا ذاكراً الى الصباح ، ولما أصبح حضر « الأمينى » ومن معه ، وصعدوا و « الكمال » راكب حماره بدون سجادة ، وهو لابس ثوب صوف أزرق ، ومشى من باب المدرج مع الإذن له بالركوب الى باب « الدهيشة » حين اعتذر بالعجز ، لكنه لم يفعل أدبا مع « الأمينى » الى أن دخل على السلطان فأكرمه ، وعرض عليه الولاية فامتنع وتواله واعتل بأنه لايحسن شيئاً من متعلقات ذلك فلم يكلفه ، الا أنه استشاره فيمن يوليه فقال : لا أدرى . فقرأ الفاتحة وانصرف .

وكذا عيّن الشيخ زكريا واختفى بعد مجيء « الشرف الأنصارى » و « الأمير بَرْسبَاى » ، قرآ اليه واحداً بعد آخر ، ثم ظهر وألح عليه فى الطلوع أيضاً ، فطلع وزاد السلطان فى اكرامه حتى قال له : أنا أركب معك إلى بيتك ، وأكون ظهرك إلى غير ذلك منه ومن المقر الزينى كاتب السر ، كلُّ ذلك وهو مصمم على عدم القبول ، وتكلم الفقهاء بعضهم فى بعض ، وجرّح كل منهم مَنْ عداه ، ولم يقدموا واحداً منهم صار عن الزلات ينقب ويُدقق ، ولا أقول أنه فى ذلك محقق ، بل لا يجد فى أكثر ما يبديه له من مُصدّق ، حتى رُمى الجمال الباعونى لكونه ذكر إحضاره فى الشام ، وكانت حادثة شنيعة ، والسلام .

فلما كان يوم الخميس سادس عشر الشهر المذكور ، تمَّ أمر الولوى الأسيوطى كما قدمته فى ترجمته ، وصعد فاستقر بعد أن كان فوض السلطان فى هذه الأيام للمقر الزينى ابن مزهر ، وخطب بالسلطان / بعد أن عيّن غيره ، وعيّن التعايين ، ولو وافق على الاستمرار ما تقدم عليه غيره وفوّض للنواب على العادة ، ثم حصل الاقتصار على ستة منهم ، ولزم صاحب الترجمة بعد هذا كله منزله مكروبا بديونه إلى أن ماتت زوجته فورث منها شيئاً يسيرا استعان به فى وفاء بعضها ، وتزوج بأختها التى كانت

١٧٦

تحت أمير المؤمنين ، وتكلف بسبب ذلك جملة ، وكاد الأمر لا يتم لهذا كدَ ةَ من لم يراقب الله ، ممن لم يزل يعمل فكره فى الخوض فيما لا يليق ، مما لا أحب الإفصاح به .

وبعد يسير توفى أحد بنى عم والده فاستقر فى الثمن من الوظائف التى خصه فيها الربع أولا ببذل خمسائة دينار فأكثر ، بعد أن رغب عن تدريس الفقه بـ « المنصورية » لمحب الدين ابن هشام ، ثم بعد ذلك رغب هو وشريكه عن درس الحديث « بالقانبيهية » لصلاح الدين الطرابلسى الحنفى ، ولو شرحت كلما أشرت إليه لطال ، وبالجملة ، فهو إمام علامة ، فقيه نحوى أصولى مشارك فى الفضائل ، مفتن فى علوم ، فصيح العبارة ، طلق الإشارة ، شديد الذكاء ، حسن التصور والشكالة ، وضىء الهيئة ، لطيف العشرة ، معتقد فى الصالحين ، مستجلب دعاءهم ومودتهم ، كثير الزيارة لهم ، والتعاهد لقبورهم ، سريع البادرة والرجوع ، شديد الصفاء ، بعيد عن الملق والمداهنة .

درس وأفتى ، وصنف وكتب بخطه أشياء ، وتصدى للتدريس والإفتاء قديماً وقتاً ، وانتفع به جمع من الفضلاء . وأقرأ كتباً كثيرة منها : « منهاج الأصول » فى سنة خمس وخمسين ، فى سبعة وعشرين مجلساً و « السكاكى » شرح ايساغوجى فى عشرة مجالس ، والكثير من « المغنى » قراءة تحقيق ، يفاوت فيها بين البدر الدمامينى وشيخنا التقى الشُّمُنِّى ، من « القواعد للزركشى » ، وله فيها عمل كثير وكثير من كتب الفقه وغيرها .

وقرىء عنده « البخارى » غير مرة وشرع قديماً فى كتاب جعله « كالمحاكمات بين المهمات والتعقبات ، وقف على ما كتب منه شيخنا — رحمه الله — واستحسنه ، وحضه على اكماله ، وكذا شرح مقدمة شيخه الشهاب الحناوى فى النحو فى كتاب لطيف وقف عليه الشهاب المذكور ، وله أيضاً جزء لطيف فى العربية ، وبعض قواعد فقهية ، وحواش على « شرح البيضاوى للإسناوى » وعلى « خبايا الزوايا للزركشى » وغير ذلك .

ولما استقر فى « الخشابية » و « الشريفية » صار يكتب على الروضة من محل الدرسين على جارى عادة أهل بيته ، ولا تخلو دروسه من عنديات

وأبحاث مبتكرة ، ومحاسنه كثيرة ، ومن اتصف بالإنصاف لم يخالف فيما أبديته ، بل ربما يُصرّح بالتقصير / والاعتداد ، والله تعالى يحسن العاقبة لنا ، وما أحسن قول القائل :

١٧٧

حَسَدُوا الفتىَ إذْ لمْ ينالوا سَعْيَه
فالقوم بين أعداء له وخصوم[1]

وله فى العود إلى القضاء الميل الكبير . حتى انه يكثر الترامى على المنسوبين للخير بسبب ذلك ، وربما استطرد للكلام مع المنجمين ونحوهم ، مما لا يليق بمنصبه ، وقد رأيت شخصاً من القاطنين ، بثغر دمياط ، يقال له ابراهيم الواعظ كتب له : [طويل]

سُؤالُكَ عن عَقْدِ القَضاءِ وحَلِّه
وسوفَ تراه بالمَبَّرة والوَلاَ
سُؤالُكَ عما بين ولايتهما
وليس بها غير السِّعاية فيصلا
سؤالُكَ عن عامٍ لدَيْمومَ سُلطان
وليس له خَلْعٌ بَهيرْ لِانْفِصِلاَ
سُؤالُكَ عن هذا المليكَ وهَل يَرَى
ولا يَتَرك الزم للسعاية ، عَوّلا[2]

ورام الظاهر عود المنصب إليه لثبوت جلالته لديه فعُوجل ، ثم لما كانت كائنة « شقراء ابنة الملك الناصر فرج بن برقوق » — التى شرحت أمرها فى غير هذا المحل ، وأشرت إليها فى محمد بن أبى بكر — كان هو من جملة المستفتين فيها ، فكتب أحسن كتابة وتبعه جماعة من الشافعية ، وغيرهم من بقية المذاهب ، ورسم يعقد مجلس فيها عند السلطان ، فاجتمع كل من الفريقين وهو فيهم ، وجلس مكان القاضى الشافعى ، لكونه لم يحضر

---

(١) وردت العبارة فى الأصل المخطوطة هكذا : « أعدا له » .

(٢) وردت الأبيات فى الأصل كما ذكرناها .

يومئذ وقرئت فتاواهم ، وأعجب السلطان كلامه ، وأكثر أوصافه الظاهرة ، ولولا بعض المعارضين لاستقر به .

وعندى من محبته ما الله به عليم . وقد كتب على مصنف « القول المألوف » بالثناء البالغ ، ولكن أعرضت عن إيراده خوف الإطالة ، والله تعالى يكفينا وإياه كل مهمة ، ويوفقنا لنشر العلم فى الأمة .

وقد وثب عليه الزين زكريا لما عمل قاضى الشافعية ، وانتزع منه وَقْف السيف ، فتوسل فى النيابة عنه فيه ، وصالحه على الفائض من ريعه بدون ألف دينار ، وتزايد بذلك قهره وألمه ، واستمر إلى أن تعلل أزيد من شهرين بقرحة جمرة فى كتفه ، ثم بإسهال خفيف ، وأقر فى غضونهما بمال فى جهته بمن بذل ، وبفائض لبعض الأوقاف وبغير ذلك .

ثم مات فى عصر يوم السبت ثانى ربيع الأول سنة تسعين وثمانمائة ، وصلى عليه من الغد بجامع الحاكم ، تقدم الناسَ « الجلالُ البكرى » بتقديم الزينى بن مزهر له مع حضور القضاة إلا الشافعى ، فرأيت من عَدَّ ذلك فى إكرامه مع أنه أدركه وصلى عليه عند باب مدرستهم ، ثم دُفن فيها عند جده وجد أبيه ومن شاء الله من أسلافه ، وتأسف النـــاس على فقده — رحمه الله وإيانا — وكمل لشريكه ما كان مشتركا معه فيه ، بل وأخذ قضاةَ العسكر وغيره ، وحرص على التكلم فى وقف السيفى فما تيسر ، وليته كان : فما رأيت قُرَّاءه يحمدون تصرُّف مَنْ تكلم فيه ، بل رجحوا الترجمة ، وأعطى الشافعى تدريس الحديث « بالأشرفية العتيقة » للشهاب الأبشيهى(١) مع إظهاره المبالغة فى محبتنا .

---

(١) الشهاب الأبشيهى : هو محمد بن أحمد بن منصور ، أبو الفتح ، الأبشيهى المحلى بلداً ، الشافعى مذهباً . ولد بشوبة عام ٧٩٠ هـ . ورحل إلى القاهرة مراراً ، ودرس الدين والفقه على كبار الشيوخ فى عصره ، منهم ؛ الجلال البلقينى ، والشهاب الطلباوى ، وغيرهما . وولى الإمارة ببلدته بعد والده ، وعانى النظم والتصنيف فى شتى العلوم . بيد أنه وقع فى كثير من اللحن لعدم اتقانه النحو والعربية . وله مؤلفات عدة ، منها « المستطرف فى كل فن مستظرف » و « أطواق الأزهار » فى الوعظ فى مجلدين . وكتاب فى « الترسل » لم يتمه . توفى فى سنة ٨٥٠ هـ .

كشف الظنون لحاجى خليفة

القاضى ناصر الدين(*)

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن فريج المعروف بابن الصالحى

٧٥٥ تقريباً — ٨٠٦ هـ

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن فُريج ، القاضى ناصر الدين أبو [عبدالله](١) المصرى ، عرف بـ « ابن الصالحى » ، من الصالحية التى بظاهر « القاهرة »(٢).

ولد فى سنة بضع وخمسين وسبعمائة ، وسمع فيما ذكر من « الجمال ابن نباته »(٣) وغيره ، وتعانى الأدب فنظم الشِّعْرَ الوسط ، وكتب الخَطّ الحَسَن ، ووقَّع عن القضاة ، ثم نابَ فى الحُكم عن الحنفية ثم عن الشافعية ، ثم وَثبَ على مَنْصب قَضَاءِ الشَّافعية ، لما غاب « الصدر المناوى » فى / السفر مع السُّلطان لقتال الطاغية « تمرلنك » ، واستقر بعد اليأس من « المناوى » ، وشغور المنصب عنه أزيد من شهرين فى تاسع عشرى شعبان سنة ثلاث وثمانمائة ، فأقام عشرة أشهر ثم عُزل فى رابع جمادى الآخر سنة أربع ، واستقر « الجلال البلقينى » عوضاً عنه بمال كثير بذَلَهُ بعناية « سودُون طاز »(٤) . ثم أُعيد « الصالحى » بعناية « السَّالمى »

١٧٨

(*) ابن فريج : له ترجمة فى الضوء اللامع (ج ٩ : ١٠٠)

(١) ما بين القوسين بياض بالأصل المخطوط ، وما ذكرناه من الضوء اللامع .

(٢) جاء فى الترجمة من الضوء اللامع نقلا عن المقريزى : أن نسبته إلى الصالحية) من منازل الرمل بطريق الشام .
انظر الترجمة (ج ٩ : ص ١٠٠)

(٣) ابن نباته :
هو الأديب المشهور جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى المصرى . ولد بمصر سنة ٦٨٦ هـ . وفاق أهل زمانه فى النظم والنثر ، وهو أحد من حذا حذو القاضى الفاضل وسلك طريقته . مات بالقاهرة فى صفر سنة ٧٦٨ .
حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١١ : ٢٣٢ .

(٤) سودون طاز :
هو من مماليك الظاهر برقوق وخواصه ، وجعله امرة عشرة وجعله معلماً للرمح لكونه كان رأساً فيه وفى غيره من أنواع الفروسية ، يضرب به المثل . وأصبح أمير آخور فى عهد الناصر بن برقوق ، وعظم شأنه ثم خرج على السلطان الذى استطاع القبض عليه . وقتل فى سنة ٨٠٦ هـ
الضوء اللامع (ج ٣ : ٢٨٠)

فى ثالث عشرى شوال سنة خمس بعد أن عزل « ابن البلقينى » ، فاستمر فيه أربعة أشهر ومات بعلة القولنج الصفراوى فى ثانى عشر المحرم سنة ست وثمانمائة ، وأسف أكثر الناس عليه لحُسن تودُّده ، وكرم نفسه ، وطيب عشرته ، ومشاركته فى العلم مع لين جانبه وتواضعه ، وقبوله للرسائل ، حتى كثرت النواب فى زمنه ، وكثرة برِّه للفقراء والأغنياء ، حتى ربما أدى إلى حرمان(١) بعض المستحقين من الأيتام ونحوهم ، ولأنهم ألِفُوا من « الصدر المناوى » البَأوَ(٢) المفرط الذى جرت العادة بعدم احتماله ولو عَظُم المتلبِّس به ، فرحمة الله عليهم أجمعين .

القاضى ولى الدين أبو البقاء

محمد بن محمد بن عبد اللطيف السنباطى القاهرى المالكى*

٧٨٦ — ٨٦١ هـ

محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن إسحق بن أحمد بن إسحق بن إبراهيم ابن سليمان بن داود بن عتيق بن عبد الجبار بن خلف بن مُزين بن نحيل ابن كلام بن على بن طلحة بن عبد الجبار بن عتيق بن محمد بن فارس بن ثعلب ابن النعمان بن خلد(٣) بن باكيس بن مرزوق بن هلال بن عامر بن عمرو ابن أمية بن أبى أُمية عَمرو الأشدق بن سعيد بن العاصى [بن سعيد بن العاصى] بن أُمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف . هكذا كَتَبَ لِى نسبَهُ بخطه القاضى ولى الدين أبو البقاء بن القاضى ضياء الدين بن القاضى صدر الدين بن نجم الدين الأموى ، المحلى المولد ، ثم السنباطى القاهرى ، المالكى ، سبط الشيخ موفق الدين القابسى ، أحد من يُقصد ضريحه بالزيارة

---

(١) العبارة وردت فى الضوء اللامع : « إلى إحسان » والذى يتمشى مع السياق هو ما ذكرناه .

(٢) البأو : الفخر بالنفس ورفعها . (القاموس المحيط)

(*) السنباطى : له ترجمة فى الضوء اللامع (ج ٩ : ١١٣)

(٣) وردت الكلمة فى الأصل المخطوطة هكذا « خلد »

فى المحلة . ولد سنة ست[1] وثمانين وسبعمائة بالمحلة الكبرى ، ونشأ بها ، فقرأ القرآن و « الموطأ » لمالك ، وعرضه على السراجين « البلقينى » و « ابنُ المُلَقِّن » فى سنة سبع وتسعين ، وأجازا له ، وكذا حفظ « العمدة » فى الفروع « للشرف البغدادى » ، و « ألفية ابن مالك » وغيرها وعرضها أيضاً فى سنة اثنتين وثمانمائة وأخذ الفقه بالمحلة عن السراج عمر الطريني[2] ، وبالقاهرة عن ابن عمه « العز محمد بن عبد السلام الأموى » المالكى والقاضيين « الجمال الأقفهسى » و « الشمس السنباطى » ، والنحو ؛ عن الشهابين « المغراوى » و « العُجَيْمى الحنبلى » و « يحي المغربى » .

وحضر عند « العلاء البخارى » ، وتوجه فيمن توجّه لدمياط من أجله ، وكذا قرأ على « الشمس البُوصيرى » لما أشيع أن من قرأ عليه دخل الجنة ، وسمع / « صحيح البخارى » ، خلا من باب موت النجاشى إلى باب تسمية منْ سمّى من أهل بدر على العلاء بن أبى المجد ، والختم منه وأوله « باب : وكلمَ اللهُ موسى تكليما » على الحافظين « العراقى » و « الهيثمى » و « التنوخى » ، ومن قوله فى الشفاء « فصل فى كيفيات الصلاة والتسليم إلى آخر الكتاب » على « الشرف بن الكويك » وكذا لازم شيخنا كثيراً فى رمضان وغيره وسمع على « الغمارى » حسبما أشار إليه فى نظمه كما سَاورِدُه ، وعلى « الولى العراقى » ورأيته أثبته فى مجالس من أماليه ، ووصَفه بقاضى « سنباط » . ولم يزل يدأب فى الاشتغال حتى أذِنَ له « الجمال الأقْفَهْسِى » فى التدريس والإفتاء بما يراه مسطوراً لأهل المذهب ، وذلك فى سنة تسع وثمانمائة ، وناب فيها فى القضاء « بسنباط » وغيرها عن « الجلال البلقينى » ثم بالقاهرة عن قاضى مذهبه « الشمس المدنى » ، واستمر ينُوب لمن بعدهما ، وحجَّ فى سنة تسع عشرة مع شيخه « الأقْفَهْسى » ، وجرت له محنة بسبب والد زوجته « صدر الدين بن العجمى » ، فإنه لما فقد وأشيع أنه وصلَ كتابه وقرأه صاحب الترجمة ،

١٧٩

(١) جاء فى الضوء اللامع أن مولده كان سنة ٧٨٧ هـ .

(٢) الطرينى : سبق التعريف به فى ص .

وذلك فى أواخر رجب سنة ثلاث وعشرين ، طُلِب وسُئِل ، فاعترف بقراءة الكتاب ، فالتمس منه إحضاره فادعى أنه رماه فى البئر ، فغضب منه السلطان ، وأمر بضربه فضرب تحت رجليه ، ثم اعتقل فى البرج أياماً إلى أن شفع فيه الإمام « الأذرعى »[١].

وولى قضاء « الإسكندرية » فى رمضان سنة تسع وأربعين ، عوضاً عن « الشهاب التِّلمسانى » ، وعين لقضاء « القاهرة » غير مرة ، فلم يتم ذلك إلا بعد وفاة « البدرِ بن التَّنَسِى » ، وذلك فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى صفر سنة ثلاث وخمسين ، فباشره بعفة ونزاهة ، وتواضع وأمانة ، واستمر حتى مات ، غير أنه فى رجب سنة ست وخمسين انفصل ثم أعيد عن قرب بعد يومين .

ولما التمس منه « البُقاعى » الحكم بصحّة التزام مُطلَّقته ابنة الشيخ « نور الدين البُوشى »[٢] ، وهو أنها متى تحركت لطلب ولدها المرضع منه ، أو التمست نظره كان عليها خمسمائة دينار أو نحو ذلك ، صمم على الامتناع ، لعلمه بقوله — صلى الله عليه وسلم . مَنْ فرَّق بين والدة وولدها فرَّق الله بينه وبين أحبته فحمد المسلمون — خصوصاً من فى قلبه أدنى رحمة — صنيعه .

وأخذ الغريمُ منْ ثمّ فى إطلاق لسانه وقلمه فيه جرْياً على عوائده فيمن يُخالِفُه فى مقاصده ، ونسأل الله السلامة — وكذا أحضروا إلى بابه

---

(١) الأذرعى : بذال معجمة ، ثم راء مفتوحة ، ويجوز كسرها نسبة إلى « أذرعات » ناحية بالشام — وهو الشهاب أحمد الإمام بن حسن بن على بن محمد بن عبد الرحمن ، الدمشقى المصرى ، الشافعى . ولد بأذرعات وتحول منها إلى دمشق ، ويعرف بابن قاضى أذرعات . مات سنة ٨٥١ هـ عن ٧٣ سنة .

الضوء اللامع ج ١ : ٢٧٦ ؛ ١١ : ١٨٣)

(٢) النور البوشى :

على بن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد ، النور أبو الحسن بن الخطيب الز ، أبى العباس البوشى (نسبة لقرية بوشى بالموحدة والمعجمة من الوجه القبلى بالصعيد) المصرى ثم الحنكى ، الشافعى وكان يعرف قديماً بالخطيب ؛ وأخيراً بالبوشى . ولد بعد سنة ٧٩٠هـ ومات سنة ٨٥٦ هـ .

(الضوء اللامع ج ٥ : ١٧٨)

أبا الخير النحاسى فى أيام محنته وادعى عليه / عند بعض نوّابه ولم يُمكن ١٨٠
من قتله .

وببابه عُزِّرَ أحد الفضلاء « شمس الدين الدِّيسْطى » (١) المالكى ،
وبالغ « ابن الرهونى » (٢) فى أمره . وقد حدَّث ودَرَّسَ وأفتَى . سمع
منه الفُضَلاءَ . سَمعْتُ عليه اليسير وكان إنساناً حسناً فقيهاً فاضلا
مستمرّاً لحفظ « الموطأ » إلى آخر وقت ، متواضعاً ليِّن الجانب ، متودداً
بالكلام ونحوه مُتثبتاً فى الدِّماء . لا يزال مُتوعكا كثير الزّهد مع تجرُّع
التقلل ووجود من يكلفه (٣) وهو من قدماء أصحاب الجد أبى الأم .
وقد رأيته بعد مدة فى المنام ولا وجع بعينيه فى منام حسن أثبته فى غير
هذا المحل .

وله نظم حسن ، فمنه أول قصيدة عملها حين حج : [رجز]

يا حُجرةَ المختار خَيرِ الورَى مُحمد الهادى سَواءَ السَّبيل
لعَلّ قبْلَ الموْتِ أنى أرى ضريحهُ السَّامى وأشفى الغليل

ومنه ما كتبه : [وافر]

أجزْتُ ولستُ فى هذا المقام لمن ذُكرَ اسمـهُ فى ذا الأمام
أنا لهمُ المهيمنُ كلّ قصْدٍ وبلّغ جمعَهم أقصى المرام

---

(١) الديسطى : بكسر أوله ؛ ثم مثناة مفتوحة بعدها سين أو صاد ، ثم طاء مهملات
وهو محمد بن أحمد بن على الشمس بن الفخر الديسطى ، القاهرى الأزهرى ، المالكى
ويعرف أبوه بابن البحيرى ، وهو بالديسطى .

(الضوء اللامع ج ٧ : ٢٢ ؛ ١١ : ٢٠٣)

(٢) ابن الرهونى :

هو محمد بن على البدر بن القاضى نور الدين الرهونى — نسبة لقبيلة بالمغرب —
القاهرى ؛ المالكى ، أحد النواب . مات فى سنة ٨٧٠ هـ

(الضوء اللامع ج ٨ : ٢٠٦)

(٣) يكلفه : هكذا فى الأصل وفى الضوء اللامع .

كلف به : أولع به ، وأ كلفه غيره التكليفة : الأمر يشق عليه . تكلفه : تجشمه .
(القاموس المحيط)

وَمَنْ مِنْ أهل هذا الدين وافى — حياتى قبل إدراك الحمام
خصوصاً أهلَ مصر لهم حقوق — ولا زالت لهم شِيَمُ الكرام
بنُطق باللسانِ كما أشاروا — واستُ بتاركٍ رعى الذمامِ
رواياتى .. ومالى من سماعٍ — ومنظومٍ ونثرٍ مِنْ كلامِ
وأكثرها على أُستاذ عصرى — وحافظهِ أبى الفضل الإمام
أدام الله فى دَعةٍ عُلاه — ورَقاهُ إلى أعلى مقامِ
وقِدْماً [قد[1]] سمعت عَلَى عَلِىٍّ — أبى الحسن الخطيب . ذى الاهتمام
وحقاً قد سمعتُ بلا افتراء — على شيخى الغمارِى الهمام
وممن قد قرأتُ عليه عرضاً — من الأعلام أشياخى العظام
إمام المسلمين بلا نزاع — ومجتهد الزمان بلا ازدحام
أبو حفصٍ السراج أجاز مما — يجوز له وعنه على التمام
وأشياخ سوى من قد ذكرنا — أولو كرم ذوو همم جسام
ولى من لحظهم حظ وإنى — بذكراهم لأبرأ من سقام
جزاهم ربنا عنا جزاءً — به يرقون فى دار المقام
وتجمعنا جميعاً فى جنان — بلا محن ولا إحن .. انتقام
إلهى قد بدأت بفيض فضل — عساك تمن فضلا بالختام
181 /وصلِّ المنا أبداً دواماً — على ذخر الورى خير الأنام
محمد المشفَّع فى البرايا — إذا أموه فى يوم الزحام
كذا الأصحاب والأتباع طراً — وحيهم جميعاً بالسلام

مات فى يوم الخميس تاسع عشر شهر رجب سنة إحدى وستين وثمانمائة وصلى عليه من الغد بجانب مصلى «باب النصر» ، ودفن بـ «تربة بنى العجمى» رحمه الله وإيانا .

واستقر بعده فى القضاء الشريف حسام الدين بن حريز .

(١) السياق يقتضى زيادة كلمة «قد» التى بين القوسين حتى يستقيم الوزن .

القاضى بدر الدين أبو المحاسن*

محمد بن محمد بن عبد المنعم ، البغدادى

القاهرى الحنبلى ٧٥٧ — ٨٠١ هـ

محمد بن عبد المنعم بن داود بن سليمان ، القاضى بدر الدين أبو المحاسن ابن الإمام ناصر الدين ، أبى عبد الله بن العلامة الشرف أبى المكارم البغدادى الأصل ، القاهرى الحنبلى .

كان مولد جده الشيخ شرف الدين ببغداد ، واشتغل بها فى « الفقه » وغيره . وقدم « دمشق » ، فأقام بها مدة ، وصحب « التاج السبكى » وغيره . ثم قدم « القاهرة » فاستوطنها ، وأخذ عن الموفق « عبد الله بن محمد بن عبد الملك » الحنبلى ، وتمهر فى مذهبه ، وتصدى للإفتاء والتدريس .

ودرس بالحسينية «وأم السلطان» ثم بـ« الصالح » وكذا بـ « المنصورية » على ما تحرر وولى إفتاء « دار العدل » وعين للقضاء غير مرة فلم تتفق .

وممن أخذ عنه من شيوخنا ، « البرهان الصالحى » الحنبلى « والنور ابن الرزاز المتبولى » وأذن لهما ، وكانا صاحبى نوادر وحكايات ، كل ذلك مع الكياسة والحشمة ، والمروءة ، وحسن الشكل والزى ، والتواضع والسكون والوقار .

مات فى شوال سنة سبع وثمانمائة ، وذكره شيخنا فى « أنبائه باختصار ودفع عنده « عبد المنعم ابن سليمان بن داود » ، فيحرر ، وخلفه فى وظائفه والد صاحب الترجمة ، فلم تطل مدته ، حسبما قرأ بخط شيخنا ، وهو كذلك بل مات بعد أن أنجب صاحب الترجمة .

وأمه هى ابنة أخى الفقيه « برهان الدين ابن الصواف » الحنبلى ، كان مولده فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة « بالقاهرة » ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن وتلاه ؛ كما أخبر لكل من أبى « عمرو » و « نافع » ، « وحمزة »

(*) هو بدر الدين البغدادى : له ترجمة فى الضوء اللامع العبارة وردت هكذا : « الشمس الشراربى » .

على الشيخ « حبيب » ، « والشمس الشروانى » ، وحفظ من مختصر العلوم للحزقى[1] وغيره عرضها على شيوخ عصره ، وأخذ فى الفقه ، عن الفتح الباهى .

وكان زوج أمه ، و « العلاء بن المغلى » ، ولكن إنما كان جلُّ انتفاعه بـ « المحب بن نصر الله البغدادى » ، واشتغل فى النحو بمقتضى إملائه على الشموس : « العلامة البوصيرى » ، و « الشطنوفى » ، و « ابن هشام العجيمى » ، و « البدر الدمامينى » ، وكذا أخذ عن « العز عبد السلام البغدادى » .

وطلب الحديث فقرأ « صحيح البخارى » على شيخه المحب . و « صحيح مسلم » و « الشفاء » كلاهما على « الشَّرَفِ ابن الكُوَيْك » ، وسمع عليه « الأربعين النووية » وغيرها ، وعلى « الجمال عبد الله بن العلاء العسقلانى » فى « المسند » وغيره ، وكذا سمع على « الشمس الشامى » و « الكمال ابن خير » و « الشهاب الواسطى » / و « الزين الزركشى » و « ابن الطحان » و « ابن ناظر الصاحبة » و « ابن بردِس »[2] وآخرين .　١٨٢

وأخذ عن شيخنا ومن قبله عن « الولى العراقى » ، ورأيت « الولى » كتب بآخر المجلس السادس والثمانين بعد الخمسمائة ، من أماليه الذى كان إملائه فى ثامن عشرى جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ما نصه : (ولد الشيخ الإمام شرف الدين عبد المنعم البغدادى وولده » ، فتوهمت أن المراد بولده صاحب الترجمة ، وأن المبيض لاسمه هو أبوه ، ثم حصل التوقف فى ذلك . من أجل قول شيخنا : إن ناصر الدين لم تطل مدَّتُه بعد أبيه . ووافقه القاضى عز الدين على ذلك ، إلى أن ظهر أن المبيض له هو صاحب الترجمة نفسه ، ولم يعرف الولى حينئذ اسمه ولا اسم أبيه ، فبيّض لهما ، واقتصر على اسم الجد . وقوله : « وولده » : يعنى به شرف الدين ، وَلَدَ صاحب الترجمة)

---

(١) مختصر العلوم للحزقى ؛ والضبط من القاموس المحيط .

(٢) ابن بردس : سبق التعريف به ، ولم نعثر له على ضبط .

وناب فى القضاء عن « العلاء بن المغلى » فمن بعده ، وكذا ناب عن شيخنا وتصدى لفصل الأحكام ببعض الحوانيت ببولاق وغيره ، كحانوت الحلوانيين ، ويقال إن الشيخ سليم بشَّرَهُ بالقضاء الأكبر ، ونحوه صنيع الشيخ خليفة حيث كان يخاطبه بذلك ، بل رأى هو النبي — صلى الله عليه وسلم — حين انفجر النتوء الذى كان بإحدى عينيه التى دميت فى صغره ، لما وقع فى « الحمام » ، وبات وهو مغتم بذلك ، فلما رأى النبى — صلى الله عليه وسلم — شكا ذلك له ، فتفل فى السليمة ومسح على الأخرى ، قال : فعلمت حينئذ أنها لا تتغير عن هيئتها فتألمت ، فقال لى : أبشر بكذا وكذا ، وذكر ثلاثة أشياء نالها ما عدا الثالثة ، قال : وأرجو أن أنالها ، ومنها ولاية القضاء فيما يغلب على الظن — هذا ما بلغنى عن صاحب الترجمة .

وولى قضاء « العسكر » و « افتاء دار العدل » وتدريس « الفقه » بـ « الصالحية » بعد أبيه بعناية « المحب » شيخه ، وكان ينوب عنه فيه ، فلما ولى « العلاء بن المغلى » انتزع منه « الصالح » وكل ما فى ذلك ، فعوضه عنه بمعلوم كان يدفعه له كلّ شهر ، ثم رجع إليه بعد ، وتصدر بكل من جامعى « عمرو » و « الأزهر » والمشهد النفيس .

وبعد موت « الزين الزركشى » فى تدريس « الفقه » بـ « الشيخونية » ، وولى « مشيخة التصوف » بـ « جامع الرحمة » ، وعُرف بالديانة والأمانة ، والأوصاف الحميدة ، وأشير إليه بالتقدم فى معرفة الشروط ، مع البراعة فى المذهب ، فلما مات شيخه المحب وذلك فى جمادى الأولى سنة سبع وأربعين ؛ استقل بقضاء الحنابلة بالديار المصرية ، فسار فيه سيرةً حسنة / جداً بعفّة ونزاهة ، وصيانة وأمانة ، وتثبت فى الأحكام جداً . وأمعن فى النظر فى المكاتيب زالشهود ، وصمم على المنع من الاستبدالات ، وأشياء مما كانت فاشية قبله .

١٨٣

ولا زال مع ذلك كله يستجاب الخواطر باللين والاحتمال ، والتواضع والعفة ، والبذل مع التقلل من الدنيا ، وعدم ادخارها إذا وقعت بيده ، ونصر المظلوم ، وإغاثة اللهفان ، والمداراة مع الصلابة عند الحاجة إليها ، وحتى كان كما قيل ؛ ليناً من غير ضعف ، شديداً من غير عنف ، فصار إلى

رئاسة ضخمة ، وحرمة وافرة ، وكلمة مقبولة ، وأوامر مطاعة ، وهرع الناس لبابه ، وقصد فى المهمات الكبار ، وترامىَ عليه أصحابُ الحوائج من الفقهاء والقضاة والمباشرين والأمراء وغيرهم . ، ولم يتحاش أحد على الحضور عنده ، بحيث إنه كان إذا مرض أو حصل له أمر يتردد إليه الخليفة فمَنْ دونه من الأمراء والقضاة والمباشرين ، وأرباب المناصب ، لا يتخلّفُ عنه منهم أحد ، لما ألِفوه من كثرةِ موافاته لهم ، وإعمال فكره فى نصحهم ، بما ينفعهم فى الدار الباقية .

وأما ناظر الخواص الجمالى ابن كاتب حكم ؛ فكان لا يعدو أمره بحيث كانت تجرى كثير من صدماته على يديه ، وبهذا السبب تردّدَ إليه كثير من الناس ، وبالغوا فى الثناء عليه .

ولما مات « الزينى عبد الباسط » أسنَدَ وصيتَه إلى جماعة هو منهم ، وأوصى له بألف دينار يفرقها بحسب رأيه ، وُثُوقاً منه بذلك ، ففرقها من غير أن يتناول منها درهما — فيما بلغنى — بل سمعتُ أنه أوصى له هو بألف أُخرى ، فأعرض عنها . وكذا اتفق له مع « البدرى ابن التّنسى » و « ابنِ السلطان حسن » ؛ أوصى له كل منهما بخمسمائة ؛ فأعرض عنها ، وكثيراً ما كان يفرق ما يخصه من الوَصايا على الطلبة ونحوهم . وكذا كان « الظاهر جقمق » منقاداً معه إلى الغاية ، حتى إنه كان يأمرُ بما لا يستطيع أحد مراجعته فيه ، فلا يزال صاحب الترجمة يتلطف به ، ويترسل فى حسن التوسل إلى أن يصغى إلى كلامه ، ويرجع إليه .

وكفّه عن أشياء كانت بادرتُه تلجئه إلى الوقوع فيها ، خصوصاً مع الفقهاء ونحوهم ، كالقاضى « علم الدين » ، فى عدم تمكينه من إخراج « الخشّابيّة » عنه ، والشفاعة فيه حتى رجع به من الصحراء حيث الأمر بنفيه .

ولما تعينت « الخشابية » فى بعض توعُّكاته لـ « الشرف المناوى » كان ساعياً فى الباطن فى عدم خروجها عن بيتهم ، والتنصيص على استقرار « البَدْرِى البلقينى ») فيها .

وترك مدافعته له عن شيخنا مع كونه شيخَه ، وله عليه حقوق فى إخراج « النيبرسية » وغير ذلك . وكأنه رأى عدمَ الانقياد معه فيه أو لغير ذلك وهو الظاهر ، فإنه لم يكن مع شيخنا كما ينبغى . وقد حكيت فى « الجواهر » طَرَفاً من ذلك ، وبعضه مما اتفق بحضرتى ، ولو قام معه لكان أولى من كثير من قوماته .

وكثيراً كان السلطان يُنعم عليه مع أخذِه من رفقته ، وقد حجّ مراراً ، أولها فى سنة ثلاث وأربعين ، ثم فى سنة تسع وأربعين ، ثم فى سنة ثلاث وخمسين ، وفيها أقام فى المدينة نحو نصف شهر ، وقرأ هُناك « الشفاء » ثم بـ « مكة » أكثر من شهر . وكان السلطان هو المجهز له فى الأخيرتين . ولم يَرجع من واحدة منهما إلا مُضاعَف الحُرْمَة مع أنّه ما خَلا عنه فى عُلاه ، بجتهد فى خفضه . ولم يزدد إلا رِفْعَه ، ولا جَاهَر أحداً بسوء ، كل هذا مع بعد الغَور ، والمُداوَمة على التِّلاوة والتهجُّد والصيام والمراقبة والحرص على المحافظة على الطّهارة الكاملة . وضَبط أفْعَاله وأقوَالِه واجتهاده فى إخفاء أعماله الصالحة بحيث إنه يركب بنفسه فى الغَلَس إلى مَنْ يعلم احتياجه فيبرّه . وربما حمل هو الطعام وشبهه لمن يكون عنده بالمدرسة وأمرُهُ فى هذا وَرَاءَ الوَصْف . ومزيد احتماله وحلمه ومغالطته لمن يفهم عنه شيئاً ، ومقاهرته بالإحسان والبذل ، والخبرة بالأمور ، وكثرة الأفضال ، وسَعَةِ الكرم ، وكونه غاية ما يكون من الترفّه والتنعم بالمآكل السنية والحلوى ، والرغبة فى دخول الحمام فى كل وقت لَيْلاً . ومزيد مرافاته بالتهنئة والتعزية به والعيادة ونحو ذلك ، بحيث لا يُلحق فى هذا الصنيع ، حتى أنه بلغنى أن « الشرفَ يحيى بن العطار » تعلّلَ مرّة ثم أشرف على الخلاص ودخل الحمام فَلِيم فى تعجيله ، فقال : والله ما فعلته إلا حياء من فلان . وأشار إلى صاحب الترجمة ، لكثرة مجيئه فى كل يوم ، فأحببت تعجيل الراحة له .

بل بلغنى عن بعض الرؤساء أنه كان يقول : ما كنتُ أعلم بكثيرٍ ممَّنْ يتعلل من جماعتى وحاشيتى إلا منه .

وقيل لشيخنا فى إمعان صاحب الترجمة فى ذلك فقال : « كلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له » إشارة إلى تفرغه لهذا .

وأثكل ولدٌ(١) له كان سميه وشبيهه فى العقل التَّام ، والتَّوَدُّد ، وكثير من أوصافه الحميدة ، ويُدْعى « شرف الدين » ، لم يكن حينئذ له غيره ، وذلك فى ليلة الخميس ثالث عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين ، ومولده كان بعد العشرين ، فصبر واحتسب ، وتزايد ما كان يسلكه فى أفعال الخير ، حتى أنه فرق ما كان باسم الولد من الوظائف على جماعة مذهبه . فأعطى إفتـــاء دار العدل / للشيخ « نور الدين المتبولى » ابن « الرزاز »(٢) وقضاء العسكر للقاضى « شمس الدين بن أبى عمر الخطيب » وكان إعطاؤه إياهما لولده عند ولايته للقضاء . وأكثر من ملازمة قبره والمبيت عنده ، وإيصال البر إليه بالختمات المتوالية ، والصدقات الجزيلة . وقرر جماعةً يقرءون كل يوم عند قبره ختمة ، ويبيتون على قبره فى أوقات عيَّنها ، وحبس على ذلك رزقه وانتفع بذلك بعد موته حيث استمر ولم يلبث أن مات فى ليلة سابع جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد أن تَعَلَّل أياماً وصُلى عليه من الغدّ « بباب النصر » .

١٨٥

تقدَّم القائم بأمر الله « حمزة » الناس . ودفن بـ « حوش الصوفية » سعيد السعداء كان « باب النصر » جوار قبر ولده — رحمهما الله تعالى — .

واستقر بعده فى القضاء « شيخ المذهب » « العز العسقلانى » وكان بينهما قديماً مزيد اختصاص ومرافقة ، حتى أنى رأيت بخط العز فى طبقة سماع وصفه بالأخ فى الله ، سيدى « بدر الدين » قاضى المسلمين وأوحد العلماء المعتبرين ، ابن سيدى العبد الفقير إلى الله تعالى ناصر الدين ، مفتى المسلمين وحاكمهم ابن الشيخ الإمام العلاء أبقاه الله تعالى فى نعمه ، ورحم سلفه .

وكذا فى جميع ما كان معه من التداريس والتصادير وغيرها إلا « الصالح » فإنه استقر لابن « الرزاز » وإلا التصدير بـ « جامع عمرو » مع جهة

---

(١) العبارة فى الأصل وردت هكذا : « وأثكل ولدا له »

(٢) ابن الرزاز : (انظر الضوء اللامع ج ١١ : ٢٤٧)

« بلاطه »[1] بنابلس فإنهما صارا « للخطيب بن أبى عمرو » وإلا المشيخة بـ « جامع الرحمة » فإنها صارت « للمحيوى الطوخى » وقد ترجمه شيخنا فى الأصل باختصار فقال : إنه نشأ طالباً للعلم ، حريصاً على جَمعِـه ، إلى أن استقرّ فى جهات والده ، وناب فى الحكم عن القـــاضى « علاء الدين بن المغلى » ، ثم استقل بولاية قضاء القضاة بعد موت القاضى « محب الدين » سنة خمس وأربعين — كذا رأيته بخطه « خمس » وهو سبق قلم . والصواب ما قدمته .

وذكره « البدر العينى » فى تاريخه ، لكنه قال : إنه ليس عنده من العلم إلا قليلا . وأثنى على سيرته . وقد عرضت عليه محفوظاتى ، وحضرت عليه بعض مجالسه ، بل قرأت على الأربعين التى انتقاها شيخنا من « صحيح مسلم » فى يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان سنة خمس ، وسمعها معى صاحباى ، محدث الحجاز « النجم بن فهد » ومفيد الجماعة المحدث « الشمس السنباطى » .

ولما حجّ قرأ بنفسه « الشفاء » بالروضة الشريفة ، ثم قرىء عليه بعد ذلك بالآثار « الشريف » وسمع فى كلتا / المرّتين جماعة . وبالجملة فكان فريداً فى معناه — رحمه الله وإيانا .

١٨٦

القاضى شمس الدين الإخنائى الشافعى

محمد بن محمد بن عثمان بن رحمة الإخنائى الشافعى

٧٥٧ — ٨١٥ هـ

محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة « القاضى شمس الدين بن تاج الدين بن فخر الدين بن شمس الدين السَّعـدِى الإخنائى الشافعى » قريب إبراهيم ومحمد ابنى محمد بن أبى بكر المذكورين فى الأصل مع ذكر جده الأعلى محمد بن أبى بكر .

---

(١) نابلس : وردت العبارة فى الأصل « مع جهة بلاطه بنابلس » وهى مدينة مستطيلة تقع بين جبلين بأرض فلسطين

(معجم البلدان لياقوت ج ١٨ : ٢٤٨) ط بيروت

مولده فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وكان يذكر أنه من ذرّية « أبى شجاع ، شاور بن مجير بن نزار بن عشائر السعدى الهوازنى » ، وزير « الفاطميين » ، المقتول فى سنة اربع وستين وخمسمائة ، وأنه سمع الصحيح على « عمر بن حمزة بن يونس العدوى أبا الحجار ووزيره ، ومحمد بن أبى العز بن مشرف بسندهم .

وقد اشتغل قليلا ، وناب عن البرهان بن جماعة « الغزة » وغيرها ، ثم ناب « بدمشق » أيضاً ، ثم ترقى حتى ولى قضاء « حلب » ، فى سنة سبع وتسعين عوضاً عن القاضى « ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد » المعروف بابن خطيب « نقيرين » ، وقدم إليها من دمشق ، وباشرها ، ثم انفصل عنها ثالث سنة من ولايته ، ورجع إلى « دمشق » أيضاً ، وولى قضاءها بعد « الوقعة التمرية » وباشرها مدة ، ثم سافر إلى الديار المصرية ، فولى قضاءها فى ثالث عشر المحرم سنة ست وثمانمائة ، بعد موت القاضى ناصر الدين الصالحى ، ثم صرف فى خامس شهر ربيع الأول منها بالقاضى « جلال الدين البلقينى » ، ثم أعيد بعده فى ربيع الآخر ، سنة سبع ، ثم صرف فى ذى القعدة منها ، ثم أعيد بعده فى صفر سنة ثمان ، ثم صرف به فى ربيع الأول منها ، وأخرجه « الجمال الاستادار » من القاهرة إلى دمشق فى جمادى الأولى ، فأقام بها حتى مات ، وولى قضاءها أيضاً مراراً ، وامتحن غير مرة ، ومات فى نصف شهر رجب سنة ست عشرة وثمانمائة ، قبل أنْ يكمل الستين — ذكره شيخنا فى تاريخه ، فقال : « كان شكلا ضخماً ، حسن الملتقى ، كثير البشر والإحسان إلى الطلبة ، عارفاً بجمع المال ، كثير البذل على الوظائف ، والمداراة للأكابر ، قليل البضاعة فى « الفقه » ، حتى إنه ربما افتضح فى بعض المجالس ، لكن يستر ذلك بالبذل والإحسان ، وكان يعترف بنقصه ، فيقول : « أنا قاض كريم ، و « البلقينى » قاض عالم ونحوه القول بأنه كان ذا خبرة بطرق السعى ، وصحبة الأكابر ، طويل القامة ، عظيم الهامة ، حسن البشر متودداً / سمح النفس ، قليل العلم ١٨٧ والصناعة ، نهاباً وهاباً ، ذكر له فى مجلس « قطلوبغا الكركى » أن

البُـلقينى واسع العلم ، فقال : « وأنا واسع العطاء » . وقال آخر : إنه نال من الرياسة والجاه والشرف ما لم ينلـه أحد من أقرانه . قال : « وحكم بدمشق مدة سنتين » وقال « ابن خطيب الناصرية » فى تاريخه : « كان شكلا حسناً ، رئيساً ذا همة عالية وحشمة » وأرخ وفاته سنة خمس عشرة ، وكذا أسقط بعضهم من نسبه اسم أبيه فسماه : محمد بن عثمان . والصواب ما قدمته فى الموضعين .

القاضى محب الدين أبو الفضل بن الشحنة

محمد بن محمد بن الشهاب غازى بن الختلو الحنفى

المعروف بابن الشحنة ٨٠٤ — ٨٩٠ هـ

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشهاب غازى بن أيوب بن حسام الدين محمود شحنة حلب بن الختلو بن عبد الله ، القاضى محب الدين أبو الفضل ابن القاضى محب الدين أبى الوليد ، ابن القاضى كمال الدين أبى الفضل ابن الشيخ شمس الدين أبى عبد الله الثقفى ، الحلبى ، الحنفى .

عرف بـ « ابن الشحنة » ، بهجة الزمان فى خصوص المنظر ، ومحجة الأعيان ممن ببلده تأخر ، ولسان شام الممالك ، الذى قل أن ترى بها فى ظاهر مجموعه الآن له مشارك ، كان جده الأعلى الأمير « حسام الدين » من أمراء « الملك الصالح اسماعيل بن الشهيد نور الدين محمود[1] بن زنكى » ، ثم من أمراء « الظاهر غازى » ، وولاه نيابة « حلب » ، حسبما أشار إليه الصاحب « كمال الدين أبو القسم ابن العديم » فيما قرأته بخطه من مسودة

---

(١) الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكى : خلف أباه نور الدين محمود فى حكم الشام بعد وفاته سنة ٥٦٩ هـ كان طفلا لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع الصليبيين عن البلاد وكان بدمشق ، ولما رأى صلاح الدين الأيوبى ذلك توجه إلى دمشق وكان الصالح قد انتقل إلى حلب ، ودخل صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ هـ ، ثم دخل حلب فى نفس السنة ، وجعل شمس الدين بن المقدم أتابكا للصالح توفى سنة ٥٧٧ هـ بعرض القولانج فى حلب .

(سيرة صلاح الدين لابن شداد : ٨٠ — ٨٢ نشر الدار القومية ، النجوم الزاهرة ج ٦ : ٨٩ — ٩٠) ط بدار الكتب .

« تاريخ حلب » ، وقال : « إنه كان شيخا حسن البشاشة ، ملازم الصلاة ، حسن العقيدة ، عارفاً بوقائع زمنه معرفة جيدة ، كثيرا لإيراد لها ، ابنى للحنفية مدرسة ، وعمل مسجداً ووقفاً على الأسرى والصدقات ، وعلت سنه حتى قيل إنه جاز المائة . وقال جماعة ما يدل على نحو التسعين ، قلت : وقد حدث شيخاً من نظم أسامة بن مرشد عنه ، روى عنه « اسحاق بن يعيش » ، ومدحه غير واحد من الشعراء ، منهم « الشرف راجح الحلى » ، ومات سنة ست وعشرين وستمائة .

وأكثر من يليه من بنيه ما وقفت الآن على تراجمهم ، لكن قرأت بخط صاحب الترجمة أن كل من فى عمود نسبه حنفيون . قال : وزعم « صلاح الدين بن الملك الزاهر » يعنى أحد من أدركته ، ولقبه صاحب الترجمة ، وجدنا الأعلى — يعنى « غازياً » — عم جدهم الأعلى صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فالله أعلم .

قلت : كيف يكون عم يوسف ؟ ، ولعله أراد أن يقول أخوه ، مع أنه لا يصح أيضاً ، فالنجم أيوب والد الصلاح يوسف هو ابن شاذى وذاك ابن محمود / .   ١٨٨

وكأن لهذا السبب لم يجزم صاحب الترجمة به ، والكمال جد صاحب الترجمة قد أثنى عليه غير واحد ، فقال شيخنا فى « الدرر » : إنه اشتغل حتى مهر ، وأفتى ودرس فى مذهبه . وقال فى « الأنباء » : « كان فاضلا بارعاً درس فى مذهب الحنفية ، وقال البرهان الحلبي : « كان مفتى الحنفية فى زمانه ببلده » . وسمعت الشيخ كمال الدين بن العجمى يقول للشيخ شهاب الدين الأذرعى : « يا سيدى ؟ اسمع ما يقول الشيخ كمال الدين .

فقال : « مايقول ؟ » قال : « أكل البقابيق التى فى الخبز حرام » . فاستغرب الشيخ شهاب الدين ذلك . قال : فسألت بعض الحنفية فقال « بقيد إذا أكله رغبة عن البقية وقال ابن خطيب الناصرية : « كان فاضلا ديناً ، معدوداً من أعيان الحنفية بحلب » ، انتهى .

مات فى شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة ، بعد أن أنجب

محمداً وعبد الغفور وعبد الرحمن وعليّاً ؛ فأما محمد فهو الآتي بعد ، وكان له من البنين الوليد الذي كان بها يكنى ، وعبد اللطيف وصاحب الترجمة ، وأما عبد الغفور فكان ذكياً ، مات قبل الفتنة شاباً ، وأما عبد الرحمن فهو فتح الدين أبو البشرى كان مولده فى سنة ثلاث وخمسين ، وحفظ القرآن و « المختار » و « الإخصيكثى » ، وسمع على « الظهير بن العجمى » فى « سنن ابن ماجه » ، وعلى الصابونى : « السيرة النبوية للدمّياطى » ، وعلى الكمال بن العجمى .

وتفقه بأبيه وأخذ عن أخيه المحبّ ، وقرأ على « السراج الهندى » قطعة من شرحه على المغنى فى الأصول ، وبرع فى المذهب ، وناب عن أخيه بل ولى وهو شاب بلده إفتاء دار العدل ، ثم قضاء الحنفية بحماه قبل الفتنة ، وتحوّل بعد هذا كله مالكياً ، وأخذ عن « العَلَمَ القَفْصى »[1] ، وناب عنه ، فلما شغَر قضاء المالكية ببلده بحكم غيبة « الجمال عبد الله النحريرى »[2] راسل نائب « حلب » فى استقرار هذا عوضه فأجيب ، وذلك فى سنة خمس وثمانمائة ، واستمرّ إلى أن مات ، لم ينفصل إلا أياماً ثم أعيد .

وكان ذا نظم حسن ، وبراعة فى العربية ، ومشاركة فى الفضائل ، ذاكرا بجملة من النوادر والحكايات ، ورقائق الأشعار ، أثنى عليه ابن خطيب الناصرية بالمروءة والحشمة ، وقال ابن أخيه : إنه كان شهماً شجاعاً ، يكنى نفسه أبا الحسن لكثرة ما كان يقع بينه وبين أهل زمانه فلا يبالى منهم بأحد .

ومات فى ليلة عاشر المحرم سنة ثلاثين ، واستقرّ بعده فى قضاء المالكية ولده « الكمال ابراهيم » . ومن نَظْمِهِ مما أورده شيخنا فى ترجمته من تاريخه ، وسمعته من صاحب الترجمة عن عمه أنه أنشدهما فى محنة اتفقت له وتوالت الأمطار ، وكثرت فى تلك المدة : [خفيف]

---

(١) القفصى : بفتح أولة ثم فاء مهملة ، نسبة « لقفصه » مدينه بالمغرب قريبة من القيروان : (الضوء اللامع للمؤلف ج ١١ : ٢٢١)

(٢) النحريرى : هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن ادريس بن نصر الجمال أبو محمد النحريرى المالكى قاضى حلب ونزيلها ولد سنة ٧٤٠ هـ ومات سنة ٨٠٧ هـ (لضوء اللامع ج ٥ : ٤٢)

١٨٩ لا تلوموا الغمامَ إن صب دَمْعاً وتوالت لأجله الأنواء /
فالليالى أكثَرَت فينا الرّزايا فبكت رحمةً علينا السماءُ

وأجاب عنهما العز الحسن بن محمد الزاهد بقصيدة مطلعها : [خفيف]

إن بكَتْ رحمةً عليك السماء فعلى مثلكم يحق البُكاءُ

وأما عَلِى ؛ فهو علاءالدين أبو الحسن ، كان مولده فى سنة ست وخمسين ، وحفظ القرآن والمختار ، وأخذ عن أبيه وأخيه . وناب عنهما ، واستقل بقضاء الغربيات العشرة ، من معاملات « حلب » ، وكان فاضلا له نظمٌ ؛ من أحسنه ما أنشدنيه ابن أخيه عنه : [طويل]

وقطٌّ كليث كامل الحُسْن صائد وفى عَزْمَةٍ واللَّوْنِ يُشبه عَنْترا
يفوق على قِطّ الزَبَادِ تفضّلاً وسمّيتُه من نشره المِسْك عَنبرا

ومنه ما أنشدنيه ابن أخيه عنه أيضاً قال : وأوصانى أن ألقيهما معه فى قبره ففعلت : [وافر]

إلـهى قَدْ نَزلتُ بِضيْقِ لَحْد بأوزارٍ ثِقَالٍ مَع عُيوب
وعَفْوُكَ واسِعٌ وَحمَاك حصنى(١) وأنْتَ الله غفـار الذنوب

قال : ومن العجيب أنه لم يقرأ شيئاً فى العربية ، ومع ذلك فلم يكن يلحن ، وكان يحكى أنه رأى النبي — صلى الله عليه وسلم — وسأله إصلاح لسانه فأطعمه حلوى عجمية ، فكان لا يخطىء العربية ، والله أعلم ، مات فى سنة إحدى وثلاثين .

وأما الوليد أخو صاحب الترجمة فقال : « إنه كان آية فى الذكاء ، ذا نظم ونثر ، مات شاباً فى حياة أبيه عقب الفتنة ، وأما أخوهما الآخر « عبد اللطيف » ؛ فهو القاضى « أوحد الدين » ، كان مولده فى سنة ثمان وثمانين وتفقه بوالده والبدر بن سلامة ، ودخل القاهرة فأخذ بها عن السراج قارىء الهداية والعزّ عبد السلام البغدادى ، وأذن له ، وولى قضاء « صفَد » مراراً ، وناب فى القاهرة عن « التفهنى » ، ومات فيها بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين .

---

(١) وردت فى الأصل : « حصين » .

وأما صاحب الترجمة وهو المقصود منا بالذكر فولده فيما كتبه بخطه : فى « رجب » سنة أربع أو خمس وثمانمائة ، وقال مرة أخرى : انه فى أوائل القرن » . ثم حقق أنه فى شهر رجب سنة أربع ، حسبما أَخبَرَهُ به بعض إخوته ، وتأيَّد عند صاحب الترجمة بقول أبيه له فى سنة أربع عشرة : « أنت الآن ابن عشر » .

وأمه واسمها « فاطمة » من ذرية « موسى » الذى كان حاجب « حلب » ، وبنى بها مدرسة ، ثم ولى نيابة « البيرة »[1] ، و « قلعة الروم »[2] ، ومات بـ « البيرة » فى سنة خمسين وسبعمائة ، وكان مولد المحب بـ « حلب » ، ونشأ بها فقرأ فى اجتيازه « بدمشق » عند الشهاب البابى فقيه ابراهيم وعمر ابنى المؤيد ، وفى « القاهرة » على شخص يقال له « البرديني » ، واستحضر له والده « ابن التاج » ، و « عبد الله الشريفى » فكتب/عليهما يسيراً ، ثم عاد الى « حلب » فأكمل بها القرآن عند « العلاء الكَلَّزى » ، وحفظ فى أصول الدين « عمدة النسفى » وغيرها ، وفى القراءات « الطيبة » لابن الجرزى ، وفى الحديث « ألفية العراقى » وكذا ألفيته فى السيرة ، وفى الفقه « المختار » ثم « الوقاية » ، وفى الفرائض « الياسمينة » ، وفى أصول الفقه « المنار » وفى النحو « الملحة » و « الألفية » و « الشذور » وبعضاً من توضيح « ابن هشام » و « ألفية ابن معطى » وفى المنطق « تجريد الشمسية » ، وفى المعانى والبيان « تلخيص المفتاح » ، وحفظ غير ذلك من منظومات أبيه وغيرها ، حسبما ذكر لى ذلك كله بزيادات ، وأنه كان آية فى سرعة الحفظ ، بحيث أنه حفظ ألفية الحديث فى عشرة أيام ، ورام فعل ذلك فى « ألفية النحو » فقرأ نصفها فى نصف المدة ، ثم فتر عَزْمُه عن باقيها ، فأكمله فى أزيد من ذلك ، وعرض بعض محافِيظه على عمه ، و « العز الحاضرى »[3] و « البدر

١٩٠

---

(١) البيرة : بلد بلبنان ، وهى غير البيرة فى الأندلس .

(٢) قلعة الروم « بلد » : قلعة حصينة فى غرب الفرات ، مقابل البيرة ، بينها وبين سميساط . ياقوت الحموى معجم البلدان .

(٣) الحاضرى : هو محمد بن خليل بن هلال بن حسن العز أبو البقاء بن الصلاح الحاضرى الحلبي الحنفى : ولد سنة ٧٤٧ هـ وقيل سنة ٧٤٦ هـ . ومات فى سنة ٨٢٤ هـ بحلب . (الضوء اللامع ج ٧ : ٢٣٢)

ابن سلامة »[1] ، وكان مما كتبه له فى عرض « المختار » حسبما أنشدنيه صاحب الترجمة عنه : [كامل]

سَمَحَ الزّمانُ بمثله فاعجبْ لـهُ ... انّ الزّمانَ بمثـلهِ لَشَحيح
فالأصلُ زاكٍ والخلالُ حميدةٌ ... والذّهنُ صافٍ واللّسانُ فصيح

وأخذ الفِقْـهَ عن جماعة منهم : « العز الحاضرى » و « البدر ابن سلامة » ، وعظم انتفاعه بما ذَكَرْتُه[2] ، واشتدت عنايتُـه بملازمته ، وعنهما أخذ العربية ، وكذا عن عمه أبى البشرى وجماعة منهم ، « الشهاب ابن هلال » ، قرأ عليه « الحاجبيه » ، قال : وكان يتوقّد ذكاء ، غير أنه كان ممتحناً بابن العربى ، وَمَامات حتى اختل عقله ، وقرأ فى أصل الديانة والفقه على « ابن سلامة » ، وعليه قرأ « تجريد الشمسية » فى المنطق ، قال : وكان البدر أخذه عن مصنفه الشيخ أحمد الجندى — يعنى الذى ذكره فى مشتبه النسبة — فقال : عاصرناه ، وأخذ عنه جماعة من أصحابنا من أهل « تبريز » انتهى .

وحكى أن شيخه « البرهان » كان يصرفه عن الاشتغال بـ « المنطق » ويقول : كان جدك الكمال يلوم ولده والدك على توسّعه فيه ، ولازم « البرهان الحلبى » فى فنون الحديث ، وحمل عنه أشياء بقراءته ، وقراءة غيره ، وتخرج به ، وضبط عنه فوائد جمة .

وصاهر القاضى علاء الدين بن خطيب الناصرية فانتفع به ، وكتب عنه أشياء ، وكذا أخذ اليسير عن شيخنا حين قدومه عليهم البلاد الحلبية صحبة السلطان ، بعد أن كان راسله فى استدعاء نصه :

« الحمد لله الذى خص أحمد بجوامع الكلم ، وقواطع الدليل ، وجعل علماء أمته كأنبياء بنى اسرائيل / وأجاز لهم كتابة — حديثه على الصحيح — فقبلوا الحسن ، وجبروا الضعيف ، وأعرضوا عن القبيح ، وميزهم باتصال ١٩١

(١) ابن سلامة انظر الضوء اللامع ج ١١ : ٢٥٢ .

(٢) وردت العبارة فى الأصل المخطوطة : « فيما ذكرته » والتصويب من الضوء اللامع

سلسلة الإسناد المرفوع الى خير الخلق ، فو نف عن درجاتهم كل منقطع ، وأحرزوا قصبات السبق ، نحمده على بسيط فَضْـلِه الوافر ، ونشكره على مديد جوده المتواتر ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الفرد الصمد ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المرسل الى الأحمر والأسود ، أرسله وَحَبْـلُ الأمان[1] مقطوع فوصله ، وسكّن مضطربه ، واوضح معضله ، والف مختلفه ، وازاح علله وشرّع شرعه ، وبيّن سُبُلَه ، وشهره بعزيز النصر بعد غربته ، وعرّف مجهوله بعد الشذوذ ، وازال منكره بتبليغه وعنعنته، فأصبح مفترقُ شَمْـلِه متفقاً ، ومطلوب موضوعه متسقاً ، وايده بالمعجزات الخوارق .

فبحقٍّ هو السابق اللاحق ؛ صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه المدرجين فى زُمْرته وحِزْبه ، العالين بصحبته ومَنْ عداهم نازل ، وسلم ما تعاقبت البُكَر والأصائل . وبعد :

فالمسئول من صدقات سيدنا ومولانا الشيخ الإمام الحافظ العلامة حافظ الإسلام ، مفتى « مصر والشام » قُدْوة الحفّاظ والمحدثين ، أبى الفضل شهاب الدين ، قاضى قضاة المسلمين . أحمد العسقلانى الشافعى ، أمتع الله بحياته الكريمة ، وأسبغ عليه نعمه العميمة أن يجيز إلى أن قال : جميع ما يجوز عنه روايته ، وله من مرويّاته العالية والنازلة ، ومن مصنفاته الفائقة ، وأشعاره الرائعة ، وأن يتصدق بذكر المرويّات والمؤلفات ، والأبيات الأبيّات ، وماله من المنثورات والمناظم ، وذكر تاريخ مولده الكريم وأنشد :

وإذ عاقَتِ الأيّامُ عَنْ لَثْمِ تُرْبِكُم
وَضَنَّ زَمَانِى أنْ أفُوزَ بِطَائِلِ
كَتَبْت إلَيْكم مُسْتَجيزاً لَعَلَّنِى
أبلُّ اشْتِياقى منكمُ بالرسائل

---

(١) وردت العبارة فى الأصل : « وحبل الإيمان » وما ذكرناه هو ما يقتضيه السياق

وكان ذلك فى سنة ثمان وعشرين . واجاز له أيضاً فى هـذه السنة من « بعلبك » ، التاج محمد العماد اسماعيل بن محمد بن بردس ، وكذا اجاز له من « بعلبك » البرهان بن المرحـل(١) ومن « القاهرة » الشهاب أحمد بن محمد ابن أبى بكر الواسطى خاتمه أصحاب الميدومى(٢) بالسماع ، والشهاب المعروف « بالشاب التائب » .

وسمع على جماعة من شيوخ بلده ، منهم : « الشهاب أبو جعفر أحمد ابن عمر بن العجمى » ، و « الشهاب احمد بن صالح(٣) بن عمر بن السفاح »(٤) و « أبو الحسن على بن محمد بن ابراهيم الشاهد » و « ست العرب(٥) » ابنـة « ابراهيم بن محمد بن أبى جرادة » .

وأخذ بـ « حُمَاه » حين توجّـه لملاقاة عمه إذ(٦) حجّ عن « النورى أبى الثناء محمود بن أحمد بن محمد بن خطيب(٧) الدهـشـة » وأول ما دخل « القاهرة » بعد المرة التى قدمها فى سنة أربع وثلاثين ، ولقى بـ « دمشق » حينئذ الشيخ علاء الدين بن سلام ، والشهاب بن الحبال ، وتذاكر — فيما

---

(١) ابن المرحل : هو ابراهيم بن محمد بن محمد بن سليمان بن على بن ابراهيم ابن حارث ابن حنينة — تصغير حنة — ابن نصيبين برهان الدين بن الشمس بن الشرف البعلى الشافعى .

ويعرف بابن « المرحل » . ولد سنة ٧٧٦ هـ ببعلبك ومات بها سنة ٨٦١ هـ .

(الضوء اللامع ح ١ : ١٦٠)

(٢) الميدوى : نسبة لميدوم الذكى ، أبو بكر بن عمرو ، وابنه أحمد ، وحفيده عبد الغفار ابن عبد الرحيم بن أبى بكر .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٣٠)

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق :

(٤) الشهاب أحمد بن صالح بن عمر بن السفاح ، ولد سنة ٧٧٢ هـ ومات سنة ٨٣٥ هـ

(الضوء اللامع ج ١ : ٣١٤)

(٥) ست العرب ابنة أبى جرادة .

هى ابنة الجمال ابراهيم بن ناصر الدين محمد بن الـكمال عمر بن عبد العزيز بن أبى جرادة وابن العديم أيضاً الحلبى .

(الضوء اللامع ج ١٢ : ٥٥)

(٦) فى الأصل المخطوطة : « وإذا » .

(٧) هكذا وردت فى الأصل وفى الضوء اللامع : « الدهشة » :

قال — معه ، وسأله عن السِّر فى وصف الرجل بالذكر فى قوله — صلى الله عليه وسلم — « فما أبقت الفرائض فلأول رجل ذكر » فأجاب بأنه ورد فى بعض الأحاديث لفظ « الرجل » والمراد به « الأنثى » والتأكيد لدفع التوهم .

وكذا اجتمع فى « دمشق » بالعلاء البخارى ، وسمع مذاكرته مع القاضى « علاء الدين بن خطيب الناصرية » ، و « بالتقى المقريزى » ، إذ قصد صاحب الترجمة — فيما قال — للسلام عليه بمنزله فى بعض قدماته « القاهرة » . صحبه شيخنا واتفقت — فيما حكى — نادرة بديعة الاتفاق وهى : « أنهما أعنى شيخنا والتقى ؛ لما اجتمعا عند المحب ، سأل المحبُّ شيخنا عن رفيقه مَنْ هو ؟ لكونه لم يكن له به معرفة ، فقال له : هذا الشيخ تقى الدين المقريزى ، وأظهر التعجب ، ثم حكى ما تعجب منه ، فقال : بلغنى قدوم والدكم مرةً ، فتوجهت للتقى ، وسألت والتمست منه أنه إذا وصل وعزم على التوجه إليه يستصحبنى معه ، فلما قدم جاء التقىّ إلى المنزل للوعد فما وجدنى به ، فانتظرنى حتى جئت ثم توجهنا معاً ، فسلَّم علينا ، ثم سأله عنى لعدم معرفته بى قبل ذلك الوقت ، فعرفه بى ؛ قال: والآن اتفق عكس هذا ، فإن التقى التمس منى أنى إذا توجهت للسلام عليكم أستصحبه معى ، فلما أردتُ التوجه ومررت بمنزله فقيل لى : بالحمام، فانتظرته حتى رجع وجئناكم فسألتم منى عنه فتعارضنا ، انتهى .

ولم يستكثر من لقاء الشيوخ ، بل ولا من المسموع ، واكتفى بشيخه « البرهان » مع ما قدَّمته ، نعم . هو فيما يغلب على ظنّى مثبت فى استدعاء صاحبنا محدث الحجاز « النجم بن فهد » الذى أجاز فيه خَلْقٌ من الأعيان .

وكذا لم يتيسر له الاشتغال بفن العَرُوض مع تعاطيه نَظْمَ الشعر وكونه إذا سئل أن ينظم فى أحد بحوره يفعل . حتى انه كما حكاه لى سأله عمه العلاء الماضى — وهو ابن اثنتى عشرة سنة أو نحوها ، هل تحسن الوزن؟ قال : فقلت نعم . فقال : وزن الشعر . قلت : نعم ، فقال : / عارض لى قول الشاعر : ١٩٣

أمِطِ اللِّثَامَ عَنِ العِذَارِ السَّابِلِ
لِيَقُومَ عذْرِى فِيكَ بَيْنَ عَوَاذِلِى

قال ، فقلت بديهة :

اكْشِفْ لِثَامَكَ عَنْ عِذَارِكَ قَائِلِى
لِتَمُوتَ غَبْناً إنْ رَأتْكَ عَوَاذِلِى

قال فاستحسن عمُّه ذلك .

وسمع من لفظ « الزينى قاسم الحنفى » جامع مسانيد أبى حنيفة للخوارزمى وكان يستمد منه ومن « البدر بن عبد الله » حين كان ولده الصغير يقرأ على كل منهما بحضرته .

وأول ما ولى من الوظائف اشتراكه مع أخيه « أوحد الدين فى تدريس » « الأشتقتمرية » و « الجردكية » و « الجلاوية » و « الشاذُبُخْتِيَّة » برغبة لهما من والدهما قبل موته عنها ، ثم استقل بـ « الأشتقتمرية » وعمل فيها إجْلاساً رتَّبَه له شَيْخُه « البدرُ بن سلام »(١) وذلك فى سنة عشرين ، وأنشد « البدر » كما أنشدنيه صاحب الترجمة عنه فى تاريخه مما شافهته به :

أقسَمْتُ إنْ جَدَّ وَطَالَ المَدَى
رَوَّى الوَرَى مِنْ بَحْرِهِ الزَّاخِرِ
فَقُلْ لِمَنْ بالسَّبْقِ قَدْ فضلوا
كم تَرَكَ الأولُ للآخِرِ

وولى قضاء العسكر ببلده برغبة من الشيخ « تاج الدين بن الحافظ » له عنه ، وأمضاه « المؤيد » إذ حل بركابه « بحلب » فى السنة المذكورة ، ثم استقل بعد ذلك بتدريس « الشاذبختية » بعد ولد قاضى « حلب » الشيخ يوسف الكوفى ، ثم ولى قضاء الحنفية ببلده فى سنة ست وثلاثين ، ولاه

---

(١) ابن سلام : محمد بن أحمد بن سلام .
(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٥٢)

إياه الأشرف إذ حلّ بركابه بـ « حلب » فيها ، وكانت الوظيفة كما قاله شيخنا إذ ذاك شاغرة ، منذ تحول « باكير »(١) إلى « القاهرة » ، بعد أن استشار فيه شيخه « البرهان » ، فأشار به .

وحكى لى ما يدلُ على أنه لولا إشارته ما دخل فيه ، لمزيد اعتقاده اه ، وتلقيه بالقبول الأيمان ، فضلا عن صريح كلامه أجمله أو فصله ، وكونه حجة عنده فى الحال والماضى ، والمستقبل بينه وبين الله — عز وجل — ثم كتابة السّر بها ، ونظر « الجوالى » أيضاً ، عوضاً عن « الزين بن الرسام » فى يوم الإثنين مستهل ذى القعدة ، سنة ثمان وأربعين ، بعناية صهره « الولوى السفطى » ، ببذل عشرة آلاف دينار ، وكان قد صاهر المشار إليه بعد وفاة ابنة القاضى علاء الدين ابن خطيب الناصرية ، واستقر حينئذ ولده الأثير ابن محمد فى نظر جيشها ، والنظر / على قلعتها ايضاً ، ثم تحوّلَ كل منهما عن وظيفته إلى وظيفتى الآخر ، وكذا ولى صاحب الترجمة تدريس «الجاولية » و « الحدادية » ، والتصدير بالجامع الكبير وخطابته وكان الخطيب قبله صهره العلاء المذكور ، فلما مات استقر فيها واشياء كثيرة ، حتى صارت امور المملكة الحلبية كلها معذوقة(٢) به ولاية وإشارة ، وعظمت رئاسته ، وتزايدت ضخامته ، واشتهرت كثرة جهاته وكفاءته بما يناسبها من صفاته ، فانطلقت الألسن بذكره ، وجرّ الحَسَدُ وغيره لما لا خير فى إشاعته ونشره ، ولم ينهض احد لمقاومته ، ولا التجرؤ على مزاحمته ، خصوصاً حين تمكن صهره الولى من الظاهر وانقياد العظماء لبأسه القاهر ، فلما انخفضت كلمته ، وزالت طلاقته وبهجته ، تسوروا لجانبه ، وكاد ان يدفع(٣)

١٩٤

(١) باكير : جاء فى الضوء اللامع للمؤلف : بكير ، شيخ لعوام الناس ؛ فيه اعتقاد كبير لاندراجه عندهم فى المجاذيب . بل سمعت عن الجلال البلقينى وأخيه أنهما ممن كانا يعتقدان فيه : وربما حضر ميعادهما ، وقد رأيته كثيراً ، وكان يكثر الوقوف بالطرقات . مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين هـ ودفن فى قرية « بسويقة صفية » .

(الضوء اللامع ج ٣ : ١٨)

(٢) عذق فلانا بشر أو قبيح : رماه به ، وإلى كذا : نسبه . واعتزق وأعذق فلانا بكذا : اختصه به « القاموس المحيط »

(٣) فى الأصل وردت عبارة لم نتبين قراءتها ، وما أثبتناه من الضوء اللامع .

عن جلّ مآربه ، فبادر قصداً للخلاص من الضُّر إلى الانتماء للنحاس المدعو « ابا الخير » فى ايام عُلُوّه وعزه ، لينتفع بإشارته ورمزه ، فلم يلبث أن انقلب بالنحاس الدّست ، ورُمى من جميع الألسن بالمقت كما هى سنة الله فى الجبابرة — ومنة الله على الطائفة التى بالحق قاهرة ، وظهر أن « الجمالى المقر الرفيع » كان لهذا الصنيع قد تأثر حيث انجمع عن مساعدته بل ما خفى أكثر .

ويقال إن الأمير « قانم » هو الكافل بالفاته عنه والقائم[1] . وتوالت المحنُ بصاحب الترجمة ، وربما ساعده البدر قاضى الحنابلة بما لهُ من السلطنة ونفوذ الكلمة . واستمر « المحب » فى المكايدة ومزيد المناهدة بما أضربتُ عن إيراده ببسط العبارة ، واكتفيت بما مررت به فى هذه الإشارة ، خوفاً من غائلة متساهلى المؤرخين فى الإقدام على إثبات غرضهم مما لا يوافق الواقع بيقين ، واختلاف الأغراض فى الحوادث والاعراض مع الرهبة من قول المصطفى المرتفع « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » ، ولولا أن بعضَ من ندب لهذا الأمر نفسه ممن قبض الله روحه وأحمد حسه خاض فى هذا ما مشيت فيه ، ولا بهذا الإيماء والتنبيه وإن كان المحب صار بعد يتتبع الكثير منه بالكشط بحيث يصير غير ملتئم ، بالذى له المؤرخ خط ، وربما أثبت غير اسمه من ملاحظة لاتساق الكلام ونظمه .

١٩٥ نعم رأيت[2] شيخاً به صلاح شيخنا « البدر العينى[3] »/ إذ ذكر فى سنة خمسين من تاريخه أنه خلع على صاحب الترجمة بالاستمرار على ما بيده من قضاء بلده وكتابة سرها ونظر جيشها ، بل وأضيف إليه أيضاً النظر على

---

(١) وردت العبارة فى الأصل المخطوطة وفى الضوء للامع المؤلف هكذا : « بالفاته عنه والقائم » :

(٢) فى الأصل المخطوطة وردت هكذا : « رأيت شيخ » .

(٣) بدر الدين العينى : هو محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود قاضى القضاة . له تصانيف منها ، « شرح البخارى » و « شرح الشواهد » و « شرح معانى الآثار » و « شرح الهداية » و « شرح الكنز » و « شرح المجمع » و « طبقات الحنفية » .
والعينى نسبة إلى « عين تاب » بالشام ولد سنة ٧٦٢ هـ ومات سنة ٨٥٥ هـ .
(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٢٤)
و (الضوء اللامع للمؤلف ج ١١ : ٢١٦)

قلـعـة « حلب » و « الجامع النورى » بـ « حلب » . كل ذلك بعد أن حمل من الأموال الجزيلة والهدايا الجليلة ما يطول شرحه . وعزّ ذلك على أهل بلده ، قال : ولم يتفق قط مثل هذا فى « حلب » ، ولـكن بالرشاء يصل المرء فى هذه الأزمان إلى ما يشاء . وقد قال — صلى الله عليه وسلم — « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش » انتهى بمعناه . إلى أن استقر فى كتابة السرّ بالديار المصرية فى يوم الإثنين ثالث ذى القعدة سنة سبع وخمسين عوضاً عن المحبى بن الأشقر يبذل نحو عشرين ألف دينار — فيما قيل — فباشرها غير متهنىء بالوظيفة لـكون على كتفه « الجمالى » المشار إليه .

فلما كان بعد مُضى ثمانية أشهر وخمسة أيام ، وذلك فى رجب سنة ثمان وخمسين صرف عنها بالمحبى المذكور . وأقام « بالقاهرة » مكروباً مشغول الخاطر بما استدانه فيما لم يظفر منه بطائل إلى أن أمر بتوجهه « لبيت المقدس » فى أواخر ذى القعدة بعد أن زُوّد من جنب ما أخذ منه بما يرتفق به ، فوصل فى سابع ذى الحجة فأقام هناك إلى أحد الجمادين سنة اثنتين وستين ، ولقيته هناك ، وهو على طريقة حسنة من العبادة والتلاوة والاشتغال والأشغال بحيث إنه أخبرنى أنه يتلو كل يوم ختمة ، وجوّد القرآن وهو هناك بحضرة « الشمس بن عمران » أحد أئمة القراء بتلك الناحية ، وأنه كان يكتب فى كل يوم كراسة ، فلما انقضت المدة المشار إليها أذن له فى العود للمملـكة الحلبية بعد سَعْـى شديد فى ذلك أو فى العود إلى « مصر » فاختيرت [بلده][1] فأقام بها بدون وظيفة لـكونه كان رغب عن قضاء الحنفية بها لولده الأكبر الأثيرى محمد فى المحرم سنة ست وخمسين ، وأضيف حينئذ قضاء الشافعية بها لحفيده « الجلالى أبى البقاء محمد بن الأثيرى » المشار اليه لمزيد حبه بحتضرهم بمن كان يكون فيه « كالشهاب الزهرى » ونحوه ، فلم يزالوا كذلك إلى أن ورد عليه الخبر بموت الجمالى المشار إليه ، فبادر وقدم « القاهرة » فى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، فصعد إلى السلطان يوم السبت خامسه ، وألبسه كاملية بمقلب سمّور خلعة القدوم

(١) ما بين المعقوفين غير موجود بالأصل ، وما ذكرناه عبارة الضوء اللامع للمؤلف تكملة للسياق .

وهرع الناس لتلقيه وتهنئته بما هو مبديه . وسعى فى العود لكتابة السّر بيذل مال أيضاً ، فأجيب . واستقر فيها بعد أيام فى يوم السبت ثانى عشر الشهر المذكور عوضاً عن / المحبى بن الأشقر أيضاً . ١٩٦

ثم فى يوم الخميس رابع عشريه لبس خلعة الأنظار المتعلقة بالوظيفة ، ولم يلبث ابن الأشقر أن مات ، وباشرها المحب حينئذ مباشرةً حسنة بأبهة وضخامة وبشاشة وسلامة ، وسار مع الناس سيرةً مرضية بلين ورفق ، وتواضع ومداراة ، وأنزل الناس منازلهم ، وصرّف الأمورَ تصريفاً حسناً ، وأقبل الأشرف عليه إقبالا زائداً وهو الذى أنشأ عهده فى مرض موته لولده أحمد الملقب « بالمؤيد » ، إذ بويع فى يوم الأربعاء رابع عشرى جمادى الأولى سنة خمس وستين « بقبّة الدُهيشة » ، ونصه — فيما سمعته من لفظه — « هذا عهد شريف » ، تبسم ثغر ربيعه لما تنسم فى جمادى ورده ، وعقد منيف لا يحل لأحد إن حل عقوده ، ومحضر كريم أحرم الله حكامه وشهوده ومجمع عظيم الزم الله الكافة أحكامه وعهوده ، من عبد الله وليه ، وابن عم نبيه المصطفى وصفيه المستنجد بالله أمير المؤمنين أعزّ الله ببقائه الدين الى مولانا السلطان الأعظم الملك المؤيد أبى الفتح أحمد بن السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف أبى النصر اينال فتح الله له شرق الممالك وغربها ، والان لطاعته شديدها ، وأذل لدولته صعبها ، صدر عن اتفاق أهل الحل والعقد واختيار أرباب السير والتقسيم والنقد[1] وتلا لسان الحال فى موكبه المشهود « يا أيُّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »[2] . أما بعد فالحمد لله الذى أيـدَ الملة المحمدية والدين الحنيف بأحمد ونصر العصابة الأحمدية والشرع الشريف بالملك المؤيد ، وأنال أحمد عباده أقصى مراده فيما فوز من كان أحمد وأظهر فى سماء العدل شهاباً لا يزال سعده يتجدد ، وثبت أساس أركان الدولة الشريفة بملك أحكم بنيانها ، وشيّـد بسيفه المرهف وسنانه المثقف ، وسهمه الذى كرأيه المسدد ، والحمد لله على ما منح من جزيل الأنعام ، وفتح من اجتماع كلمة أهل الإسلام على أحسن اتساق وأكمل

(١) فى الأصل المخطوطة وردت : « وتلى » .

(٢) سورة المائدة : آية رقم : ١

نظام ، وأجمل اتفاق تؤذن براعته بحُسنِ الختام ، والحمد لله المانّ على الإسلام والمسلمين بملك أصله فى المُلْكِ ثابت ، وفرعه فى أرومة المجد ثابت ، وكف بسعيد وجهه ومبارك قدمه يدَ كل عائثٍ وعابث ، وحكم سيوفه فى أعناق كل ناكب وناكث .

والحمد لله الذى جعل أيامه سافرة عن وجهِ التهانى بأمارات السعادة تلوح وتوضح بوادر الإقبال غاية الوضوح . وتعلم أن غبوق سعده سيعقبه نعم الصبوح وكفى / شاهداً على ذلك ما ورد فى أول دولته من بشارات الفتوح . ١٩٧

والحمد لله الذى جعل إشعار العدل فى أيام المؤيد ظاهراً ، وأقام له من دولته ناصراً قاهراً ، وجعل لسانَ الكوْنِ بحسن سيرته سائراً ، فله الحمد عوداً على بدء ، وأولا وآخراً .

والحمد لله جاعل المستنجد قائماً بأمره على مَنْ ناوأه ، وكافى المتوكل عليه ما أهمّه من أمر آخرته ودنياه ، فإليه نلجأ ، ومن لجأ إليه آواه ، وعليه نتوكل ، ومن توكل عليه كفاه . وبه نستنصر ، ومن استنصر به أيده وفى حِمَاهُ حَمَاه .

فـ « الحمد لله الذى هدَانا لهذا ومَا كُنَّا لِنَهْتَدِى لولا أنْ هدَانا الله » والحمد لله رافع[١] أهل البيت النبوى على هام[٢] الكواكب ، وواضع بجدهم السرمدى من أعناق الفخار على الذّرى والغوارب ، ومُحلهم فى أعلى[٣] الأنساب وأشرف الذوائب من أفخر فَخِذِ كعب بن لؤى بن غالب .

نحمده على أن سلك بنا أحمدَ المسالك ، وشرّف سُلطاننا على سلاطين الأرض ، ومملكتنا على سائر الممالك ، ونشكره على النجاة بأحمد من مهاوى المهالك ، كما جعل من امّتـه طائفة قائمة بأمره ظاهرين على الحق ، لا يضرهم مَنْ خذلَهم حتى يأتى أمر الله ، وهم على ذلك .

---

(١) وردت العبارة فى الأصل المخطوطة : « رافع رافع » .
(٢) وردت فى الأصل « هانى » .
(٣) وردت فى الأصل : « أعلا » .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهٌ حكمَ فعدل . وربٌ جعل ما ظهر من الكواكب عوضاً عما أفَل ، ونقل إلى الأسِرّة خير خلف عمن إلى رحمته انتقل ، ومَنَّ على عباده عمّنْ سلف بأحسن بدل ، ونشهد أن سيد البشر محمدٌ عبده ورسوله الذى بعثه للعالمين رحمة ، وجعل سيوفه المرهفة على الظالمين نقمة ، وبلّغ ملك أُمته ما زوى له من المشارق والمغارب ، وأظهر على يديه من المعجزات خوارق العجائب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه النجباء والنجائب ، ما طلع صبح ، ودجى جنح ، وأعقب الأضواء بالغياهب ، وسلم تسليما كثيراً .

ولما كان أجر القيام بالإمامة العظمى أعظم الأجور ، وتدبير الممالك الإسلامية صلاح الأمور ، وجب أن يُختار للسلطنة المعظمة من الملوك أعظمهم ، ومن السلاطين أعرفهم بالمهمات وأعلمهم ، وللآراء المسددة مَنْ هو أبو عذرتها ، وابن بجدتها ، ومن إذا التقت مضايق الخصوم بشجاعته فرقها ، وإذا اجتمعت كتائب الهموم ببسالته مزقها ، وخضعت لبأسه وحكمه الأكاسرة من الملوك ، وسلك فى عنفوان شبابه ما يعجز المشايخ من حسن السلوك ، وأيده الله — تعالى — بنصره ، ورد كيد عدوه فى نَحْرِه ، وأرغم بما أظهر من / عَدْله أنف من يناوئه ، فيحق لمحبه الداعى ببقاء دولته ان يقول فيه : [طويل] ١٩٨

أَيا مَلِكاً بالعَدْلِ أصبحَ ظاهِرا
وخادِمُه النَّصْرُ العَزِيزُ المجدَّدُ

وأمسى بأفْق المُلكِ بَدْراً مُكَمّلاً
وأضْحىَ شِهَاباً بالسَّنَا يتوقّد

ليَهْنِكَ إقبالٌ ومُلكٌ مخلَّد
وسعدٌ وإسعادٌ وعِزٌ مؤبّد

وأنّك منصورٌ لك الله ناصرٌ
عَدُوُّكَ مَقْهورٌ وضدك مُكْمَدُ

وإن شَيَّد الأعداء أبوابَ غَدْرِهم
فأنتَ أبو الفتح المُبِينِ مُؤَيّدُ

فلذلك روّى أمير المؤمنين فكره الصائب ، ولم يزل يعمل رأيه الثاقب ويراجع علماء الدين وقضاته ، وملوك الإسلام وحماته ، فيمن يصلح لهذا النبأ العظيم ، ومن يقوم بأعباء هذا الخطب الجسيم ، وذلك حين نقل بالملك السعيد الشهيد الأشرف المرض ، ومن يحصل به فى هذا العَـرض الفَـرض ، حتى اجتمعت الآراء السديدة . من أهل الحل والعقد والإشارة ، بعد التدبر والتفكر ، وتكرار الاستخارة ، أنه لا يقوم بهذا المنصب ، ولا يصح لهذا المقام إلا الشجاع الباسل والأسد الضرغام ، نجل السلاطين من الطرفين ، الجامع من الشجاعة والعلم ، بين الشرفين ، أسد الله فى أرضه فى هذا العصر ، السلطان المؤيد أبو الفتح بن الأشرف أبى النصر ، أيده الله بملائكة سمواته وأنزل عليه النصر العزيز من سائر جهاته ، واستخار الله سبحانه وتعالى فعدلها أمير المؤمنين ، المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ابن عم سيد المرسلين ، بعد أن انعقد الإجماع على ذلك من غير خلاف ، وأكدت الأيمان والمواثيق على الوفاء له ، وعدم الإخلاف ، وعهد إليه بعهد الله وميثاقه ، وما أشهد به ملائكة قدسه ، حيث قال جل وعلا . « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله[1] فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه »[2] ، وعقد له البيعة على جميع ما اقتضته خلافته ، وانتظمته إمامته ، وفوض إليه أمر السلطنة المعظمة ، وجعل اليه الإشارة وله الكلمة ، بجميع الممالك الإسلامية ، على العصائب المحمدية ، بمشارق الأرض ومغاربها ، وحيث انتهت كلمة الإسلام بكاملها وغاربها ، والظفر فى أمر كفالها وقضاتها ، وأمرائها وولاتها ، فى جميع البلاد والأقطار ، وسائر المدن والأمصار ، والقلاع والثغور ، والسهول والوعور .

وحكمه فى العساكر والأجناد ، وصرفه فى الأرواح والأجساد ، والرقاب والنواصى ، والمعاقل والصياصى / وجعل له النظر فى جميع الأمة ١٩٩ طراً ، بعداً وقرباً ، وشرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً ، وهنداً وسنداً ، وحجازاً

(١) وردت العبارة فى الأصل : « يد الله يد الله » مكررة .

(٢) سورة الفتح الآية رقم ١

ويمناً وشاماً ومصراً ، وأبلى له فى ذلك عذراً ، وركن إليه فى باطن الملك وظاهره ، وعامر البقاع وغامره ، وولاه ماله الولاية عليه من ذلك ، وبسط يده الشريفة ، وأمره العالى ، فى سائر الأقطار والممالك من العرب والعجم . وجميع الملوك وسائر الأمم ، ينظر فى التولية والعزل ، لسائر ملوكها وعساكرها وجيوشها ، وأسـوَدِها وأحمرها ، من عربها وعجمها ، وتركها وزنجها وحبوشها ، وجميع أصنافها على اختلاف أجناسها وتباين أنواعها ، وتفرق أناسها ، وتجهيز الجيوش ، وإقامة الحدود ، وتقاليد الكفال والقضاة والوزراء والأمراء ، وكتابة العهود .

فوض إليه ذلك تفويضاً كاملا تاماً ، عاماً شاملا ، سعيداً مباركا ، ولم يجعل له فى ذلك ظهيراً ولا مشاركا ، يقر من شاء منهم ، ويعزل ويصل أرزاقهم بإذن الله ، ويفصل ويقلل الوظائف ؛ ويخرج الإقطاعات ويجند الجنود ، ويقرر المرتبات ، ويجاهد فى الله حق جهاده ، ويجالد من يرى مصلحة المسلمين فى جلاده ، ويهادن ويفادى ، ويصالح ويعادى ، ويمن ويصفح ، ويعمل فى ذلك برأيه الشريف الأرجح ، وولاه ذلك ولاية صحيحة ، محكمة صريحة ، يتصرف فى ذلك بما أراه الله بصره ، ويعمل بما يرجو ثوابه .

أيده الله ونصره ، وعول فى أمور الإسلام والمسلمين على شديد آرائه واعتمد على سعيد إبرامه وإمضائه عاملا فى ذلك بتقوى الله فيما فوض إليه معتمداً فى تنفيذ أحكام الله عليه ، من اقامة شعائر الشرع ، ورفع مناره ، وإماتة الباطل ، ومحو آثاره ، وإنصاف المظلوم من ظالمه ورد العدل إلى أعلى معالمه ، والأخذ على يد الظالم ، وأن لا تأخذه فى الله لومة لائم .

قبل ذلك معدلها السلطان الملك « المؤيد أبى الفتح أحمد » ، أعز الله به الإسلام ونصره ، من معدلها أمير المؤمنين « المستنجد بالله أبى المظفر لقبولا[1] أقبلت التهانى بوصوله ، ووصلت المسرات الى القلب بوصوله ، وتم هذا العقد ؛ وشهد به مشايخ الإسلام ، وأئمة المسلمين ، وانتظم هذا الأمر ،

---

(١) هكذا وردت الكلمة بالأصل المخطوطة : « قبولا »

بحضرة الخاص والعام ، من وجوه الأمراء وسراة الموحدين ، وأشرق فى أفق السعادة نور بدره ، فى رابعة للعشر الثانى من شهره ، واعتاضت الأمة عن ضياء تلك الشمس بنور هذا القمر ، وكان لهم فى المسرة بمن بقى تسلية عمن غبر ، فورث السلطنة الشريفة عن كلالة ، وأخذها عن أصالة من الطرفين أى أصالة ، فوالده الأشرف ، وجده الظاهر ، وسلفه فى العلم والملك نعم السلف الطاهر ، ورفعت الأيدى بالدعاء له بالعمر الطويل ، مع البقاء فى الملك وهذا المنصب الجليل ، وقال خادم بابه العالى/ وباب أبيه فيما أنشده بحضرته الشريفة يهنئه . ٢٠٠

أنت المؤيد صــدقاً ووارث الملك حقــاً
«وعُمَرُ الأشرف» طِبقاً فى الملك تبقى وترقى[٢]

وهو سلطان بحمد الله قلدها مسئولا لا سائلا ، ومالت السلطنة إليه وما كان إليها مائلا ، ورق قلبه إلى الدخول عليها ، ظفرت منه بأى كفء كريم ؛ وأنشد لسان الحال متمثلا بالقول القديم .

فلم تك تصــلح إلا له ولم يك يصلح إلا لهـــا
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

والوصايا كثيرة ، وهو بحمد الله يعلمها ويعلّـمـها ، وتقوى الله ملاك الأمور ، ومازال بتوفيق الله يلـزَمها ويُـلـزمها ، فالله تعالى يزين باسمه الشريف أعواد المنابر ، ويشرف بقلمه السعيد أفواه المحابر ، ويجعل العدل شعاره ، والجود دثاره ، ويجمّل ببقائه أقاليم الملك وأمصاره ، ويرفع به الدين، ويعز أنصاره ، ويمنع به الجوْر ، ويضع آصاره ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة أوتاره ، ويجعل بعد العمر الطويل فى الفردوس الأعلى داره

واستمر على وظيفة «كتابة السر» إلى أن توعك قاضى الحنفية — شيخ المذهب — سعد الدين ابن الديرى فرام — فيما قيل — إضافة القضاء إليه ، واحتال «جانبك الدوادار» على القاضى قبله ، المتوعك بحيلة ، استمان

(١) هذا ورد شطر البيت فى الأصل كما أثبتناه .

فيها ببعض أهله ، توهم استعفاءه لعدم انجرار السلطان معه فى عزله ابتداء ؛ فأجيب وأنعم على المنفصل بمال ، وبعد مضى ثلاثة أيام من ذلك . وكان يوم الإثنين حادى عشرى شوال سنة ست وستين ، صعد صاحب الترجمة ليباشر كتابة السر على العادة ، فاستقر به « الظاهر خشقدم » فى القضاء ، عوضاً عن المذكور ، بعد أن شرط شروطاً أجيب إليها ، واستقر فى كتابة السر « البرهان الديرى » أخو المنفصل ، وتألم المنفصل بجميع ذلك حتى قيل إنه دعا على من لبّس عليه بالاستعفاء ؛ ولكن كانت الخيرة له فى ذلك ، وما كان بأسرع من عزل البرهان فى حياة أخيه .

وأما القاضى فإنه أخذ فى المشى على القانون الذى اشترطه مصمما على عدم الاستبدالات ، ونحو ذلك مما اشترطه فتأكدوه ، وصادف تنازع القاضى مع « البدرى ابن الصواف » بسبب ما أشرت إليه فى ترجمته ، فتطرقوا بذلك إلى تحسين السعى له فى القضاء عن المحب ، ببذل مال يكون مجموعه للسلطان وحواشيه ، قدر عشرة آلاف دينار ، فأجيب بعد استكمال تسعة أشهر تزيد أياماً ، وذلك فى يوم الإثنين ثامن عشرى شهر رجب سنة سبع وستين ، قبل استكمال أربعة أشهر من وفاة القاضى « سعد الدين » ، لم يلبث أن مات البدرى المشار إليه ، فأعيد صاحب الترجمة إلى وظيفته فى المحرم سنة ثمان وستين ، ولم ينفكوا أيضاً عن التعرض بجانبه / والخوض ٢٠١ فيما لا يحسن بهم المشى فى مسار به . بل استطردوا لكونه لم يؤد فريضة حجه مع استطاعته وقدرته على السلوك لفجه ، فألزم بذلك فى عامه ، ولم يوافق على اعتذاره فيما صرح به فى كلامه من العجز لكثرة ما عليه من الديون ، وعدم اقتناعه فى أموره بالدون ، فنهض أتم انتهاض ، بعد أن باع وارتهن واعتاض ، وظهر فى هيئة جميلة ، لكنها بالنسبة إليه قليله ، ومعه كل من ولديه قاضى القضاة الأثيرى والصغير عبد البر الملقب بالشُّرىّ وغيرهما من أحفاده وبناته ، وطائفة كبيرة من أهل جهاته وذلك فى موسمها ، وأمير الركب الأول الشرفى يحيي ابن الدوادار الكبير « يشبك المؤيدى » [1] سبط

(١) الشرف يحيي بن الدوادار الكبير يشبك المؤيدى .

الملك «المؤيد شيخ» ، وزوج ابنة صاحب الترجمة ، وصحبته أبوه المذكور — وقاهما الله كل محظور .

وبعد أن استخلف صاحب الترجمة فى قضاء الحنفية فى غيبته «المقر الزينى ابن مزهر» ، فقام بأعباء الأمور ، وحفظ عليه الوظيفة حتى رجع ، وأقام يسيراً ، وتولى فى هذه المدة عقد تزويج السلطان جاريته أم ابنته ؛ وصارت «خوند الكبرى» بعد موت «خوند شكرباى الأحمدية الناصرية[1]» ، وذلك فى يوم [الأحد ثانى جمادى الآخرة سنة سبعين ، ولم يلبث أن صرف وذلك فى يوم[2]] الخميس ثالث عشر الشهر المذكور بالبرهانى ابن الديرى من أجل أنه وقعت بينه وبين القاضى الشافعى الشرف المناوى فى يوم الأحد تاسعه فى عقد مجلس بـ «الصالحية» مناوضة بالغ المحب فيها . وبلغ ذلك السلطان ، فصرح بعزلهما على حين غفلة ، واستدعى بكل من البرهانى المذكور والصلاح المكينى لغرض قام عنده فى ذلك ، فولاهما عوضاً عن المذكورين ، وراجعة الدوادار الكبير «يشبك الفقيه» فى صاحب الترجمة ، لكون ولد الأمير — كما قدمته — زوجاً لابنته ، فما استطاع أن يحوله ، وجاء الخبر بذلك بغتة ، ثم أعيد بعد صرف البرهانى فى يوم الاثنين سادس المحرم سنة إحدى وستين ، ولم أعلم أنه دخل فى استبدال .

نعم كان أولا اذا صمموا كما أشرت إليه انتدب لها «المعين الطرابلسى» بدون

= هو يحى بن الأمير الفقية يشبك المؤيدى سبط المؤيد شيخ ، ولد سنة ٨٤٢ هونشأ فى عز ، وقرأ القرآن ، واشتغل يسيرا وجود الكتابة وتقدم فى الخط بحيث كتب أشياء بديعة وكان متقدما فى الفروسية بسائر أنواعها ، مع حسن الشكالة والمحاضرة ولطف العشرة والظرف وجودة الفهم ومزيد الإسراف على نفسه ، وعظم ميل أبيه إليه ومحبته فيه ، حتى أنه كان المستبد بكثير من أمور أيام مباشرته الدوادارية الكبرى ، وقد رقاه الظاهر خشقدم وصار أمير أربعين وسافر فى أيامه الى الحجاز أمير الركب الأول والى البلاد الشامية ، مات بالقاهرة سنة ٨٧٦ هـ ودفن بالمدرسة المؤيدية التى لجده .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٦٤)

(١) خوند شكرباى : هى شكرباى الجركسية الناصرية الأحمدية زوجة الظاهر خشقدم ماتت سنة ٨٧٠ هـ وقد قاربت فى العمر السبعين :

(الضوء اللامع ج ١٢ : ٦٨)

(٢) مابين المعقوفين وارد بهامش الاصل .

تعيين منه أصلا ، ثم صار «ابن أبي الصفا عشير الصغير» . ولده ، والمسعف له بنقده ومدده ، هو المستقل غالباً بالاستبدالات ، التي فاق فيها الأحياء والأموات ، بتعيينٍ من غير القاضي ، لكونه حسبما يدندن بذلك غير راض يكتب فى التعيين لمن قصدهم فيه وأمَّـه ما أرشد إليه صاحب الترجمة مما فيه موعظة واعتبار ، وألفاظ شريفة المقدار ، يرضون بها الأغمار ، ويمرضون بالوقوف عليها القلوب العمار ، وما أمكن تنزهه عنها ولا توقيه ، نسبته إلى الورود منها ، بل أكثر ما يصنعونه ، لا يختفى عن ذكائه ولا ينتفى عن قوة لحظه ، وسرعة إيمائه ، إلى أن انتشر انتشاراً فاشياً ، وصار الاستبدال حسناً ماضياً ، وأضيفت معظم الأمور لولده الصغير ، وكثرت الأموال فيه من الجليل والحقير ، وأبوه مع ذلك كله مفتتن بحبه ، ممتحن بمشاهدته وقربه .

٢٠١ وعنوانه ما سأحكيه [يدوب ارتياب][1] من النظم الذى أنشده / للنواب الى أن كانت كائنة شقرا وقيام الولد معها قسرا ، على ما أشرت اليه فى ترجمة «البدرى السعدى» ، أقام السلطان والده صاحب الترجمة من المجلس الذى عقد بين يديه بالحوش ، بحضرة القضاة والعلماء والعسكر والمباشرين فى يوم الخميس حادى عشر جمادى الأولى ، سنة سبع وسبعين ، ثم صرح بعزله ، وأمر بالترسيم عليه وعلى الولد ، وابن أبي الصفا ، بطابقة الزمام حتى يتحرر الأمر فيما استبدل من أوقاف الحنفية فى أيامه ، ويعمل الحساب .

وقرر الشمس الأمشاطى فى قضاء الحنفية فى أيام إقامتهم فى الطبقة ؛ وصل الى السلطان مقامه ، ما ترك صاحبها لقائل مقالا ؛ ولا لسائل إشكالا ودفعها «للمقر الزينى» ؛ ولسان حاله يقول: مانسبته هذا مع [ما] صدر منى[2] .

ثم لما كان فى يوم السبت العشرين من الشهر المذكور أمر السلطان بنزول القاضى وولده لبيت «المقر الزينى» بشفاعة «أتابك العساكر» ، فأقاما إلى استهلال شهر رجب ، وطلع المحبى بعناية الزينى مع القضاة للتهنئة ، لجلس

---

(١) ما بين المعقوفتين وارد بهامش الاصل .

(٢) هكذا وردت العبارة بالأصل : «وما نسبته هذا مع صدر منى» وما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق .

تحت الشافعى ، وجلس « الأمين الأقصرائى » فوق الحنفى المستقر من الجانب الآخر . وأخذ السلطان فى ذكر الولد بما لا أحبّ إثباته هنا ، وبالغ فى عتب أبيه بسبب ذلك ، وانفصل المجلس ورجع القاضى إلى بيته ، ولو شرحت تفصيل ذلك بتمامه لضاقت الأنقاش ، وامتلأ القرطاس ، وراسل القاضى — وهو فى الطبقه — السلطانَ بقوله : [بسيط]

يَا مَلِكاً هُوَ فى سُلْطَانِه قُذُم(١)
وَمنْ عَلَى كُلِّ سُلْطَانٍ لَهُ قَدَم
لِلّهِ فى النّاسَ قوم يُرحَمونَ وُهم
خُدّامُ عِلْم لهم فى دَرْسِهِ قَدم
ومعشرٌ من ذَوِى الأبياتِ عثرتُهم
تُقَال بالنص إن زلّت لهم قدم
فكيف من جمع الوَصْفَانِ فيه وَقَدْ
رَمَاهُ بالإفك أعداء له قُدُم

وقبلَ عزله بمدة أخرج السلطان عنه ما كان بإسم الولد المشار إليه — فيما أظن — من قضاء الشرقية بـ « بلبيس » وعملها ، وكان ينوبُ فيه عن قُضاة الشافعية « الغورى البلبيسى » لكونه كان معه أولا واتفق له نظيرُ ذلك مع « المناوى » ، كان معه مما هو باسم المشارِ إليه أو غيره من أهل « الحسنية » و « شبرا » تلقاهما عن « الولى البلقينى » — فيما أظن — عند سفره قاضياً على الشام » ، وقدّر أن صاحبنا « ابن قمر » عارضه فى مجلس الحديث « بالقلعة » ، منتصراً بمعارضته « للمناوى » ، حيث ساعد القارىء وهو « الولى الأسيوطى » ؛ فلما انتهى المجلسُ ووصل إلى بيته ، استدعى « بابن قمر »(٢) وخاشَنَه ، بعد أن التمستُ منه الكفّ عن ذلك فما أفاد ، فقام من عنده مكسورَ الخاطر لما بينهما من مزيد الصحبة ، وعدم توهم صدور شىء مما وقع .

(١) قذم : القذم الكثير العطاء (لسان العرب) .
(٢) ابن قمر : (انظر الضوء اللامع ج ١١ : ٢٦٧)

فتوجّه حينئذ « للمناوى » ، فبادر وأخرج العمل المشار إليه ، وتوجّه لمباشرته وكان صاحب الترجمة قد ولى فى أوائل شعبان سنة إحدى وسبعين تدريسَ الحديث بالمؤيدية عوضاً عن « التقى القَلْقَشَنْدى » بحكم وفاته بسعى شديد منه ، وتوسل « بالبدر بن عبد الله » / عند الناظر « الدوادار الكبير » والد صهره ، وإلا فقد كان الناظر رامَ تأخيره حتى أرجع من « مكة » حسبما أخبرنى به والده الصهر المشار إليه ، وصار المحبى حينئذ يُملى على جماعته بها يوم الأحد من أيام الدروس حديثاً يأخذه من أمالى شيخنا أو من مشيخة « الفخر » أو من « أمالى العراقى » ، أو نحو ذلك .

٢٠٣

وأكثر من استعمال الروايةَ بالإجازة العامة بدون بيان ، بل يطلق الأخبار وربما يقول : إجازة . بحيث يتوهم مَنْ لا يحسن أنه أخذ عن ذلك الشيخ سماعاً أو قراءة ، وهو مصطلح جديد ، أردت التنبيهَ عليه .

ولقد تكرر إنكارى عليه فى هذا الأمر خصوصاً حين يروى عن ابن صديق و « المجد اللغوى » صاحب القاموس ، ويملأ فَمَهُ بقوله فيه : « شيخنا هذا » ، مع قول الحافظ ابى بكر الحازمى : إن ألجأت ضرورة مَنْ يريد تخريجَ حديث فى باب ولم يجد مسلكا سواها ، أعنى الرواية بالإجازة العامة استخار الله — تعالى — وحرر ألفاظه نحو أن يقول : أخبرنى فلان إجازة عامة أو فيما أجاز من أدرك حياته أو يحكى لفظ المجيز فى الرواية ، فيتخلص من غوائل التدليس والتشبع بما لم يُعط ، ويكون حينئذ مقتدياً ، ولا يُعَدُّ مفتوناً ، انتهى .

واذا كان الاطلاق فى العامة مع الاضطرار للرواية بها يُعَد فاعله مفترياً فما بالك بمن الوقت فى غنيه عن تحديثه لو سمع لفظاً لنزول إسناده فضلا عن كونه مُقِلا من المسموع والشيوخ كما قدمت .

ويروى بالإجازة العامة من غير بيان ولا إفصاح ، وقد قال هو فيما كتبته على بعض الاستدعاءات [طويل] .

أجزتُ لهم طُرًّا وإن كانَ مولدِى
حديثاً وإسنادى فليس بعالٍ

جميعَ سماعاتى وكتبٍ وصفتها
ومالىَ من نظمٍ ونثرٍ مقالى

إلى غير ذلك مما شرحته فى محل آخر ، من تكرار السقط عليه فى الإسناد ، حتى إنه أورد حديثَ « عبد الله بن سلام » فى قدوم النبى — صلى الله عليه وسلم — المدينة عن البرهان الحلبى عن الصلاح بن أبى عُمر عن الفخر بن البخارى عن « ابن طبر زاد » عن ابن حصين عن ابن غيلان عن معاذ عن يحي عن عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام ، وقال : إنه من العشاريات لشيخه .

وهذا فيه سَقَط فى موضعين من كل موضع رَاوٍ ، الأول شيخ ابن غيلان وهو أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى ، والثانى شيخ معاذ وهو مسدد ، فأما اولهما فإنه صاحب الفوائد المشهورة التى انتقاها « الحافظ أبو الحسن الدارقطنى / » من حديثه ، وعرفت « بالغَيْلانيات » ٢٠٤ لانفراد ابن غيلان راويها بها عنه وهذا الحديث هو آخر حديث فيها ، وشيخه فى هذا الحديث هو « معاذ بن المثنى بن معاذ العنبرى » راوى مسند « مسدد » عنه .

وقد سمع منه « أبو بكر الشافعى » جميع المسند المذكور ، وخَرّج له « الدارَقطنى » الحديثَ المذكور منه . وشيخ مسدد فيه هو « يحي بن سعيد » الذى روى الإمام أحمد الحديث فى المسند عنه ، وأخرجه الحاكم والترمذى وغيرهما من طريقه .

وقد كتبتُ على هذا الحديث لذلك جزءاً ، ووراء هذا كله أنى ما أعلم الحديث فى مسموع « البرهان » على « الصلاح » ، ولو أمعنت النظر فى ذلك واستقصيته لأظهرت ما يتعجب الطالبُ منه ، لكونه يسقط عليه السلفى الحافظ : [بسيط]

وللحديث رجال يُعرفونَ به   وللدواوين كتّابٌ وحسّاب

وبالجملة فهو فصيحُ العبارة ، غايةٌ فى الذكاء ، وصفاء القريحة ، بديع النظم والنثر سريعهما ، متقدم فى الكشف عن اللغة وسائر فنون الأدب ،

محب فى الحديث وأهله ، إلا حين وجود هوى شديد الإنكار على ابن عربى ومن نحا نحوه ، نهاية فى حلاوة المنطق ، وحسن العشرة والصحبة ، واستجلاب الخواطر ، مائل إلى النكتة اللطيفة والنادرة ، وراغب فى الكمالات الدنيوية وأنواع الشرف والفخار ، منصرف الهمة فيما يتوصل به لذلك ، حتى إنه استنزل « الشهاب بن العينى » عن تصوف كان باسمه فى « الأشرفية الجديدة » و « البدرى بن عبيد الله » عن « الإعادة » با « لصَّرْغتمشية » لولده الصغير ، بل وأبرز عنه هيئة نزولٍ بجميع وظائفه بعد موته ، وزوّج ابنه الصغير لابنة العضدى شيخ الظّاهرية ليتوصل بالتزويج والإعادة والتصوف والنزول إلى أخذ المشيخة بكل من الأماكن الثلاثة المعيّنة وغيرها مما لم يعين بعد موت شيخه ، فخاب أمله فى جميع ذلك ؛ بل كان أخذه التصوف سبباً لرغبة « الأمين » عن المشيخة لولده ، ورسم السلطان على مَنْ مشى فى النزول الذى أظهر بعد الموت .

ولم يحسن له من الوظائف المذكورين شيء البتّة ، هذا مع ذكره عن « الأمين » فى حياته ما لعله يكون سبباً لإغراء أهل الدولة فى إخراج وظائفه عنه ، وذلك أنه رآه كتب إجازة بخطه لبعض مَنْ عرض عليه ، فزعم أنّ فيها ما يدلّ على اختلاله ، وصار يقول : قد أخرجْت « الشيخونية » عن فلان حين بلغ إلى نحو هذا الحد . وأرسل بالاجازة لـ « المقر الزّينى » فبادر وكتب الإجازة الصادرة منه بعرْض المشار إليه تحت خط « الأمين » إشارة إلى عدم الالتفات لهذا . ويأبى الله / إلا ما أراد ، (ومَنْ لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)[1]. ٢٠٥

وأكثر من تسليط « ابن عبيد الله » على خازن « المحمودية » حافظ الدين ابن الجلالى ، لينزل له عنها فما سمح ، فصار يُناكده ويتمقته بما ضعُف الخازن عن حمله ، لا سيما وهو نائبه فى القضاء ، ولم يَسعه إلا أن عزل نفسه من النيابة عنه ، هذا مع أنه حمل له من كُتبها ما ينيف على مائة مجلد فأكثر ، مما لم يتيسّر عوده إلى الخزانة إلا بعد موت الخازن « بالشوكة »

---

(١) سورة النور آية رقم : ٤٠

وتلطف بـ « البدرى » ابن شيخنا ورغبة فى الوقوف إلى السلطان ليعيد له وظيفة « مشيخة البيبرسية » وينتزعها من « الشهاب أحمد بن القاياتى » وذلك حين كان كاتب السر ، وأنه يساعده بشرط أن يرغب له[1] عنها بعد العود كما وجد له فى ذلك مصلحة .

واجتهد فى أخذ « الشيخونية » بعد موت « المحيوى الكافياجى » لحيل بينه وبينها . ثم بعد موت « السيفى » وشغورها بعده نحو نصف سنة ، بالـغُوا فى التوسـل عند « الأتابك » بمعاونة « الزين سالم العبـادى » لمصاهرة بينهما ولغير ذلك ، فكلم « الأتابك » « السلطان » فى ذلك وأنه مكسور الخاطر ، وما تخالف « المقر الزينى » أيضاً عن مساعدته ، فولاه إياها .

ولبس الخلعة لذلك فى يوم الخميس ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ، واتفق فى وقت إلباسه ثم فى ركوبه وحضوره ، ثم فى رجوعه وما تبع ذلك ما شرحتـه فى محل آخر ، وطاش الولد بهذا ، وخطب من الغد فى جامع الحاكم مُلَوِّحاً بأن السعد أقبل ... وما أشبه ذلك . فلم يلبث أن اشتكاهم « الشهاب بن العينى » لدَين عليهم ، وحضر النقباء ، فتوسلوا بـ « الزين » المذكور فى إنظار « الشهاب » إياهم . ولم يلبث إلا يسيراً وعُقد لزويج أحمد الزين المذكور بـ « المؤيدية » فجلس صاحبُ الترجمة بالقرب من باب المقصورة ليسلم على الناس مبالغةً فى موافاته ، وكان من الحوادث قُبيل هذه الولاية وبعدها للولد بخصوصه ، هو أشهر من تسويد الورق بذكره ، وتوسع صاحب الترجمة فى التلطف لأخذ الوظائف ، حتى إنه سعى فيما كان باسم « بدر الدين الـهَيْثمى »[2] من تصوفات وأطلاب ، ونحوها . مع كونه ترك أباً شيخاً كبيراً من قضاة الشرع . وكثيراً ما يجتهد فى السعى ثم يرغبُ فيه بمن ليست فيه أهلية للمرغوب عنه ، كما وقع لهم فى تدريس الحديث بالمدرسة « الحسنية » وفى غيره بل استكتب ناظر « البيبرسية »

---

(١) فى الأصل المخطوطة : « له له » مكررة .

(٢) الهيثمى : بفتح ومثلثه — الضبط من الضوء اللامع ج ١١ : ٢٣٣ .

و « السَّعيدية » على وظائف شيخ الأدب « الشهاب الحجازى » فيهما فى مرض نَزَل به ، لم يَشك أنه مَيِّت ، ثم نزل عن التصوُّفَيْن[1] بخمسين ديناراً . وتألَّم « الشهاب » لذلك كثيراً ، وما كان بأسرع من عافيته واستمراره بعد ذلك سنتين ، ولو أطلقت قلمى فى هذا / المهْيَع لملأت الكراريس ، ولكن هذا عنوانه . ٢٠٦

ولذلك كثرت أخصامُه فى بلده وبلدنا أيضاً ، ولم يعدم فى كل وقت من طَاعنٍ فى عُلاه ، ظَاعِن عَن حِمَاه ، عظيم العناية فى تحصيل كتب العلوم ، بحيث اجتمع عنده من نفائس كل فن ، ما قل أن يجتمع لغيره ، وربما اغتصبها مِمَّن هى عنده ؛ كان يستعيرها ، ثم لا يعيدها ، حتى أن أبا ذَرّ ابن شيخه البرهان الحلبى منع العارية لكتب أبيه أصلا إلا فى النادر خوفاً منه كما صرح لى به ، وصار هو يذكره بالقبيح بسبب ذلك ، وضاع لى عنده شيء كثير .

ونُسِبَ إليه أخْذُ تفسير « الفخر الرازى » ، وهو فى مجلد من أوقاف المؤيدية وجحده ، ورسم الناظر على ولدِه بسبب ذلك ، وألقاه بين يديه ليضربه فشفع فيه .

ولا يعير منها إلا لمن له شَوْكة . ولقد تكرر طلبى منه لكل من الضعفاء للعقيلى ، وتاريخ قزوين للرافعى ، وهو يسوِّف ويخلف ، ويعتذر ويحلف إلى أن أحضر إلى أحدهما وهو فى مجلد ، ولكنه لم يسمح بجميعه ، بل قطع من أوله ثلاثة كراريس فأقلّ ، وتألمت حين فِعْله ذلك ، ولولا مزيد ضرورتى إليه ما أخذت منه شيئاً ، فكان من المقدور أننى فى هذا اليوم بعينه ، وجدت منه فى بعض المدارس نسخ موقوفة فأخذتها ورجعتُ إليه بكراريسه .

هذا مع أنه لا يهتدى للكشف عن كثير مما يتّفِق احتياجه له ، ولقد راسلنى بالسؤال عن ترجمة بعض المحدثين ، فأجبْتُه بأنه فى الكتاب الفلانى

---

(١) العبارة فى الأصل المخطوطة عن « التصوفين » .

هذا مع أنه لا يهتدى للكشف عن كثير مما يتفق احتياجه له ، ولقد راسلنى بالسؤال عن ترجمة بعض المحدثين ، فأجبته بأنه فى الكتاب الفلانى الذى عنده فرجع القاصد ومعه الكتاب المعين ، وورقة بخطه يلتمس فيها إلحاق تلك الترجمة من نسختى فى نسخته ، فأخذت الكتاب ، وتصفحت مظنته ، فوجدت الراوى للسؤال عنه ، فأعلمت له عليه علامة ظاهرة جداً فى أشياء كثيرة من هذا النمط يطول شرحها . ولله در الأستاذ أبى حيان حيث قال : [الوافر]

يظن الغمر[1] أن الكتب تجدى ... أخافهم لإدراك العلوم
وما علم الجهول بأن فيها ... غوامض حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيم
وتشتبه الأمور عليك حتى ... تصير أضل من توما الحكيم

بهى المنظر ، حسن الشكالة والشيبة ، ذو نفس أبية ، وهمة علية ، ورياسة وكياسة وتهجد — فيما حكى لى — وصبر على المحن والرزايا ، وقوة جاش / ومبالغة فى البذل ليتوصل بذلك إلى أغراضه الدنيوية بحيث يأتى ذلك على ما يتحصل من جهاته التى سمعته يقول : إنها سبعة آلاف دينار فى كل سنة ، ويستدين بالفوائد الجزيلة ثم يثقل عليه الوفاء ، وأحواله فى ذلك يطول شرحها . ولا يزال لذلك يتشكى حتى ان « العلمى ابن الجيعان » يكثر تفقده له بالمبرات . وكذا أسعفه « الدوادار الكبير » أيده الله بما هو مدخر له عند الله لحسن نيته .

٢٠٧

مع أن القاضى « عز الدين الحنبلى » لم يكن يقبل منه دعواه ويقول : بل هو كثير الأموال — فالله أعلم . (عمن)

ورغبة فى الانتقام يفهم عنه مناوأة أو معارضة ما بحيث لا يتخلف عن ذلك الا عند العجز ، ويصرح هو بما معناه أثبت الى أن يجد مجالا ، فدُق ويحكى عنه فى الاحتيال على الائتلاف مالا أثبته .

---

(١) الغمر : هو الجاهل الغر الذى لم يجرب الأمور (اللسان) .

كثير التأنق فى ملبسه ومسكنه ، وسائر تمتعاته ، وهو بالمباشرين أشبه منه بالعلماء ، كما صرح به له غيره من « المحيوى الكافياجى » بل و « العز الحنبلى » ولم يكن يقيم له فى العلم وزناً ، كما سمعته أنا وغيرى منه .

ما وجد بخطه فى المائة التاسعة له من ترجمته ، فما قلدنى فيه على ما يشهد به خطه الذى عندى مما قلدت فيه بعضهم .

وقال له « الشريف المناوى » : كيف يدعى العلم من هو مستغرق فى تمتعاته وتفكهاته ؟ ويبيت فى لحف النساء ليله بتمامه . العلم له أهل — والكلام فيه كثير جداً لا اقدر على حكايته .

وعلى كل حال فمجموعه حسن الظاهر ، وقد كان شيخنا رحمه الله لذلك كثير المحبة له . وكذلك صاحب الترجمة لم أزل اسمع منه ذلك . لكننى رأيت فى مقدمة شرحه « للهداية » فى ترجمته ما نصه : وكان كثير التنكيت فى فى تاريخه حتى على مشايخه وأحبابه وأصحابه ، لاسيما الحنفية ، فإنه يظهر من زلاتهم ونقائصهم التى لا يعرى عنها غالب الناس ما يقدر عليه ، ويغفل ذكر محاسنهم وفضائلهم الا ما الجأته الضرورة اليه ، فهو سالك فى حقهم ما سلكه « الذهبى » فى حقهم . وحق الشافعية حتى قال « السبكى » إنه ليؤخذ من كلامه ترجمة شافعى ولا حنبلى . وكذا نقول فى شيخنا — رحمه الله — انه لينبغى ان يؤخذ من كلامه ترجمة حنفى متقدم ولا متأخر ، وكل هذا ليس بجيد ..

ولقد جَرَحَ هذا الكلام — لَمَّا وقفت عليه — قلبى . وما حمله على ذلك فيما يغلب على ظنى الا قوله الآتى فى ترجمة أبيه . وشيخُنا هو العمدة فى كل ما نثبته من مَدْح وقدح ، وهو فى الدرجة التى رفعه الله اليها فى الاقتداء والاتباع ، والخروج فى ذلك خدش فى الإجماع :

٢٠٨ اذا قالتْ حَذامِ فصدّقوها   فإن القوْلَ ما قالتْ حَذَام / (١)

(١) قائل هذا البيت هو لجيم بن صعب والد حنيفة وعجل ، وقيل : إنه لديسم بن طارق أحد شعراء الجاهلية — وحذام ؟ : قيل : هى الزباء ، وقيل هى زرقاء اليمامة (اللسان) .

ولو أعرض عن ذلك ، وكذا عما هو أشنع منه فى حق غير واحد كا «الذهبى مؤرخ الإسلام ومن قبله «الخطيب البغدادى» الذى [كان][1] الناس فى هذا الشأن بعده عيالا على كتبه وكالحنابلة حيث قال فيما سمعته منه فى فى كتب أصحابنا : إنه يعقد عليهم الجزية . فى الفاظ غير ذلك مما كثّر دعاء القاضى «عز الدين الحنبلى» عليه بسببه . بل وسأل فيه من يُتوسم استجابة دعائه ، وزاد صاحب الترجمة حتى دندن بالبخارى[2] الى غيرهم مما أتألم من حكايته . فضلا عن ايراده بعبارته : لكان كالواجب ، وأسلم من المعاطب وطالما خاض فى [كثير من][3] انساب الناس [المؤتمنين عليها][4] بحيث إن بعض الأعيان هو وأبوه وجده[5] رئاسة وحشمة وعقلا وتوددا حضر الىّ ، وقد كاد يبكى بما انكاه به من كون جده يهوديا ، فخففت كَرْبَه ، وكتبت له فى بطلان هذه المقالة ، وما أستند اليه فيها ، ما أروى الغليل ، واشفى العليل ولا ينهض لرده .

وقد صار [ابنه][6] مع أحواله الظاهرة وخصاله المتناثرة المتكاثرة يتبع أثر والده فى ذلك ، ويتكلم فى الكبار والصغار بكلام قبيح ، بعضه عندى بخطه .

وفى سنة تسع وسبعين نسب إليه أنه وصف «السراج البلقينى» وولده بالعامية . فاستفتى ولده مع كونه كان عشيره وقسيمه فى الأفعال وفتيا الناس فى ذلك . فاتفقوا على استحقاقه التعزير البليغ . وبعضهم صرح بالنفى وعدم القبول منه لتوجيه ذلك يكون كل من لم يكن مجتهداً هو عامى — نسأل الله السلامة .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) فى الأصل المخطوطة : «بالنجار» والتصويب ماذكرناه عن الضوء اللامع للمؤلف .

(٣) ما بين المعقوفين وارد بالهامش .

(٤) ما بين المعقوفين وارد بهامش الأصل .

(٥) العبارة غير مستقيمة بعض الشيء ... ونصها كما جاء فى الضوء اللامع للمؤلف : ولما خاض فى كثير من أنساب الناس وكونهم غير عريقين فى الإسلام ، وهذا لو كان صحيحاً كان ذكره قبيحا » انظر ج ٩ : ٣٠٣ من الترجمة .

(٦) وردت فى الأصل : «بنية» وفى الضوء اللامع «ابنه» .

وقد امتدح صاحب الترجمة لنائلة لحول الشعراء كا « النواجى » وسمعته مما سلك فيه مسلك الشعراء يقول له فى ولايته الأولى لكتابة السِّر : والله لم يلها بعد القاضى الفاضل مثلك ، وابن « أبى السعود » . وكان مغتبطاً بكثرة محاضرته ، مرتبطاً بثنائه وساحته ، ومن يليهم كا « البرهان المليجى » و « البقاعى » . واضطرب أمره فيه كعادته فى السخط والرضا ، فمرة قال : انه أعظم رءوس أهل السُّنَّةِ ، ومرة قال : كل شىء رضينا به وسكتنا عنه إلا التعرض للبخارى ، وقال حسبها قرأته بخطه ، ووقفت عليه المحب :

[رجز]

إنْ كانَ نُحْلُ شِحْنَةَ فى نَحسِه
قد جاء بالثَّقيل والخَفيف
فإنَّهُ المظنونُ فيه إذْ أتى
إنذارَ خيرِ الخلْق منْ ثقيف[1]

وقال أيضاً :

لاَ بِدْع لابن شحنة أنْ فاق فى كَذِب وبُهْتَانٍ لَهُ مُنِيفِ
فإنَّ خَيْرَ الخلق قد أنذرنا من كَل كاذب يكون فى ثقيف

وقال أيضاً :

لا بِدْع إن كان « المُحِب » وفى بكذبة والصدق فى تطفيف

إلى غير هذا مما أردت به تناقض قائله ، مع جَرّ الأذى لـ « المحب » من قِبَله مراراً ، ولكن الجزاء / مِنْ جنس العمل ، فطالما نال المحب ٢٠٩ من « الزينى قاسم » بحيث انتصر له منه فى بَعْضِ الأوقات قاضى الحنابلة « العز الكنانى » ، مع ما « للزينى قاسم » عليه من الحقوق الوافرة فى العلم والإرشاد ، وكذا اتفق له نحو هذا مع ابن « عبيد الله » ، مع مزيدِ انتفاعه بسَعْيه ومشيه فى النيابة هو وصاحبه الأمير « يَشْبَك الفقيه »[2]

---

(١) وجد بهامش الأصل ما نصه : « انذاراً من كاذبى ثقيف ، إشارة إلى رواية أخرى و كاذبا ثقيف هما : مسيلمة الكذاب وسجاح اللذان ادعيا النبوة » .

(٢) يشبك الفقيه : هو يشبك بن سلدان شاه المؤيدى الفقيه ، ولد على رأس القرن وأحضر من بلاد جركس سنة ٨٠٠ هـ فتنزل فى الطباق ثم صار من خاصكية أستاذه ، =

بالمصاهرة وغيرها ، وبغير ذلك حسبما أسلفت الإشارة إلى انتفاعه بها فيما تقدم .

ومع « الشمسْ الأَمشَـاطِى » مع مزيد ترقيع خلله ، ودفع عِلَـه عند الأمراء وغيرهم من ذوى الحل ، والعقد ، ومع « الشمس ابن قمر » كما قدمته ، مع تحصيله له نفائس الكتب ، وتَقْـدِيمه له فيها على نفسه ، ومع أبى ذر ابن شيخة ، مع ما لأبيه عليه من الحقوق ، ومع ابن أبى شريف مع قيامه على والده ، حتى أقْـرَضَـه مبلغاً لم يصل إلى كماله ، ومع « الزينى ابن الكويز » « والعزى الفَـيُّـومى »[1] ، وابن الطنانى[2] ، وغيرهم مِمَّـنْ تطول الترجمة بهم ، مع أنه ذُكر استطرادا بقصد التحذير ، وأعلى من هذا كله توالى إحسان « المقر الزينى ابن مُزهر » له بالمال والجاه ، والدفع ، وأشباه ذلك ، مما يُلاَم من كثيرين عليه ، وما سلم مع هذا من أذاه ، حتى فى حال ضعف حركته ، وزوال بهجته .

وقد حدث المحب ، ودرس فى « الفقه » ، و « والأصلين و « الحديث » وغيرها ، وأفتى وناظَرَ وصنَّـفَ . وممن كتب عنه من أصحابنا « النجم ابن فهد » ، وأورده فى معجمه لأجل ماله من نظم . وقرأ عليه الجمال حسين الفتحى بعض مشيخة « الفخر ابن البخارى » ، وسمعتُ معه بعضاً من ذلك بروايته لها عن شيخه « البرهان الحلبى » الحافظ ، سماعاً وإجازة ، أخبرنا الصلاح ابن أبى عمر ، أخبرنا بها الفخر[3] . وسمع منه الشمس

= ثم ترقى إلى أن تزوج ابنته آسية وتكلم فى أوقافه فى أيام الأشرف برسباى رأس نوبة الجدارية ، ثم أصبح فى زمن الظاهر « ططر » من أمراء العشرة بعد وفاة « تمرالنوروزى » ثم زيد عدة قرى إلى أن أصبح من أمراء الطبلخاناه ، وقد تقلب فى مناصب عدة ، ثم أصبح « بطالا » فى أيام الأشرف قايتباى وكان ديناً خيرا لا يميل إلى الشر مات سنة ٨٧٨ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٧٠) .

(١) العز الفيومى : هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد عبد الوهاب بن أسد العزبن العماد الفيومى ثم القاهرى ، الشافعى ، أبو عمر الوكيل ، كان أبوه بزازا بالفيوم : فولد بها سنة ٨١٢ هـ وحفظ القرآن وكتباً . ومات سنة ٨٩٨ هـ .

(الضوء اللامع ج ٤ : ٢١٥)

(٢) ابن الطنانى : على بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن النور بن الشهاب بن ناصر الدين ابن الوجيه السكندرى الحنفى ، ويعرف بابن عبد الرحمن الغزولى ولد سنة ٨٥٨ هـ بالاسكندرية ثم قدم القاهرة مات سنة ٨٨٩ هـ .

(الضوء اللامع ج ٥ : ١٨٦ ، ١١ : ٢٥٦)

(٣) هكذا وردت العبارة فى الأصل : « أنابها الصلاح بن أبى عمر أنابها الفخر » .

ابن الفلاتى ، وكذا أخذ عنه جماعة من القاطنين والرَّحَّالة ، لكن يسيراً جداً .

وأول ما لقيتهُ ؛ بالقاهرة فى سنة اثنتين وخمسين ، فحملت عليه[1] ، ما قرأته على غيره ممن هو أعلى منه إسناداً ، وأولى منه ضَبطاً وانتقاداً ؛ جزء « الخرّمى » و « المروزى » ، ثم كثر ترددى إليه ، وتوددى بالإقبال عليه ، حتى علقت من فوائده وعلومه ، وعلمت فصاحته فى منطوق الكلام ومفهومه ، وحملت عنه[2] أيضاً مما هو عندى أعلى وأولى ؛ جزءاً فيه مجلسان من أمالى أبى مُطيع ، وشرعت فى مقابلة القاموس بحضرته ، وتقييد ما حققه بأصل الكتاب أو طُرّته ، وكان يحضر هذه المجالس المهمة « الشهاب ابن أسد » و « النجم العجلونى » ، والبدر ابن اسد ، و « ابن قاسم » ، وغيرهم من الأئمة .

وخرجت له أربعين حديثاً عن عدة شيوخ فيهم مَنْ أروى عنه ، سمعها منه الفضلاء ، وسمع عليه جمعٌ كثيرون وأنا منهم ، بقراءة أخى جزء « الجعفى » ، وهو عندى أيضاً عمن شارك شيخه فى روايته ، بل قرأ عليه أخى ، وأنا مجاور بـ « مكة » أيضاً مجالس من « تفسير / ابن كثير » وسمعتهُ غير مرة يحكى عن الحاج « أبى بكر بن احمد بن محمـــد المشيرقى » انه قال : رحلت فى خدمة « الخطيب ناصر الدين بن عساكر » إلى القاهرة ، ولما نزلنا بـ « الصالحية » ذكر لنا ان بها شخصاً اختطفته الجن ، وفى الظن انه سماه « محمداً » ، وهو مشهور عندهم بالمخطوف ، فذكر لنا انه قتل « وزغة »[3] بـ « جامع الصالحية » فاختطف ، واحتوشه جماعة من الجن ، كل يدعى انه قاتل قريبه ، فقال له شخص : « قل شرع الله » فصاح « شرع الله ، شرع الله » فاحضر فى الحال الى شخص جالس على كرسى وعلى رأسه برنس وهو القاضى ، فادعى عليه عنده ، فأنكر وقال « لم اقتل لهذا احداً » فقال القاضى حينئذ للمدعى : « فى اى صورة ظهر قريبك » ؟

٢١٠

---

(١) وردت العبارة فى الأصل المخطوطة هكذا « فحمات عليه » .

(٢) العبارة فى الأصل : « فحملت عنه » .

(٣) الوزغة : حشرة سامة « أبرص » وهى المعروفة « بالبرص » (القاموس المحيط)

فقال : ظهر فى صورة وَزَغة ، فالتفت الى مَنْ بجانبه فقال « الم يخبرنا على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : » من تزَيّا بغير زيه فقُتِل فدَمُه هَدَر ، دَعوه » ثم سأله : « هل تحسن قراءة الفاتحة ؟ » فقال له : نعم . فقال : « انى قد قرأتها على علىّ » . ثم لقنه الجنى اياها والتمس منه الإقامةَ عندهم ، ليعلمهم القرآن ، فأبى .

وقال « أبو بكر » المذكور إنه هو و « ابن عساكر » تلقَّيا الفاتحة من المخطوف كما تلقنها من الجنى . وقال صاحب الترجمة : إنه قرأ على أبى بكر ، وقرأها المحبُ علينا ، والله أعلم بصحتها .

هذا وقد حسّن العز الفيومى لصاحبنا السيد « علاء الدين بن السيد عفيف الدين الايجى[١] » ، حتى سمع هذه الحكاية منه ، ثم ندم ، كما صرح لى به لشىء قام فى نفسه .

وكثر جبر صاحب الترجمة للخاطر ، وثناؤه باللسان ، وبنان المحابر جرياً على عادة الكمَلة الأكابر ؛ فكان من ذلك وصْفُه بعين المملكة المصرية بل عين الممالك الإسلامية . ووقف على كراسة جعلتها شبه الترجمة لى ، إجابة لملتمس ذلك ، فتوّجها بخطه ، وقاله بلفظه المعرب فيه عن ضبطه بما نصه :

« الحمد لله ، الذى جعل اللسان والقلم آلتى ما يبين ويترجم ، وأحيا العلماء بعد الموت والعدم ، ببقاء ذكر محاسن الشيم ، وصيّر أرواحهم موجودة فى برازخ النعيم والنعم ، وإن كانت أشباحهم معدودة فى نواخر العظام والرمم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحْده لا شريك له ، مُحكم القسم ، وقاسم الحكم ، وأشهدُ أنّ سيّد البشرَ محمّداً عبده ورسوله ، حائزاً أوصاف الكرامة والكرم ، وحائزاً أصناف علوّ القدَم من القِدم ، صلى

---

(٣) الإيجى . بكسر الهمزة ثم تحتانية بعدها جيم نسبة لـ « ايج » بلد القاضى عضد الدين الإيجى بالقرب من شيراز .

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٧) .

الله عليه وعلى آله وأصحابه ، زواكى الهمم ، وأرباب مفاخر العرب والعجم وسلم تسليما كثيراً . وبعد :

٢١١ فقد وقف العبدُ الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير / على هذا الدر النثير ، والفضل الكبير ، والبحر النمير ، وما اشتمل عليه من أوصاف أولى الجد والتشمير ، لهذا الحافظ الكبير ، صاحب حسن التقرير ، وراقم وشْى التحبير ، والمحدث الذى ليس له فى عصره نظير ، وظهر له بالقياس الصحيح من هذه الأوصاف أنَّ إجماعَ أهل السنة لا يتطرق إليه الخلاف ، وإن المترجم خليق أن يترجم بطبقات فوق ما ترجم ، وجدير بالعلم بتقييد المهمل ، وتبيين المعجم ، فالله يبقيه لكشف مُشكلات الأحاديث الغامضة ، وبيان معضلات الأسانيد العارضة ، وإحياء لدواوين السنن السنية ، وإماتة أقوال أهل البدَع والفتن والعصبية ، إنه قريب مجيب . وقد قلت فيه قول المحب فى الحبيب : [كامل]

وَقفَ المحِبُّ على الذى رقمَ الحبيبُ فـراقه
قسما ولمْ يسمعْ بهِ من وَصْف إلا شاقه

سطر هذه العجالة اليسيرة مرتجلا ، وقصر لكونه مستعجلا ، فقير لطف الله الخفى « محمد بن الشحنة الحنفى » .

وله حرْصٌ تام فى تحصيل تاليفى ، بحيث اجتمع عنده منها أشياء ، وربما قرىء بعضها بين يديه بحضرتى من ابنه الصغير . وسبطه « ابن النصيبى » وتكرّر سؤاله فى تحصيل تعليق على « الألفية الحديثية » ، وشرحها بخطه ولفظه ، وكذا مصنفى فى « ابن عربى » وكتابى « الحافل فى الرجال » وفى تراجم المتأخرين من الحنفية وغير ذلك ، مما الحامل له عليه فيما يُظهره محبةُ العلم ، وحسن الاعتقاد ، فجزاه الله خيراً على كل حال .

والتمس منه مرة بعض فضلاء المكيين قراءة « السنن لابن ماجه » ، وكنت حاضراً ، فقال : « هل مع وجود فلان ؟ » ، وأشار إلىّ « يحْسُن التصدى لهذا » ؟ وقال لى مرة : « والله إنك تعدل عندى ألفاً من البقاعى » . وكتب

لى مرة يطلب كتاب « التحقيق » فقلت : « ليس التحقيق عندى » فقال كما كتبه بخطه : « يتحقق العبد ، إن التحقيق عندكم » وأما « كتاب التحقيق » وذكر الرسالة(١).

ومرة أخرى : « العبد ينهى أن موجبَ تسطيرها السلام عليكم والسؤال عن كافة أحوالكم ، أجراها الله على وفق آمالكم ، فإنه كثير التلفت إلى أخباركم السارة ، وقد قصد التوجه إلى خدمتكم غير مرة ، فيقال إنكم بخير ، ولله الحمد ، جعلكم الله دائماً كذلك ، فيخشى من تكليف الخواطر ، والآن فقد قوى عنده السؤال ، ليعلم حقيقة الحال ، فالمسئول تطييب خاطره ، وإزالة قلقه ، والله يمتع بجنابكم » .

ودعا لى مرة فى رسالة بقوله : « ألحقك الله بالصدّيقين والشهداء والصالحين ، وحَسن أولئك رفيقا ، بعد تمام العمر الطبيعى فى خير وعافية » .

وأوراقه عندى بالأسئلة / وغيرها كثيرة يطول إيرادها . ٢١٢

وكان « الشرفى المناوى » يتعجّب من مساعداتى له فى الأمور التى كان يقصد تخجيله بها ، و يصرح بذلك لبعض أخصائه خصوصاً مع ما تحققه من محبتى فيه نفسه ، وما عنده هو أيضاً من المحبة لى . وكذلك كان بعضُ أصحابه يقول : « إنه شيخ المحب » ونحوه قول « العلاء بن أقبر » فيما شافهنى به — « رأيتك عند « ابن الشحنة » فهل يُشحن منكراً ويشحن منه ؟ فقلت : « الأول ممنوع » فقال : « بل هو الواقع » .

هذا إلى كتبٍ حصلتها له ، لو لم يكن منها إلا « الدرر الكامنة » و « إنباء الغُمر » و « رفع الإصر » لشيخنا التى كنت استكتبها برسم « المقر الكمالى بن البارزى » ، وصرفت عليها استنساخاً وورقاً ، وجلداً وتذهيباً نحو أربعين ديناراً ، قبل وصوله إليها ، وعلم بها فرغب فى أخذها بستين ديناراً فكان وفياً .

ولم يشاركه أحد إذ ذاك فى الوقوف عليها ثم دفع إلىّ فى نسخة بخطى من

---

(١) جواب « أما » غير مذكور فى الأصل .

« الدور » عشرة دنانير ، مع أنها بيعت بغير خطى بعشرين ، واشترى منى كتاباً آخر بعشرين ديناراً ولم يعطنى إلا عشرة ، فكأنه استرجع الزائد ، وإنما شرحتُ هذا لدفع كلام ذُكر فى معرض المائة مع ما فيه من الكذب الصريح ، ولكنى قد التحقت فى ذلك بمن جازاه ممن قدمت ذِكرَهم على صنيعه الحسن بالقبيح ، بل وما خفى أكثر ، حتى إنه قال فى « المؤيدية » بحضرة كثيرٍ من نرابه ، بعد إنشاده قول غيره :

ترى الناس يحيون الضغائن بينهم وعندذوى التقوى تموت الضغائن

إذا ما هذى يوما أخوك فلا تكن له مضمر الشحناء فيمن يشاحن

ما نصه : وقد كان نقل عنى هذين البيتين من خطى بعض من خرج جزءا من حديثى وقرأه على من سنين ، فصحف (يحيون) فجعلها (يحسنون) من الإحسان ، فصحف الخط وأفسد المعنى ، وأخطأ الوزن ، وإنما ذكرت ذلك لأن هذين البيتين فى آخر المجلس السابع من أمالى الجوهرى أبى محمد الحسن بن على — رحمه الله — فخشيت أن يقف عليهما أحد على حكم هذا التصحيف فذكرت ذلك تنبيها ؛ انتهى .

وكان مقتضى الإنشاد الإعراض عن ذلك ، والإرسال إليه ليصلح هذا إن صح ، فكيف وهو كذب محض ، فإنه بمجرد وصول علم ذلك إلى ؛ أخرجت بجماعة مسودة التخريج المشار إليه بخطى وفيه (يحيون) ليس بين الحاء والياء ما يوهم شيئا ، ثم أخرجت أصلى من أمالى الجوهرى وهو أيضاً بخطى وفيه (يحيون) بجودة لا التباس فيها ، وبلغه ذلك ، فقال : «إنما أردت أنه قرأه هذا[1] » . وظاهر عبارته لا تساعده حيث قال : فصحف الخط . « وبالله لم يكن هذا أصلا » . ولكنه جرى فى ذلك على عادته ، فقد قال لى « ابن خليل » ما معناه : / انه رام استغفاله فى إلصاق / شىء به يتملق بى ، فبادر الى إنكار ما نسبه اليه ونحوه ، مما نسب الى السنباطى وغيره ، مما هو كذب مديح ، باعتراف المنسوب اليهم ، وحينئذ فيتحقق إنشاء قول البقاعى والأمر وراء هذا .

---

(١) وردت العبارة فى الأصل : « أنه قرأه هذا » .

وله عدة أولاد وأحفاد وأسباط ، فأمثل الأبناء طريقة أكبرهم ، وأمثل الأحفاد لسان الدين ؛ — وقد توفى فى الطاعون شهيداً . وأما الأسباط ؛ فالذى أعرفه منهم قد فسد حاله جدا ، بواسطة الانضمام — نسأل الله التوفيق .

وله تصانيف عدة من أجمعها « شرح الهداية » وهو حاوٍ لعلوم جمة ، كتب منه الى آخر فصل الغسل خمسة مجلدات أو أقل ، ثم فتر عزمه عن إكماله . ومنها مما تضمنته مقدمة هذا الشرح عدة مختصرات فى أصول الكلام وأصول الفقه ، وعلوم الحديث ، وسماه « المنجد المغيث فى علم الحديث » و « المناقب النعمانية » . ومما هو مقرر بالتأليف كالكلام على تارك الصلاة والسيرة النبوية[1] ، واختصار المنار وسماه « تنوير المنار » . وكذا اختصر « النشر » فى القراءات لابن الجزرى . و « الجمع بين العمدة » . و « يقول العبد فى قصيدة زيادات مفيدة » و « وحدة استيعاب الكلام على شرح العقائد » ولكنه لم يكمل ، وكذا الكلام على « التلخيص » وشرح « مائة الفرائض » من ألفية والده[2] .

ومن منثور كلامه سوى ما تقدم ما كتبه فى عرض المحب محمد ولد صاحبنا « القلقشندى » فقال : « الحمد لله الذى رفع دين محمد على سائر الأديان ، فطوبى لمحب الدين ، وجدع بملة الإسلام مارن[3] من أبغضه ، فسحقا لمبغضيه المعتدين وجعل من علماء أمته قوماً لا يزالون على الحق ظاهرين ، لايضرهم مَنْ خذلهم إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، نصبهم عمادا لدينه ، وعمدةً لأحكام شَرْعِه المبين ، واستخلصهم لصحبته ، فهم خلاصة خلاصة المؤمنين بحمده ، على أن أتحفنا من سلالة العلماء بأحاسن النجباء ، ونشكره أنْ سلك بنا طريقَ الأجداد والآباء ، ونشهد أن لا إله

---

(١) وردت العبارة فى الأصل : وفى الضوء اللامع هكذا : « سيرة نبوية » .

(٢) وشرح « مائة الفرائض من ألفية والده » هكذا فى الأصل .

(٣) مارن : الأنف : ، أو طرفه ، أو مالان منه ومن الرمح . (القاموس المحيط)

إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تَقِيّ أخلص لله باطنا وظاهرا ، ونشهد أنّ سيدَ البشر عبده ورسوله المبعوث لدين الإسلام ناصرا ، ولعَبدة الأصنام قاهراً ، ولأحكام الشريعة مبيناً ناشراً ، ولمن ناوأه سابياً وكاسراً ، فلم يزل يجاهدُ فى الله حقّ الجهاد ، ويكابدَ من أعدائه الشدائد الشّداد ، ويصبر على ذلك الصبر الجميل ، ويحتسب ويتوكل ، وحسبه الله ونعم الوكيل ، حتى كانت له العاقبةُ على كل كافر ومنافق ، وعُبد اللهُ وحده لاشريك له بالمغارب والمشارق ، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البرَرَة / الكرام الغُرر ، الذين أيّدَ بهم الملةَ الحنفية ونصر ، وسَلّم تسليما كثيراً ، وبعد :

فقد عرض على الوَلَد الأثير الأثيل ، والنجل النجيب النبيل ، سلالة علماء الأمة ، وخلاصة كرماء الأئمة ، خدام سنن سيد المرسلين « أبو الفتح محمد محب الدين » ولد الإمام المشتهر اشتهار الشمس والقمر ، المتصف بابن المحاسن بما يُزرى بأحاسن الدرر ، الآتى فى المجالس الحديثية بفنون الأثر والمتحف المجالس ببدائع الفوائد الغرر « أبى الفضل عبد الرحمن تقى الدين القلقشندى » الشافعى ، سلك الله به مسالكَ كرامِ آبائه ، ومتّعه بحياةِ والديه ، ومتعهما ببقائه ، مواضع عديدة من عمدة الأحكام « والخلاصة الألفية » بعبارات بارعة مرضية ، جَزَمْت بخطه لها أنه بجميع الكتابين حافظ ، وأيقنت بُحسْنِ همته أنه على اكتساب العلوم واقتنائها محافظ ، وسألت الله أن يكونَ له حافظاً ومحتفظاً ، وأجزت له جميعَ مايجوزُ لى روايته متلفظاً ، قال ذلك مرتجلا ، ومشقة عجلا ، فقير لطف الله الخفى محمد بن الشحنة الحنفى ، عفا الله عنه وأعانه ، وحرسه من مكائد شياطين الإنس والجن وصانه .

وما كتبه سريعاً على الحادثة التى قدّمتُ الإشارةَ إليها فى القاضى « عز الدين أحمد بن إبراهيم الحنبلى[1] » فقال : « الحمد لله ، الذى أظهر برهان

---

(١) العز الحنبلى .
هو أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن سهيل =

دينه القيم ببيته الحرام ، وأحلّ له سِحْرَ بيان المعانى من بديع بحر الكلام ، وفهّمَه من فقه أصول الشرع مايقصر عن إدراكه غالب الأفهام ، وعلمه مالم يعلمه من قواعد الأركان مالا يقوم به إلا العلماء الأعلام ، نحمده على الهداية برعاية تعظيم منهاج الإسلام ، ونشكره على الدراية بمقادير الأنبياء عليهم السلام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريكَ له ، شهادة تحرسنا فى مقام الزلل من ذلك المقام ، ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله ركننا الوثيق ، الذى نأوى إليه فى يوم القيامة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ، مالاح صباح وسجى ظلام ، وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين ، وبعد .

فقد وقفت على هذه المحاورة ، وما كتبه عليها علماء العصر ، ولم أخرج عما رسموه ، وتبعتهم فى الدخول إلى « باب النصر » ، إذ الواجبُ صَوْنُ منصب النبوة عن موهمات النقائص ، والمثابرة على ذكر خصائص المحاسن ومحاسن الخصائص ، والجواب حسب الوسع عما يشكل ظاهره ، والخوض فيما تحمد موارده ، من ذلك ومصادره ، فلله ماأبْدَوْه من ذلك وما أعادوه وما فهموه من دقائق الحقائق ، وما أفادوه ، وابتهلت إلى الله تعالى أن يمنح الإسلام والمسلمين / طول بقائهم ، ويفتح باب الخيرات إلىمعارج ارتقائهم ٢١٤ قال ذلك مقتصراً معتذراً ، وسطَّرَهُ مستعجلا مؤتمراً ، مقر لطف الله الخفى ، « محمد بن الشحنة » الحنفى فى ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء خامس عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وستين . ومما أنشدنى من نظمه قوله فيما وافق عمر رضى الله عنه : [طويل]

=ابن نصر الله بن أحمد الكنانى العسقلانى الأصل ، المصرى المولد ، قاضى القضاة ، عز الدين أبو البركات ابن قاضى القضاة برهان الدين ابن قاضى القضاه ناصر الدين الحنبلى ، تفرد بمذهب الإمام أحمد بن حنبل وأخذ عن المحب بن نصر الله والعز بن جماعة ، والشيخ عبد السلام البغدادى وغيرهم ، وناب فى القضاء عن ابن مغلى وهو فى العشرين ، ثم ولى قضاء الحنابلةبالديار المصرية ودرس للحنابلة بغالب مدارس البلد ، وله تعاليق وتصانيف ومسودات كثيرة فى الفقه وأصوله والحديث والعربية والتاريخ وغير ذلك . ولد سنة ٨٠٠ هـ — ومات سنة ٨٧٦ هـ

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ : ٢٣٠)

لَقَدْ وَافقَ الفَارُوقَ من مُحْكَمِ الذِّكر
ثمَانٍ مِنَ الآيات ضُمتْ إلى عَشر
قيامٌ حجـابٌ مَعْ عَسَى رَبُّهُ ولا
تُصَلِّ وَفى إنَّ الصَّفَا وَغَدًا بَدْر

عَداوَةُ جِبْريل وحلُّ النِّسَا فى ليالى شهر الصَّوم مع حُرْمةِ الخمر
نساؤكمُ حَرث ، وحُكمُ كلالةٍ ولا تسألوا خوف الإجابة بالشر
وتبارك فى التخليق كادوا ليُفتنوا وثلاثٌ استيذان مملوكٍ أو حُرٍّ
وفى دم مؤذى المؤمنين وفى فَلاَ وربِّك فانظر ما لِذى الحبرين نخر

وقوله فى المستهزئين : [بسيط]

من رام معرفة المستهزئين فقُل هُمُ ثمانيةٌ لا دَرَّ دَرُّهُمُ
الأسوَدَانِ وليدُ حارِثٍ حَكَمٌ عاصٍ أبو لهب مَعْ عُقْبة وَهُم
كفىَ الإله رسولَ اللهِ أمْرَهم بادُوا على الكفر لكن أسلم الحكم

قال : وإن شئت فقل بدل البيت الثالث :

أرَى الإلهُ رسولَ الله مصْرَعهم لكنْ بإسلامِهِ منهمْ نجا الحكمُ

وقوله فى ضبط ما قيل فى أطفال المشركين إجابة للشيخ « نجم الدين ابن قاضى عجلون » حيث سأله فى ذلك : [طويل]

اِصغْ لاختلاف الناس فى طفل مُشرك
فعَشَرةٌ أقوال لهُمْ فى القَضِيَّة
مَعْ جنَّةٍ أو نارٍ أوْ مَعْ اصولِهمْ
ووَقفٌ وخدَّامٌ لأصحَاب جنَّة
يكونون كالأنعام يمتحنونَ أوْ
(بأعراف الإمسَاك مَحْضَ المشيَّة)[1]

وقوله مما يُقرأ على قافيتين مما سبق نظيره لابن الآدمى ، وابن التنيسى :

---

(١) هكذا وردت الأبيات فى الأصل .

[رجز]

قلت لهُ لمّا وفى مَوْعِدِي ... وَمَا بِقلْبى لِسوَاه نَفَاقْ

وَجَادَ بالوَصْلِ عَلىّ وَجهِهِ ... حتى سَمَا كلُّ حبيبٍ وفاقْ[1]

وقوله مما نظمه فى المنام ، واستيقظ فى ليلة الجمعة مستهل شعبان سنة تسع وستين / وهو ينشدهما : [كامل] ٢١٦

وَفدَ [الْهَنَا بِوُفُودِهِ][2] ... يَا حَبَّذَا ذَاكَ الْوُفُودْ

صُنْتُ الْعُهُودَ لِأَجْلِهِ ... وَلَوْ انَّهُ خانَ الْعُهُودْ

وقوله : وكتب بهما لـ « ناصر الدين الفاقوسى » أحد المُسْنِدِين ، وأعيان الموقعين :

يا ناصر الدين إنى قد سمعت لكم ... صيتاً يفوق عبير المسك من زمن

حتى التقينا لحقاً أن ما نظرت ... عيناى أعظم مِمّا قد وعت أُذنى

ومما أنشدنيه ، وقيل إنهما له يخاطب « عبد العزيز الحياط » أحد تلامذة « الزينى قاسم » الحنفى الذى صار حباكاً بعدُ لكونه كان قبل التجائه بصاحب « عبد القادر بن الرسام » ، الذى انتزع بعض وظائفه صاحب الترجمة منه ، وكان الحباك هو السفير فى إيصال مطالعات « ابن الرسام للجمالى » ناظر الخاص ، فكره المحب ذلك . فقال فيما قيل :

بِحُسْنِكَ يا عبد العزيز أقاسِمُ ... حرَيفُكَ أمْ حَرف لِمعْنىً فلا تخْفِىَ

فقال أنا الخياط حقاً وإنه ... أجير لأجل الشّلّ يقنع بالكف

ولكن قد أنشدهما البدر محمد بن يوسف الدميرى لابن الخرّاط ، فالله أعلم .

---

(١) روجعت الأبيات على شذرات الذهب ج ٧ : ٣٤٩

(٢) ما بين المعقوفين فى الأصل « بولوده » وعلق ناسخ النسخة بقوله فى الهوامش لعله « لوفوده » .

وقوله فى مطلع قصيدة له فى ختم « مسلم » حين قرىء على شيخه البرهان :

صَح الحديثُ أنا المحبُّ المُغْرمُ — وحبيبُ قلبى ظَالِمٌ يتظلم

ومما أنشدنيه لغيره فقال « أنشدنى قاضى القضاة بحلب الزين الخليلى — فيما بلغنا — :

يا حسن [شبابى](1) المفدى أرأيت ما — أسرع ما رحلت عنى ونأيتَ

قد كنتَ مُساعِدِى على كيت وكيتَ — اليوم لَوْ رَأيت حالِى لَبَكيتَ

وفى المعنى للمتنبى :

ولقد بكيتُ على الشَبابِ ولِمتى — مُسْوَدَّةٌ وَلِماءِ وَجهىَ رَوْنَقُ

حَذرًا عليه قبل يوم فراقه — حتى لكدت بماء جفنى أغْرَقُ

وأنشدنى قال : أنشدنا البدر بن سلامة بنفسه فى أصحاب الألف من الصحابة — رضى الله عنهم — :

صحب النبىّ ذوو الألف عِدّتهم — قلْ سبعة نجُبٌ بالفضلِ قد رأسوا

أبو هريرةَ ، عبدُ الله ، عائشة — جابرٌ ، وابن عباس ، كذا أنسُ

وأبو سعيدِ رَوى ألفًا ويتبعُها — سبعون مع مائة يجلى بها الغَلَس

قال : وأنشدنا البدر مذيلا على بيتى الحافظ الذهبى ، فيمن اتفق الستة على الرواية عنه وهما :

بُنْدارٌ ابن المثنى الجهضمى أبو — سعيد عمرو وقيس وحسّانى

٢١٧ يعقوب والعنبرى الجوهرى همُ — مشايخ الستة أعرفهم بإحسان /

(1) ما بين المعقوفين فى الأصل « شهابى »

فقال :

وأبو كريب رووا عنه بأجمعهم ... والغـيْر يأبى قل شيخ لهم ثان

قال : وأنشدنا البدر لغيره :

مدحت الخميسَ النَّذلَ أرجو نواله ... فلم أجتنى ثمرَ النَّوالِ من المدْح
إذا انصب ماءُ اليأس فى مقلة الرجا ... فليس له عند الحكيمِ سوى القدح

قال . وأنشدنى شيخنا الحافظ برهان الدين الحلبى ، قال : أنشدنا السراج ابن الملقن فيما أورده فى شرح « البخارى » لغيره :

اشرب قياماً تابعاً سُننَ الهدى ... ودَع ابن حزْم والذى يتقولُه
فالحزْمُ فى هذا المقـام خلافهُ ... فهو الصوابُ أتى به متقوِّله

وأنشدنى لنفسه قصيدته التى نظمها وهو بـ « القدس الشريف » :

قلبُ المحبِّ بداءِ البَـيْن مشغول ... كما حشاهُ بنار البُـعْـد مشعولُ
وطرفه الليلَ ساه ساهرٌ دَرِب ... فدَمعهُ فوْقَ صحن الخدِّ مسبولُ
وفكرُهُ شاردٌ كلتْ رويّته ... وعقله بعقال الشوق معقولُ
وحالُه حالُ من وَجْد يكابدُه ... وقلبه لفرَاق الإلفِ مذْبول (١)
ورُوحُه تلفت منْ طُول فرقتهم ... وكبْدُه بسنان الهجْر مرْعول (٢)
ومُذْ نأى ونأتْ عنه حبَائبُه ... فصَدره لم تفارقه التآزيل (٣)
والوَجْد والصبر موجودٌ ومنعدم ... والقلبُ والجسمُ مَسلول ومشلول
ومُذ قضى بفراق الرَّبْع حاكمه ... فللدّموع بطرْس الخد تسجيل
كانت لياليه بالأحباب مُسْفرةً ... وحينَ بانوا فنور الصبح عيطول (٤)

---

(١) مذبول : ذبل النبات ، ذبلا وذبولا : ذوى . ذبل الفرس : ضمر (القاموس المحيط)

(٢) مرعول : أرعل ، رعل : طعن طعنا شديداً ، وبالسيف نفحه . (القاموس المحيط)

(٣) التآزيل : تأزل صدره : ضاق . الأزل : الضيق والشدة (القاموس المحيط)

(٤) عيطول : عطلت المرأة عطلا وعطولا : إذا لم يكن عليها حلى فهى عاطل وعطل من عواطل وعطل ، وأعطال ومعتادها معطال ومعاطلها : مواقع حليها . والأعطال من الخيل والإبل : التى لا قلائد عليها ولا أرسال لها والتى لاسمة عليها الأعطال من الرجال : لا سلاح معهم .

وفارقته دنانير الوجــوهِ كما ... قد رافقته على رغم مَشاقيل

وصار مَتْنَه مسرات مُصاحبه ... وصاحبته من الدُّنيا عراقيلُ

وبعد سُكناه بالفيحاء فى «حلب» ... مأواه حفش كبيت النمل زِحْليل(١)

لكنّ بالمسجد الأقصى وبهجته ... لقلبه عن حِمَى الأحباب تعليلُ

ولا يُسليه عن أهلٍ ولا وطنٍ ... إلا جمــال لمسراه وتجميلُ

فيالهُ مسجداً مع ذا الجمال له ... من الجـــلالة تتميمٌ وتكميل

كأنّ قُبّته فى سطح صخرته ... بهامها المعتلى تاجٌ وإكليلُ

وقد رضيت مقامى فيه مع شغف ... لكنّ فى القلب من لبنى عباقيل(٢)

هذا وقد كان دهــراً لا يمرّ به ... وقتٌ يكدّره قالٌ ولا قيل

مُمتّعاً بلذيذ العيش فى دَعة ... ما عنْ حماهُ لنجم السعْد ترحيل

مصبّحاً ومُمَسّى فى أحبته ... يَسرُّ خاطره أهلٌ وتأهيل

٢١٨ أولاده حوله مثل البدور لهُ ... بهم سُرورٌ وإقبالٌ وتقبيل /

ترعاه فاترة الألحاظ فاتنة ... الألباب ضامرة الأحشاء هرقيل(٣)

من كلّ كاعبة بالعقل لاعبة ... عن نيل تخييلهن الوهم متبول(٤)

شموس أفق ولكن بالحجاب غدت ... كالدُّرّ فى صدف بيض زهاليل(٥)

بجوف دارٍ تحلت بالمحاسن فى ... أرض يضوع برياها القرنفول(٦)

والأنس جم وحبل القرب متصل ... والدهر طوع وجيش الهم مغلول

= العطل : العنق . والعيطل : الطويلة العنق فى حسن جسم أو كل ما طال عنقه العيطل والعطيل : شمراخ من طلع نخال النخل . وقوس عطل : بلا وتر عطل .
(القاموس المحيط)

(١) زحليل : زحل عن مقامه : زال . وزحل عن مكانه : زحولا : تنحى . وتزحل : فهو زحل وزحليل (القاموس المحيط)

(٢) عباقيل . بقايا المرض والحب (القاموس المحيط) .

(٣) هرقيل . لا توجد الكلمة بالقاف فى القاموس المحيط ، وإنما المذكور «هركيل» وهى بمعنى المرأة الحسنة الجسم والخلق والمشية . والهركلة : مشى فى اختيال .
(القاموس المحيط) .

(٤) متبول : النبل : العداوة والانتقام . تبله : ذهب بعقله . تبل الدهر القوم : رماهم بصروفه وأفناهم ، وتبلت المرأة فؤاد الرجل : أصابته . (القاموس المحيط)

(٥) زهاليل : الزهلول : الأملس . والزهل : امليلاس (القاموس المحيط)

(٦) القرنفول : هو القرنفل المعروف (القاموس المحيط)

والحال منتظم والنظم منسجم ... وما لطيب ليالى الوصل تبديل
والعمر غضٌ وأبواب الصبا قشب ... والوقت صافٍ وحبل السعد مفتول
وكان يُرجع فى العظمى له وبه ... كانت تحل المهمات الغدا كيل[١]
فروع البين قلباً كان ذا جذل ... وعاد وهو عن اللذات مخذول
وصار يمشى هويناها وكان له ... خطو لنيل العلا والمجد تأديل[٢]
والدهر فى حكمه ما زال منحرفاً ... له لذى الفضل تعكيس وتخميل[٣]
وللأراذل تفخيم وبهرجة ... وللأصائل تضعيف وتصبيل[٤]
سيَّان فى الناس قولٌ فيه عجرفة ... وقول صدق بديع النظم منخول
فالقلبُ فى نكد والصدر ذو كمد ... والشمل من بعد ما جمع أبابيل[٥]
والحالُ فيه اضطراب والعدوّ له ... بَغىٌ ونأى وتوهيل وتهويل
فى عرضه ادعيا ما لهم نسب ... خاضوا وإن نسبا أبدوا فمدخول
لهم عكوف على ما يُغضِبون به ... ربٌ العباد مناحيس لواعيل
هم فى الجسوم سمان غير أنهم ... من الحلوم ومن دين مهازيل
وفى النفوس لهم سعىٌ يؤول بهم ... إلى الجحيم وفى الأعراض تهجيل[٦]

---

(١) غدا كيل .

(٢) تأديل : ادل الجرح يادل : سقط جلبه . وأدل اللبن : مخضه وحركه . وأدل الشىء : دلج به مثقلا الإدل : وجع فى العنق ، اللبن الخاثر الحامض . وما يأدله الإنسان للإنسان ويدلج به . (القامس المحيط)

(٣) تخميل : خمل ذكره وصوته خمولا : خفى . أخمله الله تعالى فهو خامل : ساقط لا نباهة له .

خمل البسر : وضعه فى الجر أو نحوه ليلين . وأخملها : جعلها ذات خمل . والخمل : هدب القطيفة . (القاموس المحيط)

(٤) تصبيل : صال على قرنه صولا وصيالا وصؤلا وصولانا ، وصالا : ومطالة ، سطا واستطال . صال الفحل على الإبل صولا فهو صئول : قاتلها . والتصويل : إخراجك الشىء بالماء وكنس نواحى البيد . وصاوله مصاولة وصيالا وصيالة : واثبه . وصال يصبل لغة فى يصول . وصيل له كذا : قيض وأتيح (القاموس المحيط)

(٥) أبابيل : فرق (جمع بلا واحد) (القاموس المحيط)

(٦) تهجيل : هجل عرضه تهجيلا : وقع فيه (القاموس المحيط)

قد مل قلبي بما عذبوه به ... وكل شيء من الأعداء مملول
بغوا وإني لأرجو قرب مصرعهم ... وكلُّ باغ بسيف البغي متلُول[1]
يبناه في الأوج أمسى في الحضيض
وإذ بالعرش يفرح أمسَى وهو مثلول[2]
وضاق ذرْعُ المحب الصب من نكد
وغربة وشتات فيـــه تطويل
وقصر الأهل عنه والصحابُ ولم ... يَعُد له في جميع الناس تأميل
فأنزل الحال والشكوى بساحته من ... حماه فيه لذى الحاجات تنويل
من لا يردّ سؤال السائلين ولا ... يقول : لا ، قط فيما منه مسئول
هادى الأنام وَأزكى العالمين ومَنْ ... له مِنَ الله تعظيم وتبجيل
محمد سيد الرسل الكرام ومن ... به التخلص في الدارين مأمول
من خصه الله في يوم المعاد بما ... تقاعست عن ترجيه الأماثيل
إذ قول كل نبي عندما قُصدوا ... وفي الشفاعة من أهوالها سيلوا
٢١٩ يارب سلم فإني لا أريد سوى ... خلاص نفسي وقد غال الورى غول/
إلى آخرها وباقيها أكثر .

ومن نظمه مما أملاه على نوابه بالمدرسة المؤيدية ، « في غيبة ولده المشار إليه لقُـل من كثر أوصافه ، إذ سافر إلى حلب ، ليكون ذلك زيادةً في طغيانه ، واتحمل إليه الهدايا ببيته وصيوانه :

نصب على وصب وغم خالد ... وطريف هم في الفؤاد وتالد
وتحـــــرق لتفرق ما ذاقه ... ظني على ولد كمثلك والد
ومدامع قطرت دماً من مهجة ... ذابت بنارٍ وجهها يتصعـــد
نار تضرم جمرها لا ينطفى ... منذ الوداعً لها المحب يكابد
وصبابة أضنت لفرقة [رفقة] ... غابوا وشخصهم بقلبي شاهـــد

---

(١) متلول : تله فهو متلول وتليل صرعه أو ألقاه على عنقه وخده (القاموس المحيط)

(٢) مثلول : ثلهم ثلا وثللا : أهلكهم . الثلة : الهلكة (القاموس المحيط)

سارت مسراتى على آثارهم ... وأقام وجد فى الحشاشة قاعد
هذا ووجدى قد تأبد بارحا ... والصبر منى نازحاً يتأبد
فضعيف صبرى لم يزل متناقصاً ... وقوى وجدى لم يزل يتزايد
لا كنت فى الدنيا إذا مالم أكن ... لكريم ذاتك يا سرىّ أشاهد
فأرى جمالا بالنواظر يُجتلى ... ولطيفَ معنى بالقلوب يشاهد
وتطيب من فرح بكم أوطانكم ... فتسر ثمَّ مرابع ومعاهد
ويباهر من نور بهجة وجهكم ... تسمو ربا ومدارس ومشاهد
فبكم لكم كرسىّ وعظ قد زَها ... ومحارب ومنابر ومساجد
يا من إليه عنان قلبى قد ثنى ... يا ثانياً هو فى الفضائل واحد
ما لذ بعدك لى من الدنيا ولا ... فى ساعة الظمأ الزلال البارد
صلة القوى كادت تحقق ميتتى ... لولا جميل الظنّ أنك عائد
ولئن ولدتك ياسرى وكنت لى ... ولدا ففى التحقيق أنت الوالد
لوفور إشفاق على ورأفة ... ولأن برك بى عظيم زائد
يا رب رُدّ علىّ عبدك سالماً ... وأنله فى الدارين ما هو قاصد
وأموره بخفىّ لطفك حفها ... فى صادر منها وما هو وارد
واجعل له الجد السعيد مساعدا ... وأدم له العز العزيز يُعاضد
وإلى سواك فلا تكله فمن تكن ... فى عونه لم يضطهده مكابد
واجبر بلطفك كسر شيخ ماله ... أحد سواك على الزمان يساعد
فلكم جبرت وكم أجبت دعاءه ... يا من له بالمكرمات عوائد
وعلى النبى محمد وصحابه ... مع آله صلى الإله الواحد/

٢٢٠

ولم يزل منقطعاً ببيته، مشغولا بتوعكه إلى أن تزايد به بحيث استخلف ابنه فى «الشيخونية» و«المؤيدية». وانقطع عن الجمعة مدة طويله بما يقرب من الاختلاط إلى أن مات فى يوم الأربعاء سادس عشر المحرم سنة تسعين وصلى عليه من يومه تجاه «الحاجبية» من «باب النصر» فى مشهد حضره القضاة، وكذا الشافعى المنفصل، وجمهور الأعيان وغيرهم، ثم دفن بتربته فى نواحى تربة «الظاهر برقوق» واستقر ابنه فى «الشيخونية» بعناية

« الأتابكى » و « الزينى بن مزهر » ، بعد توبيخ زائد ، وتقريع كثير ، ولم يلتفت لوفاء ذمة أبيه من الديون ونحوها عفا الله عنه ورحمه وسامحه وإيانا .

القاضى محب الدين أبو الوليد ابن الشحنة*

محمد بن محمد بن محمود الحنفى

٧٤٩ — ٨١٥ ه

محمد بن محمد بن محمود القاضى محب الدين أبو الوليد الحلبى الحنفى عرف بابن الشحنة[١] وفى نسبه مع ذكر جده الأعلى وأبيه وإخوته وبنيه فى الترجمة الماضية . ووقع فى معجم شيخنا تسمية أبى جد صاحب الترجمة « عبد الله » ، وسماه فى ترجمة والده من « الدرر » ، « مسعوداً » ، وكلاهما سهو . وقد ذكره هو على الصواب فى تاريخه كما أثبته .

ولد فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ولم أقف على تعيين الشهر بـ « حلب » ونشأ بها فى كنف أبيه ، فحفظ القرآن وكتباً ، وجد فى العلوم المنطوق فيها والمفهوم ، وأخذها عن شيوخ بلده ، والقادمين إليها ، وارتحل فى حياة أبيه إلى « دمشق » و « القاهرة » فأخذ عن مشايخهما ، ولم أعلم من شيوخه سوى « السيد عبد الله » فقد أثبته « الحافظ البرهان الحلبى » أفاد ولده أن ابن منصور و « الأنفى[٢] » أذناله فى الإفتاء والتدريس ، قبل أن يلتحى ، وأنه بعد مضى سنة من وفاة والده ارتحل إلى « القاهرة » أيضاً ونزل بـ « الصرغتمشية » فاشتهرت فضائله ، وظهر اسمه ، فعينه الشيخان « أكمل الدين » و « سراج الدين » لقضاء بلده . وأثنيا عليه ، فولاه إياه « الأشرف شعبان » وذلك فى سنة ثمان وسبعين عوضاً عن « الجمال إبراهيم بن محمد بن عمر بن العديم »

---

(١) ابن الشحنة محب الدين : له ترجمة فى الضوء اللامع ج ١٠ : ٣ . وقد جاء فيها أنه : محمد بن محمد بن محمود بن غازى بن أيوب بن محمود بن الختلو المحب أبو الوليد الحلبى ، الحنفى . وله ترجمة أيضاً فى شذرات الذهب ج ٧ : ١١٣

(٢) الأنفى : فى الضوء اللامع : « أن ابن منصور الأنفى » ، والصواب ما ذكرناه لأن السياق يقتضيه .

٢٢١ ورجع إلى بلده، وهو قاضيها، فلم / تطل مدته فى الولاية، بل عزل عن قرب بـ «الجمال» المذكور، ثم أعيد، واستمر إلى بعد كائنة «الناصرى» مع «الظاهر برقوق»، فعزله لما كان بـ «حلب»، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين، بسبب صحبته للناصرى، وامتحنه بالمصادرة والسجن بل ما كفه عن قتله إلا الله على يد الجمالى محمود الأستادار، بل وساعده على مقاصده، ولذلك امتدحه بعدة مدائح حتى اختص به، واستصحبه معه إلى «القاهرة»، فأقام بها نحو ثلاث سنين، ثم عاد إلى بلده، فأقام بها بَـطّالاً، ملازماً للاشتغال والأشغال والتصنيف.

وعظمه «جكم[1]» حين ولى نيابتها تعظيما بالغاً، وامتحن بسببه، فلما قدمها «الناصر» ولاه قضاءها، فى سنة تسع وثمانمائة، فاستمر، ثم لما اختلفت الدول حصلت له أنكاد من أجل أنه ولى عن «شيخ» لما كان يحارب «الناصر» قضاء «دمشق»، فلما قدم «الناصر» سنة ثلاث عشرة قبض عليه وعلى جماعة من جهة «شيخ» منهم «التبانى[2]» وقيدهم، ثم شفع فيهم، فأطلقوا، وحضروا إلى «مصر» فعنى بصاحب الترجمة كاتب السر «فتح الله» حتى استقروا به فى عدة وظائف [كتدريس الجمالية[3]] عوضاً عن مدرسها «محمود بن الشيخ زادة» بحكم وفاته، وعظمه «الناصر» بحيث أنه كما قال ولده: حبس فى المولد بحضرته مع كونه معزولا عن قضاء «حلب» فوق «ناصر الدين بن العديم» قاضى الحنفية بالديار المصرية، قال: حتى ضج «ابن العديم» من ذلك، ولم يجد له ناصراً.

ثم إنه توجّـه مع «الناصر» إلى «دمشق»، فلما كان بينه وبين

---

(١) جكم: هو «جانبك» الحكيمى جكم من عرض، المتغلب على حلب، صيره الظاهر جقمق أحد العشرات ورؤوس النوب حتى مات فى شوال سنة ٨٥٤ هـ.
(الضوء اللامع ج ٣ : ٥٦)

(٢) التبانى: نسبة للتبانه خارج القاهرة.
(الضوء اللامع ج ١١ : ١٩٤، ج ٧ : ٢١٣)

(٣) «هكذا تستقيم العبارة» وهو يوافق ماجاء فى الضوء اللامع، وما جاء فى الأصل هو: منها تدريس، وكذا الجمالية.

« المؤيد شيخ » على « اللجون » ما كان ، وجاء « الناصر » إلى « دمشق »
دخلها معه ، فولاه قضاء الديار المصرية فى زمن حصارِه بـ « دمشق »
لكون قاضيها « ناصر الدين بن العديم » كان اتصل بـ « المؤيد » زَمنَ
الحصار ، لكنه لم يباشر ؛ بل ولم يرسل إلى « مصر » نائباً ، فلما انجلت
القضية بقتل « الناصر » الذى كان « ابن العديم » هو الحاكم بقتلهِ ، ونقم
على « المحب » مع « صدر الدين بن الأدمى » بوظائف لـ « ابن الأدمى »
بـ « دمشق » عن وظائف كانت حصلت لـ « المحب » بـ « مصر »
« كالجمالية » وغيرها ، وأقام « المحب » بـ « دمشق » فلما توجّه « نوروز »
بعد أن اقتسم هوَ و « شيخ » البلاد — وكان « نوروز » كثير التعظيم
« للمحب » ولاه — كما قال ولده — جميعَ ما هو فى قسمه من « العريش » إلى
« الفرات » ، قال : فاقتصر على بلده ، ووصل صحبته إليها . كل ذلك فى سنة
خمس عشرة ، فلم تَطُلْ أيامُه ، ومات عن قرب فى يوم الجمعة ثانى عشر
شهر ربيع الآخر من السنة . / ٢٢٢

وقد وصفه شيخنا فى ترجمة أبيه من « الدرر » بالإمام العلامة ، وفى
تاريخه « الإنباء » بالعلامة ، وترجم له نفسه ترجمة فى تاريخه وقال : إنه
اشتغل قديماً ، ونبغ وتميز فى « الفقه » و « الأدب » و« الفنون » وإنه[1]
لما رجع من « القاهرة » إلى « حلب » — يعنى قبل القرْن — أقام ملازماً[2]
للاشتغال والتدريس ونشر العلم ، لكنه مع ما وصفه له بكثرة الاستحضار ،
وعلو الهمة ، والنظم الفائق ، والخط الرائق ، قال : إنه كثير الدعوى وفى
تاريخه أوهامٌ عديدة ، ونحوه قوله فى معجمه مع وصفه بمحبة السنة وأهلها :
« إنه عريض الدعوة ، له نظم كثير متوسط ، قال : ولما فتح « اللّنك »
« حلب » حضر عنده فى طائفة من العلماء ، فسألهم عن القتلى من الطائفتين
مَن هُوَ منهم الشهيد ؟ فقال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
« مَنْ قاتلَ لِتكون كلمة الله هى العُليا فهو فى سَبيلِ الله » . فاستحسن

---

(١) فى الأصل « وإنما »

(٢) أقام ملازما ، العبارة كذلك فى الضوء اللامع .

كلامه ، وأحسن إليه . قال وأنشدني لنفسه لغزاً في الفرائض فأجبته .

ولما حكى شيخنا في ترجمة قاضي الحنفية « الجمال يوسف بن محمد الملطي »[1] الحلبي من الأصل ؛ أنه كان قد اشتهر عنه أنه يقول : مَنْ أكثر من النظر في كتاب البخاري تزندق . ويفتي بإباحة أكل الحشيشة قال : إنّ صاحب الترجمة ذكر أنه دخل عليه يوماً فذاكره بأشياء ، وأنشده كأنه يخاطب غيره وإنما عناه :

عجبت لشيخ يأمر الناس بالتقى   وما راقب الرحمن يوماً وما اتقى
يرى جائزاً أكل الحشيشة والربا   ومن يستمع للوحي حقاً تزندقا[2]

أشار شيخنا إلى ذلك في ترجمة « الملطي » من تاريخه أيضاً حيث قال : وعمل فيه « محب الدين ابن الشحنة » أبياتاً هجاه بها ، كان يزعم أنه أنشدها له بلفظه ، موهماً أنها لبعض الشعراء القدماء في بعض القضاة .

وذكر « العلاء بن خطيب الناصرية » فقال فيه : « شيخنا وشيخ الإسلام » كان إنساناً حسناً عاقلا ، دمثَ الأخلاق ، حُلوَ النادرة ، عاليَ الهمّة ، إماماً عالماً ، فاضلا ذكياً ، له الأدب الجيّدُ ، والنظم والنثر الفائقان واليدُ الطُّولى في جميع العُلوم ، قرأتُ عليه طرَفاً من « المعاني والبيان » ، وحضرتُ عنده كثيراً ، وكانت بيننا صحبة أكيدة ، وصنف في « الفقه » و « التفسير » وعلوم شتى ، وأورد « الجمال عبد الله محمد بن زريق المعري »[3] قصيدة امتدحه بها ، وقال « البرهان الحلبي » . من بيوت

---

(١) ابن الملطي : ذكره ابن العماد في شذرات الذهب فيمن مات سنة ٨٠٣ هـ ، وجاء في ترجمته أنه جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله الملطي ، ثم الحلبي الحنفي ، وأصله من خوت برث ، ولد سنة ٧٢٦ هـ ، ونشأ بملطية واشتغل بحلب حتى مهر ، ثم رحل إلى الديار المصرية وهو كبير فأخذ عن علمائها ، وسمع من العز بن جماعة ... الخ واشتهر أنه كان يفتي بأكل الحشيش وبوجوه من الحيل في أكل الربا ، وأنه كان يقول : من نظر في كتاب البخاري تزندق .

(شذرات الذهب لابن العماد ج ٧ : ٤٠)

(٢) وردت في الأصل : « ومن سمع الوحي حقا تزندقا » ، وما ذكرناه يتفق مع الوزن .

(٣) الجمال عبد الله محمد بن زريق المعري : هو عبد الله بن محمد بن زريق ، الجمال =

الحلبيين ، مَهرَ فى « الفقه » و « الأدب » و « الفرائض » مع جَودَةِ الكتابة ، ولُطفِ المُحَاضرة ، وحُسنِ الشكالة ، يتوقد ذكاء ، وله تصانيف لطاف .

وقال ولده : إنه ألف فى التفسير ، وشرح « الكشاف » ولم يكملهما وألف لأجلى مختصراً فى الفقه فى غاية القِصَر / ، محتوياً على مالم يحتَوِ عليه المطولات ، جعله ضوابط مستثنيات ، فعدم منه فى بعض الأسفار ، واختصر منظومة النسفى فى ألفِ بيت ، مع زيادة مذهب أحمد ، ونظم ألف بيت فى عشرة علوم إلى غير ذلك فى الفقه والأصول ، والتفسير ، وعامّة العُلوم . . قال : وحاصل الأمر فيه أنه كان منفرداً بالرئاسة علماً وعملاً فى بلده وعَصره ، وغُرَّةً فى جبهة دهره ، وَلِىَ قضاء « حلب » و « دمشق » و « القاهرة » ثم قضاء « الشام » كُلّه وقدم « حلب » فقدرت وَفَاتُهُ بها ، وسُلِّم له فى علومه الباهرة ، وبحوثه النيرة الظاهرة وانتهى أمره إلى ترك التقليد ، بل كان يجتهد فى مَذهَب إمامه ، وَيخرِّجُ على أُصوله وقواعده ، ويختار أقوالا[1] يعمل بها وأثنى على جميع نظمه

٢٢٣

وذكر أنه مِمَّنْ أَخذَ عن « العز الحاضرى » والبدر بن سلامة » بـ « حلب » و « ابن قاضى شهبة » ، و « ابن الأذرعى » بـ « الشام » و « ابن الهُمام » و « ابن التَّنَسِّى » و « النوَلَوى السَّفطى » و « ابن عبيد الله » بـ « مصر » ، فالله أعلم بذلك كله .

المعرى ، ثم الحلبى ، الشافعى ، ويعرف بجده ، ولد سنة ٧٧٥ هـ بالمعرة ونشأ بها ، فحفظ القرآن وكتابا فى الفقه ، واشتغل بالعلم ثم قدم حلب فاشتغل بها أيضا ، وولى بها توقيع الدست مدة ثم قضاء « معرمصين » مدة ، ثم جلس موقعا بباب قاضى الشافعية بها ، وكان فاضلا أديبا ناظما ناثرا مجيدهما ، ثم رجع إلى بلده فقطنها وولى قضاءها مدة حتى مات سنة ٨٢٧ هـ ، ومن نظمه : —

كنت وليل العذار داج ... يروق من راقه سواده
فاحترق القلب بالتنائى ... وذر فى عارضى رماده

(الضوء اللامع ج ٥ : ٥٠)

(١) فى الأصل : أقوالا لايعمل بها .

ومن تصانيفه أيضاً اختصار « تاريخ المؤيد صاحب حماة » والتذييل عليه إلى زمنه على طريق الاختصار ، و « سيرة نبوية » و « الرحلة القسرية بالديار المصرية » و [من][1] نظمه ما أنشدنيه شيخنا شفاهاً قال : أنشدني القاضي محب الدين أبو اليد مُلغزا :

ما القول في مرأة مع خمسة ورثوا قرابة فدعت يا أيها الناس
لابنتي ولي ذا المال أجمعه وابني وأمي وأختي هو أسداس

قال : شيخنا فأجبته عنه فقلت :

أم وأختان منها إرثهن غداً ثلثاً وسدساً سوى ما فيه إلباس
وبالولاء ورثت أم الرضاع كذا ابن وأخت فهذا الإرث أسداس

قال : ثم نزلته على صورة أخرى لأجل قوله (ورثو قرابة) فقلت :

ثنتان مِن أمٍّ أم شبهة وأتى إحديهما الأب وطئاً فيه إلباس
أتت بينتين منه ثم من عصب بابن ومات أب فالمال أسداس

قال : ثم نظمت صورة أُخرى فقلت :

ثنتان من أُم جدّ شبهة وأتت من حافل الجد الأولى أيها الناس
بابنتين وبابن عاصب وتوفى الواطئون فمالُ الجد أسداس

على أن الناظم قد أجاب نفسه بقوله وهو مناسيخه بخلاف ما قبله ، فإنه من بطن واحدة :

ام واختان منها وابن عمّ أب قد مات والمال لم يدركه إمساس
ثم ابنتين وابن واحد ولد من إحدى الأختين فالميرات أسداس/ ٢٢٤

ومن نظمه مما أخبر أنه أول شيء نظمه قوله :

وَخَوْدٍ[2] سَبَتْ عَقْلى بلين قوامها
تَثَنَّتْ فما سمر الرماح وما القطب

---

(١) في الأصل : و ممن .

(٢) الخود : هي الحسنة الخلق ، الشابة : (القاموس المحيط) .

رَدَاحٌ تراءتنى احتشاماً ففرقت
سِهامَ ألحاظٍ ريشها ذلك الهدب
أَصَابَتْ فُؤَادِي فابتليت بأسْرِها
وولّتْ وما ألوت وريحها العجب
وجارت ببعد وهى أقرب جارة
وما ضرنى إلا التباعد والقرب

ومن نظمه أيضاً ما أنشدنيه ولده عن صهره القاضى ، علاء الدين ابن خطيب الناصرية ، عنه قولة فى العشرة المشهود لهم بالجنة ، قال ولده : وهو أول من عملها فى بيت واحد :

أسماء عشر رسول الله بشرهم بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعيد، سعد ، على ، عثمان ، طلحة ، أبو بكر ، ابن عوف ، ابن جراح ، الزبير ، عمر

وأنشدنى أيضاً عن شيخه الحافظ أبى الوفاء فيما أنشده إياه لأبيه :

رباع عشر لهم بالمصطفى شبه سبطاه وابن عقيل كابس قثم
وجعفر وابنه عبدان مسلم أبو سفيان سائب وابن ابن النجادهم

وأنشدنى أيضاً ما وجده بخطّ والده من نظمه ، وسمعه من جماعة من أصحابه ، كالبدر بن سلامة . وعمه فتح الدين أبى البشرى ، وظنا من العلاء القاضى :

الخنصر الوسطى بهام بنصر شهادةُ ترتيب يُمنَى يُؤشَرُ
وأُختُها بهامُ وُسطَى خنصَرُ سَبَّابةُ ، وبعد ذاك بِنْصَرُ

وأنشدنى أيضاً ما وجده بخطّ أبيه من نَظْمِه ، وسمعه من عمه أبى البشرى عنه :

كُلْ كلما شئت ولا تقربَنْ وإن أضرّ الجوع قلقاسا
ولا تقل قاسى أخو جوعه بل آكل القلقاس قُلْ قاسى

وأنشدنى أيضاً مما وجده بخطه من نظمه :

كنت بِخَفْضِ العيش فى رفعة ... مُنْتَصِبُ القامة ، ظلى ظليل
فاحدَوْدَبَ الظهر ، وَها أَضلُعى ... تعدّ ، والأعينُ منّى تسيل

وأنشدنى أيضاً مما وجده بخطه مما كتب به للزركشى قال والظاهر إن البدر وهو معين عندى بخط الوالد ، لكن ما أحقّقه الآن :

فلله ما أبدَى نظام مُرصّع ... من الدر فى جيد الزمان المعطل
يزركش بالإِبْريز مكنون جوهر ... فما ثَمَّ معنى فيه إلاّ وينطلى

وأنشدنى أيضاً مما وجده بخطه من نظم :

ثلاث ليال الشهر غرّ وبعدها ... كذلك شُهْبٌ ثم بهرٌ بَوادِى
وعشر وبيض ثم دُرْعٌ وخُنَّس ... ودُهْم وفُحم ثم بعد دآدى / ٢٢٥

يعنى أن الليالى الثلاث أول الشهر تُسمى « الغُرّ » ، والثلاث التى بعدها « الشُهْب » والثلاث التى بعدها « البُهْر » والثلاث التى تليها « بوادى » وهكذا إلى آخرها .

وأنشد « العلاء ابن خطيب الناصرية » فى تاريخه من نظمه :

أسير بالجرعى(١) أسيراً ومن ... تَجزَعى(٢) لا أعرف كيف الطريق
فى مُنْحَنَى الأضالُع وادى الغَضا ... وفوق سفح الخد وادى العقيق(٣)

وقوله :

وإنىّ بِسُكْنَى تُغَنىٌّ حمامة ... من البَيْن والتفريق مثلى تشكّت
ولو تكُ مثلى ما تحلت بطوقها ... ولا خضّبت كفّاً لها وتغنت

---

(١) الجرعى : الجرعة أو الجرعة : الرملة الطيبة المنبت لاوعوثه فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أوالدعص لاينبت ؛ أوالكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة كالأجرع والجرعاء(فى الكل) . والجرع : الجمع (القاموس المحيط) .

(٢) فى شذرات الذهب لابن العماد : « همى » .

(٣) ٣ وادى العقيق : موضع بالمدينة ، وباليمامة ، بالطائف ، وبتهامة وبنجد ، وسته مواضع أخرى (القاموس المحيط) .

وقوله :

يهنأ بك العيد الذى أنتَ عيده ... ويحيا به الفضلُ الذى عنك يؤثر
عطاؤك يروى عنه وهب ونافع ... وجودك يحكيه ربيعٌ وجعفر

وقوله :

يهنأ بك العام الذى هو عائم ... وحقك فى بحر الندى من جنابك
فدُمْ وابْقَ للعافين ستراً وموئلا ... فكم رام ستراً ناله من جنابك

وقوله :

ساقى المُدام دع الكئوس فكل ما ... فى الكأس من وصف المدامة فيكا
فعل المُدام ولونها ومذاقُها ... فى مقلتيك ووجنتيك وفيكا

وقوله :

وبَدْر فى حَنِين جاء يسطُو ... بسيف اللحظ والقد الرُدَينى(١)
فأنى ينكر القتلى وبدر ... أتانا وهو يخطر فى حنين

وقوله :

برُوحى أفدى من سبَانِى بطَرْفه ... وقدٌ فؤادى منه قدٌ مهفهف(٢)
بوجنتيه وَرْدٌ وآسٌ وعَنبَرٌ ... وريقُه شهدٌ ومِسكٌ وقرقف

وقوله :

لما جنيت الوَرْدَ من وجناته ... سلَّ اللواحظ آخذا بالثار
فأنا القتيل بما جنيت وكيف لا ... الحق أبلج والسيوف عوارى

وقوله :

بسالف العيش قد طابت سلافات ... مذ سبيت بالحى ليلا سلافات

وهى قصيدة طويلة ، ومما نسب إليه قوله :

جمراتُ همِّك أرمها بمُدامة ... وادى العقيق بلونها موصوف

---

(١) الردينى : الرمح ، نسبة إلى « ردينة » وهى امرأة اشتهرت بتقويم الرماح (المنجد) .

(٢) القرقف : والقرقوف : هى الخمر يرعد عنها صاحبها (القاموس المحيط) .

فالعود زمزم والمقام صفا لنا والكاس يسعى والحباب يطوف

وكتب إليه العلامة « الشمس ابن الجزرى المقرى » مُلْغزا فى فيل
مانصه حسبما سمعتُه مع جوابه من لفظه / ولد صاحب الترجمة ذى العلوم ٢٢٥
الشريفة ، والعبارات المفهمة ، وأورده « العلاء بن خطيب الناصرية » فى
ترجمة ابن الجزرى » من تاريخه و « عبد الأرض[1] » وينهى بين يدى مَنْ
هو للدين والعلم محبُّه وإمامه ، وللرأى والملك نظامه وقوامه ، وللفضل
والجود سحائبه وغمامه ، وللسلم والحرب روحه وحُسامه ، إنه بعد مفارقة
وجهكم الجميل ، كابد ذاك الوجع الثقيل ، وتزايد به قلق ، وساده العريض فى
الليل الطويل ، حتى خطر له شىء قليل ، ضامن معنى كفيل ، يدعو إلى اسم
جليل ، ونظمه ، وخص به / فضلكم الجزيل ، لعلمى أن ذهنكم الصحيح ٢٢٦
يشفى العليلَ بل الغليل ، فإنه المحبُّ الصادق فى الحقيقة :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وهو :

ياإمام الوَرَى بغير عديل وهُمام الوغى بغير مثيل
أيُّمَا اسم على ثلاث حروف وهو ذو أربع بشكل مهول
قد براه الإله خَلْقاً سويًا فهو ذو قوة وبطش جليل
ترهب الناس كلهم من سُطاه إن يمل نحوهم بشىء طويل
ورأينا به الجبار لعُوبا مع نساءٍ وصبْية وكهول
حيوان حىٌّ وميتُ جماد لم يزل بين آكل مأكول
وترى قلبه يكون نباتاً فى رياض الجنات بين النخيل
فيك منه التصحيف بل فىّ منه وكذا بى من قلبه أى قيل
ذكره جاء فى القرآن صريحاً واسمه باسم صاحب وخليل
وهو فى وقتنا لسلطان مصر فى قضاء بالعدل خير عديل
ومُشيرٌ لكنْ بنصح مليك وجمال لكن برأى جميل

---

(١) هكذا وردت العبارة فى الأصل « عبد الأرض » .

فأجبنى ياذا العلوم فإنى كدت أنى أُحلـّه بعقول

فأجابه بقوله : يقبل الأرض ، واضعاً جبهة الاعتذار لديه ، خاضعاً لقلة أدبه بين يديه ، وينهى أن مولاها لم يزل فى حلبة الفضائل مُجلّياً ، وعلى السلف الأفاضل مسلماً ومصلياً ، وتصدقت أعزك الله بسؤال هو من جملة أفضالك ، وما أحسنها صدقة منك على بسؤالك ، فقرعتُ برُمح العلم منى سنّى ، وتجشّمت الإجابة ، وليس ذلك ، فى ، فإنى كثير الخطا مستضعف الرهط بأقله ، قليل الخطا ، فليتق الله سائله :

أيها الحر ذا المقام الجليل والبهاء والتُّقى وفضل الجميل
حيث كانت من عبيدك قنّا أنفقتْ عتقه زوايا الخمول
كيف بالله عزّ عزمُك يرضى باحتيال على كسير ذليل
٢٢٧ فى جواب عن قيل مثلك سِيمَا فى عظيمين هائل ومهول /
ملك الإنس والوحوش وإنى فيهما الآن بين قال وقيل
اسم هذا هو اسم ذاك ومعـ ـنى ذاك هذا وخُصّ حسن مقول
قلب هذا وذاك بحر حواه ثلث الحرف من حروف المسيل
فالخماسىّ منه مالك رُقّ ذا عُلاً لم يزل وظلّ ظليل
لكنه الآن قلبه فى اجتماع بحبيب له ونيل الوصول
ليته لو عَلىّ يعطف يوماً فهو لى كافل وخير كفيل
خمساه يصيبك الآن منه فتمتع بذا الحباء الجزيل
طرفاه كدٍّ بحر عظيم أو كُدٌّ لكل رزق مكيل
وإذا ما قلبت ذين تجد ما مثل لونٍ بخد أسيل
وبقلبى لذين تدعو طويلا لك يا خير صاحب وخليل
والثلاثى قلبه فى حليف رافل فى الرياض بين النخيل
إن تصحفه تلق فتكا وقتلا قبل قيل فحُطّه عن قليل
فىّ منه وفيك ذا إذا ما صحّف الثلث منه فأصغ لقيل
وادعُ لى بالخلاص والفوز مما أنا فيه من الفراق الطويل
فلك الله من ولىّ علوم ما له فى اقتنائها من مثيل

ثم ألغز إليه صاحب الترجمة فى حنيفة ، وكذلك كما سمعت أيضاً من لفظ ولده ، زاده الله من فضائله ومدده ، فقال : « ما قول مولانا القاضى الفاضل ، الذى لم يزل على رفعة علم العلم يناظر ويناضل ، فى اسم لا حقيقة لتأنيثه ، ولا سبيل إلى تنصيفه وتثليثه ، هو أبو حىّ من العرب ، وأبوه مخصوص بالقرب والقُرَب ، معروف بالإمامة ، موصوف بالزعامة ، ذهبُ مذهبه خالص ، وحظ مَنْ عدل عن طريقته ناقص ، كم أطال وأطاب ، وأناف وأناب ، واجتهد فأصاب ، تصحيف بعضه حين من الدهر ، وأحد أجزائه موجود فى الزهر والنهر ، قلبه مع طرفيه حيوان مرهوب ، وباقيه فن سرُّه غير محجوب ، وثم أعمال أُخر ، تركها خوف الضجر ، والنور ما بين الشجر ، يكشف أخبار الثمر . ومولانا — أعزه الله تعالى — هو الجدير أن يحلّه ويكسوه من حُلل ألفاظه أحسن حُلـّة : فلقد أذكرتنى عامرية أقلامك ورْد العهاد ، ومطارحة آدابك قدح الزناد :

يا حائزاً قصبات السبق مبتدئاً ... رفعت قدرى بالتساؤل عن خبرى / ٢٢٨
أيقظت راقد أفكارى فقلت له ... حييت يا ميْت إذ أمددت بالجزرى

قلت : وما أدرى هل أجابه الشمس عنه أم لا ؟ ووجد بخط صاحب الترجمة ما نصه : أرسل الولد بدر الدين الشُّمُنِّى ، رحم الله سلفه ، لُغْـزاً فى رمان ، وهو :

أيا فاضلا فى جبهة الدهر غُرَّةٌ ... وفى فلك العلياء زاهٍ وزاهر
عرضت على أبكار أفكارك التى ... يُرَى الفضل منها وهو هامٍ وهامر
فما اسم لحلو نصفه بعد عكسه ... وتصحيفه مُرٌّ وها هو ظاهر
فرمْ شطرَه تَلْقَاهُ غير مُمَنَّعٍ ... ويأتيك عن وجه الملاحة سافر
وفى العكس مع تبديل أولاه سيدى ... تجده سميماً طائماً حين تأمر
فبيّن رعاك الله سرَّ رُموزه ... وسَهِّل وأوضح إنَّ فهمى قاصر

قال : فأجبته . قلت : وألغز له بعد الجواب فى العنب .

سألت وطرف الفكر ساه وساهر
وبدر علاك التم باهٍ وباهر

عن النجم يبدو فى سمائه زبرجد
يضىء نهاراً وهو زاه وزاهر
فرم آن ما تبغى جناه مسهلا
فما عنه تم الآن ناه وناهر
ودم رافلا فى روضة الفضل دائماً
وبحر ندا علياك واف ووافر
وان تَـرُمْ الأعلى فدونك أنجما
[تضامت(1)] و [للأفلاك(2)] شاك وشاكر
الأنثى حرام بكرها وعجوزها
والابن فنعم الِحلّ طاه وطاهر
وان نكح الأنثى أبوها مصحناً
تولد عنها وهو طاف وطاهر
على أنه عيش لكل مؤمل
يجود لعمرى وهو هام وهامر
وتصحيفه عيب فكم كان قبله
يروى به فى الناس صاد وصادر

ومن نثره : ما كتبه على نزول الغيث ، للبدر الدماميني ، فى سنة خمس وتسعين ، وصورته كما قرأته بخطه : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وقفت على هذه النبذ التى جرت على نهج البلاغة نكتها وعيونها ، وجمعت أشتات / الفضائل ، فأقرت لها الأفاضل ، وقرت عيونها ، فلم أزل ٢٢٩ ولله الحمد رافلا فى رياض معانيها ، مستجلياً فى حلل ألفاظها عرائس مغانيها اجتنى من مغارسها ثمار الفوائد ، واجتلى من عرائسها أبكار الحسان الفرائد أعوّذ فريد حسنها البديع بالسبع المثانى ، وأجلّ واشى بردها الرفيع أن يشفع

(1) مابين المعقوفين ورد بهامش الأصل هكذا تضامت .

(2) مابين المعقوفين فى الأصل : للاولاد ، وورد بالهامش للأفلاك وهو الذى يتفق مع المعنى .

بنان ، فلله من أنفاس تسر النفوس ولا الكئوس ، ويا عجبا كم بهذه الطروس من غروس :

شموس أطلعت أقمار فضل ... تزف على يد البدر التمام
فبتن بجانبي مُصَرَّعاتٍ ... وبت أفضُّ أغلاق الختام

فتح من باب المناضلة مالا طاقة به لذوى الجدال ، وحلى جيد الزمان العاطل[1] بجواهر سحره الحلال ، قدح زناد المطارحة فى أفانين البلاغة فورت وأجرى جياد فكره فى ميادين الفصاحة ، فأوكبت به[2] وما كبت ، اقتعد غارب السيادة فلا يبارى ، وأحرز قصبات السبق فما يجارى ، معاقل أفكاره حجال العقائل ، ولعمرى هو الأحق بقول القائل .

وإنى وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل

جمل الله الوجود بوجوده ، وأسبغ عليه ملابس نعمة وجوده ، ولا زال جيد الدهر به حالياً ، ولا رئى ربع الفضائل منه خالياً ، ليجبر به ربيع الفضل بعد ما غبر ، ويقال هذا الاسكندرى قد ظهر .

ومن فوائده ؛ أنه ورد كما قرأته بخط تلميذه العلاء بدر الدين بن سلامة شيخ المذهب الحنفى ببلاد « حلب » ، سؤال من العلامة البدر الدماميني فى موضعين من كلام « الكشاف » أحدهما ما ذكره فى قوله تعالى : « إن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم[3] » فإنه قال (ونكفر) قرىء بالنون مرفوعاً عطفاً على محل ما بعد الفاء ، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ونحن نكفر

---

(١) عطلت المرأة عطلا وعطولا وتعطلت إذا لم يكن عليها حلى ، فهى عاطل وعطل من عواطل وعطل وأعطال ، ومعتادتها معطال ، ومعاطلها مواقع حليها ، والأعطال من الخيل والإبل التى لاقلائد عليها ولا أرسان لها ، والتى لاسمة عليها ، والرجال لاسلاح معهم ، واحدة الكل عطل والأشخاص والتعطيل : التفريغ والإخلاء وترك الشىء ضياعا (القاموس المحيط)

(٢) أوكب : لزمهم ، وكب يكب وكوبا ووكبانا : مشى فى درجان ومنه الموكب للجماعة ركبانا أو مشاة ، أو ركاب الإبل للزينة (القاموس المحيط) .

(٣) سورة البقرة آية ٢٧١ .

أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة[1] ومجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط . انتهى .

استشكل هذا الفصل من وجهين ، أحدهما : أن ما بعد الفاء جملة لا محل لها من الإعراب ، لارفعاً ولا نصباً ولا جرا — وهو واضح — ولا جزماً لأن الفاء الرابطة للجواب مانعة من جزم ما بعدها ، لو كان مما يقبل الجزم فكذا ما يقع / موقعه ، فكيف يقول عطفاً على محل ما بعد الفاء ، والفرض أن لا محل له .

٢٣٠

وثانيهما ، أن قوله : ومجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده لأنه جواب للشرط صريح ، فى أن الفاء وما دخلت عليه فى محل جزم . وكذا قال غيره لكنه مشكل لما تقرر من أن الجملة لا تكون ذات محل من الإعراب ، إلا إذا كانت واقعة موقع المفرد ، وليس هذا من مجال المفرد ، حتى تكون الجمله الواقعة موقعه ذات محل من الإعراب ، لأن جواب الشرط لا يكون إلا جملة ، ولا يصح أن تكون مفرداً ، فالموضع للجمل بالأصالة .

وأما جزم الفعل فليس بالعطف على محل الجملة ، وإنما هو لكونه مضارعاً وقع صدراً لجمله معطوفه على جملة جواب الشرط الجازم ؛ وهى لو صدِّرت بمضارع لكان مجزوماً فأعطيت الجمله المعطوفة حكم الجمله المعطوف عليها ، وهو جزم صدْرها إذا كانت فعلا مضارعا .

الموضع الثانى : قوله — تعالى — : وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين[2] قال الزمخشرى : « ماذا » منصوب . بـ « أنزل » بمعنى أى شىء أنزل ربكم ؟ أو مرفوع بالابتداء « بمعنى أى شىء أنزله ربكم » ؟ ، فإذا نصبت : فمعنى « أساطير الأولين » ما تدعون نزوله ، أساطير الأولين . وإذا رفعت ، فالمعنى ، أساطير الأولين . كقوله :(ماذا ينفقون ، قل العفو)[3] فيمن رفع .

---

(١) وجدت تهميشة على الأصل تقول : أى مقطوعة عن الجزاء غير داخلة فى حيزة بل معطوفة على الجملة الشرطية وهى قوله « إن تبدوا ... الخ » فهذا معنى قوله جملة مبتدأة .

(٢) سورة النحل آية ٢٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٢١٩ .

هذا كلام استشكل . فقال : الذى يظهر أن « أساطير الأولين » ؛ خبر مبتدأ محذوف ، تقديره « المنزل » أو « ما تدعون نزوله » ، سواء جعل « ماذا » فى محل رفع ، أم فى محل نصب ؟ ولا يظهر وجه لتخصيص « ما يدعون » نزوله بصورة النصب ، وتخصيص المنزل بصورة الرفع ، ولا يخفى أن هذين المبتدأين المقدرين مؤداهما بحسب المعنى واحد ، فإنه ليس المراد بالمنزل الذى أنزله حقيقة ، وإلا كان مناقضاً «لأساطير الأولين » ، وانما هو على سبيل التهكم من المشركين كما أشار اليه الزمخشرى ، أى « الذى أنزل على زعمكم هو أساطير الأولين » .

وإذا استويا من حيث المعنى ؛ فكيف يأتى القول بأن أحد المقدّرين يختص بصورة « النصب » ، والآخر بصورة « الرفع » ؛ قال « المولى قطب الدين الشيرازى » : قول « الزمخشرى » عطفاً على محل ما بعد « الفاء » بناء على أن « حرف الشرط » لا يعمل فيما بعد « الفاء » ، لأن الجزم رابطة و « الفاء » رابطة ، فاستغنى بـ « الفاء » عن الجزم . وقال « التفتازانى » : قوله :على محل ما بعد الفاء معناه أنه بمجموع الجزاء ، وهو « الفاء » مع ما بعدها بجزوم . وما بعدها وحده « مرفوع » . إذ لا أثر للعامل فيه ، فقراءة الرفع والجزم « محمولة » على الاعتبارين / .

٢٣١

وأجاب عنه صاحب الترجمة بقوله : « الحمد لله ، الجواب عن الوجه الأول من الاعتراض الأول ، إنا لا نُسلـِّم أن الجملة الواقعة بعد « الفاء » فى الآية الشريفة لا محل لها ، بل لها محل وهو « الرفع » ، لأنه لما حصل الربط بـ « الفاء » امتنع فى مدخولها الجزم ، فبقيت الجملة الواقعة بعد الفاء كما لو وقعت مجرّدة عن القضية الشرطية ، نصّ على ذلك « سيبويه » ، قال « ابن الحاجب » : « الرفع » فى نكفّر و « الجزم » جائزان . واختار « سيبويه » « الرفع » قال « سيبويه » : لأن ما بعد « الفاء » قد صار بمنزلته فى غير الجزاء ، « انتهى » .

ولا يصير فى غير الجزاء إلا مع عدم اعتبار حرف الشرط ، وحينئذ يكون « هو خيرٌ لكم » خبراً عن إخفائكم ، التقدير : « إخفاؤكم هو خيرٌ لكم » ، فمحل هذه « الجملة » الرفع على الخبرية .

قال « الجاربَرْدى » فى شرح « الكشاف » وإنما كان ما بعد « الفاء » مرفوعاً لكونه خبراً لمبتدأ ، خالياً عن « الناصب » و « الجازم » ، فثبت أن الجملة الواقعة بعد « الفاء » فى الآية لها محل هو « الرفع » ووجّهه أكثر المعربين ، وجماعة من شراح « الكشاف » ، بأنه لو وقع بعد الفاء فعل مضارع لكان مرفوعاً ، كما فى قوله . (ومنْ عادَ فينْتقمُ اللهُ منه)[1] ، لكن بمجرد كونه مرفوعاً لا يدل على مقتضى الرفع فيه ، والمدار عليه .

وعن الوجه الثانى : بأن كون « الجملة » ذات محل من الإعراب مشروط بصحة وقوعها موقع المفرد ، ومفهوم كلام « الزمخشرى » أن « الفاء » وما دخلت عليه فى محل من الإعراب مشروط بصحة وقوعها موقع المفرد ومفهوم كلام « الزمخشرى » أن « الفاء » وما دخلت عليه فى محل « جزم » على ظاهره ، ولا يناقض هذا قولنا أن « الفاء » سلبتْ مدخولها محليّة « الجزم » ، لأننا نحكم هنا بمحليّة « الجزم » المجموع من « الفاء » ومدخولها ، ولا يناقض كون بعض المحكوم له بمحلية لا تكون له بها لأن المجموع غير بعضه ، وعلى هذا يكون العطف بالجزم ، له وجه صحيح ، بخلاف توجيه بعضهم بما ذكر فى السؤال إذ هو بعيد ، لأن ذلك عطف على توهم مضارع مجزوم صدّر به الجواب ، كما فى قوله ، « ولا سابق » عطفاً على توهم الباقى قوله مدرك من قوله .

بدا لى أنى لستُ مدرك ما مضى   ولا سابقٌ شيئاً إذا كان جائيا

وقضى كثير من الأكابر منهم « أبو بكر الأنبارى » أن ذلك نادر لا يقاس عليه ، كما هو منقول عن « سيبويه » ، فإذنْ لا يجوز التوجيه به فى القرآن الكريم ، وقول بعضهم أنه يسمى فى القرآن عطفاً على المعنى ، وفى غيره على التوهم بعيد عن التحقيق ، لأنه ضعف هذا العطف باعتبار ماهيته ، وهو كونه مشتملا / على معطوف ذى إعراب ، لا مقتضى له إلا باعتبار لقبه . وما هيئتُه لا تتغير بتغير لقبه ، فلا ينفى ضعفه تسميته . ٢٣٢

---

(١) سورة المائدة آية ٩٥ .

وأما ما ورد على هذا من أنه ليس واقعاً موقع المفرد وقد اشترطوه ، لكون الجملة ذات محل ، فيكون تناقضاً ، إذ لا يصلح فيه المفرد ، فنقول: المراد من ذلك اشتمالها على معنى المفرد لتستحق ما يستحقه المفرد من الإعراب ، غير أنهم استدلوا على ذلك بوقوعها موقع المفرد حيث يتأتى المفرد .

ولمّا لم يتأتّ فى جواب الشرط ؛ استدلوا بعدم تصدّرها بمفرد يقبل الإعراب لفظاً أو محلا فيقع من الجملة [ ][1] أزيد منه فكانت كالمفرد فاستحقت ما يستحقه ، واختصاص ذلك بحال الاقتران بـ « الفاء » لفظا أو تقديراً معروف .

وأما جزم « الفعل المضارع » الواقع صدر الجملة ، فمجرد كونه كذلك لا يوجب جزمه ، بل لا بد من مقتضى له ، والمجيب الثانى منع فى الوجه الأول كون الجملة لا محل لها ، وجعل سند المنع اختلافهم فى نحو « من يكرمنى أكرمه » ، هل الخبر الشرط أو الجزاء ؟ قال : فعلى الثانى تكون الجملة خبرية ، وكل جملة خبرية فلها محل . وعلم من هذا أن محلها الرفع ، ولقد أجاد حيث ركب مطلوبه من الشكل الأول ، واستنتج منه كون محل هذه الجملة الرفع ، لكنه غير مُجدٍ لأنه بنى على قول ضعيف ، ربما لا يرتضيه السائل بل يزيّفه ، وعلى تقديرٍ تسليمه له . فإنما الخلاف فيما كانت أداة الشرط اسماً كمن فى مثاله وليس ذلك مما نحن فيه .

ثم اختار فى الموضع الثانى من السؤال الأول ؛ إن المراد من قولهم (يحل محل المفرد) أن يكون مع تغيير ما فى التركيب ، أو بغير تغيير ، فإذا قلت : « إن جاء زيد فهو مكرم » ، كان معناه أن إكرام زيد مرتب على مجيئه ، وهو أيضاً منقوض بدخول ما لا محلّ له فيما له محل ، نحو : « لو جاء زيد كان مكرماً » ، إذ فيه ترتب الإكرام على المجىء ، ولا محل له باتفاق .

---

(١) بياض بالأصل بمقدار كلمة .

وأما الجواب عن الاعتراض الثانى ؛ فإنه لما كان جواب ماذا يجب أن يكون مطابقاً فى النصب والرفع لكونه كالبدل منه ، وقد قرر المصنف فى « ماذا » رفعاً ونصباً ، والجواب وهو « أساطير الاولين » بالرفع ، لأن جواب المرفوع مرفوع ، وجواب المنصوب منصوب ، فلم يقرأ أحد « أساطيرَ » بالنصب ، قال « الزمخشرى » : فإذا نصبت ماذا فعنى « أساطير الأولين » ما يدعون نزوله « أساطير الأولين » ، فالدعوى فى المعنى ، تسلطه على ما ، كما سلطه عليها أنزل / فتطابقا معنى ، مع بقاء الرفع فى « أساطير » وصارت الجملة فعلية ، و (ذا) لغو ؛ ومطابقة الرفع يجعل الاستفهام جملة إسميه من « ما » و « ذا » وجعل الجواب لذلك ، وهو قولك : المنزَل أساطير الأولين ، وليس عما قرر فى مطابقة الرفع فى قراءة مع رفع « العفو » فى جواب « ماذا ينفقونَ » ، وقد اتضح ولله الحمد وجه التخصيص ، وتبين المقتضى له .

٢٣٣

وقد أجيب عن هذا الاعتراض ممن سلف بما يقارِبُ هذا ، قال صاحب « التقريب » : فى كلام « الزمخشرى » نظرٌ ، إذ لا مقتضى للتقدير فى أحدهما بما فيه صورة فعل وهو ما يدعون وفى الآخر بالمنزل ، وأيضاً ؛ فلم خالف بين لفظى الدعوى والإنزال فى التقديرين ؟ ، مع أنَّ حَمْلَ الأول على السخرية . ثم قال : ويمكن أن يجاب عن الأول ؛ بأن الرفع أدَلّ على ثبات الإنزال من النصب ، لأنه جملة اسمية ، فقال فيه : « المنزل أساطيرُ » ، « تدعون أساطير » ، وإن « أنزل » فى النصب باق على فعليّته ، فيقتضى فى الجواب فعلا ، ولم يمكن مطابقة الجواب السؤال مطلقاً ، لأن « أساطير » مرفوع مقدر بمفرد لأنه خبرٌ ، « أىْ » أىّ شىء المنزل ، فأتى بالجواب بما يجانسه ، فقال : المنزل أساطير الأولين .

وفى الجواب الثانى : أشار إلى ما قررته غير مفصحة به .

ولقد حاز قصبات السبق فى التعبير عن هذا المعنى مولانا شيخ الإسلام رُحلة العلماء الأعلام ، قاضى القضاة « جلال الدين البلقينى » — عظم الله شأنه — وكان — ولله الحمد — فى ذلك السبق مجلّياً ، لحظّ المُوَشّى لهذا المعنى

البديع ، أن يكون وراءه مصلياً ، ولله در السائل ، حيث أورد هذه المسائل وما هذا بأول فضله وأفضاله ، ومتى يسمح الزمان بناسج على مِنْوَاله ، جمع الله به الشمل فى خير وعافية ، قلت : ورأيت تمام الفائدة إيراد الجوابين المشار إليهما . فأما جواب « البلقينى » فنصه :

أما السؤال الأول : فجوابه أن مقصود « الزمخشرى » ومن قال مثل قوله بهذا الكلام ؟ أن محل ما بعد الفاء مرفوع ، أنه لو وقع بعدها فعل مضارع لكان مرفوعاً ، كقوله : (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ)[1] ، فقول السائلُ يقع الله به أن ما بعد الفاء إلى آخره يُشير بذلك إلى الآية التى نحن فيها ، وهى قوله تعالى : (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)[2] ، وهذه جملة لا محل لها — كما ذكر — لكن مرادهم ما ذكرناه فخرج الجواب .

وأما السؤال الثانى : فقولهم موقع المفرد : يريدون به ما يظهر فيه الإعراب ، فإنها إن كانت خبريّة كان الواقع موضعها مفرداً مرفوعاً . وإن كانت حاليّة :كان مفرداً منصوباً .

وإن كانت مضافاً إليها :كان مفرداً مجروراً . وإن وقعت صفة : فهى بحسب موصوفها ، وإن وقعت لجواب شرط جازم ؛ فتقع موضعها مضارع يظهر فيه الجزم . ولا يقال / الفعل مع فاعله جملة ، لأنا نقول المراد بالمفرد ما قلناه ، وإذا كان هذا مرادهم فلا اعتراض . ٢٣٣

وأما السؤال الثالث : فجوابه أنه إنما خصصه به لأن « أساطير الأولين » مرفوعة فى قراءة السبعة ، فقدر وجه الرفع بما يظهر فيه الرفع ، ويتأوّل نصبُه بالمعنى ، وذلك أن قوله : « ما تدعون نزوله أساطير الأولين » منصوب بـ « يدعون » لتحصل مطابقة الجواب السؤال ، من حيث المعنى لا من حيث اللفظ ، يدل عليه قوله فيمن رفع « قل العفو » وهى قراءةُ « أبي عمرو » .

(١) سورة المائدة آية ٩٥

(٢) سورة البقرة آية ٢١١ .

وجوّزوا على قراءة « أبى عمرو » وجهين ، أحدهما وهو الأول : أن تكون « ما » فى موضع رفع بالابتداء ، و « ذا » موصول بمعنى الذى وهى خبره ليطابق الجواب السؤال ، ويكون « العفو خبر مُبتدأ محذوف أى قل : المنفق العفوُ .

والثانى : أن تكون « ماذا » كلمة استفهاماً منصوب بينفقون ، وتكون المطابقة من حيث المعنى لا من جهة اللفظ ، كذلك هنا تكون « ما » مبتدأ ، و « ذا » موصول بمعنى « الذى » ، والتقدير « المنزل أساطير الأولين » ، ويجوز أن يكون « ماذا » كله اسماً واحداً استفهاماً فى موضع نصب بأنزل والتقدير : « الذى تدّعون نزوله أساطير الأولين » ويتأول « يدّعون أساطير الأولين » فليتأمّل ذلك فإنه حسن ، ولم أر مَنْ ذكره ، وتعقب الشيخ « أبو حيان » على « الزمخشرى » فى قوله : أو مرفوع بالابتداء ، فقال : أجاز « الزمخشرى » أن يكون « هذا »[1] مرفوعاً بالابتداء ، قال : بمعنى أى شيء أنزله ربكم ، وهذا لا يجوز عند البصريين إلا فى ضرورة الشعر ، وكأنه أراد المعنى الأول ، الذى ذكرناه أنه يكون « ما » مبتدأ ، و « ذا » موصولا بمعنى « الذى » فلم يُحسّن العبارة عنه ، والله أعلم بالصواب — كتبه « عبد الرحمن البلقينى » .

وأما جواب الثانى ؛ وهو العلامة « الشمس البِسَاطى » فنصّه :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آل محمد وأصحابه ، وبعد : فقد تصفحت ما دل على هذه [الأسئلة][2] العظام ، وما كتب عليها بعدها شيخ الإسلام ، وحققه بعبارته فى افتتاح الكلام ، وليس لأحد بعده الاقتفاء والزيادة بعد الاكتفاء فأقول : أما الوجه الأول من الوجهين اللذين استشكل بهما قول « الزمخشرى » ؛ أنه معطوف « على محل ما بعد الفاء » ، ففيه حشو مستدرك ، لأن قوله : ولا جزما « ليس له ولا لبيانه دخل » إذ الغرض توجيه الرفع ، فيكفى

(١) ورد فى الأصل « ماذا » .

(٢) — مابين المعقوفين ورد بالأصل : الأسوة .

فيه إبطال كون ما بعد الفاء مرفوعاً ، وبيانه بإبطال الجزم فيه أيضاً نظر ؛ لأن النحاة اختلفوا فى هذه « الفاء » ، هل هى عاطفة جملة على جملة ، أو هى سببية ؟ فعلى الأول ؛ إذا كانت جملة الشرط فى محل الجزم يلزم / قطعاً أن تكونَ جملة الجزاء كذلك ، والجواب عنه منع كون التى بعد الفاء لا محل لها ، وسنده اختلافهم فى مثل : « من يكرمنى أكرمه » هل الخبر الشرط أو الجزاء ؟ فعلى الثانى : تكون الجملة خبرية ، وكل جملة خبرية فلها محل ، وحُكمِ مِنْ هذا أن محلها الرفع ، ولا أقول كما قال الشيخ ، أن معنى كونها فى محل[1] رفع ، إنه لو وقع موقعها مضارع ، لكان مرفوعاً لما يلزم على طرده من أن محلها مع الفاء يجوز أن يكون مرفوعاً ، ولأنه لا يخلص فى رفع المعطوف عليها .

٢٢٤

وأما الوجه الثانى من الوجهَيْن المذكورين فآخر الكلام يقتضى عدم تخصيص « الزمخشرى »[2] عون وقال فى أول الكلام : إنّ الطالب استشكل هذا الفصل ، وظاهره على « الزمخشرى » ، والأمر قريب ، وكأن هذا السؤال نشأ من أنّ معنى قولهم : الجمل التى لها محل من الإعراب ، هى التى تحُل محل المفرد . إنه لو أتى بمفرد موضع تلك الجملة بقى التركيب بحاله صحيحاً كـ (جاء زيد يضحك وضاحكا) ولذلك قال فى آخر السؤال ؛ لأن جواب الشرط لايكون إلا جملة ، وليس هذا معنى كلامهم والله أعلم . وإلا لتخلف فى المحلية مع القول ، والمعلق عنها العامل وشبه ذلك ، وإنما معناه بقاء الكلام على حاله ، وهى هاهنا كذلك فإذا قلت : « إن جاء زيد فهو مكرم » كان معناه أن إكرام زيد ، مرتب على مجيئه ، فهذه أمور دلت ألفاظهم عليها ، ومن تدبرّ كلامهم لم يكن هذا عندهم عزيزاً يقتضى الرحلة والله أعلم .

وأما الكلام الواقع بعد ذلك فى موجبية جزم الفعل ، فمنظور فيه ، أما أولا فقوله لكونه مضارعا ، وقع صدر الجملة معطوفة على جملة جواب

---

(١) وردت بهامش الأصل مايلى : فيه مذهبان أصحهما أنه الشرط ، فعلى هذا من محله فى لفظ يكرمنى الجزم ، وفى محله الرفع لكونه خبرا لها .

(٢) هكذا وردت بالأصل .

الشرط الجازم حكاية الواقع ، وليس فيه مناسبة لجزمه بوجه إلا إذا كانت الجملة التى عطف عليها مجزومة .

وأما ثانيا فقوله ، وهى (لو صُدّرت بمضارع لكان مجزوما) إن عنى به منع الفاء فممنوع ، وإن عَنىَ من غير فاء فمسَلمٌ ، ولكن [مسألتنا[1]] ليست كذلك .

وأما السؤال الثالث ، فمنشؤهُ من جَعْـل الزمخشرى كذا أوكذا صناعيا كما يظهر من قول السائل (أساطير الأولين) خبر مبتدأ محذوف على التقديرين ، وكذا قوله (مؤداهما بحسب المعنى واحد) ، والزمخشرى لم يخالف ذلك ، بل صريح كلامه أنه خبر ، وإنما مراده أنه أى شىء فى التركيب الأول منصوب ، فالمناسبه أن يؤتى فى الجواب بما إذا تؤُمّـل فُهِـمَ منه السؤال ، فإذا تؤمل الذى يدعون نزوله (أساطير الأولين) فهم منه أن السؤال عن أى شىء وقعت عليه الدعوى ، ومن هذا عُلم وجه الآخر والله أعلم .

وللمتنبى قصيدة أولها : /

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

وهى قصيدة فيها حِكَمٌ . كتبت هذه الأجوبة الثلاثة والسؤال من خط ابن سلامة المذكور أولا ، والله المستعان .

القاضى بدر الدين أبو محمد

محمود بن أحمد بن موسى العنتابى الحنفى

٧٦٢ — ٨١٩

محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود ، القاضى بدر الدين أبو محمد ، وقيل ،أبو الثناء ، ابن القاضى شهاب الدين ، الحلبى الأصل ،

---

(١) مابين المعقوفين وردت فى الأصل هكذا [مسئلتنا] .

بدر الدين العنتابى : له ترجمة بالضوء اللامع ج ١٠ : ١٣١ وله أيضا ترجمة فى شذرات الذهب ج ٧ : ٨٢٦ ط . القدسى .

العنتابىّ المولد، ثم القاهرى، الحنفى أحد الأعيان.

كان مولد والده بحلب فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وانتقل إلى «عنتاب» وولى قضاءها فولد له بها ابنه البدر، وذلك كما قرأته بخطه فى سابع عشر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة فنشأ بها، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلوم من سائر الفنون على العلماء الكبار، فقرأ «مراح الأرواح فى التصريف على «الشمس محمد الراعى» بن الزاهد، وكذا قرأ عليه «الشافية»، وشرح الشمسية» و «رموز الكنوز» للآمدى، وسمع عليه بقراءة شخص يسمى أيوب الرومى «الطوالع» للقطب، وهذا الشيخ ممن أخذ عن الركن قاضى «قرم[1]» وأكمل الدين ونظرائهما.

ثم قرأ «المفصل فى النحو» و «التوضيح منية التحقيق» على الأثير «جبريل بن صالح بن إسرائيل البغدادى» تلميذ التفتازانى، وهو قرأ على الشرف «الأرزنجانى»، وهو على والده وجيه الدين شارح «المشارف»، وهو على مصنفه، و «المصباح فى النحو» أيضاً على الشيخ «خير الدين القصير»، وسمع «ضوء المصباح» على «الشيخ ذى النون»، وتفقّه «بميكائيل» قرأ عليه «القدورى» و «المنظومة»، وسمع عليه مجمع البحرين، وهو ممن قرأ على «الفخر إلياس»، و «العلاء المشرقى»، وقرأ على «الحُسام الرُهاوى» مصنّفة «البحار الزاخرة فى المذاهب الأربعة»، وكذا تفقه بأبيه، وقرأ المعانى والبيان والبديع على «الفقيه «عيسى بن الخاص بن محمود السرمارى»، وسمع عليه غالب «الكشاف» وقال فى موضع آخر: أنه قرأ عليه من «الزاهراوين» قراءة بحث واتقان، وبقية الكتاب «أجازة»، وقرأ عليه «التبيان» وشرحه لشيخه «الطيبى»، وكذا «المفتاح» للسكاكى، وهو قرأه على الطيبى أيضاً.

ومن شيوخ «السرمارى» أيضاً «الجاربردى» والشمس «التبيزى»، وتاج الدين الكردى، وأخذ البدر فى سنة ثمانين «تصريف العربى»

---

(١) قرم: قرى، قرية بوادى القرقرى باليمامة، وفى معجم بالبلدان «قرما» أيضا بين مكة واليمن على طريق حاج زبيد (معجم البلدان لياقوت).

٢٢٧ و « الفرائض السراجية » وغيرهما عن « البدر محمود بن محمد بن عبد الله / العنتابى » الواعظ المذكور فى سنة خمس وثمانمائة من أبناء شيخنا .

وبرع فى هذه العلوم وباشر النيابة عن والده فى قضاء عنتاب » ، وارتحل إلى حلب فى سنة ثلاث وثمانين ، فقرأ على « الجمال يوسف بن موسى الملطى البزدوى » وسمع عليه فى « الهداية » وفى « الأخسيكتى » .

وأخذ عن شارح « الفرائض السراجية » حيدر الرومى[1] ثم رجع إلى بلده ، ولم يلبث أن توفى والده فى السنة التى تليها ، فارتحل أيضاً ، فأخذ عن « الولى البهسنى » « بهسنا »[2] ، « وعلا الدين بكختا » و « بدر الدين الكشافى » بـ « مَلَطْيَةَ » ، ثم عاد إلى بلده ، وارتحل منها أيضاً ، فحج ودخل دمشق ، وزار « بيت المقدس » ، فلقى العلاء أحمد بن محمد السيرامى الحنفى » وليس بجدّ الشيخ « عضد الدين » بل هو آخر ، بالشغ[3] المشيخة عنه جد المذكور فى سنة تسعين ، ثم خلفه ولده « نظام الدين يحيى » ثم « عضد الدين » يرحمهم الله .

ولما اتى صاحب الترجمة العلاء استقدمه معه القاهرة ، وذلك فى سنة ثمان وثمانين ، وقرره صوفياً بـ « البرقوقية » أول ما فتحت فى سنة تسع وثمانين ثم خادماً ، ولازمه حتى أخذ عنه أكثر « الهداية » وقطعة من أوائل « الكشاف ومن « التلويح فى شرح التوضيح » « إلى القياس وشرحه على التلخيص » و « التنقيح » .

وهو ممن أخذ عن التفتازانى ، وكذا أخذ عن الشهاب « أحمد بن خاص

---

(١) حيدر الرومى : هو حيدر بن أحمد بن ابراهيم ، أبو الحسن الرومى الأصل ، العجمى الحنفى ، الرفاعى ، نزيل القاهرة ، ويعرف بشيخ التاج والسبع وجوه ، ولد بشيراز فى حدود ٧٨٠ هـ ، وتوفى فى حدود سنة ٨٥٢ هـ .

(الضوء اللامع ج ٣ : ١٦٨)

(٢) بهسنى : من حصون الشام الشمالية وهى قلعة حصينة ذات بساتين ونهر صغير ورستاق وإلى الشمال من عينتاب وبينهما مسيرة يومين (تقويم البلدان لأبى الفداء اسماعيل).

(٣) جاء على هامش الأصل ما يلى « تلقى عنه المشيخة ، وإلا فلا ينتظم الكلام » .

التركى[1] » الحنفى المتوفى سنة تسع وثمانمائة ، وكان البَدْرُ يطريه ، وأخذ عن « السراج البلقينى » — فى حدود سنة تسع وثمانين ، ومرة قال سنة تسعين — تصنيفَه « محاسن الاصطلاح » بقراءة « السراج » قارىء « الهداية » وسمع بقراءة « الزراتيتى »[2] الشاطبية على « العسقلانى » ، وبقراءة « الشهاب الأشمونى » بـ « قلعة الجبل » البخارى » على الزين العراقى فى سنة ثمان وثمانين ، وبقراءة غيره على الزينى أيضاً « الإلمام » « لابن دقيق العيد » بروايته له عن الشهاب « أحمد بن أبى الفرج ابن البابا » عنه » .

وكذا سمع « صحيح البخارى » مع « صحيح مسلم » وباقى الستة على التقى الدجوى ، بل قرأ عليه مسنَدىْ عبد والدارمى ، وقريب الثلث الأول من سند أحمد ، وكان انتهاء قراءته وسماعه عليه فى سنة أربع وثمانمائة ، وقرأ بعض المعاجيم الثلاثة للطبرانى على القطب عبد الكريم بن التقى بن الحافظ الحلبى و « الشفاء » بتمامه على ابن الكويك ، قال وانتهى فى شعبان — يعنى من السنة — قال : وكذا روى عنه « كتاب السنن الكبرى » للنسائى فى تاريخه ، وكذا « التسهيل لابن مالك » ، وعلى / الفُوِّى بعض « الدارقطنى » ومرة قال جميعه فى سنة ثمان وثمانمائة ، و « شرح معانى الآيات » للطحاوى بتمامه على « تغرى برمش » بسماعه له من « الخُجَنْدى »[3] بروايته له عن العز بن جماعة ، ويروى عنه « المصابيح للبغوى » وعن الشيخ

٢٣٨

---

(١) الشهاب أحمد بن خاص التركى ، : هو أحمد بن خاص ، شهاب الدين الحنفى ، أحد الفضلاء المتميزين ، مات سنة ٨٠٩ هـ .

(الضوء اللامع ج ١ : ٢٩٢) .

(٢) الزراتيتى : نسبة لقرية زراتيت من قرى مصر ، وهو محمد بن على بن محمد بن أحمد ، الشمس ، أبو عبد الله القاهرى الحنفى المقرىء ، ويعرف بابن الزراتيتى ، وبابن الغزولى ، ولد سنة ٧٤٨ هـ ، ومات بالقاهرة سنة ٨٢٥ هـ .

(الضوء اللامع ج ٦ : ١١ ، وج ١١ : ٢٠٤)

(٣) الخجندى : بضم ثم فتح ، نسبة إلى خجندة مدينة كبيرة على طرف سيحون من بلاد المشرق ، ويقال لها خجنده بزيادة الهاء .

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٩٩)

« سراج الدين عمر » ، ولم ينسبه « الصحاح » للجوهرى .

وكذا سمع على الحافظ « نور الدين الهيثمى » ، وغيره ، ولبس الخرقة من « ناصر الدين القرطبي » ، وهو لبس من « أمين الدين الخلوى » ، ودخل فى غضون ذلك أيضاً « دمشق » فى ربيع الأول سنة أربع وتسعين ، فقرأ على « النجم أحمد بن إسماعيل بن الكشك » بعضاً من أول « صحيح البخارى » بـ « المدرسة النورية[1] » بـ « دمشق » ، كما استفدت جميع ذلك بالمعنى من حفظه مفرقاً ، وما رأيت فى الطباق شيئاً من ذلك كله ، نعم وقفت على قراءته للجزء الخامس من « مسند أبى حنيفة للحارثى » على « الشرف بن الكويك » .

ووجدت بخط بعض الطلبة أنه سمع على « العز بن الكويك » ، والد « الشرف » المذكور وهو محتمل إن لم يكن وهم الطالب فى لقبه .

ومن اللطائف رواية « العينى » عن ابن « الكشك » عن « الحجار » عن « ابن الزبيدى » وأربعتهم حنفيون .

ولم يزل « البدر » بـ « البرقوقية » على وظيفة الخدمة بها ، إلى أن عزل عنها فتوجّه إلى بلاده ، ثم عاد وهو فقير مشهور الفضيلة ، فتردد إلى الأمراء ، وصحب الأمير « جكم » و « قلمطاى العثمانى » و « تغرى بردى القُردمى » ، فلما مات « الظاهر » فى سنة إحدى وثمانمائة ، سعوا له فى حسبة القاهرة ، فوليها فى سابع ذى الحجة عوضاً عن المؤرخ « تقى الدين المقريزى » ، ثم عزل فى مستهلّ المحرم قبل استكمال شهر « بالجمال الطنبدى » المعروف « بابن عرب » ، ثم أعيد فى رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين ، ثم انفصل بعد شهر « بالمقريزى » ، ثم أعيد ، ووليها مراراً ، آخرها فى شوال سنة ست وأربعين ، عوضاً عن « الشيخ على الخراسانى » ، ثم عزل ، وكان

---

(١) المدرسة النورية بدمشق هى المدرسة التى أنشأها الملك العادل نور محمود بن زنكى عند حمام القصير بباب الفرج بدمشق ، وعرفت فيما بعد بالعمادية نسبة إلى عماد الدين الكاتب أبو حامد ، محمد بن محمد الأصفهانى ، الذى ولاه نور الدين أمرها ٥٦٧ هـ بعد الشيخ الفقيه ابن عبد المارنى (الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ : ٤٠٦ وما بعدها) و(الروضتين لأبى شامة ج ٢ : ٣٦٨ بتحقيق د . محمد حلمى أحمد) .

فى مباشرته لها يغرّر بالمال ، فمَنْ خالف ما يرسم به أخذ بضاعته غالباً ، وأرسل بها إلى السجن للمحابيس .

وولى فى أثناء هذه المدة يدرس الحديث بـ « الجامع المؤيدى » أول ما فتح ، وتدريس الفقه بـ « المحمودية » لكنه رغب عنه ، ثم كان من خصيص المؤيد ، حتى أنه أرسله إلى « بلاد الروم » فى مصلحة تتعلق به فى سنة اثنتين وعشرين ، ولما استقر « الظاهر ططر » فى السلطنة زاد فى / ٢٢٩ إكرامه ، والاختصاص به لما بينهما من الصُحبة قبلُ ، وتَرقّى حاله .

فلما تَسَلْطَنَ الأشرفُ صحِبَه واختَصَّ به ، وارتفعت مَنْزِلتهُ عنده بحيث صار يسامره ، ويقرأ له التاريخ الذى جمعه باللغة العربية ، ثم يفسره له بالتركية ، لتقدُّمه فى اللغتين ، ويعلمه أمور الدين ، حتى حُكى أن الأشرف كان يقول : « لولاه لكان فى إسلامنا شىء » . وقُدّر شغور مشيخة « الشيخونية » عن شيخ المذهب السراج « قارىء الهداية » بوفاته ، وسَعى القاضى « زين الدين التفهنى » فيه مضافاً إلى القضاء ، وتعصّب له أهلها فأجيب لذلك ، وبات على الصعود للُبْس الخِلْعَة ، فأضمر السلطان فى نفسه أخذ القضاء منه للبدر هذا ، وبيّت معه فى تلك الليلة : « أن كبِّر غداً عمامتك ، واحضر بُكْرة » من غير أن « يفصح له بشىء » ، ففعل ، فولاه قضاء الحنفية عوضاً عن المذكور ، وذلك فى سابع عشرى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين ، ثم صُرف فى أوائل سنة ثلاث وثلاثين ثم أعيد فى رجب سنة خمس وثلاثين .

وفى هذه المرة سافر صحبة الرِّكابِ السلطانى مع بقية القضاة والخليفة على العادة ، ووصل معه إلى « البيرة » ثم فارقه ، وأقام فى « حلب » حتى رجع السلطان فرافقه مع أصحابه ، ومات الأشرف وهو قاضٍ ثم صرف فى أيام ولده فى المحرم سنة اثنتين وأربعين بابن الديرى .

ولزم داره مقبلا على الجمع والتصنيف ، مستمراً على تدريس الحديث بـ « المؤيدية » ونظر الأحباس حتى مات ، غير أنه عزل عن الأحباس بـ « العلاء بن أقبرس » فى يوم الاثنين سادس عشر شهر رجب سنة

ثلاث وخمسين ، بعد سَعْى شديد من العلاء فيه والم على ذلك.

ولم يجتمع القضاء والحسبة ونظر الأحباس فى آن واحد لأحد قبله — فيما أظن — وكان إماما عالماً علاّمة ، عارفاً بالتصريف والعربية وغيرهما ، حافظاً للتاريخ واللغة ، كثير الاستعمال لها ، مشاركا فى الفنون ، لا يَمَلُّ من المطالعة والكتابة ، كتب بخطه جملة ، وصنف الكثير ، بحيث لا أعلم بَعْدَ شيخنا أكثر تصانيف منه ، وقلمُه أجود من تقريره ، وكتابته طريقة حسنة مع السُّرْعة ، حتى أستفيض أنه كتَبَ « القُدُورى » فى ليلة ، وأخبرنى / شيخ المذهب « العز الحنبلى » أنه سمع ذلك منه .

٢٤٠

وعمّر مدرسة مجاورةً لسكنه بالقرب من « جامع الأزهر » ، وعَمِل بها خطبة لكونه كما بلغنى كان يصرّح بكراهة الصلاة فى الأزهر ، لأنّ واقفه كان رافضياً يَسب الصحابة — رضوان الله عليهم — وحدث وأفتى ودرس مع لطف العشرة والتواضع .

واشتهر اسمه ، وبَعُد صيته ، وأخذ الفضلاء عنه من كل مذهب ؛ وعلق شيخنا من فوائده ، بل سمع عليه لأجْلِ ما كان عزم عليه من عمل البلدانيات فى مرافقته معه لسفره « آمد » بظاهر بلده « عين تاب » بقراءة الناصرى بن المهندس ، حديثين من « صحيح مسلم » وحدثنا من « مسند أحمد » عن الدجوى قراءة ، مع أنه كان بينهما ما يكون بين العصريين وكذا كان هو يستفيد من شيخنا خصوصاً حين تصنيفه «رجال الطحاوى» .

ورأيته يسأل شيخنا فى مرض موته ، وقد جاء ليعوده عن مسموعات الزين العراقى . ، فقال له : « ليست بمجموعة من كتاب ، لكنى أوردت فى ترجمته من معجمى ما أخذته عنه ، وذلك شىء كثير فانظروه ، فإذا حصلتموه نأخذ فى النظر فى الباقى » . وقد أورده شيخنا فى الأصل باختصار جداً ، وفى القسم الأخير من معجمه ، وقد أجاز فى استدعاء ابنى محمد .

وذكره العلاء ابن خطيب الناصرية فى تاريخه ، فقال : « وهو إمام عالم فاضـــل ، مشارك فى علوم ، وعنده حشمة ومروءة . وعصبية وديانة » . انتهى .

وقد قرأت عليه الأربعين التى انتقاها شيخى — رحمهما الله — من صحيح مسلم فى خامس صفر سنة إحدى وخمسين، وعرضت عليه قبل ذلك محافيظى ، وسمعت عدة من دروسه ، بل قرض لى بعض تصانيفى ، وبالغ فى الثناء على ، فإنه قال ما نصه . « الحمد لله الذى جعل علماء الحديث أنجما زاهرة ، وحججا قاطعة ، ومحجة ظاهرة ، والصلاة على من أرسل بالمعجزات الظاهرة ، محمد المبعوث بالبراهين الباهرة ، وعلى آله وصحبه الذين استوثروا بالفضائل المتكاثرة ، وبعد فإن العبد الفقير إلى الله الغنى : أبا محمد محمود بن أحمد العينى ، يقول : قد عثرت على هذا التخريج المنتهى ، الذى فيه كل ما يشتهى ، فوجدته قد حوى فوائد كثيرة ، وزوائد غزيرة / قد أبرز مخدرات المعانى بموضحات البيان ، حتى جعل ما خفى كالعيان ، فدلنى ذلك على أن [منشئه][(1)] ممن يخوض فى بحار العلوم ، ويستخرج من دررها المنثور والمنظوم ، وممن له يد طولى فى بدائع التراكيب ، وتصرفات عجيبة فى صنائع التراتيب ، زاده الله فضلا يفوق به على أنظاره ، وتسمو به فى سماء قريحته قوة أفكاره ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، ولم يكن هذا إلا من فضل الله ذى العطايا ، حيث أبرزه من سن من كان فى الزوايا من الخبايا ، حتى بان فضله بالاشتهار ، كالشمس فى الساعة الرابعة من النهار ولما كان الأمر كذلك أردت أن أتحفه بتحفة سنية ؛ وأذن لى فى كلام طويل » .

٢٤١

ولم يزل ملازماً للجمع والتصنيف ، حتى مات فى ليلة الثلاثاء رابع ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، ودفن من الغد بمدرسته التى أنشأها .

واستقر بعده فى تدريس « المؤيدية » صاحبنا « التقى القلقشندى » ، لتوهم السلطان أنه أخوه « العلاء » وكان يعرفه بالعلم ، وقال حينئذ « التقى الشمنى » ما قال ، واتفق بعد قليل عزل « ابن أقبرس » من الأحباس ، واستقر فيها ولده — وهو الزين عبد الرحيم والد الشهابى أحمد ، الذى صار بعد موت أبيه إلى ما صار .

---

(1) فى الأصل « منشئبه » .

ومن تصانيف صاحب الترجمة «شرح البخارى»، فى أحد وعشرين مجلداً، أسماه «عمدة القارىء»، أخذ الكثير منه من شرح شيخنا، بحيث ينقل منه الورقة بكمالها، وربما اعترض، لكن تعقبه شيخنا فى مجلد حافل بل عمل قديماً — حين رآه تعرض فى خطابته له — جزءاً سماه «الاستنصار على الطاعن المعثار»، بين فيه ما نسبه إليه مما زعم انتقاده فى خصوص الخطابة، ووقف عليه الأكابر من سائر المذاهب، كالجلال البلقينى و «الشمس البرماوى»، و «الشمس بن الديرى» و «الشرف التبانى»، و «الجمال الأقفهسى»، و «العلاء بن المغلى»، فبينوا فساد انتقاده، وصوبوا صنيع شيخنا، وأنزلوه منزلته، وطول «البدر» شرحه بما تعمد شيخنا حذفه من سياق الحديث بتمامه، وتراجم الرواة، واستيفاء كلام اللغويين، مما كان القصد يحصل بدونه، وغير ذلك.

وذكر لشيخنا عن بعض الفضلاء ترجيحه لما اشتمل عليه من البديع، فقال: بديهة، هذا شىء قد نقله من شرح لركن الدين؛ كنت وقفت عليه قبله. لكن ما / أحببت النقل منه لكونه لم يتم وإنما كتب قطعة يسيرة، ٢٤٢ وخشيت من تعبى بعد فراغها فى الاسترسال فى هذا المهيع بخلاف البدر فإنه بعدها لم يتكلم بكلمة واحدة فى ذلك. ولم ينتشر كانتشار شرح شيخنا، ولا استدعت ملوك الأطراف من صاحب مصر طلبه، ولها تنافس العلماء فى تحصيله [فى](١) حياة مؤلفه، وهلم جرا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء(٢).

وشرح كتباً كثيرة منها: «معانى الآثار للطحاوى» فى عشرة مجلدات، وقطعة من «السنن لأبى داود» فى مجلدين، وقطعة كبيرة من «السيرة النبوية» لابن هشام سماه «كشف اللثام»، و «الكلم الطيب» بتمامه، و «الكنز» وسماه «رمز الحقائق فى شرح كنز الدقائق»، و «التحفة» و «الهداية» فى أحد عشر مجلداً كما قرأته بخطه، و «المجمع» بتمامه وسماه «المستجمع»، وقال «إن تصنيفه له كان وهو ابن إحدى وعشرين سنة فى حياة كبار شيوخه، فوقفوا عليه وقرضوه»، و «البحار الزاخرة» لشيخه

---

(١) مابين المعقوفين فى الأصل «من».

(٢) سورة الحديد: آية ٢١.

فى مجلدين وسماه « الدرر الزاهرة » ، و « المنار » و « الشواهد » الواقعة فى شروح الألفية ، فى تصنيفين : كبير فى مجلدين ، وصغير فى مجلد وهو أشهرهما ، وعليه معوّل الفضلاء . و « مراح الأرواح » وسماه « سلاح الألواح » ، وقال : إنه كان أول تصانيفه ، صنّفه وله من العمر تسع عشرة سنة . و « العوامل المائة لعبد القادر الجرجانى » وقصيدة « الساوى فى العروض » و « عروض ابن الحاجب » :

واختصر « الفتاوى الظهيرية » ، وكذا « المحيط » فى مجلدين وسماه « الوسيط فى مختصر المحيط » ، وله حواش على « شرح الألفية لابن المصنف » وعلى « التوضيح » ، وعلى « شرح الجاربردى فى التصريف » . وفوائد على « شرح اللباب فى النحو للسيد » ، و « تذكرة نحوية » ، و « مقدمة فى التصريف » ، وأخرى فى العروض .

وعمل « سير الأنبياء » ، وتاريخاً كبيراً فى تسعة عشر مجلداً ، ومتوسطاً فى ثمانية واختصره أيضاً ، و « تاريخ الأكاسرة » بالتركية ، و « طبقات الشعراء » ، و « طبقات الحنفية » ، ومعجم شيوخه فى مجلد ، و « رجال الطحاوى » فى مجلد .

واختصر « تاريخ ابن خلكان » . وله « تحفة الملوك » وفى المواعظ والرقائق — كتاب فى ثمانية مجلدات سماه « مشارح الصدور » ، ورأيت بخطه أنه سماه « زين المجالس » ، وآخر فى النوادر ، « وسيرة المؤيد » نثر ، ونظم فى أخرى — انتقد كثيراً منها شيخنا فى جزء سماه / « قذى العين » ، وقرظه غيرُ واحد مما هو عندى ، و « سيرة الظاهر ططر » ، و « سيرة الأشرف » ، وتذكرةً متنوعة ، وكتب على كلٍّ من « الكشاف » ، و « تفسير أبى الليث » ، و « تفسير البغوى » . وله نظمٌ كثير فيه المقبول وغيره ، فمنه :

٢٤٣

ذكرْنا مدائح للنبي محمـــد　　طربنا فلا عُودٌ ، سكرنا فلا كرْم

فتِـلكَ مدامة يسُوغُ شرابها　　وليس يشوبها هَمٌّ ولا إثم

فى أبيات أودعتها تصنيفى « القول المُنْـبِي عن ابن عربى » مع كلامه

فيه وفى أمثاله ، وله تقريض غاية فى الانتصار على « الرد الوافى لابن ناصر الدين فى ابن تيمية » عندى فى موضع آخر .

ومن نثره ما كتبه على « السيرة المؤيدية لابن ناهض » ، بعد أن سئل فى ذلك يقول القائل :

ياقاض بدر الدين ياوجه الرّخا طابت بك السُّكان فى الأوطان
قرظ لسيرة شيخنا وإمامنا ياصاحب التّاريخ بالسلطان

فقال : « لله الحمد وبه المستعان ، وعليه التكلان فى كل شان ، وعلى النبي محمد الصلوات فى كل زمان وعلى آله وصحبه ذوى الفضل والإحسان وبعد ؛

فإنى قد أنَخْتُ مطيتى بحضيض ربع هذه السيرة الشريفة ، وحلَّيْتُ حقيبتى لألمح إلى أوجانها المنيفة ، فوجدتها بحراً يتلاطم أمواجاً ، ورأيت الناس يخوضون فيه أفواجاً ، للاستنباط من دُرره الزاهرة ، والالتقاط من جواهره الفاخرة ، وكيف وأنَّ معانيها قد عنَّت عانيها ، ومغانيها قد غنَّت بأفانها ، بتراكيب مُرَصَّعة بجواهر سَنِيَّة ، أبرزتها أفكار الجنان ، وترانيب مُنَظَّمة باللآلىء فى سلك الجُمان ، إذا شاهدتها قلت : « كأنهن الياقوت والمرجان(١) » بحيث لو شاهدها « الزمخشرى » لتَلَهَّف بِيَاليْتَنِى كسَوْتُ كشافى من حللها السنية ، وقرظت آذانه من درها البهية ، ولو عاينها « الحريرى » لتحسر بيا ، ما فاتت مقاماتى ما كان يزينها من حلاها ، وما كان يجلوها من جلاها ولو أبصرها « السكاكى » لعَضَّ على أنامله / ٢٤٤ متنفساً صُعَدا ، حيث لم يركب على عُلواءَ فى الاستنارة فى « طِلمِسَاء(٢) من نيرانها الساطعة ، ولم يستضىء فى طَرْمَسَاء(٣) من مشرفاتها اللامعة ، فى مفتاحه الذى فتح أبواب المعانى والبيان ، وشق ينابيع البدائع وأساليب

---

(١) سورة الرحمن الآية ٥٨

(٢) الطلمساء : الأرض ليس بها منار ولا علم ، والظلمة ، وليلة طلمسانة : مظلمة ، وأرض طلمسانة : لا ماء فيها (القاموس المحيط) .

(٣) الطرمساء : الظلمة أو تراكمها ، السحاب الرقيق ، الغبار (القاموس المحيط)

الافتنان ، وبتواريخ مسرودة فيها عجب عجيب ، ونكات من كل شيء غريب ، بحيث لو ظفر بها « الخطيب » لكسّر سيف تاريخه فى غمده ، ولو تمكن منها « ابن الجوزى » اقلع نصل تاريخه وفرنده ، ولو رآها « ابن الأثير » لمحى أثر تاريخه من عنده ، وتنظم كاللؤلؤ المكنون عذب سهل حاوٍ لكل فنون ، بحيث لو قيس إلى شعر « ابن الخطفى » ، « جرير » صار شعراهما كالغزل والحرير ، ولو نسب إلى شعر « هَمّام » ، « الفرزدق » لصار شعراهما كالنقى الجُوَارى[1] والجردَق[2] ، ولو جُورى بشعر « غوث » « الأخطل » لقال كل قائل أين ذو حُسن من ذى خَطَلْ ، وما ذاك كله إلا لاحتوائها على سيرةِ منْ قامت به قناةُ الدين ، واشتدت به أركانُ الشرع باليقين ، و [استنارت][3] به منارات العدل والإنصاف ، وانطمست به ظُلم الظُلم والإجحاف ، أعنى به سلطان الإسلام والمسلمين ، وناصر سنن سيد المرسلين ، وقامع أدمغة الظلمة والمفسدين ؛ وكاسر شوكة الملاحدة والمبتدعين ، ومُعَمِر المساجد والمدارس ، ومُخرّب البِيَع والكنائس ، السلطان الأعظم — أبا النصر ، الملك المؤيد ، المنصور بالنصر ، « المؤيد » ، خلدَ اللهُ ملكه بأيام ذات أمن ومَسَراتْ ، محفوفة بكل نوع من الخيرات ، فهذا وإن كان قد تصدّى لذلك جمع من القيام ، وزُمر من العلماء الأعلام ، ولكن ما ينهض بمثله كل ناهض ، بل نهض به من انتسب إلى ناهض ، وعلا بذلك كل مجارٍ ومُعارض ، وكيف وقد أبدىَ من مضمرات ضميره كل مكنون ، ولحن فى دعواه ببرهان غير مطعون ، وأتى بمقدّمات مُسَلّمة تنتج فى شكلها محصورات المعانى العظيمة ، مُهْملة مخلطات الأفكار السقيمة ، سليمة عن التناقض والعكوس ، سالبة لموجبات الخطأ فى الحدوس ، وأبرز [ببيانه][4]

---

(١) النقى الجوارى : الجواد : الماء الكثير القعير ، ومن الدار طوارها . الجوار : الأكار (الحرات) (القاموس المحيط)

(٢) الجردق : (فارسى معرب) : رغيف (القاموس المحيط)

(٣) فى الأصل « استنارات » .

(٤) فى الأصل « بينانه » .

كل شيء فى موضوعه ، محمولا على أصل من منقوله ومسموعه ، زحزحه
٢٤٥ الله تعالى عن الوقوع فى مكان الارتياب ويسر عليه ما اشتد / من
الأمور الصعاب ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، وقد نمق هذا
زابرا محرارا مسطورا ، عبيد الله ، ، الراجى رحمته ، والمغتفر إلى لطفه
الخفى ، أبو محمد محمود بن أحمد ، العينى ، الحنفى ، فى ساعة أتته من ليلة
الخميس العاشر من صفر ، عام تسعة عشر وثمانمائة ، من الهجرة النبوية
، المشرف بن محمد بن جعفر أبو عبد الله الحسينى الموسوى ، يحي
ابن الحسين بن القسم أبو منصور الحسينى الكوفى .

القاضى شرف الدين أبو زكرياه

يحي بن محمد بن مخلوف المناوى الشافعى الحدادى

٧٩٨ — ٨٧١ هـ

يحي بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام ، فقيه
المذهب ، القاضى شرف الدين أبو زكريا بن القاضى سعد الدين ، ابن الشيخ
قطب الدين ، ابن الشيخ جمال الدين ، ابن الشيخ شهاب الدين ، ابن الشيخ
زين الدين ، الحدّادى الأصل ، ثم المناوى ، القاهرى المولد والدار ،
الشافعى . كان كل واحد من جده فمن فوقه من عمود نسبه يوصف بالصلاح
والشهاب بقُدْوة الزهاد ، حسبما أخبرنى به صاحب الترجمة ، قال
و « الحدّادى » نسبة لقرية من قرى تونس ، انتقل الجمال منها لـ « منية بنى
خصيب » من الصعيد ، وأقام فى [زاوية](1) بها مجاورة لجامعها القبلى ،
وصار لأهل المنية فيه حسنُ اعتقاد ، وأنجب هناك ولده القطب ، فأقام
بها على طريقة واحدة ، وأنجب « القطبُ » « سعدَ الدين » ، فاشتغل بالخدمة

---

* يحي مخلوف المناوى : له ترجمة فى الضوء اللامع ج ١٠ : ٢٥٤ ؛ وكذلك ترجم
له ابن العماد صاحب شذرات الذهب ج ٧ : ٢٧٨ ، ٣١٢ . وإنما ذكر فى ٢٧٨ خطأ كما
يشير إلى ذلك فى الهامش .

(١) ما بين المعقوفين فى الأصل « زاوية » .

فى المباشرة على طريقة جميلة ، واُلـقـّـبَ بالقاضى على قاعدة المباشرين ، ولذلك توهم بعض الناس كونه قبطياً ، ولا حقيقة لذلك .

فقد قرأت بخط الولى العراقى ، تلقيب والد سعد الدين بقطب الدين ، كما قدّمته ، وسمّى جده محمدًا أيضاً فليعتمد ، وكذا قرأتُ ذلك بخط غيره من مشايخ صاحب الترجمة .

وكان انتقال سعد الدين إلى « القاهرة » بعد التسعين فولد له بها صاحب الترجمة ، وذلك فى العشر الأول من ذى الحجة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة كما أخبرنى به مراراً .

ثم رأيت خطه بآخرة « أظن مولدى »[1] ، وذكر ذلك ، ونشأ بالقاهرة ، لحفظ القرآن عن شخص يقال : « ابن الفرات » ، وانتهى حفظه له وهو ابن عشر ، وصلى به للناس التراويح على العادة ، ثم حفظ « العمدة » و « التنبيه » و « الملحة » والألفيتين ، وكذا منهاج الأصول — فيما أظن — وعرضها على / شيوخ عصره ، وأقبل على الأخذ عن شيوخ الوقت ، فكان ٢٤٦ ممن أخذ عنه الفقه : « الشمس البرماوى » ، حضر عنده فى تقسيم « مختصر المزنى » لكن مات الشيخ قبل إكماله ، وقرأ عليه رُبعاً من « الحاوى » حين تقسيم الشيخ له بـ « الجمالية » ، و « الشمس الغـرّاقى » قرأ عليه فى « التنبيه » ، وحضر عنده « تقسيم القُـونَـوى »[2] ، وكذا قرأ الفقه على « الولى العراقى » ؛ وعليه أيضاً قرأ نحو النصف من شرحه لـ « البهجة » المسمى بـ « النهجة المرضية فى شرح البهجة الوردية » ، وسمع أكثره ، وأجازه بباقيه إن لم يكن سماعاً ، وسمع عليه أيضاً بعضُ شرحه لـ « جمع الجوامع » سماع بحث ومقابلة ، ولازمه أتمّ ملازمة ، واختص به لكون الولى كان زوج أخته الخيرة الصالحة « بلقيس » ، التى كانت فى العبادة والخير بمكان ،

---

(١) العبارة فى الضوء اللامع « ولد فى العشر الأول من ذى الحجة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة كما أخبرنى به — زاد كما قرأته بخطه ظنا » .

(٢) القونوى : بضم ثم سكون ثم نون مفتوحة .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٢)

بحيث قيل إنها كانت تمكث حيناً[1] إلا من حيض أو نفاس ، وبه انتفع ، وعليه تخرج ، وقرأ عليه كلتا الألفيتين تصحيحاً ، ثم عرضا بجميعهما ، ثم بحثا بجميع « ألفية النحو » ، وسماعاً فى البحث الأكثر « ألفية الحديث » ولغير ذلك من كتب الأصلين وغيرهما .

وانفرد عنه بضبط مسائل وفرائد وآداب ، لكثرة اختصاصه بخدمته ، وإقبال الشيخ عليه بمحبته ، وربما استكثر ما يحكيه عنه من الغرائب ، وليس بجيد ؛ وسمع عليه من الكتب والأجزاء ونحوها أشياء ؛ حتى أخذ عنه ببعض النواحى كـ « انبابة » و « الجزيرة الوسطى »[2] والمكان المعروف بـ « السبع وجوه » ، والمنوفية وغيرها .

وكذا ببعض « مناهل الحجاز » كـ « الينبوع » وشبهها على ما سمعته منه ثم رأيته فى « الطباق » ، واستملى عليه بـ « القاهرة » بعد موت « الزين عبد الرحيم بن محمد بن أبى بكر الهيثمى » كما قرأته بخط الولى فى أواخر مجالس أماليه ، وكذا استملى عليه المجلس الذى أملاه « بالمدينة النبوية » .

وأما المجلسُ الذى أملاه بـ « مكة » فكان المستملى له شيخنا « الزين رضوان العُقبى » ، ثم قرأه صاحبُ الترجمة ، وأخذ النحوَ أيضاً عن « الشمس الشطنوفى » ، قرأ عليه جميع « الألفية » وتوضيحها قراءةَ بحث ، وأذن له فى إقرائهما مع ما يريد من كتب النحو والفقه على مذهب الشافعى ، فى إجازة ضخمة أرّخها بتاسع عشرى رجب ، سنة خمس وعشرين ، وأشهد عليه ولده الشهاب أحمد وغيره ؛ وكذا أذن له شيخه « الولى » و « البرماوى » ، وغيرهما فى الإفتاء والتدريس ، وأخذ الفرائض ، والحساب ، والعروض ، والقوافى عن الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب البارنبارى »[3] وقرأ

٢٤٧

---

(١) العبارة فى الأصل « جبياً » .

(٢) الجزيرة الوسطى : موقع شمالى جزيرة الروضة ، وكانت تعرف بجزيرة أروى وأقيم بينها وبين الروضة جسر فى أيام الناصر محمد بن قلاوون ، عرف بجسر الخليلى ، وانحسر عنها الماء بعد سنة ٧٠٠ هـ وهى الآن المنطقة المعروفة بالجزيرة (الخطط للمقريزى)

(٣) ناصر الدين البارنبارى : هو ناصر الدين ، محمد بن عبد الوهاب محمد البارنبارى (بالباء الموحدة وبعد الألف راء ثم نون ثم موحدة) نسبة إلى بارنبار (قرية قرب دمياط) ، =

عليه « الخزرجية » وشرحها لقاضى « غرناطة » ، و « نزهة النظار فى القلم الهندى الغبار » للشهاب ابن الهائم ، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين ، وأذِنَ له فى إفادتها مع غيرها ، وكذا أخذ عن « العماد بن شرف » ، أحد الآخذين عن الولى ، أيضاً مصنّفاً لابن الهائم فى « الحساب » فى سنة عشرين ، وعن الكمال بن الهُمام وآخرين . وتسلّكَ بالشيخ « ابراهيم الأذكاوى »[1] و « الشريف الطباطبى »[2] ، وجالس « الزين الخَوافى »[3] وغيره ، ونظر فى كلام القوم فتبحّر فيه ، واختلى مراراً ، وتصدّى فيه للتّسليك فى حياة السيّد وغيره من أشياخه ، وحج مع والده فى سنة خمس عشرة ، ثم مع شيخه الولى فى سنة اثنتين وعشرين ، وسمع هناك على « النورى بن سلامة » . وكذا أخذ عن « الشمس بن الجزرى » وغيره ، وسمع أيضاً على « [الشرف][4] ابن الكويك » ، و « الجمالين عبد الله الحنبلى وابن فضل الله » و « الشمس

الشافعى النحوى ، قال السيوطى « ولد قبيل سبعين وسبعمائة ، وقدم القاهرة فاشتهر ومهر فى الفقه والعربية والحساب والعروض وغير ذلك ، وتصدر بالجامع الأزهر تبرعا ، ودرس وأفتى مدة ، وأقرأ وخطب ، وناب فى الجمالية عن حفيد الشيخ ولى الدين العراقى ثم انتزعها منه الشيخ شمس الدين البرماوى وأصابه فالج أبطل نصفه ، واستمر موعكا إلى أن مات ليلة الأحد حادى عشر ربيع الأول سنة ٨٣٢ هـ .

(الضوء اللامع ج ٨ : ١٣٨) [شذرات الذهب ج ٧ : ١٩٩]

(١) الأذكاوى : نسبة لأذكو بالقرب من الساحل .

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٨٣)

(٢) الطباطبى : إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافى بن على أو عبد الله ، السيد برهان الدين أبو الخير الحسنى الطباطبى الشافعى المقرىء ، نزيل الحرمين ، أخذ القراءات بمكة والمدينة وبالقاهرة عن حبيب بن يوسف الرومى والزين رضوان وعن الزراتيتى وغيره ، وأقصى ماتلابه للعشر والحديث الجمال الكازرونى وغيره ... وكان أحد الخدام بالحجرة النبوية ، وهو الذى أنهى أمر ابن قدهم الرافعى إلى الظاهر جقمق وأنه ما سمع منه ما يقتضى الكفر ، فبادر بالاحتيال عليه حتى أحضر إليه فأمر بقتله مات بمكة سنة ٨٦٣ هـ .

(الضوء اللامع ج ١ : ١٤)

(٣) الخواف بفتح أوله وآخره فاء . وهو محمد بن محمد بن محمد بن على ، أبو بكر الخواف ثم الهروى ، الحنفى ، ويعرف بزين أو والد إبراهيم وإسماعيل ومحمد . ولد سنة ٧٥٧ هـ ومات سنة ٨٣٨ هـ

(الضوء اللامع ج ٩ : ٢٦٠ ، ج ١١ : ٢٠٠)

(٤) فى الأصل « السرف » .

الشامى الحنبلى » ، و « محمد بن قاسم السيوطى » والزينين « ابن النقاش والقَمنى »[١] والشهابين — « الواسطى » و « الكلوتاتى » ، و « النور الفوّى » و « الكمال ابن خير » . وآخرين ، منهم : « البدر حسين البوصيرى » وشيخنا ؛ لكنه إنما أكثر عن شيخه الولى .

وأجاز له فى استدعاءٍ بخطّ شيخه المذكور جماعة منهم : « العز محمد ابن جماعة » ، و « الصدر السُّوَيْفى »[٢] ، و « الفخر الدنديلى » ، و « البدر الدمامينى »[٣] و الشموس — « البوصيرى » و « البيجورى »[٤] و « البَنْهاوى »[٥] و « ابن البيطار »[٦] و « ابن الزّراتيتى » . وباستدعاء بخطه « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العُجَيْسى المغربى » .

---

(١) القمنى : بكسر ثم فتح ثم نون ، وفى الحاشية وشذ ابن السمعانى ومن تابعه فشدد الميم — كما جاء — كما فى حاشية الأصل .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٢)

(٢) السويفى : (بضم ثم فتح ثم تحتانية وفاء) ، نسبة لقرية اشتهرت ب (بنى سويف) وهو عبد الكافى بن عبد الله بن أبى العباس أحمد بن على بن محمد الصدر بن الجمال الأنصارى العبادى البنمساوى ، نسبة لقرية تعرف قديماً بنمسوية (بكسر الموحدة والنون وسكون الميم ، وضم المهملة ، وفتح الواو ، وسكون التحتانية وآخرها هاء) واشتهرت ببنى سويف ، ولد سنة ٧٣٦ هـ (الضوء اللامع ج ٤ : ٣٠٣ ، ج ١١ : ٢٠٨)

(٣) الدمامينى : هو البدر محمد بن أبى بكر بن عمر .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٤٧)

وجاء فى شذرات الذهب لابن العماد أنه بدرالدين محمد بن أبى بكر بن عمر بن محمد بن سليمان ابن جعفر القرشى المخزومى ، الأسكندرانى المالكى ، النحوى ، الأديب ، ولد سنة ٧٦٤ هـ وذكر وفاته فى حوادث سنة ٨٢٧ هـ .

(شذرات الذهب ج ٧ : ١٨١) .

(٤) البيجورى : نسبة للبيجور قرية بالمنوفية ، وهو الشمس محمد بن حسن .

(الضوء اللامع ج ١١ : ١٩٤)

(٥) البنهاوى : محمد بن عبدالله البندر ، البنهاوى الأصل ، القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بالبنهاوى حفظ القرآن ، والتنبيه ، وتكسب بالشهادة ، مات سنة ٨٧٧ هـ .

(الضوء اللامع ج ٩ : ١٢٨)

(٦) ابن البيطار : بكسر أوله أو فتحه .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٣٨)

وكتب « على الزين بن الصايغ » ، وزَبره[1] شيخه الولى عن الإكثار من ذلك نظير ما وقع لشيخنا « الحناوى » مع بعضهم .

ولزم الاشتغال والمطالعة والعبادة حتى تقدّم فى العلم والعمل ، واشتهر بإجادة الفقه ، وصار له سجية ، فعكف الناسُ عليه للقراءة ، وانتصب لذلك وأخذ فى تقسيم مختصرات « الفقه » و « التنبيه » و « الحاوى » و « المنهاج » و « الألفية » ونحوها على العادة ، فتقدّم فيها .

ولمّا مات « القاياتى » حلّق بـ « الجامع الأزهر » بعد استشارة الولى السفطى فى ذلك ، وإذنه له فيه ، وهرع الفضلاء للأخذ عنه ، فذُكِر وراج أمره ، وقصِد بالفتاوى فى / النوازل ونحوها ، ونوّه شيخه ٢٤٨ « الكمال » بذِكره عند « الظاهر » وغيره ، بحيث كان يقول عنه قديماً « إنه أمسّ بـ « الفقه » من غيره ممن يشار إليه فيه » ، وقرأت بخطه أبياتاً امتدحه بها فقال :

يحيى المناوىُّ لا يُضاهى علماً وعدْلاً وفقْد فخر
قد حمد المادحون منه سخاء بحْر بكف برّ
لا ينتهى قط عن جميل يوليه فى العسر مثل يسر
وخاض بحر العُلاَ فريدا فلم تدانيه نفس حُرٍّ
فراح للمجد والتهانى رضيع ثدى رفيع قدر

ولم يلبث أن عيّنه الظاهر للقضاء ، وتدريس المدرسة المجاورة لقبة الإمام الشافعى مع النظر عليها ، فصمّمَ على امتناعه من القضاء استحياءً من شيخنا ، ورغبةً فى التدريس ، فاستقر فيه فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ، فباشرهُ مُباشرةً حسَنَة ، وابتكر تنزيل جماعة من طلبته ، وغيرها ، فقويت شوْكتُه ، وانتشرت أتباعه وحفدته ، وأخذ فى الكتابة على « مختصر المزنى » مستمداً فيه من شرح

---

(١) زبرَه شيخه عن الإكثار من ذلك : الزبر هو الانتهار والمنع والنهى ، فعله زبر ويزبر .

«المهذب» و«المهمات» وتصانيف شيخه ونحوها، مع ما يُبْديه من أبحاث ومناقشات وغير ذلك كان القارىء عليه فيه الشيخ سَلاّر الجوهري وربما قرأ الشيخ «فخر الدين المقسى[1]»، أو الشيخ «عبد الرحمن المنهلي[2]» وصار يلقى هناك دروساً محرره منقحة، غير قانع بما يسلكه أهلُ العصر من التخفيف فى دروس الوظائف، حتى أنه قرر فى الضبّة من باب الأبنية بالسَيْرْ والتقسيم خمسمائة وثمانى مسائل فى مجلس واحد، فكان ذلك من النوادر.

وقد انتهت كتابتهُ فى «شرح المختصر» إلى أثْنَاءِ صِفَةِ الصَّلاَةِ عند الكلام، فى ستة مجلدات لطيفة.

واتفق فى بعض دروسه هناك قبل استقراره فى القضاء أنه نقل شيئا وقال إنه «قول» للشافعي، وكان «البهاءُ بن القطان» حاضراً بجانبه، فبادر لإنكار التصغير، وحصلت قلةُ أدب أدّت إلى خشونة من كل منهما فترك «البهاء» الدرسَ وانصرف، وكانت ولايته للتدريس المذكور فى حياة والدته «عائشة» وكانت من خيرات نساء زمانها ديانةً وعبادة، على مابلغنى / ممن رأت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى المنام، فصافحها، وأخبرت أنها حين كانت حاملا به أحبت التفاؤل بما ينطق به «ابن أبى الوفاء» وهى فى مجلسه، فقام من موضعه، ومشى حتى وقف عند رأسها وتلا (مَنَ

٢٤٩

(١) المقسى: ويقال له المقسمى، (نسبة لناحية المقسم بالقرب من باب البحر) وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة على مصر، وصار نهاية السور الذى أمر السلطان صلاح الدين الأيوبى بادارته على مصر والقاهرة، وهو عثمان بن عبد الله بن عثمان ابن عفان بن موسى بن عمران بن موسى الفخر أبو عمرو بن الجمال، الحسينى بلدا، نسبة لمنية أبى الحسين من الشرقية، ثم القاهرى، المقسى، الشافعى، ويعرف بالمقسى، ولد سنة ٨١٨ بمنية فضالة، وتوفى بالقاهرة سنة ٨٧٧ هـ.

(الضوء اللامع ج ٥ : ١٣١، ج ١١ : ٢٢٧)

(٢) المنهلى: هو عبد الرحمن بن سليمان بن داود بن عياذ بن عبد الجليل بن خلفون ز الزين، المنهلى، ثم القاهرى، الشافعى، ولد فى شوال سنة ٨٢٩ بمناوهل من الغربية، ومات سنة ٨٨٥ هـ.

(الضوء اللامع ج ٤ : ٨٠)

المؤمنينَ رِجالٌ) (١) بل كانت تخبر غير مرة أنها رأت مناما فيه دلالة على ولايته للقضاء ، وتكاد تجزمُ بوقوع ذلك .

وأما هو فقد قرأت بخطه مانصه ، رأيت فى ليلة يسفر صباحها عن سابع عشر المحرم يعنى من السنة التى وَلىَ فيها — أنى دخلتُ إلى ضريح الإمام الشافعى للزيارة ، وأنه رضى الله عنه ظهر وقعد ، وإذا به أسمر اللون قليل اللحم ، وأخذ يتحدثُ فسمعته يقول : تحكم فى الأرض كيف شئت ، فإن الله لك مُعين وناصر » وإذا بشخص بجانبى يقول نعم ياسيدى ، سمعته يقولها لشخص من قبل يسمى « ناصر الدين » وساق مناما وفيه : أن الإمام رضى الله عنه أخذ يشير إلى أشياء ذهبت من رخام قبته ويقول عسى قاضى القضاة ينظر فى ذلك ، وأظنه قال مولانا ، لكننى متردد فى هذه اللفظة ، أعنى لفظة مولانا . وأنا أقول فى الجواب ، نعم ياسيدى أرسل خلفَ المتحدث على وقفها وأتكلّم معه أو آمره أو كَلِمَةً نحو ذلك ، ويدى فى يده ، وأنا أقول له « ياسيدى خلينى أقبل يدك ، وأظن أنى كررت ذلك ، وهو يجذبها منى وأنا أتطأطِىءُ عليها أقبلها ثم استيقظت وأنا كذلك : قال : وأسأل الله أن يجعلَ هذه الرؤيا حقاً ، ويحكمنى بالحق كيف شئت ، ويكون معيناً وناصراً ، ويصلح ماوَهى من مذهب الإمام الشافعى على يدى .

ثم ذكر أنه رأى النبىَّ صلى الله عليه وسلم مراراً ، واستمر حريصاً على نشر العلم ، حتى كان بعد ذلك فيمن ذُكر لقضاء الشافعية أيضاً . إذ التمس الظاهر من « المقر الكمالى ابن البارزى » كاتب السر تعيينَ مَنْ يصلح لذلك ، فإنه سمىَّ له « العلاء القلقشندى و « الجلال المحلى » « والزين البوتيجى » وصاحب الترجمة ، « وابن حسان » وغيرهم ، فأمره بالاستدعاء بهم إلى « القلعة » ليتخيرَّ واحداً منهم ، فصعدوا إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، بعد أن راسل الكمالُ بنُ الهمام السلطانَ فى تعيين الشرف ، فقرَّرَهُ بذلك ، وتوهّم الشرف انتزاع وظيفة « الشافعى » منه ، فاستدعى على السلطان

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٣٠

٢٥٠ بنفسه تقريره / فى القضاء ، مضافا لما باسمه من التدريس والنظر ، فأجابه لذلك .

وفات العلاء الذى كان يؤمله ، فإنه غلب على ظنه أنه إنْ لم يَلِ القضاء فالوظيفة الأخرى ، لكونه كان استقرّ فيها بعد موتِ « التلوانى » ثم عزل منها بشيخنا .

وكانت ولايةُ الشرف للقضاء يوم ثلاثين ثانى عشرى رجب سنة ثلاث وخمسين ، عِوَضاً عن القاضى « علم الدين البلقينى » وهرع الناس للسلام عليه ، ومنهم العلاء المشار إليه ، فبالغ الشرف فى التلطُّفِ به .

وباشر القضاء بعفَّة وصراحة ، وظهرت كِفَايَتُه ، واستَقَرَّ عنده فى النقابة « الشهاب » ، لكنه أشرَكَ معه « خير الدين الرِّيشى[1] » ، وماحمد الناس ذلك ، مع تقدُّمه فى الصِّنَاعة ودُربته فيها ؛ بل ولم تحمد هو عاقبته ، ولا حصلت للشهاب من القاضى راحة ، وصرح بمناوأة « العلمى البلقينى » وانتقادِ فتاويه وَغَيْرِها ورُبما اسْتَطْرَدَ للإكثار من التعقب على والده ، بكَوْنِ شيخه الولى إنما يورد كلامه فى تصانيفه ليُظهر مافيه وإن لم يُصرِّح بانتقاده ، وأن الله عز وجل اقتص لشيخه من « العلم » بأحد جماعته ، حتى شافهنى مرةً بأن الولىّ وشيخنا إنما كان الحائل لهما على ترك مبارزته كونهما لايريانه قرينا ، بل هو تلميذ لهما فادّخر اللهُ انتصارهما على يدِ بعضِ تلامذتهما ، أو نحو هذا الكلام ، وما كنتُ أحب له التعرض للسراج .

ولم يزل على ولايته مع كونه لايرفع لأحد من الأقباط والمباشرين رأسا ، خصوصاً « الجمالى » ناظر الخاص ثم « تمربغا » لكونه فهم عنه نوع تعصُّبٍ لمذهبه ، مع تقدمه عند أستاذه وامتنع من حضور عقد مجلس « ببيت الكمال ابن البارزى » إلى غير ذلك ، مما تقتضى تغيّر خواطرهم منه ،

---

(١) الريشى : : بكسر أوله ، نسبة لكوم الريشى .
(الضوء اللامع ج ١ : ٢٠٤)

مثل ما اتفق ؛ لما طُلب « المحب بن الأشقر » لبابه ، حيث مكنّ بعض سفهاء الوكلاء من الدعوى عليه والإفحاش فيه .

وأقام بـ « الزمامية » فى الترسيم أياماً ، وخاض الناسُ فى صحة الاقتداء به ، لكونه فيما يتوهمونه يبدّل حرفاً بحرف ، وليس الأمر كذلك ، خصوصاً وقد بلغنى أنه كان معه خط شيخه الولى بصحة الاقتداء به .

وكتب له « يحيي العجيسى » وكان غاية فى الفحش حين أبطأ عنه صرف معلومه « بجامع طولون » « الغريب مَنْ ذهبت أقرانه ، وقلّت أعوانه ، وعاش إلى أن رأى الحفاة العراة ، الجفاة الجناة / ، تضع وترفع ، وتصل وتقطع ، وتُعطى وتمنع ، وقد ذهب سعد الذابح ، وخلفه « سعد بلع »[1] ونعوذ بالله ذى الجلال من فتنة المسيخ الدجال ، وقد آن أن ننشد : ٢٥١

خلا لك الدهر فبيضى واصفرى ونقّرى ما شئت أن تنقّرى

و « الظاهر مع مناوأتهم له لا ينثنى عن محبّته ، ولا يُصغى لمن يعذله عن تقدمه ، بل عيّن له « الخشابية » فى توعّك عرضَ لمتوليها ، وكاد أمرُه أن يتم فيها ، وأنعم عليه بإقطاع ، بل أقطعه « طائفة » من أراضى الجزيرة وتلك البقاع ، وازدادت بذلك كلّه وجاهتُه وجلالته ، ولذلك حرص كل الحرص على القيام بمقاصد السلطان بالوجه المعتبر ، حتى كان يشافهه — فيما بلغنى — بقوله : « أحب الإخبار بمقصدكم لأنظُرَ له مُسوّغاً » وجرّ هذا لمعارضة « المحب بن الشحنة » وكذلك « البدر بن عبيد الله » الحنفيين ، حيث عُقد مجلس بين يدى السلطان فى بعض مجرياتها لكونه كان هو القائم بأعباء الوقائع ، التى تعقد المجالس بسببها بين يدى السلطان بل وغيرها ، حتى أنه عقد مجلس بـ « الجامع الأزهر » بسبب ما به من خزائن المجاورين ، والكراسى والأمتعة ونحو ذلك .

فقام بتأييد أهل الجامع ، واستظهر لمقصوده ؛ بكون المراجين كانت تعلق بالمسجد فى الزمن النبوى ونحو ذلك .

(١) هكذا جاء الاسمان فى الأصل : « سعد الذابح » و « سعد بلع »

قلت : وقد فاته أن الرافعى — رحمه الله — ذكر المسألة فى تاريخ قزوين ، فقال : « وفى الجواز نظر لما فيه من شغل الموضع ، والمَنْع من الصلاة فيه ، ثم قال : « ويشبه أنْ يُقال إذا لم تكثر ، أو كان فى المسجد سعة ، وأذِن فيه السلطان فلا بأس به ، وقد وضع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر فى المسجد ، بعد أنْ لم يكن ، وأطبق المسلمون على وضعِ المنابر ووضع الكتب فى المواضع المهيّأة فى جوامع المسلمين ، وعَدُّوا ذلك من شعائر الدين » . انتهى .

وتكرر فى هذه الولاية استعراضه لأهل السجون ، والنظر فى مصالحهم والمصالحة عنهم من جهاته ، ومن غيرها ، وخرج فيها بأمر السلطان إلى الصحراء بعد أنْ نُودِى فى الناس بالتوبة والصيام ، لأجل توقّف وفاء النيل عن وقته المعتاد ، وحصول الغلاءِ بسبب ذلك ، لكونه شرّق أكثر بلاد « مصر » ، فصلى بهم إماماً / وخطب لهم خطبة ضمّنها أحاديث وأدعية ٢٥٢ وغير ذلك ؟ وتوجّهوا إلى الله فى كشف كربهم وألا يهلكهم بسوء أفعالهم .

وكذا اتفق فيها أنّ السلطانَ أقرّ بـ « أبى الخير النحاس » الذى عمّ ضرره فى الناس فى مِحْنَتِه ليُدّمى عليه ، نيابة ، فكانت قضايا أدّى الأمر فيها إلى تصريحه بتجريح « العز الدساطى » لكونه من أعظم من شهد عليه بسبب بعض من ينسب إلى الشرف ، مما كان يقتضى سفك دمه ، بعد أنْ ثبت ذلك على « الجمال ابن عبد الغفار » ، وحينئذ وقع الإشهاد على « أبى الخير » بإمضاء تقرير السلطان « للشرف الأنصارى » فيما كان « أبو الخير تلقى عن شيخنا من خطابة « جامع عمرو » ، وإمامته وإعداده فى نزول « الأنصارى » عنها لصاحب الترجمة ، وكذا فى مشيخة « الطويلية » التى جعلت باسم « زين العابدين » ابن القاضى ، وأنجز بواسطة إحضار « أبى الخير » لبابِه الكلام مع « المحيوى الطوخى » ، بما كان اللائقُ خلافه ، لكونهِ من أعيان الشافعية خصوصاً وبينهما رضاع — على ما سمعت .

ويقال : إنّ سببَ ذلك كونه كان قبل استقراره فى القضاء خالف

« القلقشندى والمحلى » فى فتيا ، وقال له « الطوخى » حينئذ فى مجلس « الجمالى » ناظر الخاص : « أنه لا يحلُّ لك الإفتاء مع وجود الشيخين » وأشار إلى المذكورين ، فانزعج هو وولدُه من ذلك ، بحيث انتهض « زين العابدين » قائماً ، وأشار إلى أبيه بالانصراف ، وقال لصاحب المجلس : « أنت لم تُرْسِلْ لأبى إلا لمجرد الإساءة » ، فكتمها « الجمالى » كما كتم « الشرف » مقالة « الطوخى » .

على أنى رأيت « الشرف » حضر بين يدَىْ شيخنا قاضى الشافعية إذ ذاك هو و « الجلال المحلى » ليَنْظُر فى حجتهما ؛ فما بقى المحلى يسمح بتوجيه الخطاب « للشرف » لكونه لم يكن خبيراً بحاله ، لكنه ما مات حتى أثنى عليه .

وفى هذه الولايةِ انتزع من « البهاء بن القطان » بدرس « الخروبية » لتوهمه أنه لم يكن معه إلا بطريق النيابةِ عن ابن « الولوى السُّفْطِى ثم تبيَّنَ أنَّ شيخنا كان قد قرره فيه استقلالا .

ولكن لم يكن « البهاء » يظهره ، فحينئذ أفصح به ، ومع ذلك فما أفاد وقرّر « الشرف » فيه ولده « زين العابدين » ؛ وكذا رام التوقُّف فى إمضاء رغبة « العلاء القلقشندى » لأخيه وولده شركة بينهما عن تدريس الحديث بـ « جامع / طولون » فى مرض موته ، لقصْدِ التبرك بالشيخ ، وعدم إخراجه عنه فى حياته كما أخبر ؛ فانزعج العلاءُ من ذلك ، ورام الصعود إلى السلطان محولا ؛ فبادر الشرف وكتب بالإمضاء . ٢٥٣

وأمّا « الكمال بن الهمام » فما سمح بذلك فى الشيخونية » هذا بعد أن كان « الشرف » عادَ « العلاء » وجلس بجانبه إلى تكرمته ، وأخذ ينقل شيئاً عن شيخه الولى ، فعارضه العلاء بقوله : « أنا أخذتُ عن « الزين العراقى » والد الولى وشيخه ، كأنه يقول : « أنا فى مرتبة شيخك » ، ثم بعد انصرافه أنكر جلوسه على تكرمته ، وقال إنه لم يأذن له فى ذلك .

وفى أيامه بويع للخليفه « القائم بأمر الله حمزة »[1] بالخلافة ، بعد وفاة

(١) الخليفة القائم بأمر الله حمزة : هو أبو البقاء حمزة ، الخليفة العباسى بمصر ، بويع =

أخيه « المستكفى بالله سليم » بعد عهدٍ منه ، فتولاها « الشرف » واستأنفها « الكمالى » كاتب السر حتى تمت .

كل ذلك و « الشرف » ناصبٌ نفسه لنشر العلم ، من فقهٍ وأصول وعربية وحديث وتفسير ، لكن فنه الذى طار اسمه بسببه « الفقه » ، ولم يذكره معظم الناس بغيره ، وتخرج به فيه جماعةٌ صاروا رؤساء فى حياته ، مع أنه لم يشغل نفسه بتصنيف غير ما نبهت عليه من كتابته على « المختصر » وكذا بواسطة تدريس « الصالحية النجمية » .

وفى أيام قضائه شرع فى شَرْح متوسط على « المنهاج » ، كان القارىء عليه فيه « الفخرى المقسى » ، انتهى فيه إلى « مَسْح الخفّ » ، وكذا عمل أيضاً حاشيةً على شرح البهجة « لشيخه » ، بيّض منها إلى الفرائض[1] ، وقرأ عليه « المحبّ أبو حامد القدسى » وغيره بعضها ، وكتب أيضاً مواضع مفرّقةً منها غير ذلك ، وشرح قطعة من « تنقيح اللباب » لشيخه وصل فيها إلى أثناء « التيمم » ، وفى البيع إلى أثناء « الرهن » ، وقطعة من عمدة السالك « لـ « بن النقيب » ، وصل فيها إلى « أثناء الصلاة » ، واختصر « بذل الماعون » لشيخنا ، ولخّص من الأذكار للنووى أذكاراً ينتفعُ بها المريد ، وكتب فى « أقسام الضعيف » ورقةً تلقاها عنه غير واحد ، وممن تلقّاها عنه على الكيفية التى استقرّ الأمر عليها « الشرفى عبد الحق السُّنْبَاطى » ؛ وكانت كتابتُه لذلك حين إقرائه « الألفية » وشرحها ، والتمس منى غير مرة الوقوف عليها فى حياته ، فما تيسر ، هذا ما علمته من تعاليقه . وربما نظم الشعر كما سأوردُ شيئاً منه .

= بالخلافة فى عهد السلطان الظاهر جقمق بعد موت أخيه المستكفى بالله سنة ٨٥٤ هـ ، وظل خليفة حتى مات جقمق سنة ٨٥٧ هـ . ولبث هكذا فى عهد ابن جقمق المنصور عثمان ، وفى عهد الأشرف أينال العلائى حتى سنة ٨٥٩ هـ فخلع نفسه حين عاتبه اينال على تأييده للجند الثائرين ضده ، ثم سير إلى الأسكندرية وظل بها حتى مات سنة ٨٦٣ هـ .

(حسن المحاضرة للسيوطى ج ٢ : ٧١ — ٧٢) و (المختار من حسن المحاضرة لمحمد محمود صبح : ٢٤٦ — ٢٤٧) .

(١) جاءت بالأصل « القراس » .

ولما مرض « الظاهر » مرض موته ؛ واقتضى رأيه أن يعهد لولده الذى لقب بـ « المنصور » : استدعى بالقضاة والخليفة على العادة واجتمعوا ، وذلك فى يوم الأربعاء العشرين من / المحرم سنة سبع وخمسين ، فكان من استرعاء « الشرف » على « الظاهر » قوله : مع بقائكم على السلطنة . فالتقطها الواشونَ ، وألقوها فى أذن المعهود إليه ؛ وانتهز كل من الجمالى « و « تمربغا » وغيرهما الفُرصَة فى السعى للقاضى « علم الدين » فى القضاء ببذل مال ولـ « السّراج الحمصى » فى تدريس « الشافعى » بمعاونة صِهْره أمير المؤمنين « القائم بأمر الله » له فى ذلك ؛ فأجاب واستقر كل منهما فيما التمس له فى يوم السبت ثامن عشرى صفر من السنة . ٢٥٤

ولم يَعلم « الشرف » بعزله منهما إلا يوم الجمعة بعيد الغروب ، فما أمكن بعض ذلك ، بل صرح المنصور بعزله من جميع تعلقاته ، وقيل إنهم راموا الإلحاش به وبجماعته ، وانه يطلب هو إلى بيت « الدَّوَادَار الكبير « تمرْبغا » ، ولا يمكن من صعودِ المقعد ، بل يُدّعى عليه وهو من أسفله عند « المحيوى الطوخى » فعوجلوا بالركوب على المنصور وهو الأمير « يونس » شاد الشّرابخاناه [1] ، إذ ذاك بالحضور عند جماعة الأمير الكبير فى أيام محاضرتهم ، يلتمس استعطاف خاطره ودعائه ؛ ليحصُل لهم الانتصار على من ألقى فى خاطره أن حضرهم إنما هو بسبب التعرض له ، فما أجاب لذلك مع تكرر الطلب كما بلغنى .

ولعل السبب فى امتناعه كون « المستقر » معهم ، وآلَ الأمرُ إلى استقرار الأمير الكبير إينال فى السلطنة ولُقّب « الأشرف » ، فلم يتعرض للتوابين بعَزْل ، ولكن لما سافر « السراج » إلى « الشام » على قضائه ، واستخلف فى التدريس « الشمس الشَّنشى [2] . دخل الأمير « قائم التاجر »

---

(١) الشربخاناه : هى الموضع المخصص للأشربة والحلوى والعقاقير والفواكه ، وشاد الشربخاناه هو المشرف على شئونها .

(النجوم الزاهرة ج ١٢ : ٢٧٧)

(٢) الشنشى : بفتحتين ثم معجمة ، وهو محمد بن أحمد بن عمر ، الشمسى ، الشنشى ،

للجمالى ناظر الخاص ، وتوسل به فى عود الوظيفة لـ « الشرفى » صاحبها فلم يجد بُدًّا من ذلك ، وعارنه حتى استقرّ فى التدريس والنظر على عادته الأولى ؛ وذلك يوم الإثنين رابع عشرى جمادى الأولى ، سـنة تسع وخمسين .

وأما القاضى « علم الدين » فإنه استمرّ فى وظيفة القضاء بعناية الجمالى لغضّه (١) من الشرف بسبب ما تقدم ولتعظيم الأشرف فى نفسه للبلقينى .

وفى أوّلِ ولايتهِ انتزع تقى الدين « القلقشندى » الطويلية (٢) » من « زين العابدين » ولد صاحب الترجمة ، وكان رام أخذَها منه فى أيام تلبس أبيه بالقضاء ، وطلبه من الحنفى بن الديرى ، فما نهض بحجة ؛ واستقرّ البدرى بن القطان » فى تدريس « الخروبية » ؛ لكون شرطُ الواقف فى مدرستها « أن يزيدَ سنّه على الأربعين » . وزين العابدين إذ ذاك لم يبلغها

٢٥٥ وكذا لما قدم « أبو الخير النحاس » انتزع من الشرف خطابة « جامع عمرو » / وإمامته ، متمسكا بأخذها منه بغير طريق ، ولم يحفظ قيامه معه فى صون دَمه ، بل ولا كونه حين قدومه الآن قطع اعتكافه ، وتوجّه للسلام عليه مع الإهداء له أيضاً ، فقام « الشرف » واسترجعهما فاستعادهما « النحاس » أيضا ، وتكرَّرَ هذا الصّنيع مرّة أخرى ، وآل الأمرُ إلى أنْ أرسل الأمير « بردبك » مماليك من جهته يجلسون بجانب المنبر يوم الجمعة ، بقصد منع الخطيب الذى من جهة « أبى الخير » بكلّ طريق ؛ وبلغه ذلك ، فكفّ حينئذ ، ولم يبلغ أملاً ، مع أنه كان ؤمل فيه ؛ وفى « الشرفى » الأنصارى أسوأ فعل كما سمعتُه منه فى حال سجنهُ « بطرابلس » صريحا ، وما ينهضون (٣) لأكثر من هذا .

القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بالشنشى ، وبين أهل البلاد بقاضى « منية إسنا » ولد بسويقة الريش سنة ٧٧٨ هـ ظاهر القاهرة ، ومات سنة ٨٧٣ هـ .

(الضوء اللامع ج ٧ : ٣٤ ، ج ١١ : ٢١٠)

(١) ورد فى الأصل « لغضة »

(٢) الطويلية ، يفهم من السياق أنها مدرسة (اوجع لفهرس المدارس آخر الكتاب)

(٣) وردت فى الأصل « وما ينهضوا »

كل ذلك مع عدم ذكر القاضي « علم الدين » له إلا بخير ، وكونه لا يمكن من تنقيصه بمجلسه إذا أمكنه ذلك ؛ ومداراته ؛ حتى أنه لما مات « الكمال بن الهمام » لم يشهد جنازته لكونه صهره ، لئلا يزاحمه في التقدم للصلاة عليه ، بل ربما اشيع أنه أوصى لـ « الشرف » بالصلاة عليه ، ومع ذلك فلما حضر النعش ، ورام التقدم أخره « البدر بن عبيد الله » ؛ وقدم القاضي « الحنفي بن الديرى قائلا : « نحن أحق بأئمة مذهبنا » .

وأقام « الشرف » منفصلا عن القضاء أيام الأشرف كلها ثم أيام ولده حريصاً على نشر العلم ؛ والناس لا ينفكون عن التردد إليه ؛ فلما كان يوم الخميس حادى عشر شوال سنة خمس وستين أعاده « الظاهر خشقدم » بإشارة الأمير (١) قائم التاجر » وغيره ؛ عوضاً عن « البلقيني » .

فأقام إلى أن صرف ، واستقر « البلقيني » أيضاً يوم الخميس العشرين من شوال سنة سبع وستين ، ببذل مال كثير جداً ، واتفق موته بعد نحو تسعة أشهر ، فأعيد « الشرف » ، وذلك في ثامن شهر رجب سنة ثمان وستين ، وفي هذه الولاية لبس خلعة الاستمرار في يوم الجمعة ثامن عشر صفر سنة سبعين ، لما كان أشيع من السعي عليه ، ولم يلبث أن انفصل فجأة في يوم الخميس ثالث عشر جمادى الثاني بربيب « البلقيني » ، وهو « صلاح الدين المكيني » ؛ وكان « الشرف » إذا ذاك بالجامع الأزهر ينتظر جنازة « الفخر الأسيوطي » ، فبلغه أن المشار إليه طلب . فصعد عقب الصلاة لسطح الجامع ، فاجتمع بالشيخ « على الجبرتي » ، وأشير عليه بالإقامة عنده قليلا خوفاً من التلاقي مع المتولى في الطريق ؛ ففعل ، ثم رجع إلى بيته وهو في غاية ما يكون من الكرب والألم ، لكونه لم يكن المشار إليه للنيابة ، بل يدندن بالطعن فيه بقلمه ولسانه ولا يرفع / له رأساً ، ٢٥٦ مع أخذ « الصلاح » بعد موت عمه في مغالطته ، والتردد إليه للتهنئة وغيرها ،

---

(١) وردت في الأصل « الأمر » وهو خطأ .

فما خضع « الشرف » ولا وافق على صَرْفِ شيء مما له تحت نظره ، وكان ذلك منه عين الغلط ، فإنه جعله وسيلةً للسعى ، واسترضى فى السرّ كل مساعدى « الشرف » حتى « الشرفى الأنصارى » ، وصادف ذلك تغيرُّ خواطر جماعة من الأمراء ، [كالدوادار](١) يشبك الفقيه ورأس نوبة « الكبير أزبك » على « الشرف » ، بسبب التماسهم منه الرضا عن قاضى المحلة « أوحد الدين بن العجيمى » وعدم إجابته لهم ، طمعاً فى محبتهم له واعتقادهم فيه ، حتى أن الأمير « أزبك » شكاه بهذا السبب للأمير « قائم » فأنكر عليه ذلك أيضاً ، بل كان أحد رفقته فى القضاء شيخ المذهب « العز الحنبلى » متغيظاً منه ، لإنكار « الشرف » على بعض نوابه إثباتَ ما العادة جارية باختصاص الشافعية به .

فانزعج العزُّ من ذلك ، وشافهه بكلماتٍ ، فاحتملها وصار يتلطّفُ به غايةَ التلطف ، فما أفاد ، بل لمّا سلم عليه بالعزل حينئذ ؛ اتفق حضورُ ابن القاضى « علم الدين البلقينى » ، فأخذ « العز » فى الثناء عليه ، وكونه ابن شيخ الناس ؛ بل كل الناس مِنْ طلبة جده أو طلبتهم ، فكان ذلك فى هذا الوقت كالتدفيف(٢) ، وما أظن وقوع هذه الكائنة إلا بسبب الإكثار من التعرّض لكلام « السراج » حسبما أشرتُ إليه أولا ، حيث وقع الانفصالُ ببعض أتباع أهل بيته .

كما أنه حصل القصاص لـ « الولى » بواحد من جماعته ، كما حصل القصاص لابن « الملقن » من الولىّ ، فإنه قال : إذ صرّح القاضى « علم الدين » بعد أخذ وظيفة القضاء منه ، بطلب المناظرة معه . أعرف ذنبى فى ذلك ، وهو أنه لما استقر شيخى « ابن الملقن » فى وظيفة والدى بدرس دار الحديث « الكاملية » حين سفره « للمدينة النبوية » بعد رغبة والدى

---

(١) ما بين المعقوفين ورد فى الأصل « الدواوى »

(٢) التدفيف : دفف تدفيفاً . أسرع . والدفيفة : السبراللين ، ومن الطائرة : مره فوبق الأرض أو تحريك جناحيه ورجليه وفى الأرض . ودافقته : أجهزت عليه وتدافوا : ركب بعضهم بعضاً وأدفت عليه الأمور تتابعت [القاموس المحيط] .

لى عنه ، طلبت المناظرةَ معه فطاف على مَنْ كان موجوداً حينئذ من مشايخى كا « لبلقينى » و « الأبناسى » حتى سكتُ ، فسبحان الحكم العدل .

وكان يظن أنه بموت [البلقينى] [يصفو][1] وقته فما ازداد إلاّ نكداً ، بل عاد النقصُ على سائر الطائفة ؛ ولذلك صار يظهر تأسّفه على فقده ، وتوالى الكرب بـ « المناوى » مرة بعد أخرى ، خصوصاً حين يذكر للقضاء مَنْ هو فى عداد أصحابه فيأبى ، ويُسأل له فيه فلا يجاب السائل ولا يُلبّى ، بحيث أنه أنشد بُعَيْد عزْله مما / كتبه بخطه من نظمه ببعض الاستدعاءات :

٢٥٧

إلى الله أشكو محنة أشغلت بالى
فمِنْ هَوْلها ربع اصطبارى غدا بالى

ومالِىَ مأمولٌ سوى سيّد الورى
فإنى بذاك الجاه علّقت آمالى

أيا سيّدا لا زال طول حياته
إذا سألوه ، لا يرد لتسآلى

لقد ضاق ذرعى من أمورٍ كثيرة
وأنتَ مَلاذِى فى تغيّر أحوالى

وإن كنتُ يا مولاى عبداً مُقصراً
فحكمكَ يا مولاى أعلى وأولى لى

عليك صلاةُ الله ما هبّت الصّبا
ولا سَالَ دمعى من خوفٍ أو سلا سالى[2]

وقد مَشى فى آخر البيت الأول على لغة ربيعة فى الوقف على المنصوب بالسكون بحذف الألف ، كما كتبه الناظم بخطه ، حيث قال فوق لفظة « بالى » لغة » .

(١) وردت بالأصل « يدفوا »

(٢) وردت هذه الأبيات عدا البيت الأخير بالضوء اللامع ج ١٠ : ٢٥٦ — ٢٥٧

واستمرّ على قهره حتى مات كمداً ، وقد تفتّتَ كبده فى ليلة الإثنين ثانى عشر جمادى الثانى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة . ودفنَ بتربته جوار « ضريح الإمام الشافعى » .

واستقرّ ولده بعدَه فى تدريس « الشافعى » وغيره من وظائفه ومرتباته وجاء العلم بذلك وأنا بـ « مكة » فارتجّت ، وصلّوا عليه صلاةَ الغائب ، ولم يخلف بعده فى مذهبه مثله — وكانت جملة وَلاياته فى المرّات الثلاث ثمانية أعوام وثلاثاً وأياماً ، وأوّلها أحسنها ، وأما التى تليها فاختل النظام فيها كثيراً من أجل إرْخاء العِنان لأتباعه فى تحصيل ما يقع الالتزام به عند الدخول وكذا ما يطلبُ منهم فى الأثناء بواسطة الاحتجاج بطروق ساعٍ . وصار ببابه عدّة نقباء وغيرهم من الأعوان .

وأما المرّة الأخيرة فهى أسوأها ، وكثر تحمله هو وولده للدُّيون بسبب ذلك — وبالجملة لم يَرْتشِ فى القضاءِ قط ، ولا مَال على استبدال شىء من أوقاف « الحرمين » ، بل ولا غيرها سوَى مرة واحدة ، احتاط فيها لجهة الوقف غايةَ الاحتياط . وباشر كشفه بنفسه ، ولم يزل أكثرُ النواب معه فى ضَنْك ، وفى كل وقت يستنيبُ من يغلب / على ظنه التوقف فى صحة ولايته ، ولذلك كان أكثرهم يرْغبُ فى ولاية غيره ، حتى إنه حضر إليه بعض [السفهاء] ممن عُرف بالجرأة فى بعض عزلات فأنشدَه مما أوهم أنه لغيره : ٢٥٨

إذا لم تجودوا والأمور لكم تمضى	وقد ملكت أيديكم البسط والقبضا
فماذا يُرجّى منكم إن عُزلتمو	وعضّتكم الأيامُ من جوْرِها عضا
وكنتم سماء للأنام عليّة	فصرتم لأدنى مَنْ يجالسكم أرضاً
ستسترجع الأيام ما أقرَضتكم	وما زالت الأيام تسترجع القرضا

فلا قوة إلا بالله .

ولما بلغ « الحسام ابن حريز » قاضى المالكية صنع هذا المدبر ، رام مقابلته وتعزيره بما يليق به ، فراسلهُ بالسؤالِ فى الإغضاء والصفح ، فكان يُعدُّ من حسناته .

وكانت أوقاته مشحونةً بالإقراء والتّعبّد والأشغال . حريصاً على تربية المنتمين إليه ، والتنويه بذكرهم ، بحيث يقول : أصحابنا فيهم كلُّ واحد يكتفى به أهل بلد . وقلّ أن سمعته يقول : تلامذتى ، بل يقول : أصحابى ، ونحو ذلك . غير سامح بالثناء على غيرهم بما يسمح لهم به ، حتى فى المباحثة به ، بحيث لا يمكن كبير أحد غيرهم من التكلّم معه غالباً ، راغباً فى عدم الصياح ، والصخب فى مجلسه . وكان إذا بحث مع أحد من جماعته ، ونُوزع فيما يميل إليه ، ولم يوافق عليه يقول : (أنلزمكموها وأنتم لها كارِهونَ)[1] .

آخذاً بيد من يقصده فى مُهمّاته ، مداوماً على حضور وقت الشافعى فى كل شهر ويصلى العشاء ، ثم يجلس متربعاً ، مطرقا خاشعاً لا يقوم ولا يتزحزح ، وهو على طهارة كاملة ، فإذا تم الختم ، قام فصلى ما تيسر له واستمرّ حتى يُصلّى الصبح . ثم يذكرُ ويُسبّح ، ويتوجه حينئذ لضروراته مع المداومة أيضاً على القيام ، وكثرة الصيام ، والمحافظة على غسل الجمعة ونحوه ، كالاعتكاف فى شهر رمضان ، أو فى العشر الأخير منه ، وفى ذى الحجة والمحرّم ، ونحو ذلك ، بـ ، جامع عمرو ، أو غيره ، مديماً للتلاوة والمطالعة للسيرة النبوية ، حتى يكاد يأتى على الغزوة منها بتمامها حفظاً مع حفظ كثير من الرّقائق ، وحكايات الصالحين وتراجمهم .

وإذا قرىء عنده حديثُ النبي — صلى الله عليه وسلم — يكون هو وجماعة مجلسه فى غاية ما يكون من الإطراق . وسكون الأطراف ، لا يتكلم مع أحد ، ولا يتزحزح لقادِمٍ إلا فى النادر فيهما ، ذا جلادةٍ على القراءة بحيث يجلس غالباً من بعد صلاة الصبح إلى الظهر .

ولقد بلغنى عن بعض الأئمة أنه كان يُكثرُ التعجّبَ من خُلوّ فكره للإقراء مع ما كان عليه من الديون ، بل حكى لى بعضُ طلبتِهِ أنه بينما هو فى إقراء « الحاوى » جاءه مَنْ أخبره عن قصَبٍ له بأنه غرق ، قال : فما كان ذلك بقاطع له عن تتمة الدرس .

---

(١) سورة هود الآية رقم ٢٨ .

٢٥٩ ولكن يقال إن ذلك بِبَرَكَةِ / رؤيته للنبي — صلى الله عليه وسلم — فإنه رآه فى المنام — فيما قيل — وَوَضَعَ يده على قلبه بحيث وجد بَرْدَها مع استمرار ذلك .

خبيراً بإدارة المعاصر والسّواقى والمزْدَرَعات(١)، ونحو ذلك — بل لأجل خبرته بها صار لجماعة من طلبته فيها بَراعة ، وكذا له خبرة تامة بالمباشرة ومتعلقاتها ، حسن التّلطف بأهْلِهِ ، والتودد إليهم ، ولو حصل منهم بعضُ جفاءٍ .

اتفق أنه تزوج ابنَةَ شيخه « الكمال بن الهمام » التى كان تزوّج بها بكراً « حسين بن الخواجا شهابُ الدّين قاوان » فى حياة والدها ، فلما مات والدها ، كرهت الإقامة عند « الشرف » وصار يبدو منها عدةُ مخالفات ، وهو يبالغ فى الصبْر والتّودّد مراعاةً لوالدها ، وحفظاً له فيها ، إلى أن انقطع صَبْرُه ، بعد أن أعلمها بأن ذلك إنْ كانَ نشأ عن رغبتها فى زَوْجها الأول طلّقها ، وجهّزَها إليه بـ « مكة » مُكرّمةً . فما رضيت إلا بفراقه ففارقها ، ولم ينتظم لها حالٌ بعده .

كثير الرّغبة فى البذْلِ للفقراء ، والإحسان إليهم ، والتّواضُع معهم ، وربما تصدق بقميصه ، بل شيء معه . والتفت إلىّ فقال : هل يظن أن القاضى الشافعى ليس عنده فى هذه الأيام ما يتصدق به ؟ ثم قام فدخل البيت وأحضر عِمَامَةً له جيّدةً فدفعها لِذلك الفقير .

وكان لجماعة من الفقراء فى كل سنة عليه رواتب ، من القمح والعسل ، ولآخرين قصاناً ، ولآخرين رواتب من الخبز كلّ يَوْم ، وكذا من الطعام وقلّ أن كان يأكل وحده

وأما معلومه بـ « جامع عمرو » وهو فى كل شهر ألْفَا درهم ، فكان يفرق ما يفضل عن معلوم نائب الخطابة وهو « الفخر العشى » ونائب الإمامة وهو « السيد شمس الدين محمد بن شيخه الطباطبي » على جماعةٍ من

---

(١) المزدرعات : زرع وازدرع : طرح البذر ، وموضع الزرع : المزرعة والمزدرع « القاموس المحيط »

أهل « مصر » و « الجامع » ، ولا يتعاطى منه شيئاً ، وكثرت استدانته لهذا الصّنيع وانتفع جماعة من جماعته بمحاباته لهم فى السّلَم[1] لأجل احتياجه للتعجيل حتى إن ولَدَهُ صار بآخرة لا يمكنه من التصرّف ، بل حُجِرَ عليه ، واتفق أنه لم يجد معه فى العَشر الأخير من رمضان ، ما يُقوم بما جرت عادته بصرفه فتلطف بـ « الزين المنهلى »[2] أحد أعيان جماعته ، حتى أحضر له ستين ديناراً فاستو فى تفرقتها ، وعاب صنيعه فى هذا من لم يوفق لرُشدِه / وكان هو عالم بإنكارهم عليه به ، وكذا كان يُعاب عليه شِدّة ٢٦٠ مُبالغته فى حسن الاعتقاد وإفراطه فى ذلك . بحيث إنه قال لى مرّة : أعرف الظالم من المظلوم من الفقراء ولا أتكلّمُ بينهم ، وإذ رأيتُ هذا أخذَ عمامةَ هذا لا أنازعه ، فقلت له فى الجواب غير ذلك مخاطباً لرفيق كان معى ، وكان مساءً : قمْ بنا ليلاً توخذ عمائمنا من صوف فلا يأخذ مولانا قاضى القضاة على يديه أو نحو هذا :

ومع ذلك كله فما استطاع التخلف عن الإفتاءِ فى كائنة « ابن عربى » بما يكتفى بدونه منْ مثله وعدم مُراعاة العربية فى ألفاظه ، وتقريره ونحو ذلك ، حتى اتفق أنه ساقَ مرة سلسلة سنده فى الفقه فجمل « الماسُرْجسى » بـ « الخاء » المعجمة . فردّها عليه « النواجى »[3] ردّاً مزعجاً وأنها « جيم » فكانت أبلغَ نكاية ، فإنه لم يكن يرفع النواجى رأساً لما أشيع من كونه هجا شيخه « الولىّ » متعرضاً لذكر « الشرف » ، حتى إن « النواجى » قلق من إعراضه عنه ، وعدم انقياده معه فى صَرْف ماله تحت نظره فى الأوقاف وغيرها ، فاحتاج إلى أن امتدحه بقصيدة ، وأنشده إياها من لفظه : فما أظهر كبيرَ أمرٍ مراعاة لحق شيخه .

ويقرب من ذلك أنه بلغه أن القاضى « ولى الدين » ابن « تقى الدين

---

(١) السلم : السلف ، يقال أسلم وسلم إذا أسلف ، وهو أن يعطى ذهباً أو فضة فى سلعة معلومة إلى أمد معلوم ، فكأنك قد أسلمت الثمن إلى صاحب السلفة .

(٢) المنهلى : سبقت ترجمته .

(٣) النواجى : نسبة لنواج ، وهو محمد بن حسن ن على ، الشاعر الشهير .
الضوء اللامع ج ٩١ :

البُلقيني ، نازع في كلام نقِلَ عن شيخه « الولي » واتفق حضورُه عنده فلم يقم له ، وأعرض عنه ، فما احتمل ذلك ، وسأله عن سببه فأعلمه وبالغ في توبيخه والرّفعة لشيخه ، فأخذ في الاعتذار إليه والتلطف به وناهيك بهذا من مثله ، حتى سكن ورضي .

وقد اجتمعتُ به في سنة إحدى وخمسين ، وخرّجت له إذ ذاك جزءاً[1] من مَرْوِيّاته تشتمل على أحاديثَ وأسانيدَ وغيرها ، بإشارة شيخنا « الزين رضوان » بذلك ، ثم خرّجتُ له بَعْدُ أربعين حديثاً سمِعَها منه الفضلاءُ في ولايته الأولى بالمكان الذي بناه « التّاج بن حنّا » للآثار النبوية بقراءتي فإنه كان غالباً عِنْدَ ختم التقسيم يَتَوجّه بالجماعة قُبيل رمضان إلى هناك ويجتمع من الناس مَنْ لا يُحصى كثرة ، وفي تلك المرّةِ رأيته نزل البحر فسبح سباحةً جيدة ، تدلُّ على قوة زائدة .

وكذا قرأتُ عنده « المسلسل » بـ « بالأولية » بل سمعتُه من لفظه بشرطه « وفوائد تمام » و « الغيلانيات » و « السّيرة النبوية / لابن هشام » « وجزء « ابن سعد البغدادي » و « سداسيات » « الرازي » والجزء الأول من « الأربعين » الثلاثيات « للرهاوي » وجزء « الغطريف » ومشيخة « أبي غالب » ابن « البنا » و « الشمائل النبوية » « للترمذي » وغير ذلك . ٢٦١

ولبستُ منه الخرقةَ الصّوفية ، والتمس منّي مُقَابَلةَ « مجمع الزوائد » لـ « الهيثمي الحافظ »[2] معه ، ليضبط مشكل ألفاظه في المتن وغيره ؛ ففعلتُ ذلك في المجلد الأول خاصة منه ، وحضرتُ عنده اتفاقاً دروساً في « شرح الألفية » لـ « العراقي » ولم يكن ممن خاض في بحار هذا العلم ولا مارسه ، بل فَنُّه الذي طار اسمه به كما تقدم « الفقه » . وقصد تقسيم « البهجة الوردية » .

---

(١) في الأصل « جزاء »

(٢) الهيتي : بكسر ، وعلى الألسنة الفتح ، ثم سكون .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٢)

وسمع هو من تصنيفي « القول البديع » وكتب بخطه أنه سمعه مني ، فاستفاد أكثر ، وأطيب فما أفاد . وبالغ في تقريظه وتقريظ مؤلفه . ومن ذلك قوله :

فلما أشرف علم الحديث على الاندراس من التدريس ، حتى لم يَبْـقَ منه إلا الأثر والانفصال من التأليف حتى لم يبـقَ منه إلا الخبر ، انتدب لذلك الأخ في الله — تعالى — الإمام العالم العلامة والحافظ النَّـاسك الألمعي الفهامة ، الحجة في السُّـنن على أهل زمانه والمشمر في ذلك عن ساعد الاجتهاد في سرّه وإعلانه . لجدَّ بجدٍّ في حفـظِ السُّـنّة، حتى هجر الوسن ، وهاجر [بعزم][(١)] في تحصيل الرواية ، حتى طلق الوطن . وأرْوَى الناسَ من عَذْب بحر السُّـنة ، حتى ضرب الناسُ بعطن . . في كلام أطول من هذا .

وكان حَسَـنَ الاعتقاد فيَّ ، كثير المحبّـة لي ، وذكرني[(٢)] بالجميل غيبة وحضوراً ، وصرّح مرّة في مجلس دروسَ « الشَّـافعي » بقوله : « فلان » وأشار إليّ أحفظ مني في الحديث ، وأذن لي في التدريس والإفتاء بل كان — رحمه الله — يراجعني فيما يقعُ له من الأسئلة الحديثة كثيراً ويطلب مِنيّ الإمداد له بما يتكلم به حين التهنئة للسلطان في أوائل الشهور ونحوها .

وقلت له مرة : أحبُّ أن أمرَّ معكم على الفقه مرورا جيداً ، فقال : الزم ما أنت فيه ، فإنه كادَ يتعين عليك . . ولامني مرة على سفر سافرته لكونه قاطعاً عند الاشتغال / ٢٦٢

ولما استقر « الوكولي الأسيُـوطي » في قراءة « البخاري » بـ « القلعة » أرسلني إليه ليقرأ المجلس بحضرتي ، وكذا أرسلني إلى « العلاء بن أقبرس » لأتـكلم معه في بعض الأحاديث التي كان تنَـازَع هو و « العلاء

(١) في الأصل كلمة لم نستطع قراءتها وما ذكرناه هو ما يقتضيه السياق .

(٢) وردت في الأصل : وذكر أني .

القلقشندى » بها بحضرة « الظاهر » ليكون على يقين فى معارضته حينئذ من عَوْدِ الكلام فيه إلى غير ذلك مما يطولُ إيراده . كل ذلك لعظيم رغبته فى الخير . ولذلك كثرت تلامذته حتى كان ممن أخذ عنه سوى من أشرتُ إليه — فيما تقدم — « النجمى بن حجى » بعد أن كان سلك فى أمره التقليد أولا . فلما خالطه عَرَفهُ ، فارتبط به . و « البرهان ابن زهيرة » قاضى « مكة » وعالمها . و « الشهاب ابن أبى السعود » و « ابن أسد » ومَنْ يطول سَرْدُهُم .

واختلى عنده جماعة كثيرون منهم : « البرهان الأنصارى » أخو « الشرف » و « الشمس الخالدى » والشيخ « عبد الرحمن المغربى » وأخذ عنه فى شرح « ألفية العراقى » من غير أهل مذهبه « التاج السَّكَنْدَرى » وأبو يزيد » المالكيان « والبدر السعْدى الحنبلى » .

ومن نظمه قوله فى قصيدة امتدح بها النبىَّ — صلى الله عليه وسلم — حين حجَّ حجتَه الثانية سنة اثنتين وعشرين :

تشيرُ بأطرافِ الأناملِ للسما . فتأتى غيومٌ كالسيول مواطرُ
على أنهـا تأتى على خجل فكم تفجّرَ بحرٌ من بنانك زاخرُ

ومنها :

ولمّا أرادوا منك إظهارَ رايَةٍ ظهرْتَ وَوَجْهٌ يُخجل البدرَ زاهر
فلما رآه البدرُ خرَّ تواضعـاً وشُقّ إلى أن شاهدته النواظرُ

وكتب إليه الشريف « صلاح الدين الأسيوطى » وقد رام الاجتماعَ به بـ « جامع عمرو » فلم يسمح بالاجتماع به لشغله بالاعتكاف :

هـذا لعمرى جامع قـد ضمّنا والقلبُ نحوكَ يالهُ من شيقٍ
لكن تخلّف صانع لضرورةٍ فاعجَبْ لهُ من جامعٍ ومُفرّقِ

فأجابَهُ صاحبُ الترجمة بقوله الذى أنشدنيه لفظاً :

الجامع العَمْرىُّ لما يقتضى جمعاً ويجمعنى فيمنعُنى اللّقا
قدمتُ مانعـه على مايقتضى فاعجَبْ له من جامعٍ ومُفَرّقِ

ومن نظمه أيضاً ما رأيته بخط «الشهاب الحجازى» وقد سمع قول «ابن غالة» فى ذم العذار :

سأصنع فى ذم العذار بدائعاً فمن شاء فليقض الليل كما أقض
إلا كاللام ، واللام شأنها إذا ألصقت للاسم صار إلى الخفض

فقال .

بلى إنها لامُ ابتداءٍ محبة أو اللام للتأكيد ليست بذى الخفض
فلو أبصرت عيناك والمسكُ قد مشى على خده الوردى كنت إذاً تقض

وكتب إليه الشيخ «شهاب الدين الإبشيطى»[1] ، نزيل «طيبة» نفع الله ببركاته — أبياتاً :

فما قولكم أبقاكم اللهُ فى امرىءٍ أتى طائعاً بيتاً نهاراً بلا نُكرِ
وبالبيت مربوط بوبزل عامة من الإبل المفتولة الوبر الحمرِ
ونحل بكورانه مع غطائها ففكّ غطاها جاشت النحل كالقدر
وبالجمل المربوط بالبيت أحدقت فما برحت أن مات من سُمها النكر
فما يلزم المرء الذى فكّ قيدها من الجمل المقتول من دائها القهرِ
بذا طُوفت آفاقُ كتب عديدة وأهل علومٍ كلهم قال ما تدرى
فمنّوا علينا بالجوابِ تفضّلا مثابين من رب السموات ذى الأمر
فإنى وإخواننا نواصل بالدعا وندعو لكم تترى بخاتمة الخير

فأجاب بقوله :

إلهى لك الحمد الذى أنتَ أهله فيسرْ لىَ التوفيق فى السر والجهر
وَصلِّ على الهادى محمد الذى اقامَ حقُوقَ اللهِ فى العسرِ واليُسر

---

(١) الإبشيطى : بكسر الهمزة ، هو أحمد بن اسماعيل بن أبى بكر بن عمر بن بريد ، الشهاب ، الأبشيطى ، ثم القاهرة ، الأزهرى ، الشافعى ، نزيل طيبة ، ولد فى سنة ٨٠٢ هـ بإبشيط « قرية من قرى المحلة من الغربية » ومات سنة ٨٨٣ هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع « الضوء اللامع ج ١ : ٢٣٥ »

وسلم هابه ثم سلم على أخٍ يُسائل عن نَحْل تعدّى على بكر

/ ومن عَلِمْته رثاه ، ما وجد الشيخ « شمس الدين القادرى » (١) وكذا شيخ الوقف « الشهاب الحجازى » (٢) وصاحبه الشيخ « شمس الدين الجوجرى » (٣) وعلى إيرادها اقتصرت لا لكونها أحسن :

٢٦٤

خطبٌ جسيمٌ ورُزءٌ جلَّ موقعه
ومدمَعٌ أغرق الإنسان أدمُعه

ولوعةٌ فى الحشا تُذكى بها لهباً
وإذ صَاحَ ناعٍ بما قد ساء مسمعه

لفقد قاضى القضاة الحبر من شرُفت
ذاتٌ لمّا حلَّ فيها الخيرُ أجمعُه

---

(١) الشمس القادرى : هو محمد بن أبى بكر بن عمر بن عمران الأنصارى السعدى ، الدنجاوى ، ولد سنة ٨١٥ هـ ، واشتغل بالعلم ، وقال الشعر فأكثر ، برع فى فنون الأدب نظما ونثرا ، مات سنة ٩٠٣ هـ ومن نظمه قصيدة منها :

شجاك بربع العامرية معهد به أنكرت عيناك ما كنت تعهد
ترحل عنه أهله باهلة بأحداجها غيد من العين خرد
كواعب أتراب حسان كأنها بدور باغصان النقا يتأود

(حسن المحاضرة السيوطى ج ١ : باب من كان بمصر من الشعراء والأدباء)

(٢) الشهاب الحجازى : أحمد بن محمد بن على الأنصارى الخزرجى ، الشاعر البارع ، ولد سنة ٧٩٠ هـ ، عنى بالأدب كثيراً حتى صار أحد أعيانه ، وصنف كتباً أدبية منها : روض الآداب ، والقواعد والمقامات من شرح المقامات ، وغير ذلك مات سنة ٨٧٥ هـ .
(حسن المحاضرة السيوطى ج ١ : باب من كان بمصر من الشعراء والأدباء ، والمختار من حسن المحاضرة : ١٣٤

(٣) الشمس الجوجرى : هو محمد بن عبد المنعم بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن أبى الطاهر اسماعيل ، الشمس بن نبيه الدين الجوجرى ، ثم القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بين أهل بلده بابن نبيه الدين وفى غيرها بالجوجرى ، ولد سنة ٨٢١ هـ أو التى بعدها بجوجر ، وتحول منها إلى القاهرة صحبة جده لأبيه بعد موت والده وهو ابن سبع فأكمل بها القرآن وحفظ المنهاج الفرعى ، وألفية ابن مالك ، وكتب الخط المنسوب ؛ وكتب على عمدة السالك وكذا على الإرشاد مختصر الحاوى لابن المقرى فى أربعة فأزيد ، وعلى شذور الذهب مطول ومختصر وقصيدة البوصيرى الهمزية التى أولها : كيف ترقى رقيك الأنبياء : فى مطول ومختصر أيضاً سمى أولاهما خير القرى فى شرح أم القرى ، مات سنة ٨٨٩ هـ بالظاهرية القديمة بالقاهرة . (الضوء اللامع ج ٨ : ١٢٣)

هو المَنَاوِى بحرًا فى العُلوم وفى
الأفضال طاب به للناس مَشْرَعه
طابَتْ سريرتهُ حقاً وسيرته
فَعَنْه حدِّث بخير الطيب أضوعه
قد كان فى الفقه أعلى الناس مَرْتَبةً
لما يُؤصِّل فيه أو يُفرِّعه
لا تسكن النفس عن المشكلات سوى
لما يُقرِّرُه فيها ويُسْمِعه
تبكى الفَتَاوَى عليه طولَ غيبته
والأرضُ مَسْجدهُ فيها ومَرْكعُه
واحَسْرتاه لِعلمٍ كان يَنشُرُه
فينَا ، وَوَالحَديثِ كان يرفعه
لِسيرَةِ ابن هشامٍ حين يُوردُها
رَوْضٌ يَطيبُ بِهِ للناسِ مَرْبَعُه
وكم أرى الخصْم فى بحثٍ وفى جدَل
من دِقَّةِ الفكرِ ما أدناه يَصْرَعه
وفى اللُّغَاتِ وفى نحوٍ يَرَى عجباً
مِنَ الخليل لحزم النَّقْلِ مَرْجعُه
وكان واللهِ فرداً فى محاسنه
فلن تَرَى أحداً فى النَّاس يَشْفعه
كم من مكارمَ جادَتْ يَدَاهُ بِها
أنَّى يُقَاسُ بها نيل وأصبعه
فكم كسَا عارياً ما كانَ يلْبَسه
وكمْ أغاثَ أخا فقرٍ تطوعه
عمَّت عطاياهُ ذا ضِيقٍ وذا سَعة
بحرٌ مَكارمُه والكفُّ مَنْبَعُه

وَهَمُّه أبــدًا مَالٌ يفرّقُه
إذ كانَ هَمُّ سِواه ما يُجمّعُه
لا تمسك الكفّ منه درهماً أبداً
٢٦٥ بل كفّه عنه مع زهد تورّعه /
وكم صيــام له فى كل هاجرة
وكم قيامٍ طوالَ الليلِ يصنعه
وما اشتكى أحدٌ هماً فلاذَ به
إلا وفرّجـــهُ عنه تضرّعه
لا يعرف الفحش فى قول يَفوهُ به
وإن حوى الفحش قولا ليس يسمعه
قل لابن «مقلة» لا تحكى كتابته
بل ينسكبْ أسفا والخدّ مرتعه
سَقى الغمامُ ضريحاً ضمّ أعظُمَه
وطـابَ فيه بفضل اللهِ مَضجعُه
وصافحته يَدًا رِضوانٍ فى مَلأ
من الملائك يحْبُوهُ ويُسرِعه
وفاز بالحور فى الجنات يسكنها
مع النبيين أعلى الخلد موضعه
ممتّعاً برضى البــارى ورؤيته
فى لذّة بخطــاب الله يسمعه
لولا تكدّر فكرى من مصيبته
رأيت نظمى فيه كيفَ أصنعُه
لكن أتيتُ بما قدْ لانَ من كلمى
فى يوم فرقته كىْ لا أضيعــه
ثم الصلاة وتسليم الإله على
خير الأنامِ وأعلاهُ وأرفعه

محمد خاتم الرسل الكرام ومن
يوم القيامة مولاه يشفعه
والآل والصحب والأزواج ما عنبت
يد الردى بحبيب عز مصرعه

القاضى زين الدين أبو الصدق

أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بابن مزهر

٨٣١ — ٨٩٣ *

أبو بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الخالق بن عثمان القاضى زين الدين أبو الصدق بن القاضى بدر الدين بن القاضى بدر الدين عميد الأعيان المعتمدين . من بيت ضياؤه بالكمال مُزهر ، وصفاؤه للمحاسن مُظهر . واحدٌ به الأيام سطعَ ضوؤها المشرق ، وزائد جوده التام ، حتى كان محط رِحال أهل المغرب والمشرق . مَنْ به الجمال للناس حقيقة ورَسْماً وعليه المعوّلُ فى زمان الإلباس فعْلا وإسماً .

تقدم فى الصناعتين ، واستحقّ التعريف بذى الرياستين ، وعرف بالذهن الذى يتوقّدُ ، والنفس المزاحمة للفرقدَ . وساد بحسن طباعه ، وزاد بما اجتمع فيه من العلم ، ورقم يَرَاعه بحيث حمد من يُفاضل بذكر مآثره ويناضل إن كان القاسم بمنصب القاضى الفاضل انفرد بمزيد توددِه وتواضعه وقصدَ المستغيثُ التوصّل به لمنافعه ، فرَجعَ بالتأميل مع التأهيل وهو يتلو « ما على المحسنين من سبيل »[1].

وصل بجميل سيرته إلى أعلى الرتب ، وحفظ — إن شاء الله — بحسن سيرته من المخاوف والعطب ، واشتهر بحبّ العلماء ، وتقريب

---

* الزين بن مزهر : هو أبو بكر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الخالق ابن عثمان الزين بن البدر الأنصارى الدمشقى الأصل ، القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بابن مزهر (الضوء اللامع ج ١١ : ٩٨)

(١) ما على المحسنين من سبيل » الآية ٩١ سورة التوبة .

الأخيار ، والفيض على الفقراء سحائب البرّ والإيثار . والصدق فى توكله، والرفق فى توسله ، والقيام للتهجد ، والمحافظة على الأوراد والتعبد ، ومزيد برّه بوالدته من صغره ، وهلم جرا — ووقوفه عندما يَصدُر عنها نهياً وأمراً ، ونشر الإحسان ، بل سائر أعماله الصالحة ، وسير الركبان بما هو مُضمره غادية ورائحة ، لا يُنشد — إلا على قدر أهل العزم تأتى العزائم — ولا يُسند إلا العطاءَ الجزل — وتأتى على قدر الكرام المكارم .

مَا سَادَ أحدٌ ناوَأه ، ولا زاد هو عن تناسيه إياه ، بل لجميل رُبما ولاه . من لم يَلذْ بحماهُ فليس له استبصار ، بل حاد عن طريقة الاهتداء والاعتبار . وكيف يرجو الهداية من لم يسلك طريق الأنصار ، الذين قال فى حقهم من اختاره الله واصطفاه « من أحبهم أحبّه مولاه » فلذا عكف الناسُ من سَائر الأقسام على خدْمته ، وأمّلوا دَفع البأسِ بإلزام قلوبهم بالدّوامَ على محبّتهِ ، مع ما مُنِحَهُ من إصغاءِ الملوك لإشارته ، وارتفاق الغنى فضلا عن الصعلوك بسفارَته . حفظه الله فى الدارين من كل آفة ، وعمّ بالرّحمة خَالفَه وأسلافه .

الأنصارى الدمشقى الأصل القاهرى المولد والدار ، الشافعى عرف بابن مزهر ، ويُسمى محمداً ، لكنه اشتهر بكنيته ، فصار لا يعرف بغيرها . ولذا أثبته بعد الأسماء ، وفيه إشارة لانفراده جزما ، رئاسة وحزْماً :

نسبٌ كان عليه من شمس الضحى
نوراً ومن فلق الصّباح عمُوداً

٢٦٦ / كان جدّه « الشهاب محمد » ويكنى « أبا بكر » و « أبا عبد الله » أيضاً من أئمة الشافعية ، وأعيان القرّاء ، ممن أخذ القراءات عن « العلم السخاوى » والفقه عن « ابن الصلاح » . وأقرأ — وكان شيخ الإسلام قطب الأولياء الكرام « المحيوى النووى » يعظمه ، حسبما رأيته بخطه ، وأوردته فى ترجمة النووى من تصنيفى .

ونَسَبَه : أنصارياً — روى عنه « الحافظ الذهبى » وأورده فى معجمه وتاريخه وطبقات القراء وغيرها من تصانيفه وآخرون ومات فى رجب

سنة تسعين وستمائة ، وله حفيدان : أحدهما « الشمس محمد » كان أحد رؤساء « دمشق » ممن وَلِيَ بها وكالةَ بيت المال مُدَّةً ، ومات في شوال سنة إحدى وثمانين وسَبعمائة ، وثانيهما جدُّ صاحب الترجمة « البدر محمد » كان كاتبَ سرِّ « دمشق » قدر عشر سنين ، مِمَّن تفقَّه بأحد شيوخ « الشهاب الأذرعى » الشيخ « شمس الدين محمد بن عمر بن قاضى شهبة » الجامعُ بين العلم والعمل ، جَدِّ فقيه الشام « التقى أبى بكر بن أحمد » ، وساعد « البدر » شيخه المذكور حتى أخذ له تدريس « الشامية البرانية » ووصف « البدر » فى مُباشرَته : بالعفة والنزاهة ومات فى سنة ثلاث وتسعين بعد أن أنجب والد صاحب الترجمة وكان مولده فى سنة ست وثمانين ، وَتَرَقَّى مراتب السَّعد ، حتى استقل بكتابة السِّر « بالديار المصرية » ، وصار المعول عليه لخبرته وكونه فصيحاً مفوّهاً مع ملازمته للتلاوة والأوراد ، ومحبته فى إغاثة الملهوف ، ونصر المظلوم ، وتقريب العلماء ، واعتقاد الصالحين حتى إنه لما زوّج ابنته « لابن سلام » اختار لشهود العقد « الشيخ شمس الدين البوصيرى » وناهيك به علماً وصلاحاً و « الشيخ شمس الدين الزَّراتيتى » شيخ القرّاء .

وكان كثير البر « لتَقِىِّ الدِّين بن فَتْحِ الدِّين بن الشهيد » فكان « العزّ القدسى » يتعجَّب منه كثرة البِّر له ، مع ما كانَ بين أبويهما وإغفال غيره ، مع الاختصاص لذلك — إلى غير ذلك .

ومات فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة : عن نحو الخمسين سنة ، وشهد غسله الشيخ « سعد العجلونى » وقال : « أكرمك من قادم على الله » . وأنجب سوى صَاحِب الترجمة : « محمداً » و « أحمداً » ، فأما « محمد » / ٢٦٨ وكان مولده فى سنة أربع عشرة ، فإنه نشأ لحفظ القرآن و « العمدة » و « المنهاج » وغيرهما :

وعرض على جماعة أجلّهم شيخنا ، وكتب فى إجازته : ذو الأصل الثابت فرعه فى سماء والمجد مقمر ؛ والعز النابت .

فكل مكان ينبت العزّ طيّب

ولأجل السَّجْمَة أقول : نير ؛ والبيوت المشرقة بأنواره ؛ والقطوف الدانية بثماره ؛ وكيف لا وأصله فى الحالين مزهر ؛ واشتغل وأخذ عن البَدْر بن الأمانة ، و « والشرف السبكى ، وكتب الخطّ الحسن ، وفضل . وكان بديع الذكاء . جارَى « الزينة القمُنْتى » فى مباحثة رَاجَ عليه فيها ، واستقر فى كتابة السّر بعد وفاة أبيه ؛ ولقب بلقبه بعد أن كان لقبه « جلال الدين » ولم تطل مُدَّتهُ ؛ بل مات عن قرب فى رجب سنة ثلاث وثلاثين بالطاعون .

وأما « أحمد » وهو الملقب بـ « شهاب الدين » وكان مولده فى سنة عشرين أو التى قبلها فإنه نشأ ولم يُوافِق على الدخول فيما عرض عليه من الوظائف اللائقة به ، وعاش بعد والده مدة حتى مات فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين . وكان له مشهد حافل .

وأما صاحب الترجمة — وقبل الشروع فى ذكره — أنبه على من عرف ممن ينتسب إلى « مُزْهر » مَنْ لم أتحقق أهو من هذا البيت أم لا ثم أخبرنى صاحبُ الترجمة أنهم من بنى عمهم فمنهم « الشهاب أحمد بن مظفر ابن أحمد بن مزهر » النابلسى . كاتب شهير . رتّبه الأقرم فى صحابة الديوان بـ « دمشق » ومات سنة ثلاث وسبعمائة . وأخذه الصاحب شرف الدين يعقوب » قال فيه « البدر بن حبيب » كاتب معروف بالرياسة ، موصوف بحُسْنِ المباشرة والسياسة ؛ عَلاَ شرفه ، وارتفعت غُرَفه وجرى بالرِّزقِ يَرَاعُه ، وكثرَت مُرُوءَته ، وحَسُنَ طِبَاعُه ؛ وظفر من السعادة بأوفر الأقسام ، وتنقّل فى المناصب الجليلة والأنظار الكبار بالشام » مات بـ « حلب » سنة أربع عشرة وسبعمائة . عن نيّف وثمانين سنة وكان بالقرب من هذا الوقت « عماد الدين بن مزهر » ما وقفت له الآن على ترجمة لكونى لم أعرف اسمه ، نعم عَرفتُه بكونه شهد على بعض المنتمين لـ « ابن عربى » المارق فى سنة أربع وسبعين / بما اقتضى إراقة دمه » . ٢٦٩

ومنهم « الشهاب أحمد بن محمد بن أبى الفَرَج بن مزهر » شيخ

لـ « الشهاب » بن رجب » والد « الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلى » مات فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة . لكن هذا كان ينتسب مخزوميا لـ « خالد بن الوليد » ، حيث يقول فى نظمه .

أنا فى جِنان الخُلدِ أرْجو أنْ أرَى
يَوْمَ القِيامَةِ خالداً مع خـــلد

فإمّا تكون نسبتُـه كذلك من جهة أخرى ، أو يكون غير قريب لِمن فى هذا النسب . كان مولد صاحب الترجمة — حفظ الله عليه دينه ودنياه — وبلغه فى الدارين من الخير مُناه ، فى رجب سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة . ومات والده كما قدمت قبل استكمال سنة ، فنشأ يتيما ، وَرُبِّىَ فى حِجْرِ السَّعادة ، واسْتحْضِرَ له غيرُ واحدٍ من المؤدبين ، حتى حفظ القرآن و « العمدة » و « المنهاج » ، و « الألفية » وغيرها . وعرض « العمدة » على الشيخ المعتقد « محمد بن سلطان القادرى » . و « المنهاج » . على القاضى « علم الدين البلقينى » وسمع نحو الثلث ، الأول من « صحيح البخارى » على « الشرف يونس الوَاحى »[1] خاتمة أصحاب « الزين بن القارى » و « خليل بن طَرَنْطَاى » بالسماع فيه و « الجمال الأسنوى » و « الـكلائى »[2] صاحب « المجموع » بالإجازة .

وكذا سمع صاحب الترجمة على « الشرف المذكور « بُشرى اللبيب » لـ « ابن سيد الناس » وعلى شيخنا شيخ الإسلام ، والقاضى « علم الدين » وغيرهما . والمجلس الأخير من البخارى بـ « الظاهرية » القديمة بقراءة

---

(١) الواحى هو شرف الدين أبو النون ، يونس بن حسين ، بن على ، بن محمد بن زكريا ، الزبيرى ، ابن الجزار ، الواحى ، نزيل القاهرة ، الشافعى ، ولد بالقاهرة سنة خمس وستين وسبعمائة ؛ وسمع من عبد الرحمن القارى ، وناصر الدين الطبرداد وغيرهما ، وحدث بالكثير وعرض العمدة على الجمال الأسنوى و لازم السراج البلقينى ، قال ابن حجر : وجمع لنفسه مجاميع مفيدة لكنه كان عرياً من العربية وكان كثير الابتهال والتوجه ، وسمع منه خلق ، و توفى ليلة الخميس رابع عشر ذى الحجة سنة ٨٤٢ هـ [شذرات الذهب لابن العماد ج ٧ : ٢٤٢]

(٢) الـكلائى : بفتحتين نسبة لـكفركلا بالغربيـة ، الصلاح محمد بن عمر الشاذلى (الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٣)

صاحبنا « الشمس بن النقالانى » على أربعين شيخاً من أعيانهم فى العلم والرياسة « العلاء القلشقندى » و « البدر النسابة » و « الكمال بن البارزى » و « المحب بن الأشقر » وعلى الكمال بن البارزى وحده بقرانى جزءاً من حديث أبى موسى المدينى وغير ذلك ، ومع أولاده « البدرى » وسيدى يحيى وأكبرهما « سيدى بن ابراهيم » على الكاتبة الأصيلة « نشوان »[١] ابنة « الجمال عبد الله الحنبلى » أشياء من تصانيف « الدمياطى » وغيرها . وعلى « الشهاب الشاوى » البعض من « صحيح البخارى » ، وأجاز له فى جملة بَنى أبيه فى استدعاء صاحبنا محدث الحجاز « النجم بن فهد الهاشمى »[٢] المكى ، المؤرخ برجب سنة ست وثلاثين ، خلق يَعْسُرُ حصرهم ، فاقتصر على جماعة من أعيانهم ، فمن « مكة » البدر حسين بن محمد ابن حسين بن العُلَيف ، و « محمد بن على بن عثمان الصالحى » و « الشرف أبو الفتح[٣] بن الزين أبى بَكرْ المراغى » و « الزين عبد الرحيم بن الجمال

---

(١) نشوان : وتسمى أيضاً سودة لكنها هجرت حتى صارت لا تعرف الا بهذا ، وهى ابنة الجمال عبد الله بن العلاء على بن محمد بن على بن عبد الله بن أبى الفتح ، الكنانى ، العسقلانى ، القاهرى ، الحنبلى ، أجاز لها جماعة منهم : ابراهيم بن أبى بكر بن عمر بن السلار الراوى ، ورسلان بن أحمد الذهبى ، وناصر الدين محمد بن العز محمد بن داود بن حمزة المقدسى وعبد الله بن أحمد بن المقداد القلبسى ، ماتت سنة ٨٨٠ هـ .

(الضوء اللامع ج ١٢ : ١٢٩)

(٢) النجم بن فهد : هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن هاشم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن القسم بن عبد الله بن جعفر ابن عبد الله بن جعفر بن محمد بن على بن أبى طالب ، النجم ، أبو النصر بن الكمال أبى الخير ابن الجمال أبى عبد الله القرشى الهاشمى ، المكى ، الشافعى ، ولد تقريبا سنة ٧٦٠ هـ بمكة وسمع بها على جماعة من العلماء وبالمدينة من على بن يوسف الزرندى ، وبالقاهرة ، قطن بأصفون ، وكان يتردد فى بعض مواسم الحج لمكة ثم تحول منها نهائيا الى مكة سنة ٧٦٥ هـ ودام بها حتى سنة ٨١١ هـ .

(الضوء اللامع ج ٩ : ٢٣١)

(٣) الشرف أبو الفتح بن الزين أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغى ، نسبة الى المراغة من مصر .

(الضوء اللامع ج ١١ : ٢٢٥)

الأميوطى[١] و « البرهان إبراهيم بن على الزمزمى[٢] و « الموفق على ابن إبراهيم « الآنى و » زينب ابنة ولى الله العفيف عبد الله اليافعى » و « فاطمة ابنة الشمس محمد بن على بن شكر » ومن « القدس » الزين عبد الرحمن بن عمر القِبابِى » و « الشمس محمد بن الخضر بن المصرى » شيخ باسطية ، و « التقى أبو بكر بن محمد بن إسماعيل القلقشندى » شيخ باسطيته أيضاً ، و « العزّ عبد السلام بن داود القدسى » شيخ صلاحية و « الجمال عبد الله بن محمد بن جماعة » « شيخ صلاحيته » أيضاً و « الشهاب محمد بن أحمد التـدْمُرى » .

ومن « مصر » الشمس محمد بن عماد بن محمد المالكى ، وتجار الله محمد ابن محمد بن مُسَـلم ، ومن « القاهرة » الشهاب أحمد بن محمد بن أبى بكر الواسطى ، والبدر حسين بن على البوصيرى المالـكى » ، والزين عبد الرحمن ابن محمد الزركشى الحنبلى « و الشمس محمد بن أحمد البِسَـاطى المالـكى » و « الزَّيْن عبادة بن على الزَّرْزَارِىّ المالـكى » وعالم الحنابلة بها « المحب أحمد بن نصر الله البَغْـدَادِى » ومؤرخها « التقى أحمد بن على المقريزى » و « البدر محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن الأمانة » ، و « الشهاب أحمد بن محمد ابن إبراهيم الحناوى « المالـكى» . و « العز عبد الرحيم بن محمد بن الفُرَات » الحنفى ، و « عبد الله بن السراج عمر بن عبد العزيز بن جماعة » ، وأخته « سارة » و « الشهاب أحمد بن عبد الخالق الأسيوطى » ، وأخوه إسماعيل » و « محمد بن يحى بن محمد الـكنانى الحنبلى » و « التاج محمد بن عمر الشرايشى »

---

(١) الأميوطى : عبد الرحيم بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن يحيى بن أبى المجد ، الزين ، أبو على بن الجمال أبى إسحاق بن العز بن البهاء بن الجمال أبى إسحاق اللخمى الأميوطى الأصل ، المـكى ، الشافعى ، ويعرف بابن الأميوطى ، ولد سنة ٧٧٨ هـ وتوفى سنة ٨٦٧ هـ .

(الضوء اللامع ج ٤ : ١٦٦)

(٢) الزمزمى : ابراهيم بن على بن محمد بن داود بن شمس بن رستم بن عبد الله ، نسبة لبئر زمزم ، لـكونه كأبيه كان يلى أمرها مع سقاية العباس نيابة عن أمير المؤمنين العباس ، ولد بمكة سنة ٧٧٢ هـ ومات سنة ٨٦٤ هـ بمكة .

(الضوء اللامع ج ١ : ٨٦)

و « ناصر الدين محمد بن حسن الفاقوسى » و « عائشة ابنة العلاء على ابن محمد الكنانى الحنبلى » ومن « دمشق » وصالحيتها : « حافظ الشمس محمد بن ناصر الدين » و « الشهاب أحمد بن عبد الرحمن » بن ناظر الصاحبة » و « الزين عبد الرحمن بن يوسف بن الطحان » » و « محمد بن محمد بن يوسف ابن الكيال » » و « موسى بن إبراهيم الملكاوى » » / و « عبد الرحيم ابن أحمد بن محمد بن المحب » » و « محمد بن عبد الله بن موسى السلمى » » و « الشهاب أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادى » » و « عائشة ابنة البرهان إبراهيم بن الشرائحى » » ومن « المزة » « عبد الوهاب ابن الحافظ عماد الدين بن كثير » » ومن « حلب » حافظها « البرهان ابن محمد بن خليل » شارح « البخارى » » و « الشفاء » » وغيرهما . و « الشهاب أحمد بن إبراهيم بن محمد بن العديم » و « أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عمر بن الضياء » و « إبراهيم بن على بن ناصر الدمياطى » و « محمد بن محمد ابن خليل الحاضرى » » و « محمد بن على بن عبد الرحمن بن أمين الدولة » . ومن « حماة شاعر العصر » التقى أبو بكر بن على بن حجة » ومن « بعلبك » « على بن يوسف بن إسماعيل بن غشم » » و « على بن إسماعيل بن بردس » و « البرهان بن محمد بن محمد بن سليمان بن المرحل » ومن « دمنهور » « الزين عبد الرحمن بن الفقيه شهاب الدين الأذرعى » » ومن « الرملة » زاهد العصر : « الشهاب أحمد بن حسين بن رسلان » » ومن « طرابلس » و « حمص » و « غزة » وغيرها .

٢٧١

وأول ما أخذ فى « الفقه » عن الشيخ « شمس الدين الشنشى » ثم لازم القاضى « علم الدين البلقينى » فيه » وقرأ عليه فى « المنهاج » وأذن له فيما بلغنى فى التدريس والإفتاء . بل عرض عليه الكتابة فى بعض الفتاوى بحضرته » وقرأ على الشهاب الأبدى فى « العربية » . وحضر دروس « الشمس الشروانى » فى « التلخيص » و « المتوسط » وغيرهما » بل قرأ عليه فى شرح العقائد » وكذا قرأ على « الشمس الكريمى » فى « المتوسط » وغيره » وحضر دروسه فى آخرين كـ « المحيوى الكافياجى » حيث أكثر الاستفادة منه وإجازه . و صحب الشيخ « مدين الأشموى »

وقتاً ، وتلقن منه الذكر . وكتب على « الشمس المالكي » واختص بكل من وصية « الزين عبد الباسط » ، و « الكمال بن البارزي » و « الجمالي ابن كاتب حكم » ، ممن عرف ، تقدمهم بالإجماع . فتدرب بما تلقفه منهم حين الاجتماع .

وضم لما اشتمل عليه من كرم الأصل ، وجودة الطباع ، وجودة اللسان الذى لا يستغنى عنه فى مخالطة الأتراك ، واشتهر بحسن الذكاء ، وسرعة الإدراك . وتقدم بكثرة مجالسة أهل العلم . وأرباب الفضائل ، ومباحثتهم بحضرته فى مهمات الأحكام والمسائل / . فتزايدت بذلك كله ٢٧٢ رئاسته ، وانتشرت دربته وسياسته ، وظهرت براعته ، فتنامت بين الفريقين وجاهته ، وتناهت فى الرياستين كفاءته . فخطب للمناصب ، وطلب إلى « العلا من المراتب » ، وسعد بحسن نيته ، وجميل طويته فى حركاته وسكناته ، وسامر الملوك فمن دونهم من الأمراء بطلعته ووثق كل منهم بنصيحته ، ومحبته وخبرته التامة ، بمخالطتهم ، وقدرته على إلفاتهم عما لا يرتضى بمغالطتهم ، فعظم فى كل دولة ، وامتثلوا إشارته وسؤله ولم يزل أمره فى نموه ، وفخره فى ارتقاء ، وعلوه من زمن « الأشرف إينال » ، وهلم جرا ، فضلا من الله ونصراً .

كل ذلك مع كمال العقل ، وحسن الصيانة ، والتودد لأهل العلم والديانة . واعتقاده فى المنسوبين إلى الصلاح ، رجاء النجاة والفلاح ، وموافقته للجمهور فيما اعتقدوه وانتقدوه بحيث صرح لى بلفظه الرائق معنى وحساً ، أنه لا يرفع لأحد من الطائفة العربية رأساً ، حتى ملك القلوب « بأياديه ولسانه . وسلك ما زحم به القدماء ، وانفرد فيه عن سائر أهل زمانه ، ولم يؤثر غير العلماء والصالحين على محاضرتهم ، ولا تخلف عن التنويه برفعتهم ومساعدتهم ، مع لحظه لمن يلتجىء إليه من أكابر الدولة ، وحلو لفظه المفرج عن كل منهم ما يرتجى فى تخفيف تلك الحملة ، كالزينين ابن الكويز ، ويحيى الأشقر ، وغيرهما ، ممن هو دونهما أو أكبر ، فخضع له الأجلاء الأكابر وارتفع ذكره بالجميل ،

فأثنت عليه الألسن والمحابر، وعُرِفَ بالمعروف، فآوى إليه كل مضطرب ملهوف. اجتمع فيه أكثر ما تفرق فى غيره، وارتفع بما تحقق من محاسنه وخَيره، وصار بلا نِزاع كله إجماع لا يشك فيه ولا يمترِه إلا حاسد مُفتَرى.

منزله جميع الأحباب. ومنهله الصافى أحلى شراب. تُساقُ لجلسائه صعاب المسائل فتتضح بين يديه، وتذاق لذة ما أشكل الاستعصاء به بالوقوف عليه، صِفاتُه تُرشِدُنا عنه، كيف يمدح، ويورى زِنادَ فكره، فاعجب كيف بالعدل تقدح، وأوصافه مُصدّقة مادِحة فيما يقول.

٢٧٣ فلذا امتدحه من أئمة الشعراء / الفحول كا « النواجى » و « الحجازى » و « بن أبى السعود » وآخرين؛ منهم قاضى المالكية بـ « طيبة » الآن. و « الشمس القادرى » الموجود. وكذا « ابن الشحنة » لدفعه ما يتوالى به من مدحه(١) بالقصائد الفائقة، والأبيات الرائقة، حتى أنه لكثرته، وبديع تفصيله وجملته، رام بعض أهلِ الأدب من الفضلاء النبهاء، على الحروف يرتبها. وأنشدَ بعضُ المديح فيه بحضرة الأعيان الأماثل حين المهم البهيج الحافل، الغَنِيّ عن الوصف والتنبيه، لختان السادة بنيه الذى كان بالتعيين فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شعبان سنة تِسْعٍ وستين. وكذا أنشد بعضه حين انتهاء بعض درره مما شنّف بحلاوته الأسماع حين مُرُورِه. وكم له من مكان بديع أنشأه، وإحسان لن يضيع هَيّأه. أُشيرُ هُنا لبيان بعضه، وإن كان إخفاؤه — فيما أفهم — غاية غَرَضه، بل صرح لى بعدم ذكر كثيرٍ مما أثبته بِسَبَبه.

ويأبى الله إلا إجراء السنة فى الناس، من أخفى عملا صالحاً على الألسنة رداء بين الناس يعرف به، فمن ذلك المطهرة بـ « المدرسة الجوهرية » لـ « جامع الأزهر » وإدارة الساقية بها. وكذلك « المطهرة » بـ « الجامع المجاور » لـ « سوق الحاجب تحت الربع » و « السقيفة » لـ « فسقية الصّالحية » الشافعية. و « الخيمة » لصحن « جامع الأقمر » إذ رأى ما يحصل للمصلّين فيه من وهج الشمس يوم الجمعة. وحرّم الله حارة الفوز بهذه المثوبة. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وعدة تصوفات بكلٍّ من « الأزهر » و « الشام » وغيرهما . وقراءة « الشفا » بـ « الحرمين » وَرِبَاطات بـ « مكة » وَسَحَابَةً يرتفق بها الحجيج . وسبيل بجاور سكنه . ومكتب الأيتام بعلوه ، ورباط للأرامل والمنقطعات . ورواتب من القمح لغالب أهل « المدينة » الشريفة ، وكذا لجماعة بـ « القاهرة » مع خبزٍ يُفرَّق كلَّ يوم على كثيرٍ من الفقراء والطلبة والمحبوس أيضاً خارجاً عن رواتب شهريةً وسنويةً لكثير من الفقهاء والطلبة — فيما سمعت — إلى غير ذلك من الإحسان الذى يجرى بسفارته وإرشاده/وإشارته كالجماعة المقررين فى سماع الحديث بـ « القلعة » فإنه كان السبب فى عودهم بعد قطعهم مدة . بل جدَّد جماعة آخرين . وكان ذلك من الغريب ، فى هذا الوقت العجيب . ٢٧٤

وكالجماعة التى ابتكر لهم التقرير فى الجوالى حين نظره عليها . واشتد حرصه على طلبة العلم والمستحقين فيما يشغر من الوظائف التى تحت نظره كا « لبرقوقية » و « الجمالية » و « المؤيدية » و « الأشرفية » وغيرها على غيرهم غالباً ، وحرص على دفن مَنْ يموت من الغرباء وغيرهم من العلماء ونحوهم بتربتيه كا « العلامة النجمى » بن قاضى « عجلون » الدِّمشقى والرئيس « الجمال بن السابق الحموى » ، وانفرد فى أوقافه التى يحبسها لما تقدم من البداءة بما يعنيه من جهة القُرَب ، ثم يجعل الفاضلَ عند ذلك لِذُرِّيَّته — وأرجو بسبب هذا كله حفظها .

وأول شيء وَلِيَه نظر الإسطبلات السلطانية ، وذلك فى حادى عشر شهر رجب سنة سبع وخمسين ، عوضاً عن « البرهان بن الديرى » ثم أضيف إليه مع نظر الجوالى بالديار المصرية فى يوم الإثنين تاسع ذى الحجة سنة اثنتين وستين بعد وفاة « الجمالى بن كاتب حكم » ، وكان أُضيف إليه معهما التحدث على جهانه ، لكنه بطل ولله الحمد .

ثم نظر « الخانقاه الصالحية سعيد السعدا » ، ووكالته ببيت المال فى يوم الأربعاء ثالث عشرى شهر رجب سنة ثلاث وستين عوضاً عن « الشرف الأنصاري » ، وامتنع مِنْ لبس خِلْعَة لها ، مُراعاةً له ، بل صار — فيما

بلغنى — يصله بمعلوم ما تلقاه عنه . وعُدَّ ذلك من تمام رئاسته .

ولما استقر فيها ، وُزِّعت جَوالى الشام إضافة للذخيرة ، ثم نظر الجيش بالديار المصرية ، فى يوم السبت سابع عشر شعبان سنة أربع وستين عوضاً عن « البرهان بن الديرى » وركب فى أُبّهة زائدة ، ومعه جمع جَمّ ، فمنهم من لبس أيضاً فى هذا اليوم خلعة / « الولولى البُلقينى » بقضاء « الشام » وبعض من ينتسب للشيخ « عبد العال » بمشيخة المقام « بـ « طندتا » و « سعد الدين بن النَّحّال » بنظر الدولة حتى وصل إلى بَيتِه ، وهم بين يديه ، فرجع كل منهم إلى منزله ، وكان يَوْماً مشهوداً .

275

وبعد يوم من هذه الولاية ، وذلك يوم الإثنين تاسع عشر الشهر المذكور ، أعيد « ابن أصيل » لنظر الجوالى المصرية ، عوضاً عنه ، وكان الناسُ خُصُوصاً أهل العلم والفضلاء ، علموا الفرق بينهما فيها ، ثم بعد ثلاثة أشهر ، وذلك فى يوم الخميس ثامن عشر ذى القعدة ، أعرض عن نظر « الخانقاه » ، فاستقر فيها « البَدْرِىُّ أبو السَّعادات البلقينى » وكذا أعرض أيضاً عن نظر « الإسطبل » ، فاستَـقَـرَّ فيه « محمود بن البرهان ابن الديرى » وعن الوكالة فاستقر فيها الشرف الأنصارى ، وكان السبب فى المراجعة عن الوكالة أنه التمس منه الدعوى على حد « ابنة خاصْ بك » فلم يوافق على ذلك ، واختار الإعراض عن الوظيفة ، لهذا القصد ، رعاية لاختصاصها بوالدته ، وحفظاً لما كانت مُتَلَبِّسَة به ، مما كان الإعراض لأجله هو عين الرئاسة ، وهكذا دأبه حفظ ذوى المناصب بعد انقضاء دُوَلِهم ، مما أرجو أنْ يكونَ سبباً فى حفظه ، واستمر فى وظيفة نظر الجيش ، إلى أنْ كان فى يوم الإثنين ثالث ذى القعدة سنة خمس وستين فانفصل عنه بـ « النجمى يحيى بن حجى » وما سَمَح السلطان له مع انفصاله بالانقطاع عن التطوع مع الجماعة على العادة ، بل ألزمه بذلك ، وأذن له فى التَّكلم معه فى الأمور إكراماً له ، واعترافاً بحقه بحيث إنه أنْهَى معه بعض الأشغال المتعلقة بالوظيفة ، مع انفصاله عنها ، ولم يلبث إلا يسيراً ، ثم أعيد إليه بعد صَرْف « النجمى » المشار إليه وذلك فى يوم الإثنين ثانى صفر ، سنة ست وستين ، ثم صرف عنه فى اليوم العشرين من ذى

ذى القعدة منها، لـكاتب المماليك « التاجى عبد الله بن المقسى»،واستقر حينئذ فى كتابة السر بـ « الديار المصرية » وظيفةُ أخيه ووالدهما ، عوضاً عن « البرهان بن الديرى » وكان قد انفصل عنها من أيام ، وباشرها صاحب الترجمة بدون ولاية / ثم سُئِلَ حتى استقر فيها ، وكان أحق بها وأهلها ، ولو عاش مفخر الشعراء العلامة « الشمس النواجى » لأقرّ عيناً حيث رأى مصداق قوله فى القصيدة التى امتدح بها صاحب الترجمة ، وهو ناظر « الإسطبل » :

ومن يكن السرُّ فى أصله   لا بُدَّ أنْ يظهر فيه حقيق

وباستقراره فيها حصل الشبه لبيته ببيت ابن فضل الله فى الجملة ، فإن « المحيوى يحيى بن فضل الله » كاتب السّر ، ناب عنه فيها ابنه « العلاء على » واستقلّ بها أزيد من ثلاثين سنة ، فكذا كان يقرأ كتب البريد فقط ، على السلطان أنه الآن « الشهاب أحمد » صاحب المسالك ، وهو مع عظمته لم يلها استقلالا ، نعم ، ولى كتَابَة السّر بـ « دمشق » ولهذا قلت فى الجملة : « ولما انتهت التربة التى أنشأها « الظاهر خشقدم » بالصحراء ، والمدرسة التى بناها هناك ، كان هو أول من خطب بها ، وذلك يوم الجمعة رابع عشر ذى القعدة سنة سبعين ، وكان المرق له « الشرفى الأنصارى » ، وحضر القضاة الأربعة ؛ و « والمحب بن الشحنة » مع كونه كان إذ ذاك « مُنـفصلا » ، والأمراء والأتراك ؛ وخلق لا يحصون عدداً ، حتى إن الشافعى استناب فى الخطبة بالسلطان فى « القلعة » بعضَ النواب ، وما أمكنه التخلف ، بل وخطب صاحبُ الترجمة بالسلطان بقلعة الجبل ، كما قدمنا ؛ وفوّض إليه التكلم فى القضاة والنعابين ونحوها ؛ حتى تعين من استقر ؛ ولَوْ وَافَق كما أسلفت على الاستمرار ما تقدم غيره ؛ ولأجل مباشرته لذلك ائتمنه فى هذا « الذيل » .

وكذا استخلفه قبل ذلك قاضى الحنفية « المحبّ بن الشحنة » فى النظر فى النـوّاب والنّعابين ونحو ذلك مدةَ سفره لقضاء فرضه ؛ لحفظ إليه المنصب حتى عاد ، ولولاه ما سلم ممن يَثِبُ عليه فيه . ولما صار ناظر

« الشريفية » بـ « العلمي البلقيني » بمقتضى ثبوتِ كونه للمدرس ؛ فوِّض له ذلك ؛ وحُمِدَ في مباشرته كلها ؛ وقام بأعباء حلها ، وألزم نفسه إذ وَلِيَ كتابة السرّ عدم الكتابة في إراقة دم ؛ خوفاً من العاقبة / في ذلك ، والندم بل وفيما لا يجوزُ شرعاً . وإن جرّ بسببه من الحكام تَعَنّتاً ، ولم ينفصل عن نظر الجوالي والخانقاه ، حتى قرّر فيهما من الفضلاء والمستحقّين مَنْ يدفع إليه عنه بهم ما يتوقاه وهو مع هذه الخصال الحسنة والفعال المستحسنة ؛ يكثر في طلب الاستعفاء والتوسّل ويبذل الأموالَ الجليلة الجزيلة بسَبَبِ التنصّل ، فلا يسمحون بالعُدُول عن طلعته ؛ ولا يرون مَنْ يكافئه في منصبه ونهضته ، بل يلبس الخلع المنيفة ؛ للاستمرار في هذه الوظيفة ؛ فمن ذلك يتعين في أول سنة تسع وستين ؛ حتى إنه كما رامَ الحج لبيت الله الحرام ؛ والفوز بتلك المشاهد العظام ؛ كرر في ذلك الطلبِ لهذا السبب ، فما أجيب ؛ بل أذن له في التوجه ؛ وأن يستنيب وحينئذ سافر في يوم الخميس تاسع عشرى جمادى الآخرة سنة إحدَى وسبعين بعد أنْ كان انقطع الركبُ عن المسير في هذا الوقت سنين ؛ وبرز ومعه أمُّه وعياله في تجمّلٍ زائد ؛ وصحبته سحابة تظل الفقراء ، وجماعة من العلماء والفضلاء والموقعين وغيرهم من المصريين والشاميين والحلبيين ممَّنْ قام بجمع شأنهم إلى غير ذلك من الخيرات والمبرات التي تفوق الوصف . وكان المسير من بركة الحاج ، في صبيحة الأحد ثالث شهر رجب ، وأمير الرّكب « علان الأشرفي ، أحد أمراء « العشرات » ، وهو في الحقيقة كالتبع لصاحب الترجمة وسافر في هذا الركب كثيرٌ من الرؤساء والعلماء والصلحاء والأمراء والمباشرين وسائر أصناف المسلمين ؛ ممن لا أطيلُ سَرْدَ من لهُ ذكر منهم . وإن كنت أثبتهم في غير هذا المحل .

وابتدأ وهم معه بزيارة النبي — صلى الله عليه وسلم — وفعل هناك من المعروف ما عمّ به أهل المدينة بحسب مراتبهم ، وأمر بإصلاح ما تهدم من الرّخام بالحجرة الشريفة .

فمن وفور سَعَادَته أنه وجد هناك رخاماً فاشتراه ، ولم يكتف بقيامه

بذلك من ماله ، بل صار يعاون الصُّنَّاعَ بنفسه أيضاً ، فكان يحمل طِشْتاً / عَملاً طيناً بحيث يتعجب من اقتدائه — مع رفاهيته — على حمله وكذا باشر بنفسه وظيفة الفراشة ، التي باسمه ، فشدّ وسَطه ، وتولى حَملَ الشُّمُع ، إلى غير ذلك ، مما انتفع به ، وبلغني أنه أشهد النبي — صلى الله عليه وسلم — وصاحبين — رضى الله عنهما — على نفسه بمحالة من نال منه أو نحو ذلك .

وسُئل في الخطابَة هناك ، فامتنع أدبا ، نعم توسل له الإمام هناك بالنبي — صلى الله عليه وسلم — أن يَؤمّ ولو مرة فما أمكنه التخلف ، وأجرى الله على لسانه القراءة بعد الفاتحة في الأولى بقوله : (لَقَدْ جاءَكُم رسولٌ منْ أنفسكُم)[1] الآية ، وزاروا « البقيع » وما هناك من المشاهد الشريفة ، وأقاموا بها ستةَ أيام ، وكان الظهور منها في يوم الأربعاء (حادى عشر شعبان ، فدخلوا « مكة » في يوم الخميس سادس عشر — وكنت هناك — فأقاموا بها إلى أن حج ، وكان على طريقة شريفة ، تواضعا وعبادة ورفقاً وإحسانا رغم من كالب أهل مكة أيضاً والخدم المجاورين فيها بالمال ، وأكثر من الاعتماد والطواف وغالب أنواع العبادة ، وقصد من يحسب للصلاح بالزّيارة ، وتردد مع بعض جماعته ، لـ « عبد المعطى المغربى » في قراءة « منهاج العابدين » وغيره ، كلُّ ذلك مع مزيد التواضع والتودُّد ، ورَدْع مَنْ ربما يتعدى من الغلمان ونحوهم ، ولولم يكونوا من جماعته ، ولو جَلَّ فماديهم ، وأجرى « عين بافران » وكانت منقطعة من مدة ، وصرف عليها لأجل ذلك مالا كثيراً ، وركب لكشفها بنفسه ؛ ورَخُص بسبب ذلك الماء بـ « مكة » فتزايد عموم النفع به ، ولما فتح البيت المعظم بعد قدومهم ، وكان الجمع كثيرا خشى من شدة الازدحام أنه ربما يحدث أحد ؛ فجلس بنفسه بالباب الشريف ؛ ومعه جماعة ندبهم لمعاونة الفقراء والضعفاء في الطلوع شيئاً فشيئا حتى عم الناس أجمعين بالزيادة ، وقاسى هو من ذلك شدة ، بحيث خشيت عليه من كثرة الغوغاء ؛ وهو طَيِّب النّفس بهذا كله ، وصلى و « ده البدرى التراويح هناك ، بمقام الحنفية ، نعم الناس بالجلوى ، وكانت أوقات طيبة ، تلاوة وإنشادا — وغير ذلك .

وأرسل له السلطان بخلعة الاستمرار والاشتياق له وتعظيمه إلى الغاية ولما انقضى أمر الحج ، ورجع لم يكتف بالزيارة الأولى بل زار النبي — ﷺ أيضا ، ووصل إلى « بركة الحاج » فى وسط يوم الجمعة العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وهو فى موكب عظيم إلى الغاية ، واحتفل الناسُ وأعيانُ المملكة بلقائه ، وطلع من الغد إلى السلطان ، فأكرمه ، وخلع عليه ، وكذا حج قبلها وهو على وظيفتى نظر الإصطبل ، والجوالى المصرية فى سنة إحدى وسبعين التى حجت فيها « خوند » « ابنة ابن خاص بك » وبنوها ، وكاتب السّر « المحي بن الأشقر » وغيرهم من الأعيان ، واستناب إذ ذاك فى نظر الجوالى الشيخ « الجلالى بن الأمانة » ولم يتعرض الوظيفة فى غيبته .

وأما حجة الإسلام فكانت فى سنة خمسين ، السنة التى حج فيها « الكمال ابن البارزى » ، وأخته خوند البارزية ، وكان — فيما أخبرت لمرافقته وأجاب لذلك ، وهيأ له جميع ما يحتاج إليه على احسن وَجْه ، ثم اشار عليه بعضُ الرؤساء بالاستقلال بنفسه ، وعدم الانتماء فى السفر لأحد ، ففعل ، إلا انه كتم ذلك عن كلٍّ ، بحيث لم يعمل الكمالى باثمنائه عن مرافقته ، إلا وهو بـ « بركة الحاج » فتوهمّ انْ ذلك بسبب تقصير فى شأنه ، فلما تبين له الا تقصير كاد يغضب ، فأخذ فى استعطاف خاطره ، وأوْهمه ان تجهيزهَ مِنْ صَنيع جماعة حين بلغهم سفره وإلا فى كان عزْمُه إلا أنْ يكون فى صحبته ، وليس من الممكن الآن إبطال ما وقع ، ونحو هذا من الاستعطافات ، فسكت ، وسافر فى هيئة جميلة ، استحسنها « الشرف العطار » وناهيك به فى مثل ذلك .

وصَرّح بأنه لم يَرَ حينئذ أزهر ولا أبهج منها ، بل وحمد له « الشرفّ » بعد ذلك استقلاله وصار يقول : ليت هذه الشيبة صنعت كذلك . فقد تكلفت هذه السفرة ، مع صورة / الانضمام زعم — دون ألفى دينار — بل وحَمِدَ هو ذلك بعد خصوصاً حين تروى « بسبطة الكمالى » المشار إليه ابنة القاضى « البهائى بن حجى » وأخت « العلاّمى النجمى » دام

النفعُ به . وقبل حجاته كلها دخل وهو صغير « الشام » وزار فى رجوعه « بيتَ المقدس » و الجليل وكذا سافر بعد ذلك فى الركاب السلطانى ، لغير ، جهة من أعمال « الديار المصرية » شرقيها وغربيها كا « اسكندرية » و « دمياط » و « الفيوم » ، وكذا بيت المقدس «[1] و « بلد الخليل » — عليه السلام — وذلك فى الأيام « الأشرفية القاتبائية » ، كما شرح فى غير هذا المحل .

ولم يتخلف فى سفره منها عن استصحاب جماعة من أعيان المذاهب وفضائلهم ، وأقام وقتاً فى تعب بقلبه وقالبه من أجل إضافة وظيفة « نظر الخاص » لولده « البدرى » المشار إليه عقب صرف « التاجى بن المقسى » وما أمكنه التخلف عن تمكين ولده من ذلك إلى أن صَرَف أن ذلك عنه ، بعد أن تكلف فيها مالا أحضره .

وبالجملة فهو كما قدمت مَشْكُورُ الحركات ، المرجو استصحابها فى الحياة وبعد الممات ، وقد خُرِّجَ من مروياته بالإجازة وغيرها ، أربعون حديثاً ، عن أربعين شيخاً ممن ينتسب إلى أربعين بعدا عن أربعين صحابياً فى أربعين باباً من أربعين تصنيفاً قَرَأها عليه « العزى بن محدث الحجاز النجمى بن فهد الهاشمى » وسمعها جماعة ، وهى كثيرة الفوائد غزيرة الفوائد ملقبة بالفخر المظهر لعلو المقر الزينى بن مُزْهر » .

وكذا عمل له فهرست أشياء من المرويات .

وممن يلازم قراءة الحديث عنده فى شهر رمضان الشيخ « شمس الدين ابن قاسم » وكذ قرأ عنده فى « الحلية » وغيرها « الشيخ المحيوى » الطوخى فى آخرين . وعندى من محبته لالا أنهض أن اصفه وقلبه يشهد بذلك ، ولذا لم يزل يناضل ويحاول مَنْ ينازع ويدفع ، ويُبَكى مَنْ يهامنه يُبكى ويقول من بعض كلامه فى كثير مما يصدر عنى لبعض من يُحسِّده بعض من الأفاضل ، ومن / من نهض إلى مثل هذا فله خمسون ديناراً إلى غير ذلك ، مما لا أحصره كثرةً واشتهارا ، بل المسرات ودفع المكدرات ، كل وقت تدخل على من قبله زاده الله من فضله .

ومن بديع الاتفاق أنى قصصت عليه رؤيا عقب عافيته من توعك شديد عرض له تدل على علوّ كبير ، وذلك انى رأيت كأنى اتيق مقعداً فى وسط البحر فى غاية الارتفاع والابتهاج ، فصرتُ أتعجب من كيفية ستقرار دعائمه فى هذلة التيار العظيم ، ومن الذى يستطيع التوصل إلى أعلاه ونحو ذلك ، ثم استيقظت فاخبرنى أن كلا من قاضى القضاة ، البدرى ابن البلقينى ، . وقاضى القضاة ، البدرى العزى الحنبلى ، قصّ عليه نحو هذه الرؤيا أمس هذا اليوم فاجتمعت بهما ، وسمعت مقالة كل منهما ، بشىء من ذلك فكانت نادرة غريبة .

ثم قرأت بخط ثانيهما ما نصه : رايت فى أواخر شعبان سنة خمس وسبعين عند الفجر كانى فى مكان على الخليج ليس هو سكنى المألوف ، وإن كان الماء فى غاية العلو ، بحيث أنى شربت منه بيدى من طاف البيت والناس فى فرح شديد ، ثم خرجت من البيت فمشيت قليلا فرأيت باباً مفتوحاً إلى دار واسعة بها أشجار ، وبصدرها ديوان يطلّ على « الخليج » والمقر الأشرف الزينى « مزهر » كاتب السر الشريف ، لا زالت الدنيا بضياء وجوده مزهرة ، والأرجاء بطيب ثناه ممطرة جالسًا به هو وولده فوقفت عند الباب متردداً فى الدخول للسلام وأخيراً ، خشيت أن يكون الدخول من غير استئذان إساءة أدب ، فرجعت وقلت فى نفسى : أكتب إليهم بيتين ينوبان عنى وفكرت فيما أكتب ، ثم قلت بديهاً من غير روية :

عمرك الله كذا دائماً ممتعاً فيها بما تشتهى /

ثم فكرت فى الثانى ، فتعسر علىّ ، واستيقظت ، فعملت البيت الثانى هو :

تُشكى عداً ، تولى يد ، تُهدى هدى
منفرداً ، مالك من مشبه

لا زالت الأيام تمنحه المودة ، يقظة ومناماً ، ولا برحت الأيام تتحفه من منحها أمناً وسلاماً — انتهى ما قرأته بخطه ، ثم سمعتُه من لفظه .

وكذا سبق فى الولوى الأسيوطى كلام العزى أيضاً فى صاحب الترجمة .

والله أسأل أن يؤيده بعزه ، ويجعله فى كنفه وحرزه ، ويطمس عنه عين كل حسود — ولو كانت عين الشمس — ويهيء له أسباب الخير حتى يكون يومه دائماً زائداً على أمس ، وتستخدم له العظماء ، حتى يكون تقبيل أنامله العشر عندهم حتما كالفرائض الخمس . فلا برحت أعلامُ العلم بطاول بقائه مرفوعة . وآثار المآثر والمفاخر إليه مسندة ، وعنه مسموعة ، ولله دَرّ القائل :

ما إن سمعت ولا رأيت بمثله　　فى الحسن والإحسان والحسنات
والفضل فى الأفعال والأقوال　　والتدبير والحركات والسكنات

وأسأل الله لى وله المغفرة وحسن الخاتمة .

ولم يزل صاحبُ الترجمة على ما منحه الله تعالى من صفات الكمال ، وكمال الصفات ، وصلات الجميل ، وجميل الصلات وعزّه فى ازدياد ، وسَعْدُه فى انقياد ، وبابه للقاصدين باب الفتوح ، وبدره فى سماء السيادة يلوح ، إنسان عين الزمان وعدوه الخائف منه فى أمان ، قد ملك زمام السيادة ، وسلك من الإحسان ما يوصله إن شاء الله — تعالى — إلى الحسنى وزيادة ، حتى أراد اللهُ نقله من هذه الدار إلى الدار السالمة من الأكدار .

وقد أجرى الله تعالى العادة أن يجعل لكل شيء سبباً ولكل ذاهب مذهباً . فتوجّه فى مهم شريف إلى مدينة « نابلس » وأعمالها ، لإصلاح شأنها ، وتفقّد أحوالها فحصل له التوعك ، ثمّ ، وتمّ من الأمير ما تمّ واستمرّ متوعّكاً هناك مدة ، ثم عاد ، وقد حصل لمجيئه خصوصاً كأنه غاية الإنكاد ، ولا زال توعكه يزيد ، وتدبير الأطباء لا يفيد إلى أن توفى سعيداً حميداً فى سادس شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وصلّى عليه . « سبيل المؤمنى » من الغَدِ فى جمع يفوق الإحصاء والعدّ بأمرٍ من المقام الشريف .

وتقدّم للصلاة عليه قاضى القضاة الشافعى الشيخ زكريا ودفن بتربة والده بالصحراء . وكثرَ الأسف عليه ورثاه غير واحد من الشعراء

فرحمه الله — تعالى — رحمة واسعة ، وروّى ثراه سحائب رضوانه الهامعة .

واستقر بعده فى كتابة السّر ولده المقر الأشرف البدرى أدام الله — تعالى — فى سماء السعادة إشراق بَدره ، وزاد فى عظم شأنه ، ورفيع قدَرِه ، وتسلّى محبّوه وذووه عن ذلك المصاب العظيم بهذا السرور العميم ، ومحت الأحزان البشائر ، وتمثلت بقول الشاعر :

هناء محاذاك العزاء المقدما　　فما عبس المحزون حتى تبسّما

ثغور ابتسامٍ فى ثغورِ مدامِع　　شبيهان لا يمتازُ ذو السّبْق منهما

فالله أسأل أن يجعلَ أيامَه كالشمس وضحاها ، ولياليه كالقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، وأوامره ماضية فى البلاد والله فلا يخاف عقباها .

آخر الذيل الطاهر ، الذى لكثير من الفساق قاهر — وصلى الله على أشرف خلقه ، سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليما كثيراً آمين .

وكان الفراغ من كتابته فى سلخ شهر ربيع الأول سنة[1]

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الحمد لله رب العالمين ، نظر فى هذا الذيل الطاهر ، فقير عفو الله ولطفه الحنفى محمد بن محمد بن قرا الحنفى الأزهرى الدمشقى الأنصارى — غفر الله له ولوالديه وأمنهم يوم العرض عليه بمحمد وآله وصحبه — وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ولله در القائل :

أموت ويبقى كل ما قد كتبته　　فياليت من يقرأ خطوطى تعاليا

لعل إلهى يعفو عنى بفضله　　ويغفر زلاتى وسوء فعاليا

والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده .

---

(١) « هكذا بالأصل » .

ترجمة مؤلف هذا الكتاب

« الذيل على رفع الإصر »

للحافظ ابن حجر العسقلانى للشيخ المذكور

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عثمان بن محمد ، الشيخ الإمام العالم العلامة ، المسند الحافظ المتقن ، شمس الدين ، السخاوى الأصل ، القاهرى المولد ، الشافعى المنزل ، نزيل الحرمين الشريفين ، ولد فى ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة بـ « القاهرة » ، وحفظ القرآن العظيم وصلى به فى شهر رمضان بزاوية الشيخ شمس الدين العدوى المالكى ، وحفظ « عمدة الأحكام » و « التنبيه » و « المنهاج » وألفية ابن مالك » و « النخبة » لشيخه شيخ الإسلام أبى الفضل ابن حجر العسقلانى .

قرأ على شيخه كثيراً ، وسمع عليه ، ولازمه أشد الملازمة ، حتى حمل عنه ما لم يشاركه فى غيره ، وأقبل عليه الشيخ بكليته حتى صار يرسل إليه قاصده ، يعلمه بوقت ظهوره من بيته ليقرأ عليه ، وسمع من نقده أشياء كثيرة ، وحمل عنه أكبر تصانيفه ، وكتب غالبها بخطه الشريف ، وأذن له بالإقراء ، بل قال « إنه أمثل جماعتى » . وألف المذكور لشيخه ترجمة سماها بـ « الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » وقال فى أجازته للشيخ عبد القادر ابن الأبار الحلبى[1] .

---

(١) هذا ما وجد على هامش المخطوطة بعد الانتهاء من التراجم .

التعريف بأهم المدارس الواردة بالكتاب

١ — الأشرفية :

اسم لمدرسة بجوار تربة أم الصالح المجاورة لمشهد السيدة نفيسه — رضى الله عنها — ودفن بها الملك الأشراف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٣ ﻫ وتعرف الآن بتربة الأشراف خليل وعليها قبة شامخة :

٢ — الأقبغادية :

اسم لمدرسة أنشأها الامير أقبغا عبد الواحد سنة ٧٤٠ ﻫ . وهى على يسار الداخل من الباب الكبير للجامع الأزهر ، وبها المكتبة الأزهرية الآن .

٢ — الباسطية :

اسم لمدرسة أنشأها القاضى عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقى نائب الجيوش سنة ٨٢٢ ﻫ وتعرف أيضا بجامع عباس باشا وهى بحى الخرنفش بالجمالية .

٤ — البدرية :

اسم لمدرسة أنشأها ناصر الدين محمد بن محمد بن بدر العباسى سنة ٧٥٨ ﻫ بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية بحى النحاسين الآن .

٥ — البرقوقية :

اسم لمدرسة أنشأها السلطان الظاهر أبوسعيد برقوق سنة ٧٨٨ ﻫ المعروفة الآن بجامع برقوق بشارع المعز لدين الله الفاطمى بالنحاسين .

٦ الجائى :

اسم لمدرسة خارج باب زويله بالقرب من قلعة الجبل ، كان موضعها وماحولها مقبرة ويعرف خطها بسويقة العزى ، أنشأها الامير الكبير سيف الدين الجائى سنة ٧٦٨ ﻫ وهى المعروفة الآن بجامع الجائى أو جامع السائس .

٧ — الجمالية :

اسم لمدرسة أنشأها الوزير مغلطاى الجمالى سنة ٨٣٠ هـ وتعرف الأمير بزاوية الجمالى بين حارة الفراخه بقصر الشوق بالجمالية .

٨ — الجوهرية :

اسم لمدرسة أنشأها الأمير جوهرا القنقبائى قبل سنة ٨٨٤ هـ ودفن بقبتها الصغيرة وموضعها الطرف الشرف البحرى للديوان القديم بالجامع الأزهر تجاه زاوية العميان .

٩ — الحجازية :

اسم لمدرسة بنتها السيدة « خوندتتر » الحجازية سنة ٧٦١ هـ وهى الآن المعروفه بجامع الحجازية بشارع المحكمة بالجمالية .

١٠ — الخروبية :

اسم لمدرسة بظاهر مدينة الفسطاط أنشاء دما كبير الخرابية بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى التاجر فى مطابخ السكر بعد سنة ٧٥٠ هـ .
وتعرف بجامع القبوة بمصر القديمة .

١١ — الدهيشة :

اسم لمدرسة أنشأها الملك الناصر فرج بن برقوق ، وتعرف بزاوية الدهيشة وهى على يسار المار بباب زويلة وبها سبيل يعرف بهذ الاسم .

١٢ — الذمامية :

اسم لمدرسة أنشأها الطواشى زين الدين مقبلا الروى وتعرف بجامع المغربى بالمنطقة من شارع الحمزاوى بالأزهر إلى درب سعادة .

١٣ — السابقية :

اسم لمدرسة أنشأها سابق الدين مثقاو الاموكى سنة ٧٦٠ هـ . وتعرف بجامع درب قرقر بالجمالية .

١٤ — سعيد السعداء :

اسم المدرسة كانت فى الأصل دار الملوك أعتقه المستنصر بالله الفاطمى يدعى سعيد السعداء قنبر ثم حولها صلاح الدين الايوبى إلى خانقاه (تكية) للصوفية — وتعرف بجامع سعيد السعداء تجاه حارة المبيضة على يمين السالك من شارع الجمالية إلى المشهد الحسينى رضى الله عنه .

١٥ — السيوفية :

اسم لمدرسة جعلها السلطان صلاح الدين الأيوبى لتدريس المذهب الحنفى وكانت فى الأصل دار لأحد الوزراء الفاطميين يدعى عباس وهى برأس السكة الجـــديدة عند تقاطعها بالشارع الموصل من باب زويله إلى النحاسيين تجاه جامع الأشرفية وتعرف بجامع الشيخ المطهر .

١٦ — سودون من زادة :

اسم المدرسة أنشأها الأمير سودون من زاده من مماليك الظاهر برقوق فى أواخر القرن التاسع الهجرى — وتعرف بجامع سودون بسومية العزى بشارع سوق السلاح .

١٧ — الشريفية :

اسم لمدرسة أنشأها الأمير فخر الدين أبو إسماعيل سنة ٦١٢ ﻫ وجددها الشيخ عبد السلام المغربى ، (وتعرف الآن بزاوية ابن العربى على رأس حارة الجودرية بالقرب من سوق النحاسين) .

١٨ — الشيخونية :

اسم لمدرسة أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمرى سنة ٧٥٧ﻫ ، (وهى المعروفة الآن بجامع شيخون بحى القلعة) .

١٩ — الصاحبية :

اسم لمدرسة أنشأها الصاحب صفى الدين بن شكر الدميرى وزير الملك العادل وكان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس الفاطمى ، وفى سنة ٧٥٨ ﻫ جددها القاضى علم الدين ابراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة أيام السلطان حسن بن قلاوون ثم تخربت وبقى بها قد منشئها ثم أزيلت وبنى مكانها مساكن ، ولا زال قبر منشئها إلى الآن بجانب زاوية الست بيرم وقد سمى المقريزى المؤرخ زاوية الست بيرم التى بنيت مكان هذه المدرسة بهذا الاسم وهى بشارع اللبودية بدوب سعادة بحى باب الخلق)

٢٠ — الصالحية :

إسم لمدرسة أنشأها السلطان الصالح نجم الدين الأيوبى سنة ٦٤٠ ﻫ (وتعرف الآن بقبة الصالح بشارع المعز لدين الله الفاطمى بحى النحاسين)

٢١ — الصرغتمشية :

اسم لمدرسة أنشأها الأمير سيف الدين صرغتمش أحد مماليك الناصر محمد ابن قلاوون سنة ٧٥٧هـ (وتعرف الآن بجامع صرغتمش بشارع الخضيرى قرب مسجد ابن طولون) .

٢٢ — الطيبرسية :

اسم لمدرسة أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى سنة ٧٠٩هـ ، (وهى على يمين الداخل من الباب الكبير بالجامع الأزهر) .

٢٣ — الظاهرية :

اسم لمدرسة أنشأها السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٢هـ، (ولا تزال بقاياها قائمة بشارع المعز لدين الله الفاطمى بجانب قبة الصالح - بحى النحاسين)

٢٤ — الغرابيـــة :

كانت فى الأصل خانقاه ، ذكر المقريزى المؤرخ أنها خارج القاهرة على الخليج الكبير من بره الشرقى ، وقد أنشأها القاضى سعد الدين بن عبدالرازق ابن غراب الاسكندرى سنة ٨٠٨هـ ، (وهى بشارع بشتاك المعروف بدرب الجماميز الآن) .

٢٥ — الفخرية :

اسم لمدرسة عمرها الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومى ، استادار الملك الكامل الأيوبى سنة ٦٢٣هـ (وهى فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس) .

٢٦ — الفيروزية :

اسم لمدرسة أنشأها الأمير فيروز الجركسى فى القرن التاسع الهجرى ، وهى المعروفة الآن بجامع فيروز ، وهى بشارع المنجلة ومابين حى باب الخلق وحى الأزهر) .

٢٧ — القــادرية :

بالقرب من مسجد السيدة عائشة رضى الله عنها - مسجد به ضريح سيدى على القادرى قد بنى سنة ٦٩٧هـ ، ولعل المؤلف قصد (بالقادرية) ذلك

المسجد المعروف أن كثيراً من المساجد كان يتخذ مكاناً للدرس والتحصيل

٢٨ — القجماسية :

إسم لمدرسة أنشأها الأمير الاسحاق السيفى الظاهرى سنة ٦٨٦ ﻫ ، وتعرف الآن بجامع قجماس أو أبى حريبة نسبة إلى الشيخ أحمد أبى حريبة المدفون به والمتوفى سنة ١٢٦٨ ﻫ ، وهو بشارع جامع أهلاز على يسرة الذاهب من باب زويلة إلى القلعة) .

٢٩ — القراسنقرية :

اسم لمدرسة أنشأها الأمير قراسنقر الظاهرى أحد مماليك الظاهر برقوق ، وهى بشارع الناصرية بالقرب من ضريح كعب الاحبار ، وتعرف الآن بجامع اليسر)

٣٠ — الكاملية :

اسم لمدرسة كانت لتدريس الحديث النبوى ، أنشأها الملك الكامل الأيوبى سنة ٦٢ ﻫ ، ولا تزال إلى الآن وتعرف بجامع الكامل بشارع المعز لدين الله الفاطمى قرب النحاسين .

٣١ — المحمودية :

اسم لمدرسة أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن على الأستادار سنة ٧٩٧ ﻫ، بقصبة رضوان وبأول شارع الخيمية مابين عطفة زقاق المسك وجامع ويعرف الآن بجامع محمود الكردى .

٣٢ — المزهرية :

اسم لمدرسة أنشأها الامير محمد بن أبى بكر بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان ، البدر زين الدين البدر بن الزين، الأنصارى الدمشقى الشافعى القاهرى ويعرف بابن فرهر سنة ٨٨١ ﻫ ، وتعرف الآن بجامع المزهرية بشارع البنهاوى المتفرع من شارع الجيش قرب ميدان الشعرانى

٣٣ — المنصورية :

اسم لمدرسة أنشأها السلطان المنصور سيف الدين قلاقون سنة ٦٨٤ ﻫ ضمن مجموعته التى تشمل أيضا فيه دفن تحتها وبيمارستانا ، ولازالت

بشارع المعز لدين الله الفاطمى بحى النحاسين وتعرف بجامع قلاوون .

٣٤ — المنكوتمرية :

اسم المدرسة التى أنشأها الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامى سنة ٦٩٨ ﻫ وكانت بأول ما يعرف الآن بشارع بين السيارج من ناحية شارع المعز لدين الله وقد أزيل ما كان باقياً منها .

٣٥ — المؤيدية :

اسم لمدرسة أنشأها السلطان المؤيد شيخ المحمودى سنة ٨٢٣ ﻫ وهى المعروفة الآن بجامع المؤيد بجوار باب زويلة بالغورية

٣٦ — الناصرية:

اسم لمدرسة بدأ إنشاءها العادل كتبغا وأتمها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٢ ﻫ ، ولا زالت بشارع المعز لدين الله الفاطمى بين جامعى قلاوون وبرقوق وتعرف بجامع الناصر .

٣٧ — القرنوية :

أنشأها الأمير حسام الدين القايمان النجمى مملوك نجم الدين وهى بشارع مرجوش (خطط المقريزى ج ٣ : ٢٣) .

٣٨ — العاشورية :

قال المقريزى فى خططه أنها بحارة زويلة بالقاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة وروحية كوكاى وقد تلاشت هذه المدرسة وسميت العاشورية نسبة إلى التى اشترت الدار وهى الست عاشورا بنت ساروخ الأسدى زوجة الأمير إيازكوج الأسدى (من الدولة الأيوبية) .

(الخطط التوفيقية ج ٦ : ١٠)

مراجع الشرح والتعليق

(١) القرآن الكريم .
(٢) صحيح البخارى .
(٣) صحيح مسلم .
(٤) القاموس المحيط للفيروزابادى
(٥) لسان العرب لابن منظور .
(٦) الضوء اللامع للسخاوى (طبع القدسى) .
(٧) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى (طبع مطبعة دار المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٤٨ هـ) .
(٨) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى (طبع مطبعة الموسوعات بالقاهرة) .
(٩) المختار فى حسن المحاضرة لمحمد محمود صبيح (نشر مكتبة الأنجلو سنة ١٩٦٠)
(١٠) الخطط التوفيقية لعلى مبارك .
(١١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزى (ط . بيروت) .
(١٢) معيد النعم ومبيد النقم للسبكى (بتحقيق محمد على النجار وزميليه . ط أولى دار الكتاب العربى) .
(١٣) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (ط . دار الكتب) .
(١٤) معجم البلدان لياقوت الحموى (ط . بيروت) .
(١٥) الملل والنحل للشهرستانى .
(١٦) التعريفات للجرجانى .
(١٧) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى .
(١٨) سيرة صلاح الدين لابن شداد تحقيق محمد محمود صبيح (نشر الدار القومية للطباعة والنشر فبراير سنة ١٩٦٢) .
(١٩) سيرة صلاح الدين لابن شداد (ط . لبنان) .
(٢٠) كشف الظنون لحاجى خليفة .
(٢١) الروضتين لأبى شامة ج ٢ تحقيق الدكتور محمد حلمى أحمد (نشر الشركة العربية للطباعة والنشر).
(٢٢) فنون الإسلام للدكتور زكى محمد حسن .

التراجم الواردة بالكتاب

(١) القاضى برهان الدين ابن الديرى:
ابراهيم بن محمد بن عبد الله، الديرى، المقدسى الحنفى — ويعرف بابن الديرى: ٨١٠ — ٨٧٦ هـ.

(٢) (القاضى عز الدين أبو البركات)
أحمد بن ابراهيم بن نصر الله، الكنانى، العسقلانى القاهرى الحنبلى: ٨٠٠ - ٨٧٦.

(٣) القاضى بهاء الدين:
أحمد بن أحمد بن الحسين، الأنصارى، الخزرجى المصرى المالكى: ٦٥١ - ٧٢٤ هـ

(٤) القاضى ولى الدين:
أحمد بن أحمد بن عبد الخالق، الأسيوطى القاهرى الشافعى ٧١٣ - ٨٩١ هـ.

(٤) القاضى الحافظ ابن حجر.
أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو الفضل، الكنانى العسقلانى القاهرى، الشافعى: ٧٨٣ - ٨٥٢ هـ.

(٦) القاضى شهاب الدين الدميرى.
أحمد بن محمد بن تقى، الدميرى، الفوى القاهرى، المالكى ٨٠٥ - ٨٤٢ هـ.

(٧) القاضى صلاح الدين المكينى:
أحمد بن محمد بن بركوت. الحبشى: ٨٢١ - ٨٨١ هـ.

(٨) القاضى شهاب الدين بن الكشك
أحمد بن محمود بن أحمد، الأذرعى الدمشقى الحنفى - عرف بابن الكشك: ٧٨٠ - ٨٣٧ هـ.

(٩) القاضى شهاب الدين الباعونى:
أحمد بن ناصر بن خليفة، الباعونى، الدمشقى الشافعى ٧٥١ - ٨١٦.

(١٠) القاضى شهاب الدين أبو الفضل
أحمد بن نصر الله بن أحمد، الكرمانى، التسترى، البغدادى الحنبلى - نزيل القاهرة: ٧٦٥ - ٨٤٤.

(١١) القاضى بدر الدين بن الصواف.
الحسن بن على بن محمد، الحصنى الحموى القاهرى، الحنفى - عرف بابن الصواف: ٨٠٣ - ٨٦٨ هـ

(١٢) القاضى سعد الدين بن الديرى:
سعد بن محمد بن عبد الله ،
أبو السعادات ، النابلسى القدسى
نزيل القاهرة - الحنفى - عرف
بابن الديرى : ٧٦٨ - ٨٦٧ هـ.

(١٣) القاضى زين الدين الأنصارى :
زكريا بن محمد بن أحمد ، السنكى
القاهرى الشافعى :
- ٩٢٦ هـ .

(١٤) القاضى صدر الدين أبو الربيع:
سليمان بن أبى العز بن وهيب ،
الأذرعى الدمشقى ، الحنفى
٥٩٥ - ٦٧٧ .

(١٥) القاضى البلقينى :
صالح بن عمر الكنانى العسقلانى
٧٩١ - ٧٦٨ هـ .

(١٦) القاضى بن شريك :
عبد الله بن شريك من المائة
الأولى .

(١٧) القاضى أبو الثناء .
عبد القادر الدميرى القاهرى
المالكى أبو الثناء المعروف
بابن تقى ولد ٨٨٣ - .

(١٨) القاضى بن الآدمى :
على بن محمد الآدمى : ٨٦٧ -
٨١٦ هـ .

(١٩) القاضى بن المغلى :
على بن محمود السلمى الحموى
الحنبلى المعروف بابن المغلى
٧٧١ هـ ٨٢٨ هـ

(٢٠) القاضى نور الدين :
على بن محمد بن عبد النصير
السخاوى ت ٧٥٦ هـ

(٢١) القاضى الدميرى :
على بن يوسف بن مكى المصرى
المالكى جلال الدين الدميرى ت ٨٠٣

(٢٢) القاضى سراج الدين :
عمر بن أبى بكر محمد بن حرير
٧١٩ — ٧٦٢ هـ

(٢٣) القاضى ابن بنت الأعز :
عمر بن عبد الوهاب بن خلف
المعروف بابن بنت الأعز
٦٢٥ — ٨٦٠ هـ

(٢٤) القاضى سراج الدين الرازى
عمر بن محمد بن أبى بكر
سراج الدين الرازى
٧٤٥ — ٨١٧ هـ

(٢٥) القاضى بن الأمشاطى :
محمد بن أحمد القاضى شمس
الدين الكحكارى العنتابى
٨١١ — ٨٨٥ هـ

(٢٦) القاضى شمس الدين الواسطى
محمد بن أحمد بن عثمان بن مقدم
ابن عليم ٦٧٠ — ٧٤٢ هـ

(٢٧) القاضى جمال الدين التنسى
محمد بن أحمد الأسدى الزبيرى

السكندرى المالكى المعروف
بابن التنسى ٧٧٧ تقريباً ٨٤٤ هـ

(٢٨) القاضى بدر الدين بن التنسى :
محمد بن أحمد التنسى المصرى
المالكى ٧٨٠ — ٨٥٣ هـ

(٢٩) القاضى ولى الدين السفطى
محمد بن أحمد بن حجاج القاهرى
الشافعى ٧٩٦ — ٨٥٤ هـ

(٣٠) القاضى المناوى :
محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن
السلمى المناوى الشافعى ت ٧٦٥ هـ

(٣١) القاضى حسام الدين التنسى :
محمد بن أبى بكر بن حريز
المالكى المعروف بابن التنسى
٨٠٤ — ٨٧٣ هـ

(٣٢) قاضى الديار المصرية :
محمد بن عبيد الله الكريزى
المصرى مات ٢٦٠ هـ

(٣٣) القاضى محب الدين الكرادى :
محمد بن عثمان بن نوح الأشقر
الكرادى الحنفى ٧٨٠ هـ —
٨٦٣ هـ

(٣٤) القاضى شمس الدين القاياتى :
محمد بن على القاياتى القاهرى
الشافعى ٧٨٥ — ٨٥٠ هـ

(٣٥) القاضى شمس الدين :
محمد بن عمار شمس الدين أبو ياسر
المصرى المالكى المعروف
بابن عمار ٧٦٨ — ٨٤٤ هـ

(٣٦) القاضى ابن النديم :
محمد بن عمرو بن النديم العقيل
الحلبى الحنفى المعروف بابن الصرع
٧٩٢ — ٨١٩ هـ

(٣٧) القاضى ابن المغربى :
محمد بن عمر أبو الجود القاهرى
الحنفى المعروف بابن المغربى
ولد ٨٣٠

(٣٨) القاضى الشدرش :
محمد بن أبى بكر السدرش
القاهرى الحنبلى المعروف
بالسعدى
ولد ٨٢٦ هـ

(٣٩) القاضى أبو القسم :
محمد بن محمد بن عتيق أبو القسم
ابن علم الدين المصرى المالكى
٦٢٨ — ٧٢٠ هـ

(٤٠) القاضى البلقينى :
محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الكنانى البلقينى الشافعى
٨٢١ — ٨٩٠

(٤١) القاضى نصر الدين
محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن
مزيح — المعروف بابن الصاق
٧٥٥ — ٨٠٦ هـ

(٤٢) القاضى ولى الدين أبو البقاء :
محمد بن محمد بن عبد اللطيف

السفباطى القاهرى المالكى

٧٨٦ — ٨٦١ هـ

(٤٣) القاضى بدر الدين أبو المحاسن

محمد بن محمد بن عبد المنعم البغدادى القاهرى الحنبلى

٨٠١ — ٨٥٧ هـ

(٤٤) القاضى شمس الدين الإخنائى

محمد بن محمد بن عثمان بن رحمة الإخنائى الشافعى

٧٥٧ — ٨١٥ هـ

(٤٥) القاضى محب الدين بن الشحنة:

محمد بن محمد بن الشهاب غازى ابن الختلو الحنفى — المعروف بابن الشحنة

٨٠٤ — ٨٩٠

(٤٦) القاضى محب الدين أبو الوليد ابن الشحنة:

محمد بن محمد بن محمود الحنفى

٧٤٩ — ٨١٥ هـ

(٤٧) القاضى بدر الدين العنتابى:

محمود بن أحمد بن موسى العنتابى الحنفى.

٧٦٢ — ٨١٩ هـ

(٤٨) القاضى شرف الدين أبو زكريا

يحيى بن محمد بن مخلوف المناوى الشافعى الحدادى

٧٩٨ — ٨٧١ هـ

(٤٩) القاضى ابن مزهر:

أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بابن مزهر

٧٢١ — ٨٩٣ هـ

فهرس

أهم الأعلام طبقاً للالقاب الدينية

(ا)

الأشرف قايتباى = ابو النصر قايتباى
الأشرف اينال = اينال العلائى
الأشرف باريسباى = تمراز الأعور بن الدوادار
الأشرف بن قلاوون = خليل بن المنصور قلاوون
الأشرف شعبان = شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون
الأصيل الخضرى = محمد الخضرى
افتخار الدين الكرمانى = عبد اللطيف الكرمانى
الامام أحمد = أحمد بن حنبل
الأمين الاقصرائى = يحيى بن محمد بن ابراهيم
الأمين الديرى = عبد الرحمن بن الديرى
أوحد الدين بن الشحنة = عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن الشحنة

(ب)

البدر الأهدل = حسين بن صديق بن حسين
البدر بن الامام = محمد بن يحيى بن زكريا
البدر بن الأمانة = محمد بن أحمد بن عبد العزيز
البدر البشتكى = محمد بن ابراهيم بن محمد
البدر البغدادى = محمد بن محمد بن عبد المنعم أبو المحاسن
البدر البلقينى = محمد بن محمد بن عبد الرحمن
البدر البنهاوى = محمد بن عبد الله
البدر البوصيرى = حسين بن البوصيرى
البدر التنسى = محمد بن أحمد بن محمد
البدر بن جماعة = محمد بن ابراهيم
البدر الخروبى = محمد بن محمد بن علي
البدر الدمامينى = محمد بن أبى بكر بن عمر
البدر الدميرى = محمد بن يوسف
البدر الديرى = عبد الرحمن الصيرافى
البدر الزبيرى = محمد بن عبد الرحمن
البدر السبكى = محمد بن عبد البر
البدر السدرشى = محمد بن محمد
البدر بن سلام = محمد بن أحمد بن ابراهيم السعدى
البدر بن الصواف = الحسن بن على بن محمد الحموى

(ت)

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(ص)

الصدر الوكيل = محمد بن عمر
الصدر بن وهيب = سليمان أبي العز = أبو الربيع
الصدر الياسوفي = سليمان بن الياسوفي
صلاح الدين الأعمى = محمد بن الأعمى
صلاح الدين الأيوبي = يوسف بن أيوب
الصلاح الكلائي = محمد بن عمر الشاذلي
الصلاح المكيني = أحمد بن محمد بن بركوت
الصلاح بن نصر الله = محمد بن حسن
ضياء الدين بن ابراهيم = محمد بن ابراهيم
الضياء البلقيني = عبد الخالق بن عمر بن البلقيني
الضياء المناوي = محمد بن ابراهيم
الظاهر برقوق = أبو سعيد برقوق
الظاهر بيبرس = بيبرس البندقداري
الظاهر تمربغا =
الظاهر جقمق = أبو سعيد الجركسي
الظاهر خوشقدم = أبو سعيد خشقدم الناصري
الظاهر ططر = السلطان ططر
الظاهر غازي = ابن صلاح الدين

(ع)

عز الدين البغدادي = عبد السلام البغدادي
العز بن جماعة = عبد العزيز بن جماعة
العز الأموي = محمد بن عبد السلام
العز بن جماعة = محمد بن أبي بكر
العز بن جكو = موسك بن جكو
العز الحاضري = محمد بن محمد بن خليل
العز الرومي = نعمان بن حسن
العز بن الزاهد = الحسن بن محمد
العز العسقلاني = أحمد بن ابراهيم بن نصر الله ، أبو البركات
العز بن علي = علي بن محمد بن علي
العز بن الفرات = عبد الرحيم بن محمد
العز الفيومي = عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب
العز القدسي = عبد السلام بن داود
العز القدسي = علي بن علي بن أبي العز بن عبد العزيز بن عبد الحميد
العز مصطفى = عبد العزيز بن محمد بن مصطفى
علاء الدين الأهناسي = علي بن محمد بن أبي بكر
العلاء الخازندار = طيبرس الخازندار
العلاء السيرامي = أحمد بن محمد
العلاء بن الصابوني = علي بن أحمد بن محمد
العلاء بن علي = علي بن محمد بن علي
العلاء بن فضل الله = علي بن يحيى
العلاء القلقشندي = علي بن أحمد بن اسماعيل
العلاء بن اللحام = علي بن محمد بن علي بن عباس بن فتيان

العلاء بن المغلى = على بن محمود بن السلمى الحموى
علم الدين البلقينى = عمر بن رسلان
العلمى بن الجيعان = شاكر بن عبد الغنى
العلم بن الزبير = ابراهيم بن الزبير
العلم بن نعيم = سليمان بن خالد
عماد الدين الاسنائى = محمد بن الحسن بن على
العماد الأصفهانى = محمد بن محمد بن حامد ، الكاتب
العماد القلقشندى = اسماعيل القلقشندى

(غ)

غرس الدين الحسينى = خليل بن احمد بن جمعة

(ف)

فخر الدين البارومى = عثمان بن قزل : أبو الفتح
الفتح بن تقى = محمد بن تقى المدنى
الفتح أبو البشرى = عبد الرحمن بن المحب بن الشحنه
فخر الدين المقسى = عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان

(ق)

قطب الدين الحلبى = عبد الكريم بن الحافظ الحلبى
القطب الخيضرى = محمد بن محمد بن عبد الله
القطب الشيشينى = محمد بن عمر بن محمد
قوام الدين الكاكى = محمد بن محمد بن أحمد الخبازى

(ك)

كريم الدين العقبى = عبد الكريم بن عبد الغنى بن يعقوب
كريم الدين القرمانى = عبد الكريم القرمانى
كمال الدين الادفوى = جعفر الادفوى
الكمال الأسيوطى = خليل بن نصير بن الخضر
الكمال بن أبو البشرى = ابراهيم بن أبو البشرى
الكمال البارزى = محمد بن محمد بن محمد بن عثمان
الكمال الجوهرى = الحسن بن على
الكمال بن خير = عبد الله بن محمد بن سليمان
الكمال بن الهمام = محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد

(م)

محب الدين الأشقر = محمد بن عثمان بن سليمان
المحب بن الامام = عبد الله بن عبد اللطيف
المحب البغدادى = أحمد بن نصر الله بن أحمد بن عمر
المحب بن خلف = عبد الوهاب بن خلف = ابن بنت الأعز
المحب بن جناق = محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر
المحب ابن الشحنه = محمد بن محمد بن غازى الختلو
المحب القلقشندى = محمد بن القلقشندى

(ن)

ملحوظة : اقتصر فى هذا الفهرس على الاسماء التى وردت كاملة فى الكتاب

فهرس الاعلام مرتباً طبقاً للحروف الأبجدية

(ا)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(س)

(ش)

(ظ)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

« ن »

« هـ »

« و »

« ى »

فهرس البلدان والاماكن

البلدان

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

الأمكنة والبقاع

ب

ت

ج

ح

خ

ض

ع

ف

ق

« م »

ن

و

الجوامع والمساجد

الزوايا

المدارس

فهرس الكتب

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

ز

(س)

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

الآيات القرآنية

قال تعالى :

في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم :
« حرم ما بين عير الى ثور » ص ٤٧ : ٢٤
من حديث انس في قصة الشفاعة .
« ... فاخر له ساجدا ، فيقال يا محمد ارفع راسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطى واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتى أمتى » ص ٥٥ : ١٠ ، ١٢
من حديث طويل في باب الاسراء (صحيح مسلم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ... فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ...
... ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ...
... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ففرض الله على أمتى خمسين صلاة ، قال فرجعت بذلك حتى أمر بموسي فقال موسي عليه السلام فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال : فراجعت ربى فقال : هى خمس وهى خمسون ، لا يبدل القول لدى ، قال : فرجعت الى موسي فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربى ... »
ص ٢٠ — ٢٩
« فرفعه عند الخامسة ، فقال يا رب ان أمتى ضعفاء فخفف عنهم فقال الجبار : انه لا يبدل القول لدى » ٥٥ : ٧ — ٩
« كفى بالمرء أن يحدث بكل ما سمع » ص ٣٦٨ : ١٢
« كل ميسر لما خلق له » ص ٣٥٤ : ١ ، ٢
« لعن الله الراشي والمرتشي والرائش » ص ٣٦٩ : ٥
« من تزيا بغير زيه فدمه هدر » ص ٣٩١ : ٢
« من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبته » ص ٣٤٦ : ١٤ ، ١٥

فهرس القوافى

تعريفات ووظائف